



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كلية التربية الأساسية

حديث الثقلين سنداً ودلالة

قراءة في أبحاث
المرجع الديني السيد كمال الحيدري

رسالة قَدِّمها
إلى مجلس كلية التربية الأساسية - الجامعة المستنصرية
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية
تخصَّص (حديث)

الطالب: أسعد حسين علي الشمري

إشراف: أ.م.د.مها عامر الاسدي

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

يطلب من

• مؤسسة الإمام الجواد عليه السلام

للفكر والثقافة؛ بغداد

٠٠٩٦٤-٧٧٠٧٩٠٠٨٤٢

٠٠٩٦٤-٧٨٠٠٢٣٠٠٢٩

• مؤسسة الثقلين للثقافة

والإعلام؛ كربلاء

٠٠٩٦٤-٧٨٠١٤٢١١٩٤

• معرض الكتاب الدائم؛

النجف الأشرف

٠٠٩٦٤-٧٧١١٦٤١٦٦٩

• مكتبة زين العابدين

البصرة - الطويسة

٠٠٩٦٤-٧٧٠٦٠٧٢٢٧١

• مكتبة دار الأمير

الناصرية - الحبوبي

٠٠٩٦٤-٧٨٠٣٠٩٨٤٩١

مؤسسة الهدى

للطباعة والنشر

لبنان - بيروت - الغييري -

مقابل سنتر الإنماء

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا
وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * مَخُنْ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ *
نُزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ * وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ
إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا
وَمَا يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (فصلت: ٣٠-٣٥).

الإهداء

إلى العترة وسيدها رسول الله، أصحاب الكساء عليهم الصلاة والسلام.
وإلى والدي الشهيد السعيد وإلى أمي بقيّة الوالدين.
وإلى زوجتي ورفيقتي التي لم تأل جهداً في تهيئة كلّ الأجواء الداعمة
معنويّاً ونفسيّاً وعائليّاً واجتماعيّاً، لإتمام هذه الرسالة.
إلى أرواح شهداء العراق كافّة.
إليهم جميعاً أهدي هذا البحث المتواضع.

الباحث

شكر و عرفان

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماء العادّون، ولا يؤدي حقّه المجتهدون، فهو سبحانه الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله ربّ العالمين. ربّ، فتصاغر عند تعاضم آلائك شكري، فكيف لي شكرك، وشكري إيّاك يفتقر إلى الشكر، فكلّمًا قلت لك الحمد وجب عليّ لذلك أن أقول لك الحمد.

ومن دواعي العرفان والجميل وردّ الفضل إلى أهله، أن أتقدّم بشكري وامتناني وعرفاني بعد الله تعالى إلى من كان لي خير عون وخير داعم في إنجاز بحثي، سماحة آية الله العظمى السيّد كمال الحيدري الذي تابعتني متفضلاً مبتدئاً بالاتّصال بي هاتفياً موجّهاً ومربّياً... متواضعاً بأخلاق أجداده الطيّبين الطاهرين آل البيت عليهم السلام.

وكذا الشكر والعرفان موصولاً إلى مشرفتي الأستاذة الفاضلة الدكتورة مها الأسدي، وشكري وعرفاني للأستاذة في قسم التربية الإسلامية، أخصّص منهم المرّي الكبير الدكتور عبد الحسين الحمداني، الذي لم يألُ جهداً في دعمي وتشجيعي بالمتابعة والسؤال، فما انفكّ موكّداً للمساعدة في كلّ وقت ومكان. أيضاً أقدم شكري إلى مدير مكتب سماحة السيّد الحيدري في بغداد جناب الأخ الفاضل الشيخ عليّ البهادلي.

والشكر الجزيل لمؤسسة الشهداء، فرع ديالى، بمديرها، للتواصل المستمرّ معي سؤالاً ودعمًا لي، وكذا مؤسسة السجناء العامة، لاسيّما الأستاذة المهندسة آمال حسين الحمداني.

٨ حديث الثقلين سنداً ودلالة

والشكر موصول أيضاً، إلى كلّ الذين مدّوا يد العون، معنوياً ونفسياً من الإخوة والأصدقاء والزملاء، ولكلّ من قدّم لي التوجيه والنصح، والشكر مسبقاً إلى لجنة المناقشة الأفاضل على إغنائهم الرسالة بتوجيهاتهم السديدة، فجزاهم الله خير الجزاء.

إقرار المشرف

نشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة: (حديث الثقلين سنداً ودلالةً على مباني السيّد كمال الحيدري) التي قدّمها الطالب (أسعد حسين علي) قد جرى بإشرافنا في كلّية التربية الأساسية - قسم التربية الإسلامية، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التربية الإسلامية، تخصص (حديث)

التوقيع

أ. م. د. مها عامر الاسدي

التوقيع

رئيس قسم التربية الاسلامية

د. حسام عبد الزهرة غافل

بناء على التوصيات نرّشح هذه الرسالة للمناقشة

إقرار الخبير اللغوي

أشهد أنّي اطّلت على رسالة الطالب (أسعد حسين علي) الموسومة (حديث الثقلين سنداً ودلالةً على مباني السيد كمال الحيدري)، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التربية الإسلامية، تخصّص (حديث)، وقرأتها قراءة متأنّية، وهي الآن صالحة من الناحية اللغوية.

التوقيع:

الخبير اللغوي: أ.د. جمال جليل

مقدمة

الحمدُ لله الذي جعلَ الحمدَ ثمناً لنعماؤه، ومعاذاً من بلائِهِ، وسبيلاً إلى جنانه، وسبباً لزيادةِ إحسانِهِ. والصلاةُ على رسوله نبيِّ الرحمة، وإمام الأئمة، وسراج الأئمة، المنتخب من طينة الكرم، وسلالة المجد الأقدم، ومغرس الفخار المعرق، وفرع العلاء المثمر المورق، وعلى أهل بيته مصابيح الظلم، وعصم الأمم، ومنار الدين الواضحة، ومثاقيل الفضل الراجحة، صلى الله عليهم أجمعين، صلاة تكونُ إزاء فضلهم، ومكافأة لعملهم، وكفاءاً لطيب فرعهم وأصلهم، ما أنارَ فجرٌ ساطعٌ، وخوى نجمٌ طالعٌ.

اليومَ الأئمةُ بأمرٍ الحاجةِ إلى معرفة ذاتها، ومعرفة الذاتِ تتأتى من الاعتقادِ الكاملِ بها أنتَ فيه، وتسعى إليه، أو الاعتقادِ والإيمانِ الكاملِ بطريقك الذي أنتَ تسيرُ فيه، وهذا المهمُّ حقيقةً في أيِّ مشروع.

أما أن يكونَ الآخرُ على خطأ فأنا على صواب، فهذا مما ابتليتُ به أممتنا الإسلامية مع شديد الأسف، وذلك كله جاء نتيجة تلك الرواية «كلها في النار إلا فرقة»^(١) وأيُّ ضيقٍ تدعو إليه هذه الرواية وأيُّ تطرفٍ، وهذا خلافُ قوله صلى الله عليه وآله: «إنما أنا رحمةٌ مهداة»^(٢) وخلافُ قوله صلى الله عليه وآله: «أحبُّ الدين إلى الله الحنيفية»

(١) ينظر مسند أحمد: ج ٣ ص ١٢٠؛ بحار الأنوار: ج ٩ ص ١٨٩ وغيرهما من كتب الحديث.

(٢) المستدرک على الصحيحين: ج ١ ص ٣٥؛ سنن الدارمي: ج ١ ص ٩؛ المصنّف، لابن أبي

شيبه: ج ٧ ص ٤٤١؛ بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٣٠٦.

١٤ حديث الثقلين سنداً ودلالة

السحة»^(١). وأين هذا من قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥).

فتعدُّ المذاهبِ والفرقِ الإسلامية أمرٌ واقعٌ لا مفرَّ منه، ولا أتوقع أن تتوحدَ المذاهبُ الإسلاميةُ في مذهبٍ واحدٍ، وليس بوسع التمنيّاتِ بوحدة المسلمين، أو المحاولاتِ المخلصةِ للتقريبِ بين المذاهبِ، أن تزيلَ هذا التعددَ، ولن تدمجَ تلكَ المحاولاتِ مسلمي اليوم، ولم تفعلَ مع مسلمي الأمس، وسيبقى هذا التنوعُ قائماً.

إنَّ شغفي بإشاعةِ هذا الفهمِ، هو لحلُّ إشكاليّةِ التعاملِ السلبي مع الآخرِ (عن طريق البعد الطائفي) والذي هو إلى حدٍّ ما مستحكماً في مجتمعاتنا، وهو الذي دعاني إلى اختيارِ موضوعي، وهو موضوعٌ خلافيٌّ من صميمِ الأمور التي اختلفت فيها الأمةُ عقدياً، محاولاً أن أطرحه عن طريق التسامح مع الآخرِ، متّبعاً المنهجيةَ العلميّةَ التحقيقيّةَ التي يتمتعُ بها سماحةُ آية الله العظمى السيّد كمال الحيدري وطريقةُ تناوله واهتمامه بهذه الموضوعات، فساحتهُ على درايةٍ جدّ كبيرةٍ بما تعانيه هذه الأمةُ، وممكن ملاحظة هذه الدراية من خلال الاطلاع على أفكاره ونتاجاته العلميّة وعناوين مؤلفاته التي زادت على المئة مؤلّف، وأيضاً محاضراته والبرامج الفكرية التي أغنى بها الساحةَ الإسلاميّة، وعن طريق هذه المتابعة لبحوث سماحته تبلورت وبرزت أهمية الموضوع.

ولا يفوتني أن أبيّن أصلَ فكرة هذه الرسالة، فهي مجموعةٌ محاضراتٍ ألقاها سماحةُ آية الله العظمى السيّد كمال الحيدري في برنامج تلفزيونيّ أسبوعيٍّ على قناة الكوثر الفضائية من مدينة قم المشرفة، تحت عنوان الأُطروحة المهدويّة.

(١) صحيح البخاري: ج ١ ص ١٥؛ مسند أحمد: ج ١ ص ٢٣٦؛ من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ١٢، وغيرها.

وأتمها قد استوعبت ٧٥ حلقة من تاريخ (٢/٥/٢٠١٠م) إلى تاريخ (٣/٩/٢٠١٢م) ما يقارب سنتين وأربعة أشهر، بدايةً من سند حديث الثقلين كلاً إلى الدلالة، التي لم يستطع ساحة السيد أن يقفَ على كلِّ مطالبها؛ لتوقف بثّ البرنامج لقرارٍ (مجهول!) من إدارة القناة، فصارَ على عاتقي تتمّة باقي بحوث الدلالة، بحسب مباني ساحة السيد الحيدري، وعن طريق بعض كتبه التي تعرّضت للموضوع، بعد أخذ الإذن من سماحته، عن طريق مكالمة هاتفية، فأجازني متفضلاً، ومشكوراً بقوله: «أضف ما تشاء، واحذف ما تشاء، أينما تشاء، وكيفما تشاء، المهمّ أنّ المضمون والمبنى موجود».

فشمرتُ الساعد متوكلاً على الباري عزّ وجلّ، وبدأت بالسند واستوعبته في الفصل الأوّل، ذاكراً الروايات الصحيحة بحسب الأقدم من المحدثين مع تراجم بسيطة لهم، والفصل الثاني تناولت فيه دلالات حديث الثقلين مع ضميمته معنى (أهل البيت) الذي هو من لوازم الدلالة لهذا الحديث، فوقفت عليه في مبحث خاصّ متناولاً آيات التطهير والمودّة والمباهلة، والمبحث الثاني وقفت فيه على دلالة الحديث في مطالب سنة، كلُّ مقطع من الحديث تناولت مفرداته لغةً، وإن وُجد اصطلاحاً، ومن ثمّ دلالات المقطع عقدياً، والفصل الثالث عالجته فيه مجموعةً من الإشكالات على دلالة آية التطهير، ودلالات حديث الثقلين، من خلال موروث ساحة السيد في برنامج الأَطروحة المهدوية ومن بعض كتبه، ولم أتعرض فيه لجميع الإشكالات على دلالة هذين المطلبين، لأنني ملتزمٌ بأصل المادة ومباني سماحته، وفي كلّ ذلك متبعاً المنهجية التالية:

١. عمدتُ إلى الروايات التي ذكرها ساحة السيد في سند حديث الثقلين التي كلّها صحيحة السند أو حسنة لذاتها، فرتبتهَا نزولاً بحسب وفاة المحدث من الأقرب للنصّ فالأبعد وهكذا.

٢. فضلاً عن التصحيحات للأحاديث المذكورة في السند من أمهات كتب مدرسة الصحابة، التي ذكرها سماحة السيد في أصل البحث، قمتُ أنا أيضاً بإضافة مهمة الجرح والتعديل لكل راوٍ في سند الروايات الأم في الفصل الأول، معتمداً على أمهات مصادر الجرح والتعديل، مقدماً ابن حجر العسقلاني في (تقريب التقريب) وباقي كتبه في الرجال، وإذا لم أجد جرح أحدهم أو تعديله عنده، عدلتُ إلى الذهبي في كتبه، ثم المزي وهكذا باقي الكتب في الباب.

٣. بعض الهوامش هي تعليقات للسيد الحيدري على بعض الروايات أو المطالب، فما كانت كذلك، ذيلتها بـ (السيد الحيدري) وإلا فهي للباحث.

٤. أصل الأفكار التي في متن الرسالة هي لسماحة السيد الحيدري من المحاضرات، إلا ما أخذته من بعض كتبه وقد أشرتُ إليه في الهامش.

٥. حرص الباحث أن يعتمد المبنى والمنهجية التي يتناول بها سماحة السيد الحيدري موضوعاً ما، ثم يوسع فيه بالمقدار الذي تستوعبه المادة، ويحتاجه الموضوع.

مثاله: عندما بين سماحته أن رواية مسلم عن زيد لحديث الثقلين، أمها غير صحيحة، قدام النصوص الأخرى التي في مسند أحمد أو المستدرک أو الترمذي وغيرهم، استدلتُ على ذلك بثلاث قرائن، أضاف الباحث إليها خمساً فصارت ثمانياً، وهكذا.

بما أن أصل المادة هو برنامج تلفازي للعامة والخاصة، واجه الباحث من خلال هذه الميزة صعوبة في كيفية التعامل مع برنامج يُنقل مباشرة إلى المشاهدين على التلفاز، فمن البديهي أن تجد فيه كثيراً من الارتجاليات (وإن كانت ممنهجة) فحاول سماحة السيد الحيدري - بقدر الإمكان - أن يلتمس مستوى أقل المتلقين، وأن ينأى بنفسه عن المستوى الفني (نسبياً) سواء كان

حوزوياً أو أكاديمياً، بالإضافة إلى كثرة التكرار والإعادة زيادةً منه في البيان والإيضاح؛ لصعوبة بعض المطالب، فكان عليّ أن أعيد صياغتها أكاديمياً، على مستوى المفردة، وعلى مستوى التنظيم، وعلى مستوى الإخراج الفني والترتيب، فأخرتُ بعض ما كان مقدّماً، وقدمتُ بعض ما كان مؤخراً (بحسب البرنامج) لضرورة ارتأيتها.

واقترضتُ طبيعة البحث في هذه الرسالة أن تقسم على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

فالمقدمة ذكرتُ فيها سبب اختياري الموضوع وأهميته وحدوده والمنهجية المتبعة فيه.

أما التمهيدُ فذكرتُ فيه السيرَ من ترجمة آية الله السيّد الحيدري، ومؤلفاته، وفصلتُ القولَ في منهجية سماحة السيّد في تناوله لهذه البحوث العقديّة ولاسيما في كيفية تناوله النصّ الروائيّ وشطراً من منهجه التربويّ. احتوى الفصلُ الأوّل الذي كان بعنوان (سند الحديث) مجموعةً مباحث: المبحثُ الأوّل: في صيغ حديث الثقلين، وضمّ مجموعةً مطالب، الأوّل: كان في البحثِ في سندِ صيغة (الثقلين)، والثاني: في البحثِ في سندِ صيغة (الخليفين)، والثالث: في البحثِ في سندِ صيغتي (لن تضلّوا. وحبل ممدود)، والرابع: في رواية الثقلين في تراث أهل البيت عليهم السلام، والخامس في تعدّد مناسبات ذكر الحديث وتواتره.

أما المبحثُ الثاني: فكان في صيغة (وستي) وفيه مجموعةً مطالب، أوّلها: البحثُ في طريق صالح بن موسى الطلحي، والثاني: طريق إسماعيل بن أبي أويس، والثالث: طريق سيف بن عمرٍ وطريق صباح بن محمّد، والرابع: طريق كثير بن عبد الله.

والمبحثُ الثالث: مناقشة المضعفين لصيغة (وعترتي). ومطالبه: الأوّل من

١٨ حديث الثقلين سنداً ودلالة

المضعفين: ابن تيمية، والثاني من المضعفين: ابن الجوزي، والثالث من المضعفين: البخاري.

وتناولت في المبحث الرابع: سند حديثي الكساء، والوقوف على بيت فاطمة عليها السلام.

وكان الفصل الثاني بعنوان (دلالة الحديث) وقسمته إلى مبحثين:
المبحث الأول: أسميته (أهل البيت) وفيه مجموعة مطالب، الأول: معاني أهل البيت لغةً وعرفاً وشرعاً، والثاني: أهل البيت في آيات التطهير والمودة والمباهلة، أما الثالث فهو دلالات آية التطهير.
أما المبحث الثاني: فكان بخصوص (دلالات حديث الثقلين) فكان كل مقطع من الحديث الشريف في مطلب، كالتالي:
المطلب الأول: دلالة (يوشك أن يأتي رسول ربّي، فأجيب، أو كآني قد دُعيتُ فأجبتُ).

المطلب الثاني: دلالة (وإني، تارك فيكم، الثقلين، أو الخليفتين).
المطلب الثالث: دلالة (ما إن تمسكتُم به، أو ما إن أخذتُم به، أو ما إن اعتصمتم به لن تضلوا).

المطلب الرابع: دلالة (أحدُهُما أكبرُ من الآخر: كتابُ الله، حبلُ ممدودٌ ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي).

المطلب الخامس: دلالة (وإيَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض).
أما المطلب السادس: فكان محصلة مجموع الدلالات: دلالة ذكر (حديث الثقلين) مع حديث (من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه) يوم الغدير.

وخصصت الفصل الثالث في الشبهات حول الدلالة في مبحثين:
المبحث الأول: كان في ردّ شبهات في آية التطهير في مطالب؛ كلُّ شبهة في مطلب:

الأولى: في المراد من أهل البيت، والثانية: عدم استفادة معنى العصمة،
والثالثة حول الإرادة.

أمّا المبحث الثاني: كان في ردّ شبهاتٍ في حديث الثقلين، وتناولت فيه
شبهةً واحدةً في مجموعة مطالب؛ الأوّل: معارضة حديث الثقلين بحديث
(الخلفاء الراشدين)، الثاني: من هم الخلفاء الراشدون، والثالث: حديث
(الاثني عشر) وتفسيرات علماء المسلمين له، والرابع: تفسير مدرسة أهل
البيت عليهم السلام لأحاديث (الخلفاء اثنا عشر).

والخاتمة كانت في ما توصلت إليه من مضامين، مذيّلها بمصادر ومراجع
هذه الرسالة.

وأستغفر الله سبحانه وتعالى من فرطات الزلل وورطات الخلل التي فيها،
ونستكفيه زوال النعم وحلول النقم، ونستعته محلّ العثار وسوء المرجع في
القرار، ومن أفضل ما يفتح به النظام ويختتم به الكلام ما نُقل عن النبيّ
صلى الله عليه وآله: «من اقتصر من الدنيا على ما أحلّ له سلم، ومن أخذ العلم من أهله وعمل به
نجا، ومن أراد به الدنيا فهو حظه»^(١).

(١) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٣٤.

تمهيد

- ترجمة المرجع الديني السيّد كمال الحيدري
- منهجية المرجع الديني السيّد كمال الحيدري

ترجمة آية الله العظمى السيد كمال الحيدري

الولادة والنشأة

في مدينة أبي الشهداء الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، في كربلاء المقدسة وفي أجوائها الروحية العبقّة وبين أفياء نخيلها الباسق، وُلد السيّد كمال الحيدري - وهو النجل الأصغر للمرحوم السيّد باقر السيّد حسن السيّد عبد الله - في عام ١٣٧٦هـ، الموافق لعام ١٩٥٦م، من عائلةٍ ينحدر نسلها إلى الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام عربيّة المحتدّ والمغرس.

أنجب والده السيّد باقر ستّة من الذكور، مات أكبرهم السيّد كاظم بمرض عضال، واستشهد ثلاثة منهم في سبيل الله والإسلام؛ حيث أعدمهم النظام البائد، وهم: السيّد صالح والسيّد محمّد والسيّد فاضل، وذلك في عام ١٩٨٢م. أمّا الرابع من إخوته فهو المرحوم السيّد صاحب حيث توفّي بمرض ألمّ به عام ١٩٩٢م. فبقى المترجم له: السيّد كمال أطال الله بقاءه الولد الوحيد من الذكور لأبيه^(١).

استطاع لما يملكه من نباهةٍ وذكاءٍ حادّ، أن يجتاز المرحلة الابتدائية والمتوسطة بتفوّقٍ وامتياز، حتّى نال إعجاب أقرانه وزملائه، وأساتذته ومعلّميه، ليتقل إلى المرحلة الإعدادية، ويشمّر عن سواعد الجدّ فيها، ليحقّق رغبة والده وأهله. كانت رغبة والده وأهله أن يكون طبيباً أو

(١) كمال الحيدري قراءة في السيرة والمنهج، د. حميد مجيد هدّو: ج ٢ ص ١١.

مهندساً^(١)، فكان عليه أن يختار الفرع العلمي لتحقيق هذه الرغبة، فبدأت الأفكار تجول في خلد المترجم له مخلّفة حيرةً منقطعة النظر؛ أيحقق ما تصبو إليه نفسه وما يريد، أم يحقق طموح العائلة ورغبتها؟ وهكذا بقيت الحيرة تراوده، حتّى قرّر أخيراً اختيار الطريق الحوزوي الذي عشقه منذ البداية، اختاره دون أن يخبر والده وأهله بالأمر، بل علموا أنّ المستوى الدراسي لولدهم قد تراجع دون أن يعرفوا الأسباب، وهذا ما كان يطمح المترجم له أن يوجد في نفوس أهله، ليفوّت بذلك فرصة الالتحاق بكليّة الطب أو الهندسة... وهو موقفٌ يكشف عن أنّ صاحبه يتّسم بالكثير من الجرأة والتصميم والتفاني في سبيل تحقيق خياراته الفكرية المبكّرة. وفي هذه المرحلة بالذات تبدأ قصة علاقته بالعلوم السائدة في أروقة الحوزة العلمية^(٢) من خلال اهتمامه الجدّي بدراسة الفقه الإسلامي خارج أوقات المدرسة الرسمية. تأثر سماحة السيّد دام ظلّه بجوّ كربلاء الروحاني الهادف، وبحضوره مجالس الوعظ الديني والإرشاد التربوي، كما أنّه لطالما شدّته المجالس الحسينية وهو يستمع إلى ألمع خطباء كربلاء في تلك الحقبة كالمرحوم الشيخ عبد الزهراء الكعبي، والشيخ هادي الخفاجي، والشيخ عبد الأمير المنصوري فضلاً عمّا كان يُعقد في بعض البيوتات الكربلائية من مجالس الوعظ حيث يرتقي فيها أعواد تلك المنابر خطباء كالشيخ أحمد الوائلي رحمته الله والشيخ محمّد علي اليعقوبي رحمته الله^(٣).

(١) انظر المصدر نفسه: ص ١٢.

(٢) وهو لفظٌ اصطلاحيّ للمدرسة الفقهية التابعة للمذهب الجعفري، وأبرز حوزتين في العصر الحالي هما: الحوزة العلمية في النجف الأشرف والحوزة العلمية في قم. وكلتا المدرستين يعتمدان المنهج ذاته للتحصيل العلمي (ويكيبيديا الموسوعة الحرة).

(٣) كمال الحيدري قراءة في السيرة والمنهج: ص ١٣.

بداية الشروع في الدراسة الحوزوية :

من المعروف أنّ الدراسات الدينية في الحوزات العلمية تُقسّم إلى ثلاث مراحل، يتدرّج فيها طالب العلوم والمعارف الإسلامية دراسياً من الأسهل معرفياً إلى ما هو أعقد وأعمق وأكثر اتساعاً وشمولاً، كما أنّ لكلّ مرحلة محوراً يتمّ التركيز عليه واستيعابه بنحو أكبر، حتّى إذا انتقل الطالب إلى المرحلة اللاحقة كرّس جهوده لنوع جديد من تلك العلوم والمعارف، حتّى إذا انتهى من هذه المرحلة المتوسطة اتّضح له خياره النهائي في صنف العلوم التي ينوي أن يتفرّغ لها أكثر من غيرها ويتخصّص بها، ولا تكون الفرصة للتخصّص في أكثر من صنف من العلوم الدينية إلّا للطالب الأملعي الجادّ في دراسته وتحصيله. وهذه المراحل عبارة عن: مرحلة المقدّمات^(١)، والسطوح^(٢)، ومرحلة البحث الخارج^(٣).

أتمّ سباحته دام ظلّه دراسة المقدّمات وشيئاً من السطوح في كربلاء

(١) وهي المرحلة الأولى من الدراسة في الحوزة، يقتصر الطالب فيها على دراسة النحو والصرف والعلوم البلاغية والعروض والمنطق والفقه وأصول الفقه وبعض النصوص الأدبية (ويكيبيديا الموسوعة الحرة - إنترنت).

(٢) وهي المرحلة الثانية من مراحل الدراسة في الحوزة، ويتفرّغ الطالب فيها لدراسة الكتب الاستدلالية الأصولية والفقهية والفلسفية، المصدر نفسه.

(٣) سمّيت المرحلة الثالثة بمرحلة البحث الخارج؛ لأنّ الدراسة فيها تتمّ خارج نطاق الكتب التي يعتمدها الأستاذ في تحضير مادّته في مرحلة البحث الخارج. ثمّ ينتقل الطالب في الجامعة النجفية إلى الدور الأخير من حياته الدراسية، بعد أن وقف على هذه الآفاق الرحبة من الفكر الإسلامي، المصدر نفسه.

٢٦ حديث الثقلين سنداً ودلالة

المقدّسة في الوقت نفسه الذي كان يزاوّل دراسته الأكاديميّة الرسميّة؛ حيث كان يحضر دروسه عصرًا عند معلّمه وأستاذه الأوّل الشيخ حسين نجل العلامة الشيخ علي العيثان الأحسائي رحمته الله وذلك على دكّة من دكّات إيوانات الصحن الحسيني الشريف على يمين الخارج من الصحن الشريف عند باب السلطانيّة، كما حضر بعدها عند والده الشيخ علي العيثان رحمته الله أيضاً.

وبعد أن اشتدّت عزيمته لمواصلة الشوط في الدراسة الحوزويّة، نصحه الشيخ علي العيثان رحمته الله بالانتقال إلى النجف الأشرف^(١) المركز الأهمّ والأكبر للعلوم الإسلاميّة طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام؛ لكونها المكان الحقيقي الذي بوسعه تحقيق طموحاته الفكرية ورغباته العلميّة فيه.

وفي ظلّ الظروف الخانقة التي مرّ بها العراق في سبعينيّات القرن المنصرم، انخرط سماحة السيّد في كليّة الفقه في مدينة النجف الأشرف، وكانت الظروف السياسيّة الساخنة للبلد تتصاعد، وأزمة علماء الدّين بدأت تتطوّر والملاحقات الظالمة لطلبة الحوزة قائمة على قدم وساق.

وفي أثناء إكماله لدروسه في كليّة الفقه التزم سماحة السيّد دام ظلّه بحضور دروس الحوزة الرسميّة؛ فأكمل المكاسب والرسائل والكفاية؛ ليتأهّل لحضور أبحاث الخارج الفقهيّة والأصوليّة، وكان من أبرز أساتذته في كليّة الفقه ومرحلة السطوح العليا في الدراسة الحوزويّة: آية الله العلامة السيّد محمّد تقّي الحكيم رحمته الله وآية الله السيّد الشهيد عبد الصاحب الحكيم رحمته الله^(٢).

أكمل سماحته مرحلة السطوح العليا في فترةٍ وجيزة؛ لما كان يتمتّع به من ذكاء وحفظ، ليواصل حضور دروس الخارج الفقهيّة والأصوليّة، فحضر عند

(١) كمال الحيدري قراءة في السيرة والمنهج: ص ٢١.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢٥.

تمهيد ٢٧

كلّ من: ١. آية الله العظمى السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر قده. ٢. آية الله العظمى السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي قده. ٣. آية الله الشيخ ميرزا علي الغروي قده. ٤. آية الله السيّد نصر الله المستنبط قده.

وقد كان كثير الارتباط بأستاذه الشهيد محمّد باقر الصدر قده، حيث كان يدخل عليه ويسأله الأبحاث العلميّة، ويناقشه ويسمع إرشاداته وأجوبته. تعلمّ الفقه والأصول والوعى والتحقيق والجهاد السياسي من أستاذه الصدر قده، وبعد اشتداد الخناق على طلاب الحوزة الحركيين في النجف الأشرف، انتقل سماحة السيّد دام ظلّه إلى الكويت^(١) لتكون له محطة للانتقال إلى مدينة قم المقدّسة، فواصل مشواره بالحضور عند أعلامها فقهاً وأصولاً وتفسيراً وكلاماً وفلسفةً وعرافاناً، وهم: ١. آية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي قده. ٢. آية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني دام ظلّه. ٣. آية الله العظمى الشيخ جواد الأملي دام ظلّه. ٤. آية الله الشيخ حسن زاده أملي دام ظلّه^(٢). إلى جانب الحضور العلميّ، مارس العمل السياسيّ في بدايات مشواره في مدينة قم المقدّسة، وشارك بنفسه في محاربة الصداميين مع ثلّة من إخوانه ورفاق دربه حيناً، ومزاوياً للدراسة حيناً آخر.

المحاضرات والدروس الحوزوية

وعندما شاهدت الحوزة اهتماماته في جميع المعارف الدينيّة طلبت منه القيام بأعباء مهمّة التدريس، فلبّي ذلك بكلّ احترام، فقام بتدريس مجموعة من الدروس في مختلف الأصعدة والحقول، وهي كالتالي:

(١) كمال الحيدري قراءة في السيرة والمنهج: ص ٣٩.

(٢) المصدر نفسه: ص ٤٠.

٢٨ حديث الثقلين سنداً ودلالة

أولاً: علم العرفان «النظري»

١. تمهيد القواعد ١٦٥ محاضرة^(١).

٢. شرح فصوص الحكم ٥٥٠ محاضرة.

ثانياً: الأخلاق والعرفان العملي والسلوك

ما يقارب ١٠٠ محاضرة وأهمها جنود العقل والجهل.

ثالثاً: علم الفلسفة

١. الأسفار العقلية الأربعة لملا صدرا الشيرازي:

الجزء الأول ٣٩٠ محاضرة. الجزء الثاني ٧٥ محاضرة. الجزء السادس

١٨٠ محاضرة. الجزء التاسع ٢٢٩ محاضرة.

٢. نهاية الحكمة ٣٣٥ محاضرة.

٣. بداية الحكمة ١١٦ محاضرة.

٤. المنهج الجديد في تعليم الفلسفة ١٦٨ محاضرة.

رابعاً: علم المنطق

شرح منطق «المظفر» ١٠٥ محاضرة.

خامساً: أصول الفقه

١. في ما يتعلّق بالبحوث العليا ما يقارب ٦٠٠ محاضرة، وهي التي

يُصطلح عليها خارج أصول الفقه.

٢. وهناك المحاضرات المتعلقة بما يسبق مرحلة بحوث الخارج من

مقدمات وسطوح وسطوح عليا، وهي:

(١) المحاضرات تتوزّع شكّل ساعات دراسية تشغل كلّ منها حيّز ٥٠ دقيقة.

تمهيد..... ٢٩

- أ. شرح الحلقة الأولى ٢٣ محاضرة.
- ب. شرح الحلقة الثانية ١٠٩ محاضرة.
- ج. شرح الحلقة الثالثة ٢٧٢ محاضرة.
- د. الرسائل - للشيخ الأنصاري، بحث الفطع ٩٠ محاضرة.

سادساً: علم الفقه

١. خارج علم الفقه: التي تمثل الدراسات العليا لعلم الفقه نجد شرح المكاسب المحرمة ٥٠٠ محاضرة.
٢. شرح المكاسب المحرمة ١٨٤ محاضرة.
٣. شرح كتاب البيع ٢٢٨ محاضرة.
٤. شرح اللمعة الدمشقية ٤٠٠ محاضرة.

سابعاً: علم الكلام والعقائد

١. التوحيد ١١٤ محاضرة.
٢. العدل الإلهي ١١٨ محاضرة.
٣. الإمامة ١٧٤ محاضرة.

ثامناً: علم التفسير

وهنا المحاضرات التي تناولت التفسير عبر بُعدين الموضوعي والترتيبي والتي تقارب ٥٠٠ محاضرة.

تاسعاً: المحاضرات العامة

والتي أُرشف منها ٥٠٠ محاضرة، والتي تناولت اللقاءات والمحاضرات في المنتديات العامة.

٣٠ حديث الثقلين سنداً ودلالة

عاشراً: اللقاءات التلفزيونية

توزعت على عدّة قنوات تلفزيونيّة كالكوثر وغيرها وهي زهاء ١٠٠٠ لقاء^(١).

آثاره المطبوعة

هذا على مستوى التدريس في الحوزة العلميّة ودروسها التخصّصيّة والمحاضرات العامّة، أمّا على مستوى التّأليف فقد صدر من يراعه إلى حدّ الآن الكثير من المؤلّفات تجاوزت المئة، توزعت ما بين التّأليف والتقرير والمحاضرات، وطبعت طبعات متكرّرة في مختلف البلدان الإسلاميّة، وهي:

١. التفسير وعلوم القرآن

- منطق فهم القرآن (١-٣). بقلم: الدكتور الشيخ طلال الحسن.
- الباب في تفسير الكتاب (الجزء الأوّل: تفسير سورة الحمد).
- أصول التفسير والتأويل.
- مفاتيح فهم القرآن. بقلم: السيّد رضا الغرابي.
- مناهج تفسير القرآن. بقلم: الدكتور الشيخ طلال الحسن.
- الرمزية والمثل في النصّ القرآني. بقلم: الدكتور الشيخ طلال الحسن.
- آية الكرسي تفسيراً وتأويلاً. بقلم: السيّد رضا الغرابي.
- صيانة القرآن من التحريف.
- مدخل إلى النظام المعرفي لآليّة فهم القرآن. بقلم: السيّد رضا الغرابي.

٢. العقائد وعلم الكلام

- التوحيد، بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته (١-٢). بقلم: الأستاذ جواد

(١) اللقاء التلفزيوني يمثّل ما بين ٥٠ إلى ٦٠ دقيقة.

علي كسار.

- معرفة الله (١-٢). بقلم: الدكتور الشيخ طلال الحسن.
- المعاد؛ رؤية قرآنية (١-٢). بقلم: الشيخ خليل رزق.
- دروس في التوحيد. بقلم: الشيخ علي حمود العبادي.
- التوحيد عند الشيخ ابن تيمية. بقلم: خليل العاملي.
- علم الإمام؛ بحوث في حقيقة ومراتب علم الأئمة المعصومين. بقلم: الشيخ علي حمود العبادي.
- الراسخون في العلم؛ مدخل لدراسة ماهية علم المعصوم وحدوده ومنابع إلهامه. بقلم: الشيخ خليل رزق.
- بحث حول الإمامة. حوار، بقلم: الأستاذ جواد علي كسار.
- الشفاعة؛ بحوث في حقيقتها وأقسامها ومعطياتها.
- العصمة؛ بحث تحليلي في ضوء المنهج القرآني. بقلم: محمد القاضي.
- يوسف الصديق؛ رؤية قرآنية. بقلم: الشيخ محمود الجياشي.
- فلسفة الدين؛ مدخل لدراسة منشأ الحاجة إلى الدين وتكامل الشرائع. بقلم: الشيخ علي العبادي.
- التفقه في الدين. بقلم: الدكتور الشيخ طلال الحسن.
- عصمة الأنبياء في القرآن. بقلم: الشيخ محمود الجياشي.
- الإعجاز بين النظرية والتطبيق. بقلم: الشيخ محمود الجياشي.
- الولاية التكوينية؛ حقيقتها ومظاهرها. بقلم: الشيخ علي العبادي.
- دروس في علم الإمام. بقلم: الشيخ علي العبادي.
- معالم الإسلام الأموي. بقلم: الأستاذ علي المدن.
- السلطة؛ وصناعة الوضع والتأويل. بقلم: الأستاذ علي المدن.

٣٢ حديث الثقلين سنداً ودلالة

- مناهج بحث الإمامة بين النظرية والتطبيق. بقلم: الشيخ محمد جواد الزبيدي.
- مفهوم الشفاعة في القرآن. بقلم: الشيخ محمد جواد الزبيدي.
- الاسم الأعظم، حقيقته ومظاهره.
- القضاء والقدر، وإشكالية تعطيل الفعل الإنساني.
- في ظلال العقيدة والأخلاق.
- مدخل إلى الإمامة.

٣. علم الفقه

- كليات فقه المكاسب المحرّمة. بقلم: الدكتور الشيخ طلال الحسن.
- بحوث في فقه عقد البيع. بقلم: السيد زيد البطاط.
- لا ضرر ولا ضرار، تقريراً لأبحاث آية الله العظمى الشهيد محمد باقر الصدر قَدَسَ سِرُّهُ.
- معالم التجديد الفقهي؛ معالجة إشكالية الثابت والمتغير في الفقه الإسلامي. بقلم: الشيخ خليل رزق.
- رسائل فقهية. تقريراً لأبحاث المرجع الديني سماحة السيّد كمال الحيدري. بقلم: نخبة من الفضلاء.
- الفتاوى الفقهية (الرسالة العملية لسماحته) (١-٣).
- موارد وجوب الزكاة والخلاف في تحديدها (بحوث في عملية الاستنباط الفقهي). بقلم: الشيخ ميثاق العسر.
- منكر الضروري؛ حقيقته شروطه حكمه (بحوث في عملية الاستنباط الفقهي). بقلم: الشيخ ميثاق العسر.
- هل لخمس أرباح المكاسب أصل قرآني؟ (بحوث في عملية الاستنباط

الفقهي). بقلم: ميثاق العسر.

- مختارات من أحكام النساء.
- مناسك الحجّ. إعداد وتنظيم: الشيخ أحمد الشيباني.
- المنتخب في مناسك الحجّ والعمرة.

٤. علم أصول الفقه

- القطع؛ دراسة في حجّيته وأقسامه. بقلم: الشيخ محمود الجياشي.
- الظنّ؛ دراسة في حجّيته وأقسامه. بقلم: الشيخ محمود الجياشي.
- شرح الحلقة الثالثة من كتاب دروس في علم الأصول، للشهيد محمّد باقر الصدر قُلَيْبِي؛ القسم الأوّل: الدليل الشرعي (١-٥). بقلم: الشيخ حيدر اليعقوبي.
- شرح الحلقة الثالثة؛ القسم الثاني: الأصول العملية (١-٦). بقلم: الشيخ علي العبادي.
- الدروس (شرح الحلقة الثانية للسيد الشهيد محمّد باقر الصدر قُلَيْبِي) (١-٤).
- شرح الحلقة الأولى من كتاب دروس في علم الأصول؛ للشهيد السعيد آية الله العظمى السيد محمّد باقر الصدر قُلَيْبِي. بقلم: الشيخ سعد الغنامي.
- مقدمات منهجية في علم أصول الفقه. بقلم: الشيخ خليل رزق.

٥. البحوث الفلسفية

- شرح بداية الحكمة (١-٢). بقلم: الشيخ خليل رزق.
- دروس في الحكمة المتعالية (١-٢).
- الفلسفة؛ شرح كتاب الأسفار الأربعة (الإلهيات بالمعنى الأعم) (١-٢). بقلم: الشيخ قيصر التميمي.

٣٤ حديث الثقلين سنداً ودلالة

- كتاب المعاد؛ شرح كتاب الأسفار العقلية الأربعة (١-٢). بقلم: الشيخ عبد الله الأسعد.
- فلسفة صدر المتأهين؛ قراءة في مرتكزات الحكمة المتعالية. بقلم: الشيخ خليل رزق.
- المثل الإلهية؛ بحوث تحليلية في نظرية أفلاطون. بقلم: الشيخ عبد الله الأسعد.
- بحوث في علم النفس الفلسفي. بقلم: الشيخ عبد الله الأسعد.
- العقل والعقل والمعقول؛ شرح المرحلة الحادية عشرة من كتاب نهاية الحكمة. بقلم: الشيخ ميثاق طالب.
- شرح نهاية الحكمة؛ المرحلة الثانية عشرة، الإلهيات بالمعنى الأخص (١-٢). بقلم: الشيخ علي حمود العبادي.
- شرح نهاية الحكمة؛ العلة والمعلول، المرحلة الثامنة. بقلم: الشيخ علي حمود العبادي.

٦. العرفان والأخلاق

- العرفان الشيعي؛ رؤى في مرتكزاته النظرية ومسالكه العملية. بقلم: الشيخ خليل رزق.
- التقوى في القرآن؛ دراسة في الآثار الاجتماعية.
- مراتب السير والسلوك إلى الله. بقلم: الدكتور الشيخ طلال الحسن.
- التربية الروحية؛ بحوث في جهاد النفس.
- التوبة؛ دراسة في شروطها وآثارها.
- الدعاء إشرقاته ومعطياته. بقلم: الدكتور الشيخ طلال الحسن.
- مقدمة في علم الأخلاق. بقلم: الشيخ محمد جواد الزبيدي.

٧. المنطق ونظرية المعرفة

- شرح كتاب المنطق؛ للعلامة الشيخ محمد رضا المظفر (١-٥). بقلم: الشيخ نجاح النويني.
- المذهب الذاتي في نظرية المعرفة.
- أولويات منهجية في فهم المعارف الدينية.
- مدخل إلى مناهج المعرفة عند الإسلاميين.
- ويشمل الرسائل التالية:
 - التفسير الماهوي للمعرفة (بحث في الوجود الذهني).
 - نفس الأمر وملاك الصدق في القضايا.
 - المدارس الخمس في العصر الإسلامي.
 - منهج الطباطبائي في تفسير القرآن.
 - خصائص عامة في فكر الشهيد الصدر.
- الثابت والمتغير في المعرفة الدينية. بقلم: الدكتور علي العليّ.

٨. تراجم وبحوث ثقافية

- العلامة الطباطبائي، لمحات من سيرته الذاتية ومنهجه العلمي.
- كمال الحيدري؛ قراءة في السيرة والمنهج (١-٢). إعداد: الدكتور حميد مجيد هدّو.
- مشروع المرجعية الدينية وآفاق المستقبل لدى السيّد كمال الحيدري. بقلم: نخبة من الباحثين.
- المرجع الديني السيّد كمال الحيدري، حياته، منهجه، مشروع الإصلاح. بقلم: نخبة من الباحثين.
- أمّا فيما يرتبط بمحاضراته على الفضائيات، فقد أنبرى حفظه الله تعالى إلى

٣٦ حديث الثقلين سنداً ودلالة

التصدي للهجوم الوهابي المتمثل بأفكار ابن تيمية وأتباعه، وذلك من خلال سلسلة محاضرات في قناة الكوثر الفضائية حملت عنوان مطارحات في العقيدة والأطروحة المهدوية، تجاوزت لحد الآن الـ(٤٠٠) حلقة، ولازال البرنامج مستمرًا. وهذه الرسالة من ثمرات هذه البرامج كما نوّهنا سابقاً.

منهجية السيد كمال الحيدري

إنّ للسيد الحيدري منهجية خاصة وفريدة في بحثه وطرحه للمواضيع العقديّة، لاسيّما عندما تكون هذه الأبحاث من الأهميّة بمكان بحيث تمثّل نقطة التقاء وارتكاز، يمكن لمن هم من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام أو أتباع مدرسة الصحابة الاستفادة منها والاعتماد عليها كنقطة انطلاق، أو كوثابت، أو كخارطة طريق للبحث العقدي، فالسيد الحيدري عندما يريد أن يستند إلى حديث من الأحاديث الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يشترط في بحثه فيقول «على أننا - وبداعي الالتزام بالمنهج العلمي، والحدّ من المناقشات الزائفة - سوف نعتد ثلاثة شروط في الروايات التي نستند إليها:

الشرط الأوّل: أن تكون صحيحة.

الشرط الثاني: أن تكون صريحة.

الشرط الثالث: أن تكون مجمعاً عليها بين المدرستين، مدرسة الصحابة

ومدرسة أئمة أهل البيت عليهم السلام»^(١).

فهو من هذه النقاط يؤسس لمنهج تقريبي، خلافاً للمناهج التقريبية السابقة التي غالباً ما صارت على أساس سياسي أو نفعي، كأن يكون اجتماعياً أو ثقافياً أو غيره. أمّا الأساس الذي ذكره السيد الحيدري فعلى أساس منظومة عقديّة.

(١) معالم الإسلام الأموي، للسيد كمال الحيدري: ص ٨٩.

تأسيسات السيّد الحيدري لمنهجيته

لزماً على أيّ مدّعٍ لمقولةٍ ما أن يأتي بما يؤسّس لتلك المقولة، أعني الأصول التي اعتمدها، ليستنبط مقولته أو منهجه الذي سيكون حجر الزاوية الذي سيحاكم عليه، ويحاكم الآخرين عليه، وفي ما يأتي من صفحات سنقف على مصادر السيّد الحيدري وأسسها، التي اشترطها ليكون منهجه سليماً وصحيحاً في التعامل مع النصوص الروائية.

أولاً: أن تكون الرواية صحيحة سنداً

تعريف الرواية الصحيحة

عرّف ابن الصلاح الحديث الصحيح بأنّه: «الحديث المسند الذي يتّصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون شاذّاً ولا معلّلاً، ففي هذه الأوصاف احترازٌ عن المرسل والمنقطع والشاذّ، وما فيه علةٌ قاذحةٌ ممّا في روايته نوع جرح»^(١).

وعرّفه العسقلاني: «خبر الأحاد بنقل عدل تامّ الضبط، متّصل السند غير معلّل ولا شاذّ، هو الصحيح لذاته، فإن خفّ الضبط فالحسن لذاته»^(٢). وفي مدرسة أهل البيت عليهم السلام: «هو ما اتّصل سنده إلى المعصوم بنقل العدل الإمامي عن مثله في جميع الطبقات حيث تكون متعدّدة وإن اعتراه شذوذ»^(٣).

(١) ينظر مقدّمة ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري: ص ١٦.

(٢) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: ص ٢٧٦.

(٣) انظر: الرعاية في علم الدراية، الشهيد الثاني زين الدين العملي: ص ٧٧؛ وصول الأخبار إلى أصول الأخبار، الشيخ حسين عبد الصمد: ص ٩٣؛ الرواشح السماوية في شرح الأحاديث الإمامية، المير السيّد محمد باقر الداماد: ص ٨٨؛ جامع المقال فيما يتعلّق بأحوال

حجية الخبر الصحيح لذاته والحسن لذاته

١. «كلّ خبر عن معصوم لا يكون حجة، وإنما الحجة هو خصوص خبر الثقة أو الحسن»^(١).
٢. «ثمّ الحسن كالصحيح في الاحتجاج به وإن كان دونه في القوّة، ولهذا أدرجه طائفةً في نوع الصحيح، كالحاكم وابن حبان وابن خزيمة»^(٢).
٣. وفي المناهج الدراسية الجامعية في المدينة المنورة: «من المعلوم أنّ المتواتر مقبول قطعاً. أمّا خبر الواحد فيكون صحيحاً، ويكون حسناً؛ وكلاهما مقبول»^(٣).

ثانياً: أن يكون صريحاً من حيث المتن والدلالة

أي: أن تكون دلالته واضحةً بيّنة، ومفرداته مفهومة، ومعانيه مطروقة. وبعضهم اشترط:

١. عدم ركافة اللفظ في المتن؛ ممّا يوجب ردّ الحديث وتركه، وإسقاط الاستدلال به في كلّ أمرٍ من أمور الإسلام، وفي هذا الشأن يقول ابن الجوزي: «أهمّ العلامات المؤثّرة إلى وضع الحديث درايةً: ركافة اللفظ والمعنى... فإذا جاء الحديث مجافياً للفصاحة، ونائياً عن البلاغة، اللتين اتّصف بهما حديث النبي ﷺ، كان الحديث موضوعاً»^(٤).

الحديث والرجال، الشيخ فخر الدين الطريحي: ص ٣؛ توضيح المقال في علم الرجال، المولى علي الكني: ص ٢٤٤.

(١) معجم رجال الحديث، السيّد أبو القاسم الخوئي: ج ١ ص ١٥.

(٢) تدريب الراوي، جلال الدين السيوطي: ص ١٧١.

(٣) مذكرة أصول الفقه، مجموعة أساتذة الجامعة الإسلامية: ص ٤٢.

(٤) لمحات من تاريخ السنّة وعلوم الحديث، عبد الفتّاح أبو غدة: ص ٨٨.

٤٠ حديث الثقلين سنداً ودلالة

٢. عدم مخالفة الحديث لبداهة العقول، وسنن الله في الوجود، والواقع المحسوس فعلياً، وهذه القاعدة من الموازين العامة في نقد المتن الحديثي، ولا تقل أهمية عن مخالفة الحديث لصريح القرآن والسنة.

٣. عدم مخالفة الحديث للحقائق التاريخية ومقتضيات الدين الحق في المعتقدات والتكاليف الشرعية^(١).

ثالثاً: أن يكون مجمعاً عليه، أي ثابتاً صدوره عند الفريقين

وهذا الشرط مفروغ منه عقلاً؛ لأنّ الحجّة التامة في ما اتفق عليه الطرفين، وإلا فخصوص ما صحّ عند طرفٍ، هو حجّة عليه، ولا يمكن إلزام الآخر به.

إنّ ما اتفق على صدوره من النبيّ الخاتم ﷺ سواء بالمتواتر أو بالأحاد بشقيه (الصحيح والحسن لذاته) هو حجّة على الطرفين. ودليله: عصمة الأمة من الضلالة.

روايات الإجماع في مدرسة الصحابة

قال الكتّاني: (عصمة الأمة وأئمة لا تجتمع على ضلالة وخطأ: ذكر ابن الهمام في التحرير وغير واحد أنّها متواترة معنى، ونصّ ابن الهمام: ومن الأدلّة السمعية، أي على أنّ الإجماع حجّة قطعية، آحاد تواتر منها مشترك «لا تجتمع أمّتي على الخطأ» ونحوه كثير. انتهى. ومن ألفاظه: «أنّ الله لا يجمع أمّتي على ضلالة» الحديث أخرجه الترمذي^(٢) وغيره عن ابن عمر بإسناد رجاله ثقات لكن فيه اضطراب، و«سألت ربّي أن لا يجمع أمّتي على ضلالة فأعطانيها» أخرجه

(١) ينظر الموضوعات، لأبي الفرج الجوزي: ص ١.

(٢) الجامع الصحيح، للترمذي: ج ٢ ص ٥٥٩ ح ٢١٦٧.

أحمد^(١) وغيره عن أبي بصرة الغفاري، و«أنَّ الله أجاركم من ثلاث خلال» وذكر منها: «وأن لا تجتمعوا على ضلالة» أخرجه أبو داود^(٢) وغيره عن أبي مالك الأشعري، و«أنَّ أمّتي لا تجتمع على ضلالة» أخرجه ابن ماجه^(٣) وغيره عن أنس، و«لا يجمع الله هذه الأمة على ضلالة» و«يد الله مع الجماعة» أخرجه الحاكم في المستدرک^(٤) عن ابن عباس وأورده في المقاصد^(٥) في حرف لام الألف وقال بعد كلام: وبالجملة فهو حديث مشهور المتن ذو أسانيد كثيرة وشواهد متعدّدة في المرفوع وغيره^(٦).

النصوص الواردة في مدرسة أهل البيت حول عصمة الأمة

في (أصول الكافي) عن الإمام الرضا عليه السلام: «فَإِذَا رَأَتْهُ الْأَبْصَارُ فَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ الْعِلْمَ وَوَقَعَتِ الْمَعْرِفَةُ. فَقَالَ أَبُو قُرَّةَ: فَتَكْذَبُ بِالرَّوَايَاتِ. فَقَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ عليه السلام: إِذَا كَانَتِ الرَّوَايَاتُ مُخَالَفَةً لِلْقُرْآنِ كَذَّبْتُهَا، وَمَا أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ: أَنَّهُ لَا يُحَاطُ بِهِ عِلْمًا، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»^(٧). الرواية صحّحها العلامة المجلسي في (مرآة العقول)^(٨).

وفي (الاحتجاج) للطبرسي: «ومّا أجاب به أبو الحسن عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام في رسالته إلى أهل الأهواز حين سأله عن الجبر والتفويض

(١) مسند الإمام أحمد: ج ٦ ص ٣٩٦.

(٢) سنن أبي داود: ج ٢ ص ٧٠٨.

(٣) سنن ابن ماجه: ج ٢ ص ١٣٠٣ رقم ٣٩٥٠.

(٤) المستدرک على الصحيحين: ج ١ ص ١١٥.

(٥) المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة، للسخاوي: ص ١٥٢.

(٦) نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ص ١٦٢.

(٧) أصول الكافي، للكليني: ج ١ ص ٩٦.

(٨) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول صلى الله عليه وآله: ج ١ ص ٣٢٨.

٤٢ حديث الثقلين سنداً ودلالة

أن قال: اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم في ذلك: أن القرآن حق لا ريب فيه عند جميع فرقها. فهم في حالة الإجماع عليه مصيبون، وعلى تصديق ما أنزل الله مهتدون، ولقول النبي ﷺ: لا تجتمع أممي على ضلالة...

فإذا شهد الكتاب بتصديق خبر وتحقيقه، فأنكرته طائفة من الأمة وعارضته بحديث من هذه الأحاديث المزورة، فصارت بإنكارها ودفعها الكتاب كقراراً ضلالاً. والنكته: أن هذا الكلام من الإمام علي عليه السلام وإن كان قاعدة عامة، لكنه ورد بخصوص حديث الثقلين؛ لأنه أردفه بقوله عليه السلام: «وأصح خبر ما عرف تحقيقه من الكتاب مثل الخبر المجمع عليه من رسول الله ﷺ حيث قال: إني مستخلف فيكم خليفتين: كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، وإني لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(١).

في النص أعلاه يرى الإمام العسكري (الهادي) عليه السلام أن في حديث الثقلين خصوصيتين:
الأولى: أنه حديث مجمع عليه.

الثانية: أنه لا يتنافى مع القرآن؛ إذ يقول: اعرضوا الحديث على كتاب الله، فإذا وافقه فهو الحجة، فلا يمكن أن يعارض بحديث آخر فإنه مزور؛ لماذا؟ لأنه مخالف لكتاب الله.

العرض عند مدرسة الصحابة

إن النصوص الواردة عن النبي ﷺ التي تقول: «اعرضوا حديثي على كتاب الله»^(٢) هذه النصوص عند علماء مدرسة الصحابة هي إما ضعيفة

(١) الاحتجاج: ج ٢ ص ٢٥١-٢٥٢.

(٢) مجمع الزوائد: ج ١ ص ١٧٠؛ المعجم الكبير للطبراني: ج ٢ ص ٩٧؛ الجامع الصغير، للسيوطي: ج ١ ص ١٧٤؛ كنز العمال، للهندي: ج ١ ص ١٧٩.

السند، أو مجهولة السند، أو موضوعة السند، وإليك الدليل في موارد:
 المورد الأول: الإمام الشافعي: «فإنه بلغني أن رسول الله ﷺ قال: (ما جاءكم عني فاعرضوه على القرآن، فإن وافقه فأنا قلته، وإن خالفه فلم أقله). فقلت له: فهذا غير معروف عندنا عن رسول الله ﷺ والمعروف عن رسول الله ﷺ عندنا خلاف هذا»^(١).

المورد الثاني: الشافعي أيضاً: «أن النبي ﷺ قال: (ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فأنا قلته، وما خالفه فلم أقله). فقلت له: ما روى هذا أحد يثبت حديثه في شيء صغراً ولا كبيراً»^(٢).

المورد الثالث: الإمام ابن عبد البر: «وقد أمر الله جلّ وعزّ بطاعته وأتباعه أمراً مطلقاً مجملاً لم يقيد بشيء، كما أمرنا باتّباع كتاب الله، ولم يقل: (وافق كتاب الله) كما قال بعض أهل الزيغ. قال عبد الرحمن بن مهدي: الزنادقة والخوارج^(٣) وضعوا ذلك الحديث، يعني ما روي عنه ﷺ أنه قال: (ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فأنا قلته، وإن خالف كتاب الله فلم أقل، وإنما أنا موافق كتاب الله وبه هداني الله). وهذه الألفاظ لا تصحّ عنه ﷺ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمته»^(٤).

(١) الأمّ: ج ٧ ص ١٦.

(٢) الرسالة: ص ٢٢٥.

(٣) «لا ندري متى عقد الخوارج والزنادقة اجتماعهم الذي قرّروا فيه وضع هذا الحديث واختلاقه!! كما أننا لا ندري أين تمّ هذا الاجتماع!! وبرئاسة منّ منّ الناس؟ ومن الذي أخبر هؤلاء بما دار في ذلك الاجتماع، وما تمخّض عنه!! كما أننا لم نستطع معرفة مبررات اتّخاذهم قراراً كهذا، وهل عرض الحديث على القرآن يفيد الزنادقة والخوارج؟ وكيف؟! وهل عدم عرضه يضرّهم؟! وكيف؟!» الصحيح من سيرة النبي الأعظم: ج ١ ص ٢٩٧.

(٤) جامع بيان العلم وفضله: ج ٢ ص ١٩.

٤٤ حديث الثقلين سنداً ودلالة

المورد الرابع: الإمام البيهقي: «والحديث الذي روي في عرض الحديث على القرآن باطل لا يصحّ، وهو ينعكس على نفسه بالبطلان، فليس في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن»^(١).

المورد الخامس: الإمام الشاطبي: «وربما ذكروا حديثاً يعطي: أن الحديث لا يلتفت إليه إلا إذا وافق كتاب الله تعالى، وذلك ما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: (ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله فأنا قلته، وإن خالف كتاب الله فلم أقله أنا، وكيف أخالف كتاب الله وبه هداني الله). قال عبد الرحمن بن مهدي: الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث؛ قالوا: وهذه الألفاظ لا تصحّ عنه ﷺ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيم»^(٢).

المورد السادس: العلامة الألباني: «سيأتيكم عني أحاديث مختلفة، فما جاءكم موافقاً لكتاب الله ولستني فهو مني، وما جاءكم مخالفاً لكتاب الله ولستني فليس مني: ضعيف جداً»^(٣).

المورد السابع: العلامة الألباني أيضاً: «سيفشو عني أحاديث، فما أتاكم من حديثي فاقروا كتاب الله، واعتبروه، فما وافق كتاب الله فأنا قلته، وما لم يوافق كتاب الله فلم أقله: ضعيف»^(٤).

المورد الثامن: الألباني أيضاً: «ستبلغكم عني أحاديث، فاعرضوها على القرآن، فما وافق القرآن فالزموه، وما خالف القرآن فافضوه: ضعيف جداً»^(٥).

إذن: علماء مدرسة الصحابة في النصوص السابقة ضعّفوا كلّ الأحاديث

(١) دلائل النبوة: ج ١ ص ٢٧.

(٢) الموافقات: ج ٤ ص ٣٢٩.

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ج ٣ ص ١٨٢ ح ١٠٦٩.

(٤) المصدر نفسه: ج ٣ ص ٢١٠ ح ١٠٨٨.

(٥) المصدر نفسه: ج ٣ ص ٢١٠ ح ١٠٨٩.

التي وردت بهذا المعنى، فهذه الأحاديث في أسانيدھا إمّا ضعيف وإمّا مجهول وإمّا موضوع وإمّا متروك، إذن هي ساقطة عن الاعتبار^(١).

وقد ذكر ابن عبد البرّ وجهاً من ردّهم لهذه الأحاديث غير الإسناد، فقال: «قد عارض هذا الحديث قومٌ من أهل العلم وقالوا: نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كلّ شيء ونعتمد على ذلك، قالوا: فلمّا عرضناه على كتاب الله وجدناه مخالفاً لكتاب الله، لأنّنا لم نجد في كتاب الله أن لا يُقبل من حديث رسول الله ﷺ إلا ما وافق كتاب الله، بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسّي به والأمر بطاعته، ويحذّر المخالفة عن أمره جملةً على كلّ حال»^(٢).

والغريب أنّ هؤلاء الجهابذة من العلماء والفقهاء والمحدّثين ينتهون إلى هذه التعليقات والتخریجات التي لا تمتّ إلى العمق والدقّة بأيّ صلة، ولو بقوا على ضعف الإسناد لكان أحجى لهم وأقوى حجّة.

ورده في مجموعة نقاط:

١. من قال أنّ رسول الله ﷺ قال: اعرضوا كلامي الذي قلته على كتاب الله؟! بل الذي قاله ﷺ: اعرضوا الكلام الذي زُعم أنّي قلته، على كتاب الله، وعبارته «سيفشو» واضحةٌ وصریحة، أي: أنّ هناك من سيفشي أنّي قلت، بمعنى: أنّ وجوب قبول الخبر إنّما يثبت فيما تحقّق أنّه صدر من رسول الله ﷺ بالسماع منه، أو بالتواتر.

٢. أمّا وجوب عرض الحديث على القرآن فإنّما هو في الحديث الذي يوجد ثمّة شكّ وتردّد في ثبوته عن رسول الله ﷺ، إذ هو المراد من قوله: «إذا

(١) وهؤلاء نسوا أنّه عندنا ميزان آخر وهو الإجماع، والروايات بهذا المضمون يوجد إجماع فيها، سنقرؤها عن أئمة أهل البيت ﷺ إذ عندهم مستفيضة أو متواترة.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البرّ: ج ٢ ص ١٩١.

روي لكم عتي حديث». والفرق واضح وصريح بين العرضين، فالأول باطل ولا يحتمل صدوره من الذي لا ينطق عن الهوى ومن أمرنا بأن لا نتخير بعد خيرته، والثاني حق ومنطقي، فسهل جداً أن أدعي أنا وغيري، فنقول: قال رسول الله، وهو لم يقل، فجعل لنا النبي ﷺ ضابطة محكمة بأن نعرض هذه المقولة على المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فيكون قبناً نزن به الأمور، وهذا هو المتوقع من حكمة النبي ﷺ، إذ ليس من المعقول إرجاع النصوص إلى الرجال فقط وقد وقعت الفتن والأكاذيب منهم، وسفكت الدماء بينهم، وكذب بعضهم بعضاً^(١)، وإنما يمكن إرجاعه إلى مقياس لا يخطئ ولا

(١) ومن الشواهد على هذا المدعى الأقوال التالية:

١. حفص بن سليمان: ثبتاً في القراءة واهياً في الحديث. (سير أعلام النبلاء: ج ٥ ص ٢٦٠).
٢. سألت يحيى بن معين عن أبي حنيفة، فقال: لا يكتب حديثه. (الكامل لابن عدي: ج ٨ ص ٢٣٦).
٣. سألت - المديني - عن أبي حنيفة صاحب الرأي، فضغفه جداً، وقال: «لو كان بين يدي ما سألته عن شيء» وروى خمسين حديثاً أخطأ فيها (تاريخ بغداد: ج ١٣ ص ٤٥٠).
٤. قال البخاري: كان مرجئاً، سكتوا عن رأيه وعن حديثه. (التاريخ الكبير: ج ٨ ص ٨١).
٥. سفيان الثوري يقول: قيل: استتيب أبو حنيفة من الكفر مرتين. (العلل للإمام أحمد بن حنبل: ج ٢ ص ٥٤٥).
٦. روى الخطيب عن أحمد بن حنبل أنه سئل عن مالك، فقال: حديث صحيح ورأي ضعيف (تاريخ بغداد: ج ١٣ ص ٤٤٥).
٧. قيل ليحيى بن معين: والشافعي كان يكذب. قال: ما أحب حديثه ولا ذكره (فتاوى ومسائل ابن الصلاح: ج ١ ص ١٣).

يتغير وهو القرآن الكريم.

٣. نسخ الكتاب بخبر الواحد، فهو لا يقع إجماعاً^(١)، إذن فما معنى أن تكون

السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاضٍ على السنة؟!!

٤. ما معنى قول رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه: «من كذب عليّ

متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»؟^(٢) أليس ضدّ هولاء الذين سيتعمدون

الكذب على رسول الله ﷺ وما أكثرهم! وما معنى أنه سيكذب على

رسول الله ﷺ؟ أليس معناه أن هناك من سيدعي أن رسول الله ﷺ

قال أو فعل والحق أنه ﷺ لم يقل تلك القولة ولم يفعل تلك الفعلة؟

٥. قال أحمد بن حنبل: «إنّ هذا الكتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من

سبعمئة وخمسين ألفاً، فما اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله

ﷺ فارجعوا إليه، فإن كان فيه وإلا ليس بحجة»^(٣)؛ يقول العلامة

الألباني: «أسنده الحافظ المدني في الخصائص، وابن الجوزي في مناقب

الإمام أحمد من طريقين عن حنبل، فهو ثابتٌ صحيحٌ ولذلك جزم به

الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء»^(٤).

ما نفهمه من عبارة ابن حنبل أعلاه: أنّ الأحاديث الموضوعية هي الأكثر

٨. قال ابن أبي خيثمة: قيل لابن معين: إنّ أحمد يقول: إنّ عليّ بن عاصم ليس بكذاب.

فقال: لا والله، ما كان عليّ عنده قطّ ثقة، ولا حدّث عنه بشيء، فكيف صار اليوم

عنده ثقة؟ (تهذيب التهذيب: ج ٧ ص ٣٠٤).

(١) انظر الموافقات: ج ٣ ص ١٠٦ ٣٨؛ البيان في تفسير القرآن، الخوئي: ص ١٠٦.

(٢) (صحيح) متواتر (حم ق ت ن هـ) ١٤٦. صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح

الكبير): ج ٢ ص ١١١١.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى، السبكي: ج ٢ ص ٣١.

(٤) الذبّ الأحمدي عن مسند الإمام أحمد، الألباني: ص ١٢.

وبعشرات المرات.

٦. والغريب أنّ الكذب على النبيّ الأعظم ﷺ وعلى الثقات من الصحابة الأوّلين والتابعين لهم بإحسان، لا ينافي عند بعض القوم الزهد والورع واتّصاف الرجل بالتقوى، بل هو شعار الصالحين ويتقربون به إلى المولى سبحانه، ومن هنا قال يحيى بن سعيد القطّان: «ما رأيت الصالحين في شيءٍ أكذب منهم في الحديث»^(١). وعنه: «لم نر أهل الخير في شيءٍ أكذب منهم في الحديث»^(٢). وعنه: «ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير»^(٣). وقال القرطبي: «ومنهم جماعة وضعوا الحديث حسبةً كما زعموا، يدعون الناس إلى فضائل الأعمال، كما رُوي عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي، ومحمّد بن عكاشة الكرمانى، وأحمد بن عبد الله الجويبارى، وغيرهم. قيل لأبي عصمة: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة؟ فقال: إنّي رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقّه أبي حنيفة ومغازي محمّد بن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة»^(٤).

٧. مع ملاحظة أنّ من يتجرأ الكذب على رسول الله ﷺ يتجرأ في وضع السند والرجال.

وتحقيق القول: أنّه كثر الوضع والكذب على رسول الله ﷺ فالأحاديث الضعيفة والمكذوبة والموضوعة كُتبت فيها العشرات من المصنّفات لتمييزها عن المقبولة، فهذا إن دلّ على شيءٍ فإنّه يدلّ على أنّ حركة الوضع كانت حركةً

(١) تاريخ مدينة دمشق: ج ١ ص ٢٥١.

(٢) تاريخ بغداد: ج ٢ ص ٩٨.

(٣) العلل لابن حنبل: ج ٢ ص ٤٤٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ج ١ ص ٧٨.

واسعة النطاق في ذلك الزمان، وهذه واحدة من أهم نتائج منع تدوين الحديث^(١) بعد رسول الله ﷺ، لأنه فعلياً مُنعت كتابة الحديث بأيادٍ أمينةٍ كالصحابة والتابعين مما أدى إلى مرور فترةٍ زمنيةٍ بعد صدور الأوامر النبوية ما يقارب القرن، كل هذه الأمور فسحت المجال للتزوير والكذب على رسول الله ﷺ، فكانت الخسارة وكثرة الوضّاعين، وندرة الحديث الصحيح، حتى روي: أن أبا حنيفة لم يصحّ لديه سوى ١٧ حديثاً.^(٢)

وبنو أمية^(٣) هم أكثر من شجّع على هذا المنع لئلا تُنقل تلك السيرة الصحيحة الناصعة للمسلمين، حتى لا يفتضح خلاف وحكام بني أمية، لأن هؤلاء لو نقلوا سيرة الرسول ﷺ وطريقة حكمه في الأمة، وكيف كان يتعامل؟ وما أخلاقه؟ وما معيشته؟ إذا نقلت كل هذه الأمور بدقّة وصدقٍ ووعي، كانت

(١) عن القاسم بن محمّد: أن عمر بن الخطّاب بلغه أنّ في أيدي الناس كتباً، فاستنكرها وكرهها، وقال: «أيها الناس إنّه قد بلغني أنّه قد ظهرت في أيديكم كتب، فأحبّها إلى الله أعدلها وأقومها، فلا يبقين أحدٌ عنده كتابٌ إلا أتاني به فأرى فيه رأيي». قال: فظنّوا أنّه يريد ينظر فيها ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف، فأتوه بكتبهم، فأحرقها بالنار، ثم قال: «أمنية كأمنية أهل الكتاب». (تدوين العلم، للخطيب البغدادي: ص ٥٢).

قال قرظة بن كعب الأنصاري: «أردنا الكوفة فشيّعنا عمر إلى صرار، فتوصّأ فغسل مرّتين وقال: تدرون لم شيّعتمكم؟ فقلنا: نعم، نحن أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: إنكم تأتون أهل قرية لهم دويٌّ بالقرآن كدويّ النحل، فلا تصدّوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جرّدوا القرآن، وأقلّوا الرواية عن رسول الله، وامضوا وأنا شريككم». (طبقات ابن سعد: ج ٦ ص ٧؛ المستدرک للحاكم: ج ١ ص ١٠٢).

(٢) تاريخ ابن خلدون: ص ٤٤٤.

(٣) خطّب معاوية فقال: «يا ناس أقلّوا الرواية عن رسول الله، وإن كنتم تتحدّثون فتحدّثوا بما كان يتحدّث به في عهد عمر» (كنز العمال: ج ١٠ ص ٢٩١ ح ٢٩٤٧٣؛ مسند الشاميين: ج ٣ ص ٢٥١).

٥٠ حديث الثقلين سنداً ودلالة

ستكوّن ثقافة، وتشكّل وعياً بين المسلمين، فيقيسونها إلى ما به حكّام بني أمية، فيجدون أين الثرى من الثريا، وأين الساء من الأرض.

الصحابيّة يعرضون الحديث على القرآن

١. روى الإمام مسلم في صحيحه: «أنّ فاطمة بنت قيس جاءت إلى عمر تروي أنّ زوجها كان قد طلقها على عهد رسول الله ﷺ فبتّ طلاقها، فلم يجعل لها رسول الله ﷺ نفقةً ولا سكنى، وقال لها: اعتدي في بيت ابن أمّ مكتوم فإنّه رجل أعمى، فلم يقبل عمر ذلك منها وقال: لا نترك كتاب ربّنا وسنة نبينا لقول امرأة لا ندري لعلّها حفظت أم نسيت. قال الله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ (الطلاق: ١)، وثبت في مسلم أيضاً إنكار أمّ المؤمنين عائشة لذلك، مثل عمر»^(١).

فانظر هنا كيف لم يقبل عمر خبر فاطمة بنت قيس مع كونها صحابيّة موثوقة؛ لمعارضة خبرها للآية، ومنه يتبيّن أنّ خبر الواحد يحتمل الخطأ ويُرَدّ إذا عارض ما هو ثابتٌ ومقطوع به.

٢. ردّت عائشة عمر في حديث (تعذيب الميت ببكاء أهله عليه). روى البخاري^(٢) ومسلم^(٣) أنّ عمر وابنه عبد الله رويا عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنّ الميت يعدّب ببكاء أهله عليه» فردّت ذلك عائشة كما في صحيح مسلم: «عن عمرة أنّها سمعت السيّدّة عائشة وذكر لها أنّ عبد الله بن عمر يقول: إنّ الميت ليعدّب ببكاء الحيّ. فقالت عائشة: يغفر الله لأبي عبد الرحمن. أما إنّ لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ. إنّها مرّ رسول الله ﷺ على يهوديّة يُبكي عليها

(١) الجامع الصحيح: ج ٤ ص ١٩٨.

(٢) فتح الباري: ج ٣ ص ١٢٢.

(٣) صحيح مسلم: ج ٣ ص ٤٥.

فقال: إنهم ليبكون عليها، وإنها لتعذب في قبرها».

قال الإمام الحافظ النووي: «وهذه الروايات من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبد الله، وأنكرت عائشة، ونسبتها إلى النسيان والاشتباه عليهما، وأنكرت أن يكون النبي ﷺ قال ذلك واحتجت بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزُرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، الزمر: ٧، النجم: ٣٨)، قالت: وإنما قال النبي ﷺ في يهودية إنَّها تعذب وهم يبكون عليها، يعني: تعذب بكفرها في حال بكاء أهلها لا بسبب البكاء»^(١).

٣. ردَّت عائشة على ابن عباس وغيره في أن النبي ﷺ رأى ربَّه، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: «رأه بقلبه»^(٢) وقال: «رأه بفؤاده مرتين»^(٣). وقد قال الحافظ أن النبي ﷺ قال: «رأيت ربي»، وذكر قبل ذلك بتسعة أسطر أن ابن خزيمة روى بإسناد قوي عن أنس أنه قال: «رأى محمد ربَّه»^(٤). فردَّت عائشة جميع ذلك كما في البخاري^(٥) ومسلم^(٦) عن مسروق قال: قلت لعائشة: يا أمّنا، هل رأى محمد ربَّه؟ فقالت: «لقد قفَّ شعري ممّا قلت، أين أنت من ثلاث من حدّثكهن فقد كذب: من حدّثك أن محمداً رأى ربَّه فقد كذب»، ثم قرأت ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: ١٠٣) و﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ (الشورى: ٥١).

(١) شرح صحيح مسلم: ج ٦ ص ٢٢٨.

(٢) صحيح مسلم: ج ١ ص ١٠٩.

(٣) المصدر نفسه: ج ١ ص ١١٠.

(٤) فتح الباري: ج ٨ ص ٤٦٨.

(٥) صحيح البخاري: ج ٦ ص ٥٠.

(٦) صحيح مسلم: ج ١ ص ١٥٩ ح ٢٨٧.

الفقهاء يعرضون الحديث على القرآن

١. ردّ الإمام أحمد بن حنبل حديث «رفع عن أمّتي النسيان والخطأ وما استكروها عليه» فقال كما نقل الحافظ ابن حجر: «ونقل الخلال عن أحمد قال: من زعم أنّ الخطأ والنسيان مرفوع فقد خالف كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ فإنّ الله أوجب في قتل النفس الخطأ الكفّارة»^(١)، وقد فهم الإمام أحمد منه أنّه مخالفٌ للقرآن فردّه.

٢. ردّ أهل العلم كابن المديني والبخاري وابن كثير لحديث مسلم «خلق الله التربة يوم السبت»^(٢) وذكر الخلق في سبعة أيّام! ! وهذا يعارض القرآن الذي فيه أنّ خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام؛ قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (الأعراف: ٥٤)، ما نصّه: «فأمّا الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده (خلق الله التربة يوم السبت) فقد رواه مسلم في صحيحه، والنسائي من غير وجه، وفيه استيعاب الأيّام السبعة، والله تعالى قد قال في ستّة أيّام، ولهذا تكلم البخاري وغير واحدٍ من الحفاظ في هذا الحديث، وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحمبار وليس مرفوعاً»^(٣).

نصوص أئمة أهل العلم المثبتة لهذه القاعدة

• قال الإمام الحاكم في معرفة علوم الحديث، في النوع السابع والعشرين: «وإنّما يعلّل الحديث من أوجه ليس للجرح فيها مدخل، فإنّ حديث المجروح ساقط وإه، وعلّة الحديث تكثر في أحاديث الثقات أن يحدثوا بحديث له علّة

(١) التلخيص الحبير في تخريج الرافعي الكبير: ج ١ ص ٢٨٢.

(٢) صحيح مسلم: ج ٨ ص ١٢٧.

(٣) تفسير ابن كثير: ج ٢ ص ٢٣٠.

تمهيد ٥٣

فيخفى عليهم علمه فيصير الحديث معلولاً، والحجة عندنا الحفظ والفهم
والمعرفة لا غير...»^(١).

• وقال الإمام النووي: «ومتى خالف خبر الآحاد نص القرآن أو إجماعاً
وجب ترك ظاهره»^(٢).

• وقال الخطيب البغدادي: «باب القول فيما يردّ به خبر الواحد: ... وإذا
روى الثقة المأمون خبراً متّصل الإسناد ردّ بأمور: أن يخالف نص الكتاب أو
السنة المتواترة، فيعلم أنه لا أصل له أو منسوخ»^(٣).

العرض في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

المورد الأوّل: الشيخ الأنصاري: «فمن القسم الأوّل: الكتاب والسنة،
والترجيح بموافقتها مما تواتر به الأخبار»^(٤).

المورد الثاني: السيّد الخوئي: «الروايات المتواترة التي أمرت بعرض
الأخبار على الكتاب وأنّ ما خالف منها الكتاب يضرب على الجدار أو أنّه
باطل أو أنّه زخرف أو أنّ الأئمة لم نقله»^(٥).

المورد الثالث: السيّد الطباطبائي: «على أنّ الأخبار المتواترة عنه صلى الله عليه وآله
المتضمنة لوصيته بالتمسك بالقرآن والأخذ به وعرض الروايات المنقولة منه
صلى الله عليه وآله على كتاب الله»^(٦).

(١) كتاب معرفة علوم الحديث: ص ١١٢.

(٢) المجموع شرح المهذب: ج ٤ ص ٣٤٢.

(٣) الفقيه والمتفقه: ج ١ ص ١٣٣.

(٤) فرائد الأصول: ج ٤ ص ١٤٦.

(٥) البيان: ص ٢٦٥.

(٦) الميزان في تفسير القرآن: ج ٣ ص ٥٨.

٥٤ حديث الثقلين سنداً ودلالة

وقال: «إنّ الحديث يحتاج إلى التأييد القرآني، وعلى هذا يجب عرض الحديث على القرآن كما ورد في أحاديث عن الرسول وأهل بيته عليهم السلام»^(١).
المورد الرابع: السيّد محمّد باقر الصدر: «ونقصد بأخبار الطرح: الروايات المستفيضة التي تأمر بعرض الحديث على الكتاب، والأخذ بها وافقه، وطرح ما خالفه»^(٢).

المعطيات التي تترتب على قبول روايات العرض

الأول: أنّها ضابط لمعرفة صحّة متن حديث من الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام.

الثاني: أنّ هذه الروايات التي قبلها علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام وهو الاتجاه العامّ عندهم قبول روايات ونصوص العرض هي بالصدّ من نظريّة تحريف القرآن، بمعنى: إذا كان القرآن الذي بأيدينا قرآناً محرّفاً، فكيف نعرض كلام النبي صلى الله عليه وآله على قرآنٍ محرّف؟

وهذه النكته أكدها كبار علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام:

قال الفيض الكاشاني: «أقول: ويرد على هذا كلّ إشكال وهو أنّه على هذا التقدير لم يبق لنا اعتماد على شيء من القرآن؛ إذ على هذا يحتمل كلّ آية منه أن يكون محرّفاً ومغيّراً ويكون على خلاف ما أنزل الله، فلم يبق لنا في القرآن حجة أصلاً، فتنتفي فائدته وفائدة الأمر باتّباعه والوصيّة بالتمسك به إلى غير ذلك، وأيضاً قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ (فصلت: ٤١)، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، فكيف يتطرّق إليه التحريف والتغيير، وأيضاً قد استفاض عن

(١) القرآن في الإسلام: ص ١٢٦.

(٢) بحوث في علم الأصول، تقرير السيّد محمود الشاهرودي: ص ٣١٥.

النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام حديث عرض الخبر المروي على كتاب الله ليُعلم صحته بموافقته له، وفساده بمخالفته. فإذا كان القرآن الذي بأيدينا محرّفاً فما فائدة العرض مع أنّ خبر التحريف مخالفٌ لكتاب الله مكذّب له، فيجب رده والحكم بفساده أو تأويله^(١). هذا إشارة إلى حديث الثقلين، لأنّه قال: (ما إن تمسّكتم بهما) فلو كان القرآن محرّفاً كيف نتمسّك به؟

وأخيراً ينتهي سباحة السيّد الحيدري إلى أنّ الحلّ للوصول إلى درجة الاطمئنان أنّ هذا الكلام صادر من النبي الخاتم ﷺ يتمثل في طريقتين: أولاً: ننظر إلى السند، لكن هذا غير كافٍ، حتّى لو كان السند صحيحاً. ثانياً: نعرض ذلك الحديث على كتاب الله سبحانه وتعالى وعلى السنّة القطعيّة من رسول الله ﷺ، فإن كان موافقاً وإلا ضربنا به عرض الجدار فهو زخرف لم يقله.

منهجية جمع القرائن (الاستقراء)

أولاً: يقف سباحة السيّد على كلّ مفردة على حدة، لغةً، واصطلاحاً إن وجد، وما فيها من معانٍ ومدلولات، باستقلاليّة عن الجملة والوضع الموجودة فيه.

ثانياً: ثمّ يجمع هذه المفردات بعضها ببعض في التركيب المراد بحثه أو تفسيره سواء أكان نصّاً قرآنيّاً أم حديثاً للمعصوم.

كذلك هنا قام بالمنهج نفسه وهو أنّه وقف عند المفردات مفردة مفردة ثمّ بعد ذلك من خلال ضمّ مجموع المفردات إلى بعضها يحاول الحصول على المعنى العام للنصّ.

(١) التفسير الصافي: ج ١ ص ٥١.

٥٦ حديث الثقلين سنداً ودلالة

بمعنى آخر: لا يُسقط المعنى العام على المفردات، وإنّما يشكّل المعنى العام من خلال الأجزاء والمفردات. وهذا بالاصطلاح المنطقي يقال له: الاستقراء^(١).

منهج سماحة السيّد الحيدري الرجالي

رغم أنّ التدقيق السندي مطلوب بشكل من الأشكال، إلّا إنّ إجراءه بمعزل عن ملاحظة المضمون يوجب إسقاط الكثير من النصوص الروائيّة، وعلى هذا الأساس زواج سماحة السيّد دام ظلّه بين المنهجين، ورأى بأنّ المضمون إذا كان متواتراً أو عليه قرائن أخرى من خلال نصوص صحيحة فلا حاجة للدقّة السنديّة^(٢)، وبذلك نُفلح في تصحيح الكثير من الروايات التي أسقطها المنهج السندي.

وهو بهذا الاتجاه يشابه كثيراً ما يذهب إليه المحقّق الألباني الذي يقول في مقدّمته على صحيح ابن ماجّة: «لقد قويّت أحاديث كثيرة أسانيدھا في هذا الكتاب ضعيفة؛ وذلك لطرق أخرى أو شواهد فيه أو في غيره من كتب الحديث، فهي من النوع الذي يعبر عنه أهل الحديث بأنّه صحيح لغيره أو حسن لغيره»^(٣).

كما أنّه (دام ظلّه) أعاد النظر في كثير من التضعيفات الرجاليّة المبنيّة على أساس المعتقد؛ إذ رأى بأنّ الكثير من مرتكزات هذه التضعيفات خالية من الموضوعيّة، ومبنيّة في الدرجة الأساس على الجوّ الفكري الذي كان سائداً في

(١) الاستقراء: أن يدرس الذهن عدّة جزئيات فيستنبط منها حكماً عاماً. (المنطق، للمظفر: ص ٢٣٤).

(٢) كما العلامة الألباني عند ردّه على من ضعّف حديث الثقلين بحجّة ضعف بعض طرقه كما سنلاحظ في: ص ١١٠ من الكتاب.

(٣) صحيح سنن ابن ماجّة: ج ١ ص ٦.

تلك الحقبة الزمنية واشتراطاتها، كما هو الحال في التضعيفات التي قررتها مدرسة قم تجاه الكثير من الرواة على أساس الغلو وما شابهه، مع أن الغلو في اصطلاحهم كان يطلق على الكثير من بدهيات المذهب في الوقت الحالي. ومما تقدّم يترشح بطلان أصل آخر أثارته بعض البحوث والدراسات؛ حيث وصفت هذه البحوث خطأ الرواة الذين تحمّلوا نقل أحاديث الحلال والحرام بأنهم يمثلون الاتجاه الرسمي لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، ونعتت غيرهم ممن نقل روايات العقيدة وما شابهها بأنهم يمثلون الاتجاه الباطني، ومن ثمّ أسقطت الكثير من رواياتهم عن الاعتبار. وفي جواب ذلك يقرّر سماحته دام ظلّه: بأنّ وصف هؤلاء الرواة بوصف الرسميّة وأنّ غيرهم لا يمتلكون ذلك، كلام لم ينطلق من رؤية أشمل، بل اختزل علوم أهل البيت عليهم السلام في دائرة الحلال والحرام، مع أنّهم عليهم أفضل التحيّات والسلام كانوا يتحدّثون في المعارف الدينيّة جميعها، ويكلّمون كلّ شخص من أصحابهم وفقاً لأفقه واهتماماته، وهذا المطلب واضح جداً من خلال قراءة النصوص وتفحصها، وتفصيل الحديث في ذلك موكول إلى محله.

منهج سماحة السيّد الحيدري الكلامي

يمكن تقسيم المنهج الكلامي لسماحته دام ظلّه إلى قسمين: منهج داخليّ، ومنهج خارجيّ.

أمّا المنهج الداخليّ فهو يحدّد طرق البحث وآليات التعامل مع المعتقدات الداخليّة في داخل المذهب، وكيفية بنائها على مرتكز عقلائي بشكل سليم، وآلية استنتاجها من النصوص الدينيّة وفقاً لذلك البناء العقلائي، وأخيراً المهنيّة في طريقة تظهيرها وعرضها.

أمّا المنهج الخارجيّ فهو يلحظ خصوصيّة معرفيّة مهمّة تناستها أغلب

المناهج التي تعاطت مع الآخر، خصوصية مفادها: أن إلزام الآخر لا يكون إلا من خلال ما ألزم الآخر به نفسه، وهذا يستلزم الدخول التفصيلي لسبر أغوار تراث الآخر، ومعرفة القيمة المعرفية لكل ما يُراد الاستشهاد به، ومن خلال تطبيقه لهذه الخصوصية، بل التزامه بعرض المعلومة في إطارها المكتوب والمصوّر دون الاكتفاء بالإحالة إلى مكان ذكرها، أضفى على بحوثه مقبولية عامة وجاهيرية كبيرة، لا على المستوى التقليدي فقط، بل وعلى مستوى النخب والكفاءات، جاء ذلك في إطار دعم التأثير على كل المستويات، وأسرع في التصديق بالنتائج.

وفي هذا الضوء جاءت برامج (مطارحات في العقيدة) و(الأطروحة المهدوية) لتؤسس فتحاً جديداً وبكراً في منهج الحوار مع الآخر، نكتفي بهذا المقدار من المناهج، لميسر حاجتنا إليه في هذه الدراسة.

منهجية السيد الحيدري التربوية في الطرح العقدي والحوار مع المخالف

مما لفت انتباهي وحثني لاختيار هذا العنوان (حديث الثقلين سنداً ودلالة على مباني ساحة السيد الحيدري): الأسلوب الذي سحرني به من خلال طرح المسائل العقدية، وهي بالتأكيد مسائل خلافية، وصلت بالأمة إلى درجة الاحتراب فيما بينها، ومع ذلك فإن ساحة السيد استطاع من خلال هذا البرنامج أن ينقل صوراً مشرقة لأخلاقية الاختلاف مع الآخر، لا كما يحمله النصان الآتيان من سباب وشتائم وقلّة أدب مع الآخر:

يقول ابن تيمية: «وليس في شيوخ الرافضة إمامٌ في شيء من علوم الإسلام، لا علم الحديث ولا الفقه ولا التفسير ولا القرآن، بل شيوخ الرافضة: إمّا جاهل أو زنديق، كشيوخ أهل الكتاب»^(١).

(١) منهاج السنة النبوية: ج ٧ ص ٢٨٧.

وحكى الصابوني: «أنَّ أهل السنَّة اتَّفَقوا على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم والتباعد منهم وعن صحبتهم وعن مجادلتهم، والتقرَّب إلى الله ببيغضهم ومهاجرتهم»^(١).

ولا أدخل ولن أدخل في مناقشات^(٢) مع هذه المقولات بل سأترك ساحة السيّد الحيدري يتحدّث لنا عن المنهج القرآني في الحوار مع الآخر ليكفيينا مؤونة الردّ على دعاوى كهذه، فيقول سماحته:

يبدو أنّ من المناسب - ونحن نتحدّث عن سلبيات الحوارات المباشرة كما نشاهدها اليوم - أن نقول جملة مختصرة عن منهج القرآن الكريم في الحوار، والآداب التي حضّ المسلمين على اتّباعها. فما هي المعايير والأسس التي يرسيها القرآن الكريم للحوار بين الأطراف المتخاصمة في مسألة ما؟ وما هو الفهم الذي يريد القرآن الكريم إشاعته في وعي الفرد المسلم وهو يشتغل بالدعوة إلى قيم ومبادئ الإسلام؟

في هذه الفقرة نريد أن نتطرّق سريعاً إلى هذه القضية الحساسة؛ لأننا نجد

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث: ص ١٣٤.

(٢) ردّه تلميذه ابن القيم «إنَّ فقهاء الإمامية من أوّهم إلى آخرهم ينقلون عن أهل البيت.... وهب أنّ مكابراً كذبهم كلّهم، وقال قد تواطؤوا على الكذب عن أهل البيت ففي القوم فقهاء وأصحاب علم ونظر في اجتهاد، وإن كانوا مخطئين مبتدعين في أمر الصحابة فلا يوجب ذلك الحكم عليهم كلّهم بالكذب والجهل، وقد روى أصحاب الصحيح عن جماعة من الشيعة وحملوا حديثهم واحتجّ به المسلمون، ولم يزل الفقهاء ينقلون خلافهم ويبحثون معهم، والقوم وإن أخطأوا في بعض المواضع لم يلزم من ذلك أن يكون جميع ما قالوه خطأ حتّى يردّ عليهم. هذا لو انفردوا بذلك عن الأمة، فكيف وقد وافقوا في قولهم من قد حكينا قولهم وغيره ممّن لم تقف على قوله». (الصواعق المرسلّة على الجهميّة والمعطلّة: ج ٢ ص ٦١٦).

٦٠ حديث الثقلين سنداً ودلالة

أن كثيرين منّا، وفي أحيان ربّما مستدامة، من تجاوز هذه المعايير وهذا الفهم الحوارى، وحينها تضيع الحكمة القرآنية التي ينبغي في ضوئها أن تؤسّس حواراتنا ومناظراتنا. ومن مجمل الآيات القرآنية الكثيرة التي ترسي دعائم الحوار المثمر، يمكن أن نقف عند الآيتين الكريمتين التاليتين:

• الآية الأولى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥).

• الآية الثانية: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ: ٢٤).
من المؤكّد أنّ الدخول في تفاصيل هاتين الآيتين يحتاج إلى فرصة أوسع من مجرد هذه الإشارة المقتضبة، ولكن هذا لا يعفينا عن تناول بعض النقاط المهمة التي تدعو لهما هاتان الآيتان الشريفتان، وأنا أضع تلك النقاط بالنحو التالي:

النقطة الأولى: أنّ الآية الأولى عدّت مسألة الدعوة ليست مجرد أمر مباح فقط وإنّما أمرت به وجعلته واجباً على الإنسان المسلم، أي أنّ قضية الحوار في سبيل قضايا الإسلام ليست مجرد حقّ للمسلم إن شاء قام به وإن شاء تركه، وإنّما هو واجبٌ، عليه أن يضطلع به ويتحمّل أعباء القيام به، كما أنّها ترشدنا إلى مسألة أخرى وهي أنّ الدعوة السلمية تشكّل الخيار الأوّل للإنسان المسلم، وليس العنف أو استخدام وسائل التهيب والإكراه وحمل السلاح والاقتيال، وليس كذلك الموقف الانعزالي الذي لا يكثرث للآخرين.

ولا شكّ أنّ (سبيل الربّ) الذي يفترض بالمسلم الدعوة إليه ليس سبيلاً واحداً يتفق عليه المسلمون جميعاً دون خلاف بل هو متعدّد بحسب كلّ فرقة أو مذهب إسلامي يرى في نفسه أنّه سائر على هذا السبيل، وهو ما نعتقه نحن أيضاً في أنّ سبيل الربّ إنّما هو سبيل أهل البيت عليهم السلام وما دعوا إليه أو

تكفلوا إيضاحه من مبادئ الإسلام وقيمه ومفاهيمه وتشريعاته.

النقطة الثانية: أنّ الدعوة تخضع لثلاثة أساليب هي: الدعوة بـ(الحكمة) و(الموعظة الحسنة) و(الجدل بالأحسن). ونحن وإن كنا لا نريد تفصيل الحديث في معنى الحكمة بالمفهوم القرآني، إلاّ أنّه يمكننا القول:

- إنّ الحكمة التي على المحاور الالتزام بها في الدعوة إنّما هي الاستدلال الرصين القائم على بديهيات الوعي البشري وما فُطر عليه الإنسان في عقله وسلوكه ممّا لا تختلف عليه النفوس والأذهان.

- أمّا الموعظة الحسنة، فإنّ المواعظ ليست جميعها خيرة، وهناك الكثير من المواعظ السيئة والقبیحة، والقرآن الكريم يحثّ على الحسنة منها فقط.

- وأن يكون أداء هذه المواعظ بالنحو الأحسن، فالقرآن الكريم لا يريد لنا جدالاً كيفما اتفق ولو كان بهتك حرمة الآخرين وسبهم والاستخفاف بهم والنيل منهم، بل وليس بالجدال الحسن الذي يتعد عن تلك السلبيات وإن لم يتمتّع بالتعاطف والرفق واللين، إنّما يريد لنا جدالاً بالتي هي (أحسن) في كلّ شيء، والالتزام بجميع هذه الأمور معاً دون إغفال أيّ واحدٍ منها.

النقطة الثالثة: أنّ من الأسلوب الأحسن الذي دعت له الآية الأولى: أنّ اعتقاد المرء بكونه على الحقّ لا يمنع من إنصافه لخصمه، وتمجيده - ولو بنحو مؤقت - لاعتقاده هذا، من أجل أن يستقيم أمر المناظرة والحوار؛ فالرسول الأعظم ﷺ بالرغم من علمه اليقيني بكونه على حقّ وأنه على بينة من ربه - كما أمره الله أن يقول ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ (الأنعام: ٥٧)، واصفاً سبحانه رسالة نبيه ﷺ بكونها بينة كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (الأنعام: ١٥٧)، وبالرغم من أمره ﷺ في آيات أخرى بالدعوة مع استحضر كونه على الحقّ في دعوته تلك والاكتماء بإخبارهم أنّ الله ناظرٌ لهم محيطٌ بأعمالهم عالمٌ بها، كما في قوله تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ

٦٢ حديث الثقلين سنداً ودلالة

رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ (الحجّ:
٦٧)، إلا أن القرآن الكريم عاد في هذه المرّة ومعه استراتيجية أكثر انفتاحاً
وأوسع مرونة حين قال: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قُلْ لَا
تُسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (سبأ: ٢٤-٢٥).

إنّ رسول الله ﷺ كان يخاطب المشركين من العرب في قوله هذا؛ وذلك
بقريئة الآيات السابقة على هاتين الآيتين: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِنَّ مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ
مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ
قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (سبأ: ٢٢-٢٣)، وهذا
يوضح لنا أنه ﷺ لم يكن ليتخلّى عن الالتزام بأداب الحوار (وهو صاحب
الخلق العظيم بنصّ القرآن الكريم) القاضي ببدء الطرفين بالتسليم سلفاً
باحتمال أن يكون كلّ واحد منهما على خطأ.

يعلّق السيّد محمد حسين الطباطبائي في هذا الموضوع وهو يفسّر هذه الآية
الكريمة قائلاً: «إنّها جاءت تنمة قول النبي ﷺ [الذي ورد في الآيتين
السابقتين] وهذا القول بعد إلقاء الحجّة القاطعة ووضوح الحقّ في مسألة
الألوهيّة مبنيّ على سلوك طريق الإنصاف، ومفاده: أنّ كلّ قول إمّا هدى أو
ضلال، لا ثالث لهما نفيّاً أو إثباتاً، ونحن وأنتم على قولين مختلفين لا يجتمعان،
فإمّا أن نكون على هدى وأنتم في ضلال، وإمّا أن تكونوا أنتم على هدى
ونحن في ضلال، فانظروا بعين الإنصاف إلى ما ألقى إليكم وميّزوا المهديّ من
الضالّ، والمحقّ من المبطّل»^(١).

الجدير بالذكر أنّ الآية محلّ البحث استخدمت أسلوب اللفّ والنشر

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج ١٦ ص ٣٧٤.

المرتّب، فربطت كلمة (لعلى هدى) بكلمة (إنّا) وكلمة (في ضلال مبین) بكلمة (إياكم) ولكن بأسلوب غاية في التهذيب والأدب وفي منتهى الدقة والبلاغة. وهذا الأدب بما يحمل من رقة في التعامل مع الآخرين واحترامهم هو أدب قرآني رفيع، في مقابل الأدب الفرعوني الذي تحدّث عنه بعض الآيات حين قالت: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (النازعات: ٢٣-٢٤)، في حين أنّ الأدب القرآني ينصّ على معاملته بمنطق ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى﴾ (طه: ٤٤)، وهو نفسه منطق رسول الله ﷺ الذي وصفته الآية الكريمة: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، المنطق الذي لا يوظف الهجاء والبذاءة والتسقيط في تعاطيه مع الآخر؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٠٨).

هذا المنطق الحريص على الحدّ من الظلم والتعدّي على الآخرين واعتماد منطق اللين والرفق والكلمة الطيبة كما هو منطق أهل الجنة ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ (الواقعة: ٢٥-٢٦)، على عكس منطق أهل النار الذين ينقل القرآن الكريم خطاب بعضهم لبعض بالقول: ﴿كَلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ (الأعراف: ٣٨).

وهذا المنطق الأخير هو ما تروّج له بعض قنوات الإعلام، حيث يكون الأسلوب المفضّل لديها هو الكلمة البذيئة، والمنطق الفظّ، والعدائيّة المفرطة التي لا تعرف حدوداً للذمّ والتشهير والانتقاص من الآخرين المخالفين لها. والغريب أنّ ذلك يقدمّ باسم العلم وباسم الدفاع عن الفضيلة ومبادئ

٦٤ حديث الثقلين سنداً ودلالة

الإسلام! وهم بفعلهم هذا يسوّقون أنفسهم للآخرين كخير مثال لقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وآخر قد تسمى عالماً وليس به، فاقتبس جهائل من جهال، وأضاليل من ضلال، ونصب للناس أشراكاً من حبائل غرورٍ وقولٍ زورٍ. قد حمل الكتاب على آرائه، وعطف الحق على أهوائه، يُؤمن الناس من العظائم، ويهون كبير الجرائم، يقول: أقف عند الشبهات، وفيها وقع! ويقول: أعتزل البدع، وبينها اضطجع! فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان؛ لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصد عنه؛ وذلك ميّت الأحياء»^(١).

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ج ١ ص ١٥٣.

الفصل الأول سند الحديث

وفيه مباحث:

١. صيغ حديث الثقلين
٢. صيغة وستي
٣. مناقشة المضعفين لصيغة (وعترتي)
٤. سند حديثي الكساء والوقوف على بيت فاطمة عليها السلام

المبحث الأول

صيغ حديث الثقلين

وفيه توطئة ومطالب:

- ١ . البحث في سند صيغة (الثقلين)
- ٢ . البحث في سند صيغة (الخليفتين)
- ٣ . البحث في سند صيغتي (لن تضلّوا. وحبل ممدود)
- ٤ . رواية الثقلين في تراث أهل البيت عليهم السلام
- ٥ . تعدّد مناسبات ذكر الحديث وتواتره

توطئة

من الواضح أنّ البحث في سند حديث الثقلين يُعدّ نقطة منهجيّة بلحاظ الآثار والنتائج المترتبة عليه، ذلك لأنّ هذا الحديث لو كان من الأحاد أو من الأخبار المستفيضة فإنّه يرسم لنا مساراً خاصاً في البحث وفي ترتيب الآثار والنتائج تختلف عن تلك الآثار المترتبة فيما لو كان من الأحاديث المتواترة القطعيّة، ومن أهمّ النتائج المترتبة على الحديث القطعيّ السند: سقوط معارضه عن الاعتبار إذا كان من أخبار الأحاد، بخلاف ما لو كان الحديث من أخبار الأحاد وعارضه خبر آحاد آخر، فعند ذلك يكون الحديث متعارضين، ومن ثمّ لا بدّ من اللجوء إلى موازين وقواعد باب التعارض لتقديم أحد الخبرين على الآخر، مضافاً إلى ترتّب آثار أخرى على الحديث القطعيّ سنداً، لا تترتّب على غيره من الأحاديث حتّى لو كانت صحيحة السند؛ على أساس ذلك تنبثق أهميّة البحث السندي.

من هنا وقبل الولوج في الاستدلال، لا بدّ من الوقوف على سند هذا الحديث لمعرفة أنّه يمكن إثبات تواتره أم لا؟

في البدء لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذا الحديث رواه كبار الصحابة والتابعين. وهذا ما حقّقه السيّد حامد اللكهنوي، إذ أثبت تواتر هذا الحديث عند الفريقين وفي جميع الطبقات، وأشار إلى أنّ من رواة الحديث أربعة وثلاثين من كبار الصحابة، منهم: أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والزهراء البتول والإمام الحسن عليه السلام وسلمان الفارسي وأبو ذرّ الغفاري وابن عبّاس، وأبو سعيد الخدري وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو الهيثم بن التيهان، وحذيفة بن اليمان، وأبو هريرة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن

٧٠ حديث الثقلين سنداً ودلالة

العاصم، وعدي بن حاتم، وأبو أيوب الأنصاري، وأم سلمة. وبعد ذلك ذكر رواية الحديث عن كل واحد من هؤلاء الصحابة، ثم عطف الكلام على ذكر عدد كبير من أسماء رواة التابعين، وبعد ذلك انتقل إلى ذكر من روى هذا الحديث من العلماء والمشاهير والحفاظ والمفسرين، وأصحاب السير والتاريخ والمعاجم وكتب اللغة والفقه ونحوهم ممن نقلوا الحديث، وقد أحصي في كل قرن، ابتداءً من القرن الثاني إلى القرن الحادي عشر، وكانت هذه العملية مشفوعة بذكر ترجمة لكل من نقل الحديث على مباني الجمهور.

لذا جاء في (خلاصة عبقات الأنوار): «رواه عن النبي ﷺ أكثر من ثلاثين صحابياً، وما لا يقل عن ثلاثمائة عالم من كبار علماء أهل السنة، في مختلف العلوم والفنون، وفي جميع الأعصار والقرون، بألفاظ مختلفة وأسانيد متعدّدة، وفيهم أرباب الصحاح والمسانيد وأئمة الحديث والتفسير والتاريخ. فهو حديثٌ صحيحٌ متواترٌ بين المسلمين»^(١).

وقال السيّد محمد تقي الحكيم: «وهذا الحديث يكاد يكون متواتراً، بل هو متواتر فعلاً، إذا لوحظ مجموع رواته من الشيعة والسنة في مختلف الطبقات. وحسب الحديث لأن يكون موضع اعتماد الباحثين أن يكون من رواته كل من صحيح مسلم، وسنن الدارمي، وخصائص النسائي، وسنن أبي داود، وابن ماجه، ومسند أحمد، ومستدرك الحاكم، وذخائر الطبري، وحلية الأولياء، وكنز العمال وغيرهم، وأن تعنى بروايته كتب المفسرين أمثال الرازي، والثعلبي، والنيسابوري، والخازن، وابن كثير وغيرهم، فضلاً عن الكثير من كتب التاريخ واللغة والسير والتراجم»^(٢).

(١) نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار، للميلاني: ج ١ ص ١٨٥.

(٢) الأصول العامة للفقه المقارن: ص ١٦٤.

صیغ حدیث الثقلین ٧١

وفي (غاية المرام) للبحراني، وصلت أحاديثه من طرق السنة إلى (٣٩) حديثاً، ومن طرق الشيعة إلى (٨٢) حديثاً^(١).

وقال ابن حجر الهيتمي في (الصواعق المحرقة): «ثم اعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً، ومرّ له طرق مبسوطه، وفي بعض تلك الطرق أنّه قال ذلك بحجّة الوداع بعرفة، وفي أخرى أنّه قال بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أخرى أنّه قال ذلك ببغدير خمّ، وفي أخرى أنّه قال ذلك لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف... ولا تنافي؛ إذ لا مانع من أنّه كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها، اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة»^(٢).

وذكر السخاوي في (استجلاء ارتقاء الغرف): «حديث الثقلين من حديث زيد بن أرقم وأبي سعيد الخدري عن مسلم والترمذي في صحيحيهما والدارمي والنسائي وأبي يعلى وابن خزيمة والطبراني والحاكم، والضياء المقدسي، وأورده بالتفصيل عن أكثر من عشرين صحابياً»^(٣).

وأما السمهودي فقال في (جواهر العقدين): «وفي الباب زيادة على عشرين من الصحابة»^(٤) إذ أخذ يعدّد المذكورين من الصحابة واحداً واحداً، ويورد حديثهم، ثمّ يذكر المصدر الذي روى حديثهم.

(١) ينظر غاية المرام: ج ٢ ص ٣٠٤ - ٣٢١.

(٢) الصواعق المحرقة: ج ٢ ص ٤٤٠.

(٣) ملحق سند حديث الثقلين، للعلامة السيّد عبد العزيز الطباطبائي، كما ورد في نفحات

الأزهار: ج ٢ ص ٨٧.

(٤) جواهر العقدين في فضل الشرفين: ص ٢٣٤.

(١) البحث في سند صيغة (الثقلين)

١. الإمام النسائي^(١) (ت: ٣٠٣ هـ)

المورد الأول: روايته في السنن الكبرى:

(أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى^(٢)، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ^(٣) قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ^(٤)، عَنْ سُلَيْمَانَ^(٥) قَالَ: حَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ^(٦)، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ^(٧)، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: «لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَنَزَلَ غَدِيرِ حُمٍّ أَمَرَ بِدُوحَاتٍ فُقِّمْنَ، ثُمَّ قَالَ: كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ فَأَجَبْتُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخِرِ: كِتَابَ اللَّهِ، وَعِترَتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَاَنْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي

(١) «الإمام الحافظ الثبت، شيخ الإسلام ناقد الحديث، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني النسائي، صاحب السنن، ولد سنة ٢١٥ هـ، وطلب العلم في صغره. وكان من بحور العلم مع الفهم والإتقان والبصر ونقد الرجال وحسن التأليف. ولم يكن أحد في رأس الثلاثمائة أحفظ من النسائي، هو أحذق بالحديث وعلله ورجاله من مسلم ومن أبي داود ومن أبي عيسى، وهو جارٍ في مضمار البخاري وأبي زرعة إلا أن فيه قليل تشييع وانحراف عن خصوم الإمام علي، ك معاوية وعمرو، والله يسامحه». (ينظر سير أعلام النبلاء: ج ١٤ ص ١٣٠ وما بعدها).

(٢) ثقة ثبت. (تقريب التهذيب، للعسقلاني: ج ٢ ص ١٢٩).

(٣) ثقة عابد. (تقريب التهذيب: ج ٢ ص ٣٠٠).

(٤) ثقة ثبت. (تقريب التهذيب: ج ٢ ص ٢٨٣).

(٥) سليمان بن مهران الأعمش، ثقة حافظ، عارف بالقراءات، ورع، لكنّه يدلّس. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٣٩٢).

(٦) ثقة فقيه جليل، وكان كثير الإرسال والتدليس. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ١٨٣).

(٧) صحابي. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٤٦٤).

صيف حديث الثقلين ٧٣

فِيهِمَا، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ، وَأَنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ، فَقَالَ: مَنْ كُنْتُ وَلِيِّهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ». فَقُلْتُ لِرَزِيدٍ: سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَا كَانَ فِي الدَّوْحَاتِ أَحَدٌ إِلَّا رَأَهُ بِعَيْنَيْهِ، وَسَمِعَهُ بِأُذُنَيْهِ^(١).

المورد الثاني: روايته في كتابه خصائص أمير المؤمنين عليه السلام^(٢):

(أخبرنا أحمد بن المثني، قال: حدثنا يحيى بن حماد، قال: أخبرنا أبو عوانة، عن سليمان قال: حدثنا حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم قال: «لما رجع النبي ﷺ من حجة الوداع ونزل غدیر خم، أمر بدوحات فقممن ثم قال: كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ فَأَجِبْتُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخِرِ: كِتَابَ اللَّهِ، وَعِترتي أَهْلَ بَيْتِي، فَانظُرُوا كَيْفَ تَحْلِفُونِي فِيهِمَا، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ، وَأَنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ عليه السلام فَقَالَ: مَنْ كُنْتُ وَلِيِّهُ، فَهَذَا وَلِيُّهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ». فَقُلْتُ لِرَزِيدٍ: سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: وَإِنَّهُ مَا كَانَ فِي الدَّوْحَاتِ أَحَدٌ إِلَّا رَأَهُ بِعَيْنَيْهِ وَسَمِعَهُ بِأُذُنَيْهِ^(٣).

(١) السنن الكبرى: ج ٧ ص ٣١٠ ح ٨٠٩٢.

(٢) كتاب نفيس، جامع لطائفة كبيرة من المناقب والفضائل الخاصة بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهو من أهم المصادر والمراجع النفيسة المؤلفة في الفضائل، ولم يزل موضعاً للتقدير والإكبار والاهتمام لدى المؤلفين والباحثين، لأنه جمع بين دفتيه أحاديث صحيحة بعيدة عن الشك والجرح والقدح، وعن أسانيد ثابتة، فهو كما قال ابن حجر: تتبّع النسائي ما خصّ به عليّ من دون الصحابة فجمع من ذلك شيئاً كثيراً بأسانيد أكثرها جياد. (الإصابة: ج ٤ ص ٤٦٥)، وفي فتح الباري: وأوعب من جمع مناقبه من الأحاديث الجياد. (خصائص النسائي: ج ٧ ص ٦١).

(٣) خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ص ٧١، رقم الحديث ٧٩.

٢. الإمام الطحاوي^(١) (ت: ٣٢١هـ)

روايته في كتاب مشكل الآثار:

(حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبٍ^(٢)، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، يَعْنِي: الْأَعْمَشَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، قَالَ: «لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ حَجَّةِ الْوُدَّاعِ، وَنَزَلَ بِغَدِيرِ خُمٍّ أَمَرَ بِدُوحَاتٍ، فَقُمَّنَّ، ثُمَّ قَالَ: كَأَنِّي دُعِيتُ فَأَجَبْتُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابَ اللَّهِ وَعَثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْخَوْصَ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ، وَأَنَا وَبِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ. ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: مَنْ كُنْتُ وَلِيِّهِ، فَهَذَا وَلِيُّهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ». فَقُلْتُ لِرَسُولِهِ: سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: مَا كَانَ فِي الدُّوحَاتِ أَحَدٌ إِلَّا رَأَاهُ بِعَيْنَيْهِ، وَسَمِعَهُ بِأُذُنَيْهِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَهَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، لَا طَعْنَ لِأَحَدٍ فِي أَحَدٍ مِنْ رُؤَاتِهِ^(٣).

(١) قال عنه الذهبي: «الإمام، العلامة، الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقهها، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي، الحجري، المصري، الطحاوي، الحنفي، صاحب التصانيف، من أهل قرية طحا من أعمال مصر، مولده سنة ٢٣٩، انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر، صنّف (اختلاف العلماء)، و(الشروط)، و(أحكام القرآن)، و(معاني الآثار). ومات سنة ٣٢١هـ، قلت: من نظر في تواليه هذا الإمام علم محله من العلم، وسعة معارفه». (ينظر سير الأعلام: ج ١٥ ص ٢٩، ترجمة ١٥).

(٢) الإمام النسائي الحافظ صاحب السنن. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٣٦).

(٣) شرح مشكل الآثار: ج ٥ ص ١٨.

٣. الحاكم النيسابوري^(١) (ت: ٤٠٥ هـ)

روايته في كتابه المستدرک علی الصحیحین:

(حدّثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم الحنظلي^(٢) ببغداد ثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي^(٣) ثنا يحيى بن حماد^(٤) وحدّثني أبو بكر محمد بن بالويه^(٥) وأبو بكر أحمد بن جعفر البزار^(٦) قالوا: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل^(٧) حدّثني أبي^(٨) ثنا يحيى بن حماد وثنا أبو نصر أحمد بن سهل الفقيه^(٩) ببخارى ثنا صالح بن محمد الحافظ البغدادي^(١٠) ثنا خلف بن سالم المخرمي^(١١) ثنا يحيى بن حماد ثنا أبو عوانة عن سليمان الأعمش قال: ثنا حبيب بن أبي ثابت عن أبي

(١) محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الإمام، الحافظ، الناقد، العلامة، شيخ المحدثين، أبو عبد الله بن البيهقي الضبي الطهماني النيسابوري الشافعي، صاحب التصانيف، مولده في يوم الاثنين، ٣ ربيع الأول سنة ٣٢١ هـ، وصنّف وخرّج، وجرح وعدل، وصحّح وعلّل، وكان من بحور العلم على تشييع قليل فيه، ومن تأمل كلامه في تصانيفه وتصرفه في أماليه ونظره في طرق الحديث، أذعن بفضل، واعترف له بالميزية على من تقدّمه، وإتباعه من بعده، وتعجيزه اللاحقين عن بلوغ شأوه، عاش حميداً، ولم يخلف في وقته مثله، مضى إلى رحمة الله في ثامن صفر سنة ٤٠٥. (ينظر سير أعلام النبلاء: ج ١٧ ص ١٧٠ وما بعدها).

(٢) ثقة عند الدارقطني. (تاريخ بغداد، للبغدادي: ج ٣ ص ٣٢٦).

(٣) صدوق يخطئ. (التقريب: ج ١ ص ٦١٩).

(٤) الشيباني ثقة عابد. (التقريب: ج ٢ ص ٣٠٠).

(٥) الإمام المفيد الرئيس من كبراء بلده. (سير أعلام النبلاء: ج ١٥ ص ٤١٩).

(٦) صدوق في نفسه، أسند أهل زمانه. (لسان الميزان، لابن حجر: ج ١ ص ١٤٥).

(٧) ثقة. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٤٧٧).

(٨) أحمد بن حنبل، ثقة حافظ فقيه حجة. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٤٤).

(٩) ثقة متفق عليه. (الإرشاد في معرفة علماء الحديث، لأبي يعلى الخليلي: ج ٣ ص ٩٧٤).

(١٠) الإمام، الحافظ، الكبير، الحجة. (سير أعلام النبلاء: ج ١٤ ص ٢٤).

(١١) ثقة حافظ. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٢٧١).

الطفيل عن زيد بن أرقم قال: «لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدیر خمّ أمر بدوحات فقمّن فقال: كأني قد دعيت فأجبت. إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؛ فإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض. ثمّ قال: إنّ الله عزّ وجلّ مولاي وأنا مولى كلّ مؤمن. ثمّ أخذ بيد عليّ ؑ فقال: من كنت مولاه فهذا وليّ، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه». وذكر الحديث بطوله، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله، شاهده حديث سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل، أيضاً صحيح على شرطهما. سكت عنه الذهبي في التلخيص^(١). هذه الرواية أوردها الحاكم في مستدركه وسكت عنها الذهبي فصير إلى التشكيك فيها لهذا السكوت، ولذا يحاول آل زهوي، المعلق على كتاب (خصائص أمير المؤمنين) أن يضعفها، ويقول: وسكت عنها الذهبي^(٢). لكن أحد أهمّ تلامذة الذهبي وهو الحافظ ابن كثير كفانا مؤونة الردّ على سكوت الذهبي وقال: صحّحها الذهبي؛ في كشفٍ عن ذلك السكوت. ومن ذلك يتّضح أنّه ليس كلّما سكت الذهبي عن رواية في المستدرک، فمعناه أنّه لم يصحّحها. علماً أنّه توجد رواية أخرى في المستدرک بلفظ آخر صحّحها الحاكم ووافقه الذهبي هذا نصّها:

(حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُصْلِحِ الْفَقِيهِ بِالرِّيِّ^(٣)، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ^(٤)، ثنا يَحْيَى بْنُ الْمُغِيرَةِ السَّعْدِيُّ^(٥)، ثنا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ^(٦)، عَنِ

(١) المستدرک على الصحيحين: ج ٢ ص ١٠ ح ٤٥٧٦.

(٢) خصائص أمير المؤمنين: ص ٧٥.

(٣) ولي قضاء الريّ والبلاد المتصلة بها. (الإرشاد في معرفة علماء الحديث: ج ٢ ص ٦٩٠).

(٤) الحافظ المحدث الثقة. (سير أعلام النبلاء: ج ١٣ ص ٤٤٩).

(٥) صدوق. (الجرح والتعديل: ج ٩ ص ١٩١).

(٦) الضبيّ: ثقة. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ١٥٨).

صيع حديث الثقلين ٧٧

الحسن بن عبد الله النخعي^(١)، عن مسلم بن صبيح^(٢)، عن زيد بن أرقم^(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وأهل بيته، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض». هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يُخرجاه. الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم^(٣).

٤. الإمام ابن كثير الدمشقي^(٤) (ت: ٧٧٤هـ)

المورد الأول: روايته في كتاب البداية والنهاية وتصحيح الذهبي:

(وقد روى النسائي في سننه: «عن محمد بن المننّى، عن يحيى بن حمّاد، عن أبي معاوية^(٥) عن الأعمش^(٦) عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم. قال: لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدیر خم

(١) ثقة فاضل. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٢٠٦).

(٢) الهمداني: ثقة فاضل. (تقريب التهذيب: ج ٢ ص ١٧٩).

(٣) المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ١٦٠.

(٤) (٧٠١ - ٧٧٤ هـ = ١٣٠٢ - ١٣٧٣ م) «هو الإمام الحافظ، المحدث، المؤرخ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن درع، القرشي الدمشقي الشافعي. ألّف الكثير من المصنّفات منها في علوم القرآن: أهمّها تفسير القرآن العظيم، وفضائل القرآن. وفي السنّة وعلومها: أحاديث الأصول، وشرح صحيح البخاري، والتكميل في الجرح والتعديل، ومعرفة الثقات والمجاهيل، واختصار علوم الحديث، وجامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن، ومسند أبي بكر الصديق، ومسند عمر بن الخطاب، والأحكام الصغرى. وفي الحديث: تخريج أحاديث أدلّة التنبيه في فقه الشافعية، وتخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب وغيرها. وفي الفقه وأصوله: كتاب المقدمات في أصول الفقه. وفي التاريخ والمناقب: البداية والنهاية، والسيرة النبوية، وطبقات الشافعية وغيرها زادت عن الثلاثين مصنّفًا». (ينظر الأعلام، للزركلي: ج ١ ص ٣٢٠).

(٥) محمد بن حازم الأعمى، ثقة. (تقريب التهذيب: ج ٢ ص ٧٠).

(٦) سليمان بن مهران، ثقة حافظ. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٣٩٢).

أمر بدوحات فقممن ثم قال: كأني قد دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ثم قال: الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». فقلت لزيد: سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينه وسمعه بأذنيه. تفرّد به النسائي من هذا الوجه. قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي^(١): وهذا حديث صحيح^(٢).

المورد الثاني: في كتاب تفسير القرآن العظيم:

(وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال في خطبته بغدير خم: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، وإنهما لم يفترقا حتى يردا علي الحوض)^(٣).

خصائص هذه الصيغة

١. أن رسول الله ﷺ ترك شيئاً واحداً وأمرنا بالتمسك بهما: (القرآن) أكبر من الآخر وهو (العتره).
٢. أن هذا الحديث ذكره النبي ﷺ في حجة الوداع مقروناً مع حديث: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

(١) (٦٧٣ هـ - ٧٤٨ هـ) «هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، محدث العصر، الإمام الحافظ. طلب الحديث وهو ابن ثمان عشرة، سمع بدمشق ومصر وبلبك والإسكندرية. وسمع منه الجمع الكثير، وكان شديد الميل إلى رأي الحنابلة، معظماً لعقيدة السلف، جارياً عليها، راداً على من خالفها، فألف في ذلك، وله التصانيف الجزيلة في الحديث، وأسماء الرجال، قرأ القرآن، وأقرأه بالروايات، وقد بلغت مؤلفاته التاريخية وحدها نحو مئتي كتاب، بعضها مجلّدت ضخمة». (ينظر كتاب الإمام الذهبي، عبد الستار الشيخ).

(٢) البداية والنهاية: ج ٥ ص ٢٢٩.

(٣) تفسير ابن كثير: ج ١ ص ٢٧١.

(٢) البحث في سند صيغة (الخليفتين)

١. ابن أبي شيبة^(١) (ت: ٢٣٥هـ)

المورد الأول: روايته في كتاب المسند:

(أَبُو دَاوُدَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ^(٢)، عَنِ شَرِيكِ^(٣)، عَنِ الرَّكِينِ^(٤)، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ حَسَّانَ^(٥)، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، يَرْفَعُهُ، قَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ الْخَلِيفَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ:

(١) هو عبد الله بن محمد بن القاضي أبو شيبة إبراهيم بن عثمان بن خُوَاسْتَى العبسي، مولا هم الكوفي، والمكَنَّى بأبي بكر، والملقَّب بسَيِّدِ الحَقَّاطِ، أحد علماء ورواة الحديث عند أهل السُنَّة والجماعة، وصاحب كتاب مصَنَّف ابن أبي شيبة، كما جمع مسنداً وصنَّف تفسيراً للقرآن، وكان من أقران أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعلي بن المديني في السنن والمولد والحفظ. سمع من عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح ويحيى بن سعيد القطان وخلق كثير غيرهم، بالعراق والحجاز وغير ذلك. وروى عنه الحديث: الشيخان البخاري ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه، وروى النسائي عن بعض أصحابه، كما روى عنه أيضاً: أحمد بن حنبل وأبو زرعة الرازي وابن أبي عاصم وبقي بن مخلد وأبو يعلى الموصلي وصالح جزرة وأبو القاسم البغوي وغيرهم الكثير، توفي في شهر المحرم ٢٣٥ هـ. (ينظر الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم: ج ٢ ص ٢ ح ١٦٠؛ والذهبي في التذكرة: ج ٢ ص ٢٠؛ والميزان: ج ٢ ص ٤٩٠؛ والعبر: ج ١ ص ٤٢١؛ وابن حجر في التقريب: ج ١ ص ٤٤٥؛ وتهذيب التهذيب: ج ٦ ص ٢).

(٢) الحفري: ثقة. (تقريب التهذيب: ج ٢ ص ٧١٨).

(٣) أبو عبد الله بن عبد الله، صدوق يخطئ كثيراً، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٤١٧).

(٤) ابن الربيع الفزاري، ثقة. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٣٠٣).

(٥) مقبول. (تقريب التهذيب: ج ٢ ص ١٨).

٨٠ حديث الثقلين سنداً ودلالة

كِتَابِ اللَّهِ وَعِثْرَتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ^(١). المحقق: قلت: والحديث صحيح، له شواهد^(٢).

المورد الثاني: روايته في كتاب المصنّف:

(حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي دَاوُدَ الْحَضْرِيّ، عَنْ شَرِيكَ، عَنِ الرَّكَّانِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الْخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِي: كِتَابَ اللَّهِ وَعِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ^(٣)).

٢. الإمام أحمد بن حنبل^(٤) (ت: ٢٤١هـ)

المورد الأوّل: روايته في كتاب المسند:

(حَدَّثَنَا الْأَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ^(٥)، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنِ الرَّكَّانِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ حَسَّانَ^(٦)، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ

(١) مسند ابن أبي شيبة: ج ١ ص ١٠٨.

(٢) انظر السلسلة الصحيحة للألباني.

(٣) المصنّف لابن أبي شيبة: ج ٧ ص ٤١٨.

(٤) قال عنه الذهبي: «أحمد بن حنبل، شيخ الإسلام وسيّد المسلمين في عصره، الحافظ الحجّة أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، الذهلي الشيباني المروزي ثمّ البغدادي، ولد ١٦٤هـ. الشافعي يقول: خرجت من بغداد فما خلّفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفقه من أحمد بن حنبل. وقال عليّ بن المديني: إنّ الله أيّد هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الردّة وبأحمد بن حنبل يوم المحنة. وقال أبو عبيد: انتهى العلم إلى أربعة، أفقهم أحمد، توفّي إلى رضوان الله تعالى في يوم الجمعة ١٢ ربيع ٢٤١هـ. وله ٧٧ سنة». (ينظر تذكرة الحفاظ: ج ٢ ص ٤٣٢).

(٥) ثقة. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ١٠٢).

(٦) مقبول. (تقريب التهذيب: ج ٢ ص ١٨).

صيغ حديث الثقلين ٨١

خَلِيفَتَيْنِ: كِتَابُ اللَّهِ، حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ - أَوْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ - وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ^(١).

المورد الثاني: روايته في كتاب فضائل الصحابة:

(حدَّثنا عبد الله^(٢)) قال: حدَّثني أبي^(٣) حدَّثنا أسود بن عامر، نا شريك عن الركين، عن القاسم بن حسان، عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: إني تاركٌ فيكم خليفَتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض - أو ما بين السماء والأرض - وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض). قال المحشِّي: إسناده حسنٌ لغيره^(٤).

٣. ابن أبي عاصم^(٥) (ت: ٢٨٧هـ)

روايته في كتاب السنّة:

(أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة^(٦))، حدَّثنا شريك عن الركين عن القاسم بن حسان عن زيد بن ثابت يرفعه قال: إني قد تركت فيكم الخليفَتين بعدي كتاب الله وعترتي، إنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض).

(١) مسند ابن حنبل: ج ٥ ص ١٨٢ و ١٨٩.

(٢) ابن أحمد بن حنبل، ثقة. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٤٧٧).

(٣) أحمد بن حنبل، ثقة حافظ فقيه حجة. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٤١).

(٤) فضائل الصحابة: ج ٢ ص ٧٤٧ ح ١٠٣٢.

(٥) أبو بكر بن أبي عاصم. وهو أحمد بن عمرو بن الضحّاك بن مخلد الشيباني. الحافظ الإمام المحدث، ولد سنة ٢٠٦هـ، وقال أبو العباس النسوي: «وكان مذهبه القول بالظاهر، وكان ثقة نبيلاً معمراً». وقال الحافظ أبو نعيم: كان فقيهاً، ظاهري المذهب، وتوفي لخمسِ خلون من ربيع الآخر سنة ٢٨٧هـ. وصلى عليه ابنه الحكم بن أحمد، ودفن بمقبرة دوشاباذ. (ينظر معجم المؤلفين، كحالة: ج ٢ ص ٣٦).

(٦) ثقة حافظ صاحب تصانيف. (تقريب التهذيب: ج ٢ ص ٥٢٨).

٨٢ حديث الثقلين سنداً ودلالة

وحديث آخر: (حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ عَنِ الرُّكَيْنِ عَنِ الْقَاسِمِ عَنِ زَيْدٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الْخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِي كِتَابَ اللَّهِ وَعِترَتِي أَهْلَ بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ)^(١).

٤. الإمام الطبراني^(٢) (ت: ٣٦٠ هـ)

روايته في كتابه المعجم الكبير:

(حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَسْعُودٍ الْمَقْدِسِيُّ^(٣)، ثنا الهيثم بن جميل^(٤)، وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مُسَاوِرِ الْجَوْهَرِيِّ^(٥)، ثنا عِصْمَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْخَزَّازِ^(٦)... حَدَّثَنَا أَبُو حُصَيْنٍ الْقَاضِي^(٧) ثنا يَحْيَى الْحَمَّانِيُّ^(٨) قَالُوا: ثنا شَرِيكٌ عَنِ الرُّكَيْنِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ حَسَّانَ، عَنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَأَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَمْ يَفْتَرَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ)^(٩).

(١) السنّة لابن أبي عاصم: ج ٢ ص ١٠٢١. وفي ذيله يقول الأستاذ باسم بن فيصل الجوابرة محقق الكتاب: إسناده حسن.

(٢) الطبراني، الحافظ، الإمام، العلامة، الحجّة، بقيّة الحفّاظ، أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخميّ الشاميّ الطبراني، مسند الدنيا، ولد سنة ستين ومائتين، وتوفّي لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة. قلت: استكمل مائة عام وعشرة أشهر، وحديثه قد ملأ البلاد. (ينظر تذكرة الحفّاظ: ج ٣ ص ٩١٧).

(٣) الإمام المحدث. (سير أعلام النبلاء: ج ١٣ ص ٢٤٥).

(٤) ثقة. (تقريب التهذيب: ج ٢ ص ٢٧٥).

(٥) ثقة. (تاريخ بغداد: ج ٥ ص ١١١).

(٦) ما كان باس به. (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي: ج ٧ ص ٢١).

(٧) قال الدارقطني: كان ثقة. (تاريخ بغداد: ج ٢ ص ٢٢٥).

(٨) صدوق مشهور، ما بالكوفة مثل ابن الحماني، ما يقال فيه إلا من حسد. (تاريخ ابن معين الدارمي، دار المأمون للتراث، دمشق: ص ٢٣٢).

(٩) المعجم الكبير: ج ٥ ص ١٥٣ ح ٤٩٢١.

صيغ حديث الثقلين ٨٣

٥. الإمام الهيثمي^(١) (ت: ٨٠٧ هـ)

روايته في كتابه مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:

(عن زيد بن ثابت عن رسول الله ﷺ قال: «إني تركت فيكم خليفين كتاب الله وأهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض». رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات)^(٢).

٦. الحافظ السخاوي^(٣) (ت: ٩٠٢ هـ)

روايته في كتاب استجلاء ارتقاء الغرف:

(وأما حديث زيد فرواه أحمد في مسنده ولفظه: قال رسول الله ﷺ: إني

(١) الحافظ نور الدين عليّ بن أبي بكر بن سليمان، الهيثمي القاهري الشافعي، المحدث الفاضل. قيل: كان عجبياً في الزهد والإقبال على العلم والعبادة والمحبة للحديث وأهله، وحدث بالكبر وأخذ الناس عنه وأكثروا، له مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، جمع فيه زوائد الكتب الستة من مسند ابن حنبل والبرزاز وأبي يعلى الموصلي والمعجم الثلاثة للطبراني، وصار كتاباً حافلاً في ستة مجلدات كبار، توفي ٨٠٧ هـ. (ينظر الكنى والألقاب: ج ٣ ص ٢٩٤).

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ج ١ ص ٢٣٠ ح ٧٨٤.

(٣) «الشيخ، الإمام، العلامة، شيخ القراء والأدباء، علم الدين، أبو الحسن عليّ بن محمد بن عبد الصمد بن عطاس الهمداني المصري السخاوي الشافعي، نزيل دمشق، ولد سنة ثمان وخمسين، أو سنة تسع، وكان إماماً في العربية، بصيراً باللغة، فقيهاً مفتياً، عالماً بالقراءات وعللها، مجوداً لها، بارعاً في التفسير، صنّف وأقرأ وأفاد، وروى الكثير وتكاثرت عليه القراء. وكان مع سعة علومه وفضائله ديناً، حسن الأخلاق محبباً إلى الناس، وافر الحرمة مطرحاً للتكلف، ليس له شغل إلا العلم ونشره. قال الإمام أبو شامة (ت: ١٢ جمادى الآخرة سنة ٩٤٣ هـ): توفي شيخنا علم الدين علامة زمانه وشيخ أوانه بمنزله بالتربة الصالحية، وكان على جنازته هيبة وجلالة وإخبات، ومنه استفدت علوماً جمّة كالقراءات، والتفسير، وفنون العربية. والسخاوي نسبة إلى سخا كورة بمصر». (ينظر سير أعلام النبلاء: ج ٢٣ ص ١٢٤).

٨٤ حديث الثقلين سنداً ودلالة

تارك فيكم خليفتين: كتاب الله عز وجل جبل ممدود ما بين السماء والأرض - أو ما بين السماء إلى الأرض - وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض). يقول المعلق على الكتاب خالد بابطين: «إسناده حسن بشواهده، أخرجه أحمد وعبد بن حميد في مسنده رقم ٢٤٠، وابن أبي شيبة في المصنّف، وعنه الطبراني في الكبير، وابن أبي عاصم في السنّة، والفسوي في المعرفة والتاريخ وابن الأنباري، كما عزاه المتّقّي في الكنز، كلّهم من طريق شريك عن الركين بن ربيع عن القاسم بن حسان عن زيد بن ثابت مرفوعاً»^(١).

٧. الإمام السيوطي^(٢) (ت: ٩١٠ هـ)

روايته في كتاب الجامع الصغير:

(«إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض». يقول محقق الكتاب، حمدي الدمرداش محمد: «صحيح. أخرجه أحمد والطبراني، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع»^(٣)).

(١) استجلاء ارتقاء الغرف بحبّ أقرباء الرسول وأهل الشرف: ج ١ ص ٣٥٠ ح ٧٤.

(٢) أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن ناصر الدين محمد السيوطي الشافعي الفاضل المعروف، صاحب المصنّفات المشهورة في فنون شتى، قيل: أمّها تزيد على خمسمائة مصنّف. أخذ عن غالب علماء عصره، وبلغ شيوخه نحو ثلاثمائة شيخ، منهم قاضي القضاة علم الدين المناوي ومحيي الدين الكافيجي والشميني، توفّي السيوطي بالقاهرة سنة ٩١٠. وسيوط كُتبت أو أسيوط كأخدود قرية بصعيد مصر. (ينظر الكنى والألقاب: ج ٢ ص ٣٤٤).

(٣) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: ج ٢ ص ٥٤٤ ح ٢٦٣١.

٨. الإمام السمهودي^(١) (ت: ٩١١ هـ)

روايته في كتاب جواهر العقدين:

(عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم خليفين كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»، يقول: أخرجه الطبراني في الكبير برجال ثقات، ولفظه: «إني تارك فيكم خليفين»^(٢)).

٩. العلامة الألوسي^(٣) (ت: ١٢٧٠ هـ)

روايته في كتاب روح المعاني:

(إنّ ظاهر ما صحّ من قوله ﷺ: «إني تارك فيكم خليفين، وفي رواية: ثقلين، كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا

(١) السيّد نور الدين عليّ بن عبد الله بن أحمد الحسيني الشافعي القاهري، نزيل المدينة، كان محدث المدينة المشرفّة ومؤرّخها، له كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، وخلاصة الوفاء وغيرهما. توفي ٩١١ هـ، سمهود قرية كبيرة غربي نيل مصر (الكنى والألقاب: ج ٢ ص ٣٢٣).

(٢) جواهر العقدين: ص ٢٣٦.

(٣) الألوسي الكبير (١٢١٧-١٢٧٠ هـ)، محمود بن عبد الله الحسيني، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسّر، محدث، أديب، من المجدّدين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، كان سلفي الاعتقاد، مجتهداً، تقلّد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨ هـ، وعزل، فانقطع للعلم، ثمّ سافر سنة ١٢٦٢ هـ إلى الموصل فالأستانة، ومّر بهاردين وسيواس، فغاب ٢١ شهراً وأكرمه السلطان عبد المجيد، كان معروفاً بالفضل والأدب وجودة الخطّ وقوة الحافظة، يحكى عنه قال: ما استودعت ذهني شيئاً فخانني، وكان شافعيّاً، ولكنّه تقلّد في كثير من المسائل إمامهم الأعظم. له: الأجوبة العراقيّة عن الأسئلة الإيرانيّة، والخريدة الغيبية في تفسير القصيدة العينية، التي نظمها عبد الباقي الموصللي العمري في مدح أمير المؤمنين ﷺ، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، إلى غير ذلك. (ينظر الأعلام للزركلي: ج ٧ ص ١٧٦؛ الكنى والألقاب للقمّي: ج ١ ص ١٩٠).

٨٦ حديث الثقلين سنداً ودلالة

عليّ الحوض» يقتضي أنّ النساء المطهّرات غير داخلات في أهل البيت الذين هم أحد الثقلين لأنّ عترة الرجل كما في الصحاح نسله ورهطه الأذنون، وأهل بيتي في الحديث: الظاهر أنّه بيان له أو بدل منه بدل كلّ من كلّ، وعلى التقديرين يكون متّحداً معه، فحيث لم تدخل النساء في الأوّل لم تدخل في الثاني^(١).

١٠. المحقق الألباني^(٢) (ت: ١٤٢٠ هـ)

روايته في كتاب صحيح الجامع الصغير:

(«إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض» صحيح)^(٣).

١١. مصطفى بن العدوي^(٤) (معاصر)

روايته في كتاب الصحيح المسند من فضائل الصحابة:

قبل أن أشير إلى النصّ، يقول المصنّف في أوّل الكتاب: «أمّا عن أسباب

(١) روح المعاني: ج ٢٢ ص ١٦.

(٢) (١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م - ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م) أبو عبد الرحمن محمّد ناصر الدين ابن الحاجّ نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، الأرثوطوي، شخصيّة إسلاميّة علميّة فذة، وصاحب مدرسة متميّزة في علم الحديث، أغنى الحقل العلمي بها. وقد أفاد بعلمه الغزير ومؤلفاته ودروسه عدداً كبيراً من طلاب العلم ودارسي الحديث النبويّ الشريف. (ينظر الإمام الألباني دروس وعبر، لعبد العزيز السرحان: ص ٢٢١ وما بعدها).

(٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته: ج ١ ص ٤٨٢ رقم ٢٤٥٧.

(٤) مصطفى العدوي، ولد في قرية منية سمنود التابعة لمحافظة الدقهليّة. درس في كليّة الهندسة قسم الميكانيكا في عام ١٩٧٧، كما حفظ كتاب الله، ثمّ رحل إلى الشيخ مقبل بن هادي الوادعي في اليمن، وحضر دروسه بين عامي ١٤٠٠ هـ - ١٤٠٤ هـ، ثمّ رجع إلى مصر وأنشأ مسجداً صغيراً وبدأ التدريس فيه، حيث درّس صحيح البخاري ومسلم ودروس في التفسير والفقّه. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرّة، الإنتر نت).

صيغ حديث الثقلين ٨٧

تأليفنا لهذا الكتاب فقد تقدّم بعضها، ومنها أننا لم نقف على كتابٍ اقتصر على الصحيح المسند من فضائلهم، بل الكتب المؤلفة في ذلك إن كانت من ذوات الأسانيد فلم يلتزم مصنّفوها الصحة ولا اشترطوها، أمّا غير ذوات الأسانيد فقد جمعت الصحيح والضعيف، بل والضعيف جدّاً والموضوع؛ لذلك قمنا بجمع هذا الكتاب الذي يحوي الصحيح المسند فقط.

أمّا روايته فيقول: (حَثَّ رسول الله ﷺ على أتباع الصالحين من أهل البيت عليهم السلام؛ عن زيد بن ثابت، قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله وأهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، جميعاً». صحيح لغيره).^(١)

خصائص صيغة (خليفتين)

إنّ وجود لفظ الخليفة صراحة:

١. يفسّر الحديث المتفق عليه: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين من بعدي»^(٢).
٢. يفسّر الحديث المتفق عليه: «اثنان عشر خليفة»^(٣).

(١) الصحيح المسند من فضائل الصحابة: ص ٢٤٨.

(٢) المستدرك للحاكم: ج ١ ص ٩٦.

(٣) انظر الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٨٦؛ الكافي للكليني: ج ٢ ص ٢٤٠؛ صحيح مسلم: ج ٦ ص ٣؛ مسند أحمد: ج ٥ ص ٨٦؛ المستدرك للحاكم: ج ٣ ص ٦١٧ وغيرها.

(٣) البحث في سند صيغتي (لن تضلوا. وحبل ممدود)

١. الإمام الطحاوي (ت: ٣٢١ هـ)

روايته في كتاب مشكل الآثار:

(حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَرْزُوقٍ^(١)، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ^(٢)، قَالَ: حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ^(٣)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيٍّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَضَرَ الشَّجْرَةَ بِخَمٍّ، فَخَرَجَ آخِذًا بِيَدِ عَلِيٍّ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَأَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مَوْلِيَاكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «فَمَنْ كُنْتُمْ مَوْلَاهُ، فَإِنَّ هَذَا مَوْلَاهُ» أَوْ قَالَ: «فَإِنَّ عَلِيًّا مَوْلَاهُ»، شَكََّ ابْنُ مَرْزُوقٍ، «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ، لَنْ تَضِلُّوا، كِتَابَ اللَّهِ سَبَبُهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَأَهْلَ بَيْتِي». وَكَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ مَدِينِيٌّ، مَوْلَى لِأَسْلَمَ، قَدْ حَدَّثَ عَنْهُ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، وَوَكَيْعٌ، وَأَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ). وَعَلَّقَ الْعَلَّامَةُ شَعِيبُ الأَرْنَؤُوطُ بِقَوْلِهِ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ^(٤).

٢. الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ)

روايته في كتاب المسند:

(حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ^(٥)، أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْرَائِيلَ يَعْنِي إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَبِي

(١) ثقة عمي قبل موته. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٦٦).

(٢) ثقة. (تقريب التهذيب: ج ٢ ص ٤٢٦).

(٣) صدوق يخطئ. (تقريب التهذيب: ج ٢ ص ٣٨).

(٤) شرح مشكل الآثار: ج ٥ ص ١٣ ح ١٧٦٠.

(٥) ثقة. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ١٠٢).

صيغ حديث الثقلين ٨٩

إِسْحَاقَ الْمَلَائِيَّ^(١)، عَنْ عَطِيَّةَ^(٢)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ^(٣)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخِرِ، كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَنِّي الْخَوْضَ^(٤).

٣. عبد بن حميد^(٥) (ت: ٢٤٩ هـ)

روايته في كتاب المنتخب من مسند عبد بن حميد:

(قَالَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ^(٦)، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ^(٧)، ثنا شَرِيكٌ، عَنْ الرُّكَيْنِ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ حَسَّانٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا، كِتَابُ اللَّهِ وَعِزَّتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا الْخَوْضَ». قُلْتُ: وَسَيَّأَتِي بِطُرُقِهِ فِي كِتَابِ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ^(٨)).

٤. الإمام الترمذي^(٩) (ت: ٢٧٩ هـ)

(١) صدوق سيِّ الحفظ، نسب إلى الغلوِّ في التشيع. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٩٣).

(٢) صالح. (تاريخ ابن معين: ج ١ ص ٣٦٣).

(٣) الخدري، صحابيٌّ

(٤) مسند أحمد: ج ٣ ص ١٤.

(٥) هو الإمام الحافظ، الحجّة، الجوّال، أبو محمّد عبد بن حميد بن نصر الكشي، ويقال له:

الكشي، يقال: اسمه عبد الحميد، ولد بعد السبعين ومئة. قال أبو حاتم البستي في كتاب

الثقات: عبد الحميد بن حميد بن نصر الكشي، وهو الذي يقال له: عبد بن حميد، وكان ممن

جمع وصنّف، مات سنة تسع وأربعين ومئتين. (ينظر سير أعلام النبلاء: ج ١٢ ص ٢٣٧).

(٦) ثقة حافظ. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٦٢٤).

(٧) حافظ. (تقريب التهذيب: ج ٢ ص ٣٠٨).

(٨) المنتخب من مسند عبد حميد: ج ١ ص ٢٤٠. (المحقق): صحيح لغيره.

(٩) الترمذي محمّد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحّاك، وقيل: هو محمّد بن عيسى

بن يزيد بن سورة بن السكن: الحافظ، العَلَم، الإمام، البارِع، ابن عيسى السلميّ

روايته في كتاب الجامع الكبير:

(حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكُوفِيُّ^(١)، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحَسَنِ هُوَ الْأَنْطَاطِيُّ^(٢)، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ^(٣)، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ فِي حَجَّتِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ يَخْطُبُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا، كِتَابَ اللَّهِ وَعَظْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي». قَالَ: وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ، وَأَبِي سَعِيدٍ، وَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، وَحَدِيفَةَ بْنِ أَسِيدٍ، قَالَ: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، قَالَ: وَزَيْدُ بْنُ الْحَسَنِ قَدْ رَوَى عَنْهُ سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ وَغَيْرٌ وَاحِدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ^(٤).

٥. ابن أبي عاصم (ت: ٢٨٧ هـ)

روايته في كتاب السنة:

(حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْغِيلَانِيُّ^(٥).....)

الترمذي الضرير، مصنف (الجامع)، وكتاب (العلل)، وغير ذلك، ولد في حدود سنة عشر ومائتين. وقال الحاكم: سمعت عمر بن علك يقول: مات البخاري فلم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى، في العلم والحفظ والورع والزهد، بكى حتى عمي، وبقي ضريراً سنين. قال أبو عيسى: صنفت هذا الكتاب، وعرضته على علماء الحجاز والعراق وخراسان، فرضوا به. ومن كان هذا الكتاب - يعني الجامع - في بيته، فكأنما في بيته نبي يتكلم. قلت: في (الجامع) علمٌ نافع وفوائد غزيرة ورؤوس المسائل، وهو أحد أصول الإسلام لولا ما كدره بأحاديث واهية، بعضها موضوع وكثير منها في الفضائل. مات أبو عيسى في ١٣ رجب ٢٧٩ بترمذ. (ينظر سير أعلام النبلاء: ج ١٣ ص ٢٧٨ ح ١٣٢).

(١) ثقة. (تقريب التهذيب: ج ٢ ص ٢٤٣).

(٢) من الثقات. (الثقات لابن حبان: ج ٦ ص ٣١٤).

(٣) الإمام الباقر عليه السلام.

(٤) الجامع الكبير: ج ٦ ص ٣٣٥.

(٥) صدوق. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٣٨٩).

صيغ حديث الثقلين ٩١

حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ^(١)، حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ^(٢)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ، سَبَبَهُ بِيَدِ اللَّهِ، وَسَبَبُهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَأَهْلَ بَيْتِي). المحقق: إسناده حسن^(٣).

٦. الإمام البغوي^(٤) (ت: ٥١٦ هـ)

روايته في كتاب شرح السنة:

(أَخْبَرَنَا الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَاضِي^(٥)، أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الطَّيْسَفُونِيُّ^(٦)، أَنَا أَبُو الْحَسَنِ التُّرَابِيُّ^(٧)، أَنَا أَبُو بَكْرٍ الْبَسْطَامِيُّ^(٨)، أَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَيَّارِ الْقُرَشِيِّ^(٩)، نَا الْحُسَيْنُ بْنُ حُرَيْثٍ^(١٠)، أَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى^(١١)، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي

(١) عبد الملك بن عمرو القيسي: ثقة. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٦١٧).

(٢) الأسملي: صدوق يخطئ. (تقريب التهذيب: ج ٢ ص ٣٨).

(٣) السنة: ج ٢ ص ١٠٢٦ ح ١٦٠٢.

(٤) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الشافعي المعروف بالفراء البغوي، والملقب بمحبي السنة، كان محدثاً مفسراً فاضلاً، روى الحديث ودرّس، وكان لا يلقي الدرس إلا على الطهارة، وصنّف التهذيب في الفقه، والجمع بين الصحيحين، وكتاب شرح السنة، ومعالم التنزيل والمصايح وغيره. توفي بمرور سنة ٥١٠، وقيل: ٥١٦، والبغوي - بفتحين -: نسبة إلى بعشور بفتح أوله وسكون ثانيه وضمّ ثالثه، معرب باغ كور بلد بين هراة وسرخس، وهذه النسبة شاذة على غير قياس. (الكنى والألقاب: ج ٢ ص ٨٨).

(٥) ثقة، شيخ الشافعية في زمانه. (شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ج ٣ ص ٣١٠).

(٦) مجهول الحال.

(٧) مجهول الحال.

(٨) الشيخ الإمام المحدث الصدوق المعمر. (سير أعلام النبلاء: ج ١٥ ص ٤١٣).

(٩) الفقيه ثقة حافظ. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٣٦).

(١٠) ثقة. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٢١٤).

(١١) ثقة ثبت وربما أغرب. (تقريب التهذيب: ج ٢ ص ١٣).

٩٢ حديث الثقلين سنداً ودلالة

سُلَيْمَانَ^(١): أَخْبَرَنَا، عَنْ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْيُهَا النَّاسُ، إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابَ اللَّهِ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَعِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، إِلَّا إِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ». حَسَنٌ غَرِيبٌ. قَالَ الْمُحَقِّقُ: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ فَهُوَ حَدِيثٌ قَوِيٌّ^(٢).

٧. أحمد البوصيري^(٣) (ت: ٨٤٠ هـ)

روايته في كتاب إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة:

(عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام): «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَضَرَ الشَّجَرَةَ بِخَمِّ ثَمَّ خَرَجَ آخِذًا بِيَدِ عَلِيٍّ فَقَالَ: أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَأَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مَوْلَاكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَمَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ مَوْلَاهُ فَإِنَّ هَذَا مَوْلَاهُ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ سَبَبَهُ بِيَدِهِ وَسَبَبَهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَأَهْلَ بَيْتِي».

(١) وثقه الدارمي وأحمد والنسائي، وسفيان الثوري سمّاه الميزان. (ينظر تهذيب الكمال: ج ١٨ ص ٢٣٥).

(٢) شرح السنة: ج ١٤ ص ١١٩.

(٣) شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن البوصيري الشافعي، تفقّه ولازم الشيخ وليّ الدين الملوي، وبرع في الفنون، ودرّس مدّة وأفاد، وتعاطى التصوّف وتكلّم على مصطلح المتأخّرين فيه، وكان ذكياً وسمع منه ابن حجر. من كتبه: (فوائد المتّقّي لزوائد البيهقي - خ)، الثاني والثالث منه بخطّه، في دار الكتب، و(زوائد ابن ماجّة على باقي الكتب الخمسة، مع الكلام على أسانيدها)، و(تحفة الحبيب للحبيب بالزوائد في الترغيب والترهيب)، حديث. مات قبل تبييضه، فيبيّضه ابنه. و(إتحاف المهرة بزوائد المسانيد العشرة - ط)، عدّة أجزاء منه، في دار الكتب والأزهرية، قال السخاوي في ترجمته: وخطّه حسن، مع تحريف كثير في المتون والأسماء. (ينظر شذرات الذهب: ج ٧ ص ٤٨؛ الأعلام: ج ١ ص ١٠٤).

صيغ حديث الثقلين ٩٣

رواه إسحاق بسند صحيح، وحديث غدير خمّ أخرجه النسائي من رواية أبي الطفيل عن زيد بن أرقم، وعليّ، وجماعة من الصحابة، وفي هذا زيادة ليست هناك، وأصل الحديث أخرجه الترمذي أيضاً^(١).

٨. الحافظ السخاوي (ت: ٩٠٢ هـ)

روايته في كتاب استجلاء ارتقاء الغرف:

(وأما حديث عليّ فهو عند إسحاق بن راهويه في مسنده من طريق كثير بن زيد، عن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب، عن أبيه عن جدّه عليّ عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال: وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ، سَبَبُهُ بِيَدِهِ، وَسَبَبُهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَأَهْلَ بَيْتِي).

المحقق خالد بن أحمد الصمي بابطين، يقول: إسناده صحيح^(٢).

٩. ابن حجر العسقلاني^(٣) (ت: ٩٧٣ هـ)

(١) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: ج ٩ ص ٢٧.

(٢) استجلاء ارتقاء الغرف: ج ١ ص ٣٥٧.

(٣) شيخ الإسلام، علم الأعلام، أمير المؤمنين في الحديث، حافظ العصر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن عليّ بن محمد بن محمد بن عليّ بن أحمد الشهير بابن حجر، نسبة إلى آل حجر؛ قوم تسكن الجنوب الآخر على بلاد الجريد وأرضهم قابس، الكنازي العسقلاني الأصل، المصري المولد والمنشأ والدار والوفاة، الشافعي، ولد في ١٢ شعبان سنة ٧٧٣ هـ، انتهى إليه معرفة الرجال واستحضارهم، ومعرفة العالي والنازل، وعلل الأحاديث وغير ذلك، وصار هو المعول عليه في هذا الشأن في سائر الأقطار، وقدوة الأئمة وعلامة العلماء وحجة الأعلام ومحبي السنّة، وانتفع به الطلبة وحضر دروسه وقرأ عليه غالب علماء مصر، ورحل الناس إليه من الأقطار، وانقطع في بيته ملازماً للاشتغال والتصنيف، توفي ابن حجر في مكة المكرمة في رجب ٩٧٣ هـ، ودفن في مقبرة المعلاة في تربة الطبريين، وكانت جنازته حافلة مشهورة. (ينظر شذرات الذهب للحنبلي: ج ٧ ص ٢٧٠).

روايته في كتاب المطالب العالية:

(وَقَالَ إِسْحَاقُ^(١): أَخْبَرَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ^(٢)، عَنْ كَثِيرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ^(٣)، عَنْ أَبِيهِ^(٤)، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَضَرَ الشَّجْرَةَ بِحُمٍّ، ثُمَّ خَرَجَ آخِذًا بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ ﷺ: أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَأَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلِيَاؤُكُمْ؟ فَقَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَمَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ مَوْلَاهُ، فَإِنَّ هَذَا مَوْلَاهُ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى، سَبَبُهُ بِيَدِهِ، وَسَبَبُهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَأَهْلُ بَيْتِي». هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ^(٥).

١٠. المحقق الألباني (ت: ١٤٢٠ هـ)

المورد الأول: روايته في كتاب سلسلة الأحاديث الصحيحة:

(«يا أيها الناس! إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»). أخرجه الترمذي: ج ٢ ص ٣٠٨ والطبراني: ٢٦٨٠، عن زيد بن الحسن الأنطاقي عن جعفر عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال: «رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول...» فذكره، وقال: «حديث حسن غريب من هذا الوجه، وزيد بن الحسن قد روى عنه سعيد بن سليمان وغير واحد من أهل العلم» قلت: قال أبو حاتم: منكر الحديث، وذكره ابن حبان في «الثقات». وقال الحافظ: «ضعيف».

(١) ابن راهويه، ثقة حافظ مجتهد، قرين أحمد بن حنبل. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٧٨).

(٢) ثقة. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٦١٧).

(٣) الثقات، لابن حبان: ج ٥ ص ٣٥٤.

(٤) ثقة. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٧٢٤).

(٥) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: ج ٤ ص ٦٥ ح ٣٩٧٢.

صيغ حديث الثقلين ٩٥

قلت: لكنّ الحديث صحيح، فإنّ له شاهداً من حديث زيد بن أرقم^(١).

المورد الثاني: روايته في كتاب صحيح سنن الترمذي:

(حدّثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي، حدّثنا زيد بن الحسن هو الأنباطي، عن جعفر بن محمّد^(٢) عن أبيه^(٣) عن جابر بن عبد الله قال: «رأيت رسول الله ﷺ في حجّته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعتة يقول: يا أيّها الناس إنّني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي». قال: وفي الباب: عن أبي ذرّ وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد؛ قال: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. قال: وزيد بن الحسن قد روى عنه سعيد بن سليمان وغير واحد من أهل العلم) وقال الألباني في تحقيقه: صحيح^(٤).

المورد الثالث: روايته في كتاب صحيح الجامع الصغير:

(«إنّي تاركٌ فيكم خليفتين: كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض»: صحيح. «حم طب»^(٥) فعن زيد بن ثابت. الروض النضير ٩٧٧، ٩٧٨^(٦) وأيضاً: «أيّها الناس قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»: صحيح. «ت»^(٧) عن جابر. الصحيحة (١٧٦١)^(٨).

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها: ج ٤ ص ٣٥٥.

(٢) الإمام الصادق عليه السلام، صدوقٌ فقيهٌ إمام. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ١٦٣).

(٣) الإمام الباقر عليه السلام، ثقةٌ فاضل. (تقريب التهذيب: ج ٢ ص ١١٤).

(٤) صحيح سنن الترمذي للألباني: ج ٣ ص ٥٤٢ ح ٣٧٨٦.

(٥) أي في مسند الإمام ابن حنبل وفي جامع الطبراني الكبير.

(٦) صحيح الجامع الصغير وزيادته: ج ١ ص ٤٨٢ ح ٢٤٥٧.

(٧) أي في سنن الترمذي.

(٨) صحيح الجامع الصغير للألباني: ج ١ ص ٥٣٣ ح ٢٧٤٨.

٩٦ حديث الثقلين سنداً ودلالة

خصائص هذه الصيغة

١. أمر صريح واضح جليّ أنّ اتّباع غير أهل البيت عليهم السلام ضلال، وإنّ اتّباعهم هدى ما بعده ضلال، بدليل قوله صلى الله عليه وآله «لن تضلّوا بعدي» فضلاً عن القرآن.

٢. أهل البيت عليهم السلام هم الحبل الممدود الذي أمرنا بالاعتصام به للنجاة، كما في قوله تعالى ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ (آل عمران ١٠٣).

(٤) رواية الثقلين في تراث أهل البيت عليهم السلام

الرواية الأولى: في كتاب الكافي للكليني^(١)

«عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ^(٢) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى^(٣) عَنْ يُونُسَ^(٤)، وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ^(٥) عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ أَبِي سَعِيدٍ^(٦) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ مُسْكَانٍ^(٧) عَنْ أَبِي بَصِيرٍ^(٨) قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩) فَقَالَ: نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهم السلام. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: فَمَا لَهُ لَمْ يُسَمَّ عَلِيًّا وَأَهْلَ بَيْتِهِ عليهم السلام فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ: قُولُوا لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ

(١) هو الشيخ الأجل قدوة الأنام وملاذ المحذنين العظام ومرّج المذهب في غيبة الإمام عليه السلام، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي الملقب ثقة الإسلام. ألف الكافي الذي هو أجَلُّ الكتب الإسلامية وأعظم المصنّفات الإمامية والذي لم يعمل للإمامية مثله، في عشرين سنة، مات أبو جعفر الكليني عليه السلام ببغداد، سنة ٣٢٩. (ينظر الكنى والألقاب: ج ٣ ص ١٢٢).

(٢) قال النجاشي: «أبو الحسن القمي، ثقة في الحديث ثبت معتمد». (الموسوعة الرجالية الميسرة: ص ٣٠٢).

(٣) ابن عبيد إمامي ثقة جليل. (الموسوعة الرجالية الميسرة: ص ٤٤٢).

(٤) ابن عبد الرحمن إمامي ثقة جليل، من أصحاب الإجماع. (المصدر نفسه: ص ٣٧).

(٥) علان خال الكليني، إمامي ثقة. (الموسوعة الرجالية الميسرة: ص ٣٢٩).

(٦) يكنى أبا سعيد، ثقة رازي. (رجال الطوسي: ص ٣٨٧).

(٧) عبد الله، إمامي ثقة جليل، من أصحاب الإجماع. (الموسوعة الرجالية الميسرة: ص ٢٦؛ معجم رجال الحديث: ج ١ ص ٥٨).

(٨) يحيى بن القاسم الأسدي، إمامي ثقة جليل، من أصحاب الإجماع. (معجم رجال الحديث: ج ٢١ ص ٧٩؛ الموسوعة الرجالية الميسرة: ص ٥٠٣).

نَزَلَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَلَمْ يُسَمَّ اللَّهُ لَهُمْ ثَلَاثًا وَلَا أَرْبَعًا حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِ الرَّكَاعَةُ وَلَمْ يُسَمَّ لَهُمْ مِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا دِرْهَمًا، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ، وَنَزَلَ الْحُجُّ فَلَمْ يَقُلْ لَهُمْ طُوفُوا أَسْبُوعًا حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ، وَنَزَلَتْ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وَنَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَلِيٍّ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، وَقَالَ ﷺ: أَوْصِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَأَهْلِ بَيْتِي فَإِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يَفْرُقَ بَيْنَهُمَا حَتَّى يورِدَهُمَا عَلِيٌّ الْحَوْضَ، فَأَعْطَانِي ذَلِكَ. وَقَالَ: لَا تَعَلَّمُوهُمْ فَهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ، وَقَالَ: إِنَّهُمْ لَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ بَابِ هُدَى، وَلَنْ يُدْخِلُوكُمْ فِي بَابِ ضَلَالَةٍ. فَلَوْ سَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يُبَيِّنْ مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ لَدَعَاها أَلْ فَلَانٍ وَأَلْ فَلَانٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ تَصْدِيقًا لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب ٣٣) فَكَانَ عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَفَاطِمَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَأَدْخَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ الْكِسَاءِ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَهْلًا وَثَقْلًا، وَهُؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَثَقْلِي. فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ إِلى خَيْرٍ وَلَكِنَّ هؤُلَاءِ أَهْلِي وَثَقْلِي»^(١). [الحديث الأول: صحيح بسنده] ^(٢).

الرواية الثانية: أيضا في الكافي

«مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى^(٣) عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ^(٤) عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ^(٥) عَنِ النَّضْرِ

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٨٧ ح ١.

(٢) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ﷺ: ج ٣ ص ٢١٣.

(٣) النجاشي: أبو جعفر العطار القمي، شيخ أصحابنا في زمانه، ثقة، عين. (معجم رجال الحديث: ج ١٩ ص ٣٣).

(٤) ابن عيسى الأشعري الثقة. (الموسوعة الرجالية الميسرة: ص ٥٧٦).

(٥) الأهوازي إمامي ثقة. (الموسوعة الرجالية الميسرة: ص ٥٨٨).

صيغ حديث الثقلين ٩٩

بْنِ سُؤَيْدٍ^(١) عَنْ يَحْيَى الْحَلْبِيِّ^(٢) عَنْ بَرِيدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ^(٣) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ^(٤) عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي خُطْبَةِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ: انْتَفِعُوا بِمَوْعِظَةِ اللَّهِ، وَالزُّمُوا كِتَابَهُ؛ فَإِنَّهُ أَبْلَغُ الْمَوْعِظَةِ وَخَيْرُ الْأُمُورِ فِي الْمَعَادِ عَاقِبَةٌ، وَلَقَدْ اتَّخَذَ اللَّهُ الْحُجَّةَ فَلَا يَهْلِكُ مَنْ هَلَكَ إِلَّا عَنْ بَيْنَةٍ، وَلَا يَحْيَى مَنْ حَيَّ إِلَّا عَنْ بَيْنَةٍ، وَقَدْ بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الَّذِي أُرْسِلَ بِهِ، فَالزُّمُوا وَصِيَّتَهُ وَمَا تَرَكَ فِيكُمْ مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الثَّقَلَيْنِ، كِتَابِ اللَّهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ لَا يَضِلُّ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِمَا وَلَا يَهْتَدِي مَنْ تَرَكَهُمَا^(٥). [الحديث السادس صحيح]^(٦).

الرواية الثالثة: في كتاب الخصال للشيخ الصدوق^(٧)

«حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد^(٨) قال: حدثنا محمد بن

(١) الصيرفي الكوفي، ثقة صحيح الحديث. (رجال النجاشي: ص ٤٢٧).

(٢) ابن عمران الثقة. (الموسوعة الرجالية الميسرة: ص ٥٠٠).

(٣) العجلي من وجوه أصحابنا وفتية أيضاً، له محل عند الأئمة (رجال النجاشي: ص ١١٢).

(٤) الثقفى وجه أصحابنا بالكوفة، فقيه. (رجال النجاشي: ص ٢٢٤).

(٥) الكافي: ج ٣ ص ٤٢٣ ح ٦.

(٦) مرآة العقول: ج ١٥ ص ٣٥٦.

(٧) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، شيخ الحفظة ووجه الطائفة المستحفظة، رئيس المحدثين والصدوق فيما يرويه عن الأئمة الطاهرين عليه السلام، ولد بدعاء مولانا صاحب الأمر ﷺ ونال بذلك عظيم الفضل والفخر، فعمت بركته الأنام وبقيت آثاره ومصنفاته مدى الأيام، له نحو من ثلاثمائة مصنف. قال ابن إدريس في حقه: إنه كان ثقة جليل القدر بصيراً بالأخبار ناقداً للأخبار عالماً بالرجال، وهو أستاذ المفيد محمد بن محمد بن النعمان. وقال العلامة في ترجمته: شيخنا وفتياننا ووجه الطائفة بخراسان، ورد بغداد سنة ٣٥٥ وسمع منه شيوخ الطائفة، وهو حدث السن، كان جليلاً حافظاً للأحاديث، بصيراً بالرجال، ناقداً للأخبار لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه، له نحو من ثلاثمائة مصنف ذكرنا أكثرها في كتابنا الكبير، مات بالري سنة ٣٨١. (الكنى والألقاب: ج ١ ص ٢٢٢).

(٨) ثقة ثقة عين. (رجال النجاشي: ص ٣٨٣).

١٠٠ حديث الثقلين سنداً ودلالة

الحسن الصفار^(١) عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب^(٢)، ويعقوب بن يزيد^(٣) جميعاً، عن محمد بن أبي عمير^(٤)، عن عبد الله بن سنان^(٥)، عن معروف بن خربوذ^(٦)، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة^(٧)، عن حذيفة بن أسيد الغفاري^(٨) قال: لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونحن معه أقبل حتى انتهى إلى الجحفة فأمر أصحابه بالنزول، فنزل القوم منازلهم، ثم نودي بالصلاة فصلّى بأصحابه ركعتين، ثم أقبل بوجهه إليهم فقال لهم: إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنّي ميت وأنكم ميتون، وكأني قد دعيت فأجبت، وإنّي مسؤول عما أرسلت به إليكم، وعمّا خلّفت فيكم من كتاب الله وحجّته، وإنكم مسؤولون، فما أنتم قائلون لربكم؟ قالوا: نقول: قد بلغت ونصحت وجاهدت - فجزاك الله عنّا أفضل الجزاء - ثم قال لهم: أستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله إليكم وأنّ الجنة حقّ وأنّ النار حقّ؟ وأنّ البعث بعد الموت حقّ؟ فقالوا: نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد على ما يقولون، ألا وإنّي أشهدكم أنّي أشهد أنّ الله مولاي، وأنا مولى كلّ مسلم، وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فهل تقرّون لي بذلك، وتشهدون لي به؟ فقالوا: نعم نشهد لك بذلك، فقال: ألا من كنت مولاه فإنّ عليّاً مولاه، وهو

(١) كان وجهاً في أصحابنا القميين ثقة عظيم القدر. (رجال النجاشي: ص ٣٥٤).

(٢) جليل من أصحابنا، عظيم القدر، كثير الرواية، ثقة، عين. (رجال النجاشي: ص ٣٣٤).

وفقيه صالح. (معجم رجال الحديث: ج ١٦ ص ٣٠٧).

(٣) الأنباري: ثقة صدوق. (معجم رجال الحديث: ج ٢١ ص ١٥٦).

(٤) زياد: جليل القدر عظيم المنزلة. (معجم رجال الحديث: ج ١٥ ص ٢٩٠).

(٥) مولى بني هاشم، ثقة من أصحابنا جليل. (رجال النجاشي: ص ٢١٤).

(٦) إمامي، ثقة، من أصحاب الإجماع. (الموسوعة الرجالية الميسرة: ص ٤٦٩).

(٧) عامي ثقة، طريقه صحيح عند الطوسي. (الموسوعة الرجالية الميسرة: ص ٦٥٠).

(٨) صحابي من حواربي الإمام الحسن عليه السلام. (معجم رجال الحديث: ج ٥ ص ٢٢٢).

صيغ حديث الثقلين ١٠١

هذا، ثم أخذ بيد عليّ عليه السلام فرفعها مع يده حتى بدت آباطهما. ثم قال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، إلا وإني فرطكم وأنتم واردون عليّ الحوض، حوضي غداً، وهو حوض عرضه ما بين بصرى وصنعاء، فيه أقداح من فضة عدد نجوم السماء، ألا وإني سألتكم غداً ماذا صنعتم فيما أشهدت الله به عليكم في يومكم هذا إذا وردتم عليّ حوضي، وماذا صنعتم بالثقلين من بعدي، فانظروا كيف تكونون خلفتموني فيهما حين تلقوني؟ قالوا: وما هذان الثقلان يا رسول الله؟ قال: أمّا الثقل الأكبر فكتاب الله عزّ وجلّ، سبب ممدود من الله ومتيّ في أيديكم، طرفه بيد الله والطرف الآخر بأيديكم، فيه علم ما مضى وما بقي إلى أن تقوم الساعة، وأمّا الثقل الأصغر فهو حليف القرآن وهو عليّ بن أبي طالب وعترته عليهم السلام، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(١).

(١) الخصال: ص ٦٧.

(٥) تعدد مناسبات ذكر الحديث وتواتره

توطئة

المتتبع الحريص على إيمانه بأن الرسول ما ينطق عن الهوى، حريٌّ به أن يتساءل عن الظرف المكاني والزماني الذي يولد به حديث ما، للرسول الخاتم ﷺ، ومن أهمّ الأحاديث التي أعتقد أنّها بحاجة أن نقف عند منازلها زماناً ومكاناً: حديث الثقلين الشريف. فاختيار الأوقات الحرجة، مثل آخر أيام مرضه في غرفته ساعة لحوقه بالرفيق الأعلى، والأماكن الحساسة كغدير خم (بعد عودته من حجّة الوداع)، وفي عرفات ويشهد المسلمون على قوله بهذه الأماكن الشريفة وبهذه الطريقة الإعلامية الصارخة المقصودة، بحيث لم يبلغهم بذلك إلا واقفاً، أو على مرتفع، أو من على ناقته القصواء، أليس لهذا مغزى وتوكيد يُنبئ عن عظيم خطرٍ، وجسيم أمرٍ؟ وهذا ما يفسّر استفاضة تواتره، بحيث صار ممّا يتذكره حتى الذين يعانون النسيان، لكبر سنّهم كما في رواية زيد بن أرقم، فلم يتذكر إلا هذا الحديث الشريف.

لذا ترى ابن حجر الهيتمي يقول مدافعاً عن كثرة طرق هذا الحديث وتعدّد أماكن الدعاية له: «ثمّ اعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً، ومرّ له طرقٌ مبسوطة في حادي عشر الشُّبه، وفي بعض تلك الطرق أنّه قال ذلك بحجّة الوداع بعرفة، وفي أخرى أنّه قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أخرى أنّه قال ذلك بغدير خمّ، وفي أخرى أنّه قاله لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف كما مرّ، ولا تنافي؛ إذ لا مانع من أنّه كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها؛

صيغ حديث الثقلين ١٠٣

اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة»^(١).

من العبارة الأنفة لابن حجر الهيتمي نستفيد أنّ تكرار صدور الرواية عن الرسول الخاتم ﷺ بتعدّد ظروف الصدور ، إنّما هو لأهميّة الموضوع ولاهتمام النبي ﷺ :

١. بمضمون الحديث الشريف ومعناه.

٢. بأتمته حفاظاً عليها من الانحراف.

٣. بأن تحفظ الأمة هذا الحديث حتّى يتواتر وينقل جيلاً بعد جيل، كما حفظه الصحابة وسمّوه بحديث الثقلين، مستوعبين معانيه الجليلة، وحتّى ينقلوها إلى التابعين من بعدهم، وهكذا إلى العصور المتأخّرة عن عصر الوحي.

لهذا سأتناول المناسبات التي ذكر فيها الحديث، وطرق تواتره:

أولاً: المناسبات التي ذكر فيها حديث الثقلين

١. في عرفات (حجّة الوداع)

وذلك بحسب رواية جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «رأيت رسول الله ﷺ في حجّته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول: يا أيّها الناس! إنّني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»^(٢).

(١) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي: ص ١٥٠.

(٢) الجامع الصحيح، للترمذي: ج ٦ ص ١٢٤ ح ٣٧٨٦؛ المعجم الكبير، للطبراني: ج ٣ ص ٦٥ ح ٢٦٨٠؛ المسند الجامع: ج ٤ ص ٥٩ ح ٢٤٤٠؛ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي: ج ١٠ ص ٢٦٧ ح ٣٧٩٤؛ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف: ج ٢ ص ٢٧٨ ح ٢٦١٥.

٢. مسجد الخيف^(١)

القندوزي في ينابيع المودة: «في كتاب سليم بن قيس: قال عليّ عليه السلام: إنّ الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم عرفة على ناقته القصواء، وفي مسجد خيف، ويوم الغدير، ويوم قبض، في خطبة على المنبر: أيها الناس إني تركت فيكم الثقلين لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بهما: الأكبر منهما كتاب الله، والأصغر عترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير عهد إلي أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كهاتين - أشار بالسبّابتين - أحدهما أقدم من الآخر، فتمسّكوا بهما لن تضلّوا، ولا تقدّموا منهم، ولا تخلفوا عنهم، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم»^(٢).

٣. غدير خمّ

«... عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، قَالَ: «لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ عَنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَنَزَلَ غَدِيرَ خَمٍّ، أَمَرَ بِدَوْحَاتٍ فُقِّمْنَ، ثُمَّ قَالَ: كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ، فَأَجَبْتُ، إِيَّيْ قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخِرِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَعِترَتِي أَهْلُ بَيْتِي، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ، وَأَنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ، فَقَالَ: مَنْ كُنْتُ وَلِيًّا، فَهَذَا وَلِيُّهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ»

(١) مسجد الخيف أحد مساجد مكة المكرمة، ويقرأ بفتح الخاء وسكون الباء، وسمي الخيف نسبة إلى ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، وهو يقع في خيف بني كنانة في سفح جبل منى الجنوبي بالقرب من الجمرة الصغرى، وتوجد فيه بصفة دائمة أعداد كبيرة من الحجاج في موسم الحج، وهو مصلى الرسول في منى، وقد حدّد مكان صلاة الرسول صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف عند الأحجار التي تقع بين يدي المنارة وهي موضع مصلى النبي، وقد كان هذا المكان معروفاً في القبة التي في وسط المسجد والتي هدّمت عند تجديد المسجد. (ينظر الأماكن الماثورة والمتواترة في مكة، لعبد الوهاب إبراهيم، عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية).

(٢) ينابيع المودة: ج ١ ص ١٠٩ ح ٣١.

صيغ حديث الثقلين ١٠٥

وَالَاهُ، وَعَادٍ مَنْ عَادَاهُ - فَقُلْتُ لِزَيْدٍ: سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: مَا كَانَ فِي الدَّوْحَاتِ أَحَدٌ إِلَّا رَأَهُ بِعَيْنَيْهِ، وَسَمِعَهُ بِأُذُنَيْهِ»^(١).

٤. المسجد النبوي

«وأخرج السيّد أبو الحسين يحيى بن الحسن في كتابه أخبار المدينة عن محمد بن عبد الرحمن بن خلّاد عن جابر بن عبد الله قال: أخذ النبي ﷺ بيد عليّ بن أبي طالب والفضل بن عباس في مرض وفاته فيعتمد عليهما حتى جلس على المنبر وعليه عصابة، فحمد الله وأثنى عليه فقال: أمّا بعد أيّها الناس... قد تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا: كتاب الله... وعترتي أهل بيتي، فلا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، وكونوا إخواناً كما أمركم الله، ثمّ أوصيكم بعترتي وأهل بيتي، ثمّ أوصيكم بهذا الحيّ من الأنصار»^(٢).

٥. حجرة بيته

«وأخرج ابن عقدة: من طريق عروة بن خارجه عن فاطمة الزهراء ع قالت: سمعت أبي ﷺ في مرضه الذي قبض فيه يقول، وقد امتلأت الحجرة من أصحابه: أيّها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً، وقد قدّمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا وإني مخلف فيكم كتاب ربّي عزّ وجلّ، وعترتي أهل بيتي، ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب فقال: هذا عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ، لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض، فأسألكم ما تخلفوني فيهما»^(٣).

(١) السنن الكبرى للنسائي: ج ٧ ص ٣١٠، الحديث ٨٠٩٢؛ خصائص أمير المؤمنين ع له أيضاً: ص ١١٨؛ تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢ ص ٢١٦؛ البداية والنهاية: ج ٥ ص ١٩٩؛ مسند أحمد: ج ٣٢ ص ١٠ ح ١٩٢٦٥؛ المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ١١٨ ح ٤٥٧٦.

(٢) ينابيع المودّة: ج ١ ص ١٢٥ ح ٥٨؛ جواهر العقدين: ص ٢٣٤؛ ذخائر العقبى: ص ٢٢٥.

(٣) ينابيع المودّة: ج ١ ص ١٢٤ ح ٥٦؛ ينظر جواهر العقدين، بنفس اللفظ: ص ٢٤٠.

ثانياً: تواتر حديث الثقلين

بعد هذا البيان السندي لهذا الحديث الشريف وتقصي أهم صورته وأشكاله وصيغته، أقول: من المؤكّد وجود أحاديث لم نذكرها، لأننا لو أردنا ذكر كلّ روايات صيغ الثقلين في كلّ موروث الأمة، لاحتجنا إلى كمّ أكبر من أصل عدد الأوراق التي ننوي أن تتكوّن منها هذه الرسالة، لكن ذكرنا العنوانات، وللباحث والمتتبّع أن يجد من الشواهد والمتابعات في بطون المصادر الكثير ممّا لم أذكره، ولا تخلو هذه النصوص - بهذه الصيغة المشهورة، وهي (كتاب الله وعترتي أهل بيتي) سواء التي ذكرناها أم التي لم نذكرها - أن تكون واحدة من أقسام ثلاثة:

القسم الأوّل: صحيحة، لذاتها.

القسم الثاني: حسنة لذاتها.

القسم الثالث: إمّا صحيحة لغيرها، وإمّا حسنة لغيرها.

نعم، بعضها ضعيفة في نفسها وذاتها، ولكن بالمتابعة يتّضح أنّها صحيحة. وهذا ما أكّده علم من المحقّقين في هذا المجال، وهو العلامة الألباني في لفظ: «يا أيّها الناس! إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي». فبعد أن ينقل المصادر والأسانيد وكلمات الأعلام لهذه الصيغة يقول: «التي هي بذاتها صحيحة أو حسنة فضلاً عن الشواهد والمتابعات».

وسأذكر نصّه على طوله، لما فيه من اختصارٍ وتحريجٍ فنيّ عال:

«يا أيّها الناس! إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا، كتاب الله

وعترتي أهل بيتي». أخرجه الترمذي (ج ٢ ص ٣٠٨) والطبراني (ص ٢٦٨٠)

عن زيد بن الحسن الأنباطي، عن جعفر، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله قال:

(رأيت رسول الله ﷺ في عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعتة

صيغ حديث الثقلين ١٠٧

يقول...) فذكره، وقال: (حديث حسن، غريب من هذا الوجه، وزيد بن الحسن قد روى عنه سعيد بن سليمان وغير واحد من أهل العلم). قلت: قال أبو حاتم: منكر الحديث، وذكره ابن حبان في (الثقات). وقال الحافظ: (ضعيف). قلت: لكن الحديث صحيح، فإن له شاهداً من حديث زيد بن أرقم قال: (قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بئاء يدعى خمناً، بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد، إلا أيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، من استمسك به وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأه ضلّ، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به - فحثّ على كتاب الله ورعّب فيه، ثم قال: - وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي). أخرجه مسلم (ج ٧ ص ١٢٢-١٢٣) والطحاوي في مشكل الآثار (ج ٤ ص ٣٦٨) وأحمد (ج ٤ ص ٣٦٦-٣٦٧) وابن أبي عاصم في السنة (١٥٥٠) و١٥٥١) والطبراني (٥٠٢٦) من طريق يزيد بن حبان التميمي عنه ثم أخرج أحمد (ج ٤ ص ٣٧١) والطبراني (٥٠٤٠) والطحاوي من طريق علي بن ربيعة قال: (لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده، فقلت له: أسمعت رسول الله ﷺ يقول: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي؟ قال: نعم. وإسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح. وله طرق أخرى عند الطبراني (٤٩٦٩ - ٤٩٧١ و ٤٩٨٠ - ٤٩٨٢ و ٥٠٤٠) وبعضها عند الحاكم (ج ٣ ص ١٠٩ و ١٤٨ و ٥٣٣). وصحّح هو والذهبي بعضها.

وشاهد آخر من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: (ج ٤ ص ٣٥٦): (إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي، الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإتھما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض). أخرجه أحمد

١٠٨ حديث الثقلين سنداً ودلالة

(ج ٣ ص ١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩) وابن أبي عاصم (ص ١٥٥٣، ١٥٥٥) والطبراني (٢٦٧٨ - ٢٦٧٩) والديلمي (ج ٢ ص ١، ٤٥). وهو إسناد حسن في الشواهد. وله شواهد أخرى من حديث أبي هريرة عند الدارقطني (ص ٥٢٩) والحاكم (ج ١ ص ٩٣) والخطيب في (الفقيه والمتفقه: ج ١ ص ٥٦). وابن عباس عند الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي. وعمرو بن عوف عند ابن عبد البر في (جامع بيان العلم: ج ٢ ص ٢٤، ١١٠)، وهي وإن كانت مفرداتها لا تخلو من ضعف، فبعضها يقوي بعضها، وخيرها حديث ابن عباس.

ثم وجدت له شاهداً قوياً من حديث عليّ مرفوعاً به. أخرجه الطحاوي في (مشكل الآثار: ج ٢ ص ٣٠٧) من طريق أبي عامر العقدي: حدثنا يزيد بن كثير عن محمد بن عمر بن عليّ عن أبيه عن عليّ مرفوعاً بلفظ: (... كتاب الله بأيديكم، وأهل بيتي). ورجاله ثقات غير يزيد بن كثير فلم أعرفه، وغالب الظن أنه محرف على الطابع أو الناسخ. والله أعلم.

ثم خطر في البال أنه لعله انقلب على أحدهم، وأنّ الصواب كثير بن زيد، ثم تأكّدت من ذلك بعد أن رجعت إلى كتب الرجال، فوجدتهم ذكروه في شيوخ عامر العقديّ، وفي الرواة عن محمد بن عمر بن عليّ، فالحمد لله على توفيقه. ثم ازددت تأكّداً حين رأيته على الصواب عند ابن أبي عاصم (ج ٤ ص ٣٥٧ ح ١٥٥٨).

وشاهد آخر يرويه شريك عن الركين بن الربيع عن القاسم بن حسان عن زيد بن ثابت مرفوعاً به. أخرجه أحمد (ج ٥ ص ١٨١ - ١٨٩) وابن أبي عاصم (١٥٤٨ - ١٥٤٩) والطبراني في (الكبير: ٤٩٢١ - ٤٩٢٣). وهذا إسناد حسن في الشواهد والمتابعات، وقال الهيثمي في (المجمع: ج ١ ص ١٧٠): (رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات!) وقال في موضع آخر (ج ٩ ص ١٦٣): (رواه أحمد، وإسناده جيّد)!

بعد تخرّيج هذا الحديث بزمن بعيد، كُتِبَ عليّ أن أهاجر من دمشق إلى عمان، ثم أن أسافر منها إلى الإمارات العربيّة، أوائل سنة (١٤٠٢ هـ)، فلقيت في (قطر) بعض الأساتذة والدكاترة^(١) الطيبين، فأهدى إليّ أحدهم^(٢) رسالة له مطبوعة في تضعيف هذا الحديث، فلمّا قرأتها تبين لي أنّه حديث عهد بهذه الصناعة، وذلك من ناحيتين ذكرتهما له:

الأولى: أنّه اقتصر في تخرّيجه على بعض المصادر المطبوعة المتداولة، ولذلك قصّر تقصيراً فاحشاً في تحقيق الكلام عليه، وفاته كثير من الطرق والأسانيد التي هي بذاتها صحيحة أو حسنة، فضلاً عن الشواهد والمتابعات، كما يبدو لكلّ ناظر يقابل تخرّيجه بما خرّجته هنا.

الثانية: أنّه لم يلتفت إلى أقوال المصحّحين للحديث من العلماء ولا إلى قاعدتهم التي ذكروها في (مصطلح الحديث): أنّ الحديث الضعيف يتقوّى بكثرة الطرق، فوقع في هذا الخطأ الفادح من تضعيف الحديث الصحيح (ج ٤ ص ٣٥٨).

وكان قد نسي إليّ قبل الالتقاء به وإطلاعي على رسالته أنّ أحد الدكاترة في (الكويت) يضعّف هذا الحديث، وتأكّدت من ذلك حين جاءني خطاب من أحد الإخوة هناك، يستدرك عليّ إيرادي الحديث في (صحيح الجامع الصغير) بالأرقام (٢٤٥٣ و ٢٤٥٤ و ٢٧٤٥ و ٧٧٥٤) لأنّ الدكتور المشار إليه قد ضعّفه، وأنّ هذا استغرب منّي تصحيحه! ويرجو الأخ المشار إليه أن أعيد النظر في تحقيق هذا الحديث، وقد فعلت ذلك احتياطاً، فلعلّه يجد فيه ما

(١) هكذا وردت في نصّ الشيخ الألباني.

(٢) هو الدكتور عليّ بن أحمد السالوس. (ينظر كتابه مع الاثني عشرية في الأصول والفروع: ص ١٢٥).

١١٠ حديث الثقلين سنداً ودلالة

يدلّه على خطأ الدكتور، وخطأه هو في استرواحه واعتماده عليه، وعدم تنبّهه للفرق بين ناشئ في هذا العلم، و متمكّن فيه، وهي غفلةٌ أصابت كثيراً من الناس الذين يتبعون كلّ من كتب في هذا المجال، وليست له قدم راسخة فيه. والله المستعان»^(١).

في النصّ أعلاه للعلامة الألباني، روى الحديث (صحيح أو حسن):

١. عن جابر بن عبد الله الأنصاري.

٢. زيد بن أرقم.

٣. أبو هريرة.

٤. أبو سعيد الخدري.

٥. عبد الله بن عباس.

٦. عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فهؤلاء ستة من الصحابة روى هذا الحديث بأسانيد جياد، فما معنى ذلك؟

الجواب سيّضح من خلال هذا البحث في التواتر.

الحديث المتواتر وحكمه والعدد الذي به يتحقّق التواتر
يقول العلامة العثيمين:

«أ. المتواتر: ما رواه جماعةٌ يستحيل في العادة أن يتواطؤوا على الكذب،

وأسندوه إلى شيء محسوس.

ب. وينقسم المتواتر إلى قسمين: متواتر لفظاً ومعنى، ومتواتر معنى فقط.

فالمتواتر لفظاً ومعنى: ما اتفق الرواة فيه على لفظه ومعناه. مثاله: قوله

صلى الله عليه: (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار). فقد رواه عن النبيّ صلى الله عليه

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج ٤ ص ٣٥٥-٣٦٠ ح ١٧٦١.

صيغ حديث الثقلين ١١١

أكثر من ستين صحابياً، منهم العشرة المبشرون بالجنة، ورواه عن هؤلاء خلق كثير.

والمتواتر معنى: ما اتفق فيه الرواة على معنى كلي، وانفرد كل حديث بلفظه الخاص، مثاله: أحاديث الشفاعة، والمسح على الخفين.

ج. والمتواتر بقسميه يفيد:

١. العلم: وهو: القطع بصحة نسبته إلى من نقل عنه.

٢. العمل بما دل عليه بتصديقه إن كان خبراً، وتطبيقه إن كان طلباً^(١).

يقول ابن حجر العسقلاني: «حكم المتواتر: وهو المفيد للعلم اليقيني - فأخرج النظري، على ما يأتي تقريره - بشروطه التي تقدمت. واليقين: هو الاعتقاد الجازم المطابق، وهذا هو المعتمد أن خبر التواتر يفيد العلم الضروري»^(٢).

من خلال ما سبق عرفنا التواتر، وعرفنا حكمه، فما هو العدد الذي به يتحقق التواتر؟

أهم آراء العلماء ردّاً على هذا السؤال:

١. السيوطي: «إن كل حديث رواه عشرة من الصحابة فهو متواتر عندنا»^(٣).

٢. ابن حزم: «فهؤلاء أربعة من الصحابة، فهو نقل تواتر لا تحل مخالفته»^(٤).

٣. ابن تيمية: «والتواتر لا يشترط له عدد معين، فالخبر الذي رواه الواحد

(١) مصطلح الحديث: ص ١٠.

(٢) نزهة النظر: ج ٤١.

(٣) الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة: ص ٣.

(٤) المحلّ لابن حزم: ج ٩ ص ٧.

١١٢ حديث الثقلين سنداً ودلالة

من الصحابة والاثنان من الصحابة إذا تلقته الأمة بالقبول والتصديق أفاد العلم عند جماهير العلماء»^(١).

إلى هنا أتضح لنا ما التواتر؟ وماذا يفيد التواتر، وبماذا يتحقق التواتر؟

عدد الصحابة أو الصحابيَّات الذين رووا حديث الثقلين

١. السمهودي: «وفي الباب عن زيادة على عشرين من الصحابة رضوان

الله عليهم»^(٢).

٢. ابن حجر الهيتمي: «ثم اعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة

وردت عن نيف وعشرين صحابياً، ومرّ له طرق مبسوطة في حادي عشر

الشُّبه، وفي بعض تلك الطرق: أنّه قال ذلك بحجّة الوداع بعرفة، وفي أخرى:

أنّه قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أخرى: أنّه قال

ذلك بغدير خمّ، وفي أخرى: أنّه قاله لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف

كما مرّ. ولا تنافي؛ إذ لا مانع من أنّه كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها؛

اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة»^(٣).

٣. المناوي: «وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة»^(٤).

رواة حديث الثقلين من الصحابة

ذكر كلّ من السخاوي في (استجلاء ارتقاء الغرف)، والسمهودي في

(جواهر العقدين) بعد أن أوردا حديث الثقلين من حديث زيد بن أرقم، وأبي

سعيد الخدري عن مسلم والترمذي في صحيحيهما، والدارمي، والنسائي،

(١) علم الحديث: ص ٥٨

(٢) جواهر العقدين: ص ٢٣٤.

(٣) الصواعق المحرقة: ص ١٥٠.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير: ج ٣ ص ٢٠.

صيغ حديث الثقلين ١١٣

وأبي يعلى، وابن خزيمة، والطبراني، والحاكم، والضياء المقدسي، أوردوه بالتفصيل عن أكثر من عشرين صحابياً.

أما السخاوي فقد قال بعد إيراد ما تقدّم: «وفي الباب: عن جابر، وخزيمة بن ثابت، وسهل بن سعد، وضميرة، وعامر بن ليلي، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعدي بن حاتم، وعقبة بن عامر، وعلي بن أبي طالب، وأبي ذرّ، وأبي رافع، وأبي شريح الخزاعي، وأبي قدامة الأنصاري، وأبي هريرة، وأبي الهيثم بن التيهان، ورجال من قريش، وأمّ سلمة، وأمّ هاني ابنة أبي طالب...»^(١).

فالحديث متواتر لكونه قد رواه أكثر من عشرين من الصحابة، وعليه يجب القطع بصدوره عن النبي ﷺ، والعمل بما دلّ عليه بتصديقه إن كان خبراً، وتطبيقه إن كان طلباً.

(١) استجلاء ارتقاء الغرف: ص ٣٤٤.

المبحث الثاني

صيغة سنّتي

وفيه توطئة ومطالب

١. طريق صالح بن موسى الطلحي
٢. طريق إسماعيل بن أبي أويس
٣. طريق سيف ابن عمر، وطريق صباح ابن محمّد
٤. طريق كثير بن عبد الله

توطئة

١ . سأتناول في هذا المطلب صيغة (كتاب الله وسنتي):

وبحثنا ليس في صدقيتها أو مشروعيتها، أو أنها تنافي أو لا تنافي صيغة (وعترتي)^(١). إنها بحثنا سندياً هنا لا غير، بمعنى آخر: هل يوجد عندنا حديثٌ صحيح السند، صدر من الرسول الأعظم ﷺ في قبال حديث (كتاب الله وعترتي)، حتى يستطيع أن يكون منافساً له ويكون في عرضه؟

٢ . إذا بحثنا واتضح أنه لا سند له صحيح، فمن حقنا وحق التاريخ أن

يسأل: لماذا الإصرار على إشهاره دون: «وعترتي»؟

٣ . من النقطة السابقة سيتضح من خلال مطالب البحث: أن القوم إمّا

غير أمناء، لكونهم يعلمون ولا يقولون، ولو على نحو التساوي^(٢)، أو أنهم يعلمون ويفهمون ولكنهم لا يبالون^(٣) برأي النبي ﷺ الصحيح الصريح الثابت، المتواتر.

يقول السيد الحيدري: أمّا مقولة نحن نعلم ونطبق أثره من خلال المؤدّة

لا غير! ننتزّل ونسأل: كم مرّة نسمع خطيب المسجد النبويّ أو الحرم المكيّ أو حتى في الاماكن المعتدلة مع التشيع، كالأزهر الشريف أو حتى الأحناف

(١) لا شك أو شبهة عند أيّ مسلم أنه يجب العمل بسنة النبي ﷺ، ولسنا من دعاة مقولة (حسبنا كتاب الله)، وحديث (وعترتي) لا يتنافى مع اتباع السنة، بالعكس هو تأكيد للسنة، بالإضافة التي فيه: هو حصر طريق السنة في العترة، لا سيما عند اختلاف الأمة، وسياتي تفصيل ذلك في مباحث دلالة الحديث الشريف.

(٢) أعني أنهم يشهرون برواية (عترتي) كما (وسنتي).

(٣) بدليل أنها ثابتة في الصحاح ولا يشهرونها.

١١٨ حديث الثقلين سنداً ودلالة

في بغداد وغيرها من مدن العراق الحبيب الذي بين ظهرانيه مذهب أهل البيت عليهم السلام، كم مرة نسمع من على المنابر (إني مخلف فيكم كتاب الله وعترتي) أو حتى في البحوث العقديّة أين الاستشهاد بهذا الحديث المستفيض؟ لا أظنني سمعته ولا مرة واحدة في حياتي.

والغريب أنّهم يقولون العترة هم الأزواج، ومع ذلك لا يشهرون روايته، لأنّهم يعلمون يقيناً أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد سّماهم بحديث الكساء وقال لأمّ سلمة عندما طلبت أن تدخل معهم: إبقى مكانك، أنت على خير، أو إنك من أزواج النبي صلى الله عليه وآله.

وأعتذر لما في هذه المقدمة من مصادرة، لكنني أعتقد أنّها ضروريّة، كمبرّر لتشديدي في بيان طرق حديث (وستي) إزاء صيغة (وعترتي).

نصّ الرواية في موطأ مالك بلاغاً وأسنادها من ابن عبد البرّ

«وَحَدَّثَنِي، عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»^(١).

ونلاحظ أنّه ذكر الحديث بلاغاً بلا إسناد، ولا بن عبد البرّ في كتابه التمهيد على الموطأ تعليق يقول فيه «حديث ثانٍ وثلاثون من البلاغات»: (٢) مالك أنّه بلغه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما كتاب الله وسنة نبيّه».

وهذا أيضاً محفوظ معروف مشهور عن النبي صلى الله عليه وآله عند أهل العلم شهرة يكاد يستغنى بها عن الإسناد، وروي في ذلك من أخبار الآحاد أحاديث من

(١) موطأ مالك: ج ٢ ص ٨٩٩.

(٢) بلاغات مالك ومرسلاته ممّا بلغه عن الرجال الثقات وما أرسله عن نفسه في موطئه ورفعته إلى النبي صلى الله عليه وآله. (التمهيد لابن عبد البرّ: ج ٢٤ ص ١٦١).

أحاديث أبي هريرة وعمرو بن عوف.

(حدّثنا عبد الرحمن بن مروان قال: حدّثنا أحمد بن سليمان البغدادي قال: حدّثنا البغوي قال: حدّثنا داود بن عمرو الضبي قال: حدّثنا صالح بن موسى الطلحي قال: حدّثنا عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني قد خلفت فيكم اثنتين لن تضلّوا بعدهما أبداً كتاب الله وستي».

وحدّثنا عبد الرحمن بن يحيى قال: حدّثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثنا محمد بن إبراهيم الديلي قال: حدّثنا علي بن زيد الفرائضي قال: حدّثنا الحيني عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه».

وذكر أبو عيسى الترمذي قال: حدّثنا عبد بن حميد قال: حدّثنا محمد بن بشر العبدي ويعلى بن عبيد عن الحجاج بن دينار عن أبي غالب عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»^(١) ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصْمُونَ﴾. وهذا لفظ حديث مالك سواء والكتاب والسنة قد هدي من تمسك بهما.^(٢) في الصفحات الآتية سنناقش طرق هذه الرواية التي بحسب التبع لم يُعلم لها سندٌ قبل مالك.

(١) طريق صالح بن موسى الطلحي

حدّثنا عبد الرحمن بن مروان قال: حدّثنا أحمد بن سليمان البغدادي قال: حدّثنا البغوي قال: حدّثنا داود بن عمرو الضبي قال: حدّثنا صالح بن موسى

(١) سنن الترمذي: ج ٥ ص ٥٥.

(٢) التمهيد لابن عبد البر: ج ٢٤ ص ٣٣١.

١٢٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

الطلحي قال: حدّثنا عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني قد خلّفت فيكم اثنتين لن تضلّوا بعدهما أبداً: كتاب الله وسنّتي». في طريق هذه الرواية صالح بن موسى الطلحي.

إجمال أقوال علماء الجرح والتعديل فيه:

١. يحيى بن معين: ليس حديثه بشيء^(١).
٢. الذهبي: وا، ليس بحجّة^(٢).
٣. الدارقطني: قال في السنن: ضعيف، ولا يحتجّ بحديثه^(٣).
٤. البخاري: منكر الحديث^(٤).
٥. النسائي: متروك الحديث^(٥).
٦. أبونعيم الأصبهاني: متروك، يروي المناكير^(٦).
٧. أبو حاتم البستي: لا يجوز الاحتجاج به، يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات حتّى يشهد المستمع لها أمّها معمولة أو مقلوبة، لا يجوز الاحتجاج به^(٧).
٨. أبو حاتم الرازي ذكره في العلل وقال: «ضعيف الحديث»، ومرة: «منكر الحديث جدّاً، كثير المناكير عن الثقات، ليس يعجبني حديثه»^(٨).

(١) تاريخ ابن معين: ج ٣ ص ١٥٦ ح ٦٥٤.

(٢) سير أعلام النبلاء: ج ٨ ص ١٨١.

(٣) سنن الدارقطني: ج ٢ ص ١١٨.

(٤) التاريخ الصغير: ج ٢ ص ١٨٢.

(٥) الضعفاء والمتروكين: ج ١ ص ١٩٤ ح ٢٩٨.

(٦) الضعفاء: ج ١ ص ٩٣ ح ٩٩.

(٧) المجروحين: ج ١ ص ٣٦٩ ح ٤٩١.

(٨) العلل: ج ٣ ص ٣٩٣ ح ٩٥٩.

٩. ابن حجر العسقلاني: متروك^(١).

١٠. أحمد بن حنبل: عن عبد الله (كأنه لم يرضه)^(٢).

هذا هو الطريق المعروف الذي ينقلونه عن أبي هريرة، ولا يوجد سند إلى أبي هريرة غير طريق صالح بن موسى الطلحي^(٣). وهو تالف.

مع ملاحظة: أن أول من نقل هذه الرواية هو البزار في مسنده، وعبارته: «كتاب الله ونسبي». فالمعلق على المسند يذكر (وستتي) بين قوسين ويقول في الحاشية: «في الأصل ليست: وستتي، وإنما هي: ونسبي»^(٤).

ودليل ذلك ما رواه الهيثمي بنفس الطريق عن البزار بلفظ (نسبي)^(٥) وكذا الإمام السهودي^(٦) وأيضاً شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد^(٧)، كل هؤلاء نقلوا الحديث عن البزار بلفظ (ونسبي) علماً أنه لا يوجد طريق آخر للطلحي عن أبي هريرة إلا هذا الطريق كما نوهنا.

(١) تقريب التهذيب: ج ١ ص ٤٣٣.

(٢) العلل: ج ٢ ص ٩١ ح ١٦٥٦.

(٣) وقد ضعفها لهذه العلة بشار عواد معروف في تحقيقه الموطأ: ج ٢ ح ٢٦١٨؛ وشعيب الأرنؤوط في تعليقه على سنن الدارقطني: ج ٥ ص ٣٧١؛ تعليقه على مسند أحمد: ج ٦ ص ٣٦٢، وج ١٧ ص ١٧٤؛ والجرجاني في الكامل: ج ٤ ص ٦٨؛ ومحقق السنن الكبرى للبيهقي: ج ١٠ ص ٢٢٠؛ وسعدي بن حمدان الغامدي في تحقيقه شرح أصول الاعتقاد للألكائي: ج ١ ص ٨٩؛ ومشهور آل سلمان، محقق أعلام الموقعين لابن الجوزي: ج ٤ ص ٨٤ وغيرهم.

(٤) البحر الزخار المعروف بمسند البزار: ج ٥ ص ٨٩٩٢.

(٥) مجمع الفوائد: ص ٩.

(٦) جواهر العقدين: ج ٢٣٩.

(٧) مسند الإمام أحمد، تحقيق الأرنؤوط: ج ١٧ ص ١٧٤.

(٢) طريق إسماعيل بن أبي أويس

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ الشَّعْرَانِيُّ، ثنا جَدِّي، ثنا ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، ثنا أَبِي، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدِ الدِّيَلِيِّ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله خَطَبَ النَّاسَ فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابُ اللَّهِ، وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ»^(١).

ترجم له العسقلاني في مقدمة فتح الباري: «أويس عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، ابن أخت مالك بن أنس، احتج به الشيخان، إلا أنهما لم يكثرا من تخريج حديثه، ولا أخرج له البخاري مما تفرد به سوى حديثين، وأما مسلم فأخرج له أقل مما أخرج له البخاري، وروى له الباقون سوى النسائي، فإنه أطلق القول بضعفه، وروى عن سلمة بن شبيب ما يوجب طرح روايته، واختلف فيه قول ابن معين، فقال مرة: لا بأس به، وقال مرة: ضعيف، وقال مرة: كان يسرق الحديث هو وأبوه، وقال أبو حاتم: محله الصدق، وكان مغفلاً، وقال أحمد بن حنبل: لا بأس به، وقال الدارقطني: لا أختره في الصحيح، قلت: وروينا في مناقب البخاري بسند صحيح: أن إسماعيل أخرج له أصوله وأذن له أن ينتقي منها، وأن يعلم له على ما يحدث به ليحدث به ويعرض عما سواه، وهو مشعر بأن ما أخرج به البخاري عنه هو من صحيح حديثه، لأنه كتب من أصوله. وعلى هذا لا يحتج بشيء من حديثه غير ما في الصحيح، من أجل ما قدح فيه النسائي وغيره إلا إن شاركه فيه غيره فيعتبر فيه»^(٢).

(١) السنن الكبرى: ج ١٠ ص ١١٣.

(٢) مقدمة فتح الباري: ص ٣٨٨.

مجمل الأقوال فيه

١. ابن حجر العسقلاني لا يحتج بشيء من حديثه غير ما في الصحيح من أجل ما قدح فيه النسائي وغيره إلا إن شاركه فيه غيره فيعتبر فيه^(١).
٢. أبو أحمد بن عديّ الجرجاني: روى عن خاله مالك أحاديث غرائب لا يتابعه أحد عليه، وعن سليمان بن بلال وغيرهما من شيوخه^(٢).
٣. الألكاني: كلامهم يؤول إلى أنه ضعيف^(٣).
٤. النسائي: ضعيف^(٤).
٥. الدارقطني: لا أختره في الصحيح^(٥).
٦. الذهبي: محدث، مكث، فيه لين^(٦).
٧. يحيى بن معين: لا بأس به، ومرة: صدوق، ضعيف العقل، ليس بذلك^(٧)، ومرة من طريق معاوية بن صالح: أبو أويس وابنه ضعيفان^(٨)، ومرة: ابن أبي أويس وأبوه يسرقان الحديث^(٩)، ومرة: مخلط، يكذب، ليس بشيء، ومرة من طريق أسامة بن الدقاق: ابن أبي أويس يسوى فلسين^(١٠)، وفي رواية

(١) مقدّمة فتح الباري: ج ٣٨٨.

(٢) الكامل، للجرجاني: ج ١ ص ٣٢٤.

(٣) تهذيب الكمال، للمزي: ج ٣ ص ١٢٨.

(٤) الضعفاء والمتروكين: ج ١ ص ١٥٢ ح ٤٢.

(٥) المغني في الضعفاء، للذهبي: ج ١ ص ١١٩ ح ٦٣٨.

(٦) ميزان الاعتدال: ج ١ ص ٢٢٣.

(٧) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم: ج ٢ ص ١٨١.

(٨) تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ج ٣ ص ١٢٧.

(٩) الكامل في ضعفاء الرجال، للجرجاني: ج ١ ص ٣٢٣.

(١٠) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ج ١ ص ٢٧٢.

١٢٤ حديث الثقلين سنداً ودلالة

ابن محرز، قال: ضعيف، أضعف الناس، لا يجلّ لمسلم أن يحدث عنه بشيء^(١).

(٣) طريق سيف بن عمر وصباح بن محمد

أنا أَبُو طَالِبٍ، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْبَيْضَاوِيِّ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْخَزَّازِ، نَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْمُجَدِّدِ، نَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنِي شُعَيْبٌ هُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ، نَا سَيْفٌ يَعْنِي ابْنَ عُمَرَ، عَنْ أَبَانَ بْنِ إِسْحَاقِ الْأَسَدِيِّ، عَنْ الصَّبَّاحِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْنَا فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوِّفِّي فِيهِ، وَنَحْنُ فِي صَلَاةِ الْعَدَاةِ، فَذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ لِيَتَأَخَّرَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ مَكَانَكَ، وَصَلَّى مَعَ النَّاسِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، حَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّتِي، فَاسْتَنْطِقُوا الْقُرْآنَ بِسُنَّتِي، وَلَا تُعَسِّفُوهُ، فَإِنَّهُ لَنْ تَعْمَى أَبْصَارُكُمْ، وَلَنْ تَزُلَّ أَقْدَامُكُمْ، وَلَنْ تُقْصَرَ أَيْدِيكُمْ مَا أَخَذْتُمْ بِهِمَا»^(٢).

في هذا السند شخصان تكلم فيهما:

الأول: سيف بن عمر

الذي جاء الجرح فيه وبالإجماع هو: سيف بن عمر التميمي البرجمي، ويقال: السعدي، ويقال: الضبي، ويقال: الأسيدي الكوفي، صاحب كتاب الردّة والفتوح^(٣).

مجمّل الأقوال فيه

١. ابن حجر: ضعيف الحديث، صاحب كتاب الردّة عمدة في التاريخ،

(١) الضعفاء الكبير، للحافظ المكي: ج ١ ص ٨٧.

(٢) الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي: ج ١ ص ٩٥.

(٣) تهذيب الكمال: ج ١٢ ص ٣٢٤.

أفحش ابن حبان القول فيه^(١).

٢. الجرجاني: ضعيف، وبعض أحاديثه مشهورة، وعامتها منكرا لم يتابع عليها، وهو إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق^(٢).

٣. العقيلي: لا يتابع على كثير من حديثه^(٣).

٤. أبو حاتم الرازي: متروك الحديث، يشبه حديثه حديث الواقدي^(٤).

٥. أبو حاتم البستي: يروي الموضوعات عن الأثبات، اتهم بالزندقة، قالوا: إنه كان يضع الحديث^(٥).

٦. أبو زرعة الرازي: ذكره في الضعفاء والكذابين والمتروكين، وقال: ضعيف الحديث^(٦).

٧. الحاكم النيسابوري: اتهم بالزندقة، وهو في الرواية ساقط^(٧).

٨. أبو نعيم الأصبهاني: متهم في دينه، مرمي بالزندقة، ساقط الحديث، لا شيء^(٨).

٩. النسائي: ضعيف^(٩).

(١) تقريب التهذيب: ج ١ ص ٤٠٨.

(٢) الكامل: ج ٣ ص ٤٣٦.

(٣) الضعفاء: ج ٢ ص ١٧٥.

(٤) الجرح والتعديل: ج ٤ ص ٢٨٧.

(٥) المجروحين: ج ١ ص ٣٤٥ ح ٤٤٣.

(٦) الضعفاء: ج ٢ ص ٣٢٠.

(٧) تهذيب التهذيب: ج ٤ ص ٢٦٠.

(٨) الضعفاء: ص ٩١.

(٩) الضعفاء والمتروكين: ص ١٨٧.

١٢٦..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

١٠. الدارقطني: ضعيف، متروك، ذكره في الضعفاء والمتروكين^(١).
١١. يحيى بن معين: ضعيف الحديث، ومن رواية أبي جعفر الحضرمي: فليس خيراً منه^(٢).
١٢. أبو داود: ليس بشيء^(٣).
١٣. أبو أحمد بن عدي: بعض أحاديثه مشهورة، وعامتها منكورة، لم يتابع عليها، وهو إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق^(٤).

الثاني: صباح بن محمد

الشخص الثاني الذي تكلم فيه هو صباح بن محمد بن أبي حازم البجلي الأحمسي الكوفي، ابن عمّ أبان بن عبد الله البجلي^(٥).

مجمّل الأقوال فيه

١. ابن حجر: ضعيف، أفرط فيه ابن حبان^(٦).
٢. ابن طاهر: يروي عن الثقات الموضوعات^(٧).
٣. العقيلي: في حديثه وهم، ويرفع الموقوف^(٨).
٤. أبو حاتم البستي: ممن يروي عن الثقات الموضوعات، وهو الذي روى عن مرة، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: استحياوا من الله

(١) الضعفاء والمتروكون، للدارقطني: ص ١٢٨ ت ٤٤.

(٢) الكامل، للجراني: ج ٣ ص ٤٣٥.

(٣) سؤالات أبي عبيد الأجرى: ج ٥ ص ٤٣.

(٤) تهذيب الكمال: ج ١٢ ص ٣٢٦.

(٥) تهذيب الكمال: ج ١٣ ص ١٠٩.

(٦) تقريب التهذيب، لابن حجر: ج ١ ص ٤٣٤.

(٧) معرفة التذكرة: ج ١ ص ٩٩.

(٨) الضعفاء: ج ٢ ص ٢١٣ رقم الترجمة ٧٥٠.

حقّ الحياء^(١) .

٥- الذهبي: رفع حديثين، هما من قول عبد الله^(٢) .

(٤) طريق كثير بن عبد الله

«وحدّثنا عبد الرحمن بن يحيى، قال: حدّثنا أحمد بن سعيد، قال: حدّثنا محمّد بن إبراهيم الديلمي، قال: حدّثنا عليّ بن زيد الفرائضي، قال: حدّثنا الحنيني، عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسول الله: تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما: كتاب الله، وسنة نبيّه»^(٣) .

مجمّل الأقوال فيه:

١. ابن أبي عاصم النبيل: يضعفونه ولا يعبؤون بحديثه^(٤) .
٢. ابن حجر: ضعيف، أفرط من نسبه إلى الكذب^(٥)؛ ضعيف جدّاً^(٦) .
٣. أبو جعفر العقيلي: في الضعفاء^(٧) .
٤. أبو حاتم الرازي: ليس بالمتين^(٨) .
٥. أبو حاتم بن حبان البستي: منكر الحديث جدّاً يروي عن أبيه عن

(١) المجروحين: ج ١ ص ٢٩٩ .

(٢) ميزان الاعتدال: ج ٢ ص ٣٠٦ ح ٣٨٤٨ .

(٣) التمهيد، لابن عبد البر: ج ٢٤ ص ٣٣١ .

(٤) الآحاد والمثاني، ابن أبي عاصم: ج ١ ص ٧٥ .

(٥) تقريب التهذيب: ج ٢ ص ٣٩ .

(٦) المطالب العالية: ج ٢ ص ٥٧ ح ١٥٠٤ .

(٧) الضعفاء: ج ٤ ص ٤ .

(٨) الجرح والتعديل: ج ٧ ص ١٥٤ .

١٢٨ حديث الثقلين سنداً ودلالة

جدّه نسخة موضوعة، لا يحلّ ذكرها في الكتب ولا الرواية عنه، إلا على سبيل التعجّب^(١).

٦. أبو زرعة الرازي: واهي الحديث، ليس بقوي^(٢).

٧. الحاكم النيسابوري: حدّث عن أبيه، عن جدّه نسخة فيها مناكير^(٣).

٨. ابن حنبل: «منكر الحديث، ليس بشيء»؛ قال لأبي خيثمة: «لا تحدّث عنه»^(٤).

٩. النسائي: متروك الحديث؛ ليس بثقة^(٥).

١٠. الدارقطني: متروك^(٦).

١١. عليّ بن المديني: ضعيف^(٧).

١٢. الشافعي: أحد الكذابين، أو هو ركنٌ من أركان الكذب^(٨).

١٣. يحيى بن معين: لا نكتب حديثه، ضعيف الحديث؛ ليس بشيء^(٩).

وهنا انتهينا إلى أن طرق هذا الحديث حوت الطلحي وهو متروك ومنكر وضعيف الحديث، وابن أبي أويس يكذب ولا يساوي فلساً، وسيف بن عمر في الكذابين وزنديق، وصباح بن محمّد يروي عن الثقات الموضوعات، وكثير

(١) المجروحين، لابن حبان ج ٢ ص ٢٢١.

(٢) الجرح والتعديل: ج ٧ ص ١٥٤.

(٣) تهذيب التهذيب، لابن حجر: ج ٨ ص ٣٧٨.

(٤) المصدر نفسه: ج ٨ ص ٣٧٧.

(٥) المصدر نفسه: ج ٨ ص ٣٧٧.

(٦) سوالات السلمى للدارقطني: باب الكاف، ص ٢٩٤.

(٧) سوالات محمّد بن عثمان بن أبي شيبة لعلي بن المديني: ج ١ ص ٩٠.

(٨) المجروحين، لابن حبان البستي: ج ٢ ص ٢٢٢.

(٩) تاريخ ابن معين: ج ٣ ص ٢٣٢.

صيغة وسنتي ١٢٩

بن عبد الله ركن من أركان الكذب، فسقط الحديث من أي اعتبار، وبه نرد من حسنه بتعدد طرقه.

فالمستور^(١) فقط ما يمكن أن يجبر بعضه بعضاً لتعدد طرقه.

يقول العثيمين: «الحسن لغيره: الضعيف إذا تعددت طرقه على وجه يجبر بعضها بعضاً، بحيث لا يكون فيها كذاب، ولا متهم بالكذب»^(٢).

النتيجة في لفظ: «وسنتي»

١. مما تقدم يتضح أن النصوص الواردة بلفظ (سنتي) ضعيفة أو مرسلة. وعلى هذا فلا تكون رواية (وسنتي) حجة، لاسيما في المسائل العقائدية التي لا يكفي فيها الصحيح من الأحاد (على المشهور)^(٣) فضلاً عن الضعيف.

٢. لو سلمنا صحة الرواية، إلا أنها لا تتخطى كونها أخبار آحاد، ومن الواضح: أن الخبر الواحد ولو كان صحيحاً، يسقط عن الاعتبار لو عارضه خبرٌ قطعي، وقد تقدم أن حديث التمسك بالثقلين متواتر في جميع طبقاته، والكتب التي حفلت بالنص الذي ورد فيه (وعترتي) أكثر من أن تُحصى، وطرقه إلى الصحابة كثيرة، ورواته منهم كثيرون جداً، وفيه عدة روايات هي في أعلى درجات الصحة كما شهد بذلك جمعٌ من أعلام المدرستين.

٣. إن رواية (وسنتي) لو صححت، لا تعارض رواية: (وعترتي)؛ وذلك لإمكان الجمع بينهما؛ لأن من سنته ﷺ التمسك بالعترة، الذي ثبتت قطعته، وعلى هذا الأساس يكون حديث (وسنتي) متضمناً للدلالة على

(١) من روى عنه أكثر من واحد ولم يوثق، وإليه الإشارة بلفظ: مستور، أو مجهول الحال. (تقريب التهذيب، للعسقلاني: ج ١ ص ٨).

(٢) مصطلح الحديث: ص ٩.

(٣) ينظر التمهيد، لابن عبد البر: ج ١ ص ٧؛ إرشاد الفحول، للشوكاني: ص ٤٨؛ تعريفات الجرجاني: ص ٩٧.

١٣٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

وجوب التمسك والأخذ بالعترة. لذا قال ابن حجر في صواعقه: «والحاصل: أن الحثّ وقع على التمسك بالكتاب والسنة وبالعلماء بهما من أهل البيت عليهم السلام، ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة»^(١).

٤. لو فرضنا جدلاً استحكام التعارض، فلا بدّ من الرجوع إلى قواعد التعارض، ومن جملتها العرّض على الكتاب، والأخذ بها وافق الكتاب وترك الآخر، ومن الواضح أنّ حديث (وعترتي) موافق للقرآن؛ لتفسير العترة بأهل البيت عليهم السلام في جملة من النصوص الواردة في حديث الثقلين، كما في آية التطهير.

وكما قدمنا فمثل هذه الروايات وهي بهذه الدرجة من الضعف - فهي لا تزيد على كونها من أخبار الأحاد - لا يمكن أن تقف بوجه حديث الثقلين، مع وفر رواياته في كتب السنة، فضلاً عن كتب أتباع مدرسة أهل البيت، وتصحيح الكثير من رواياته، كما سبق بيانه؛ هذا كلّ من حيث البحث السندي. أما من حيث المضمون، فإنّه كيف يمكن أن تكون السنة مرجعاً يطلب إلى المسلمين في جميع عصورهم أن يتمسكوا بها إلى جنب الكتاب، وهي غير مجموعة على عهده صلى الله عليه وآله وفيها الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيّد. والعمل بالعام أو المطلق لا يجوز قبل الفحص عن مخصّصه أو مقيّده^(٢)، لاسيّما إذا علمنا أنّ من طريقته صلى الله عليه وآله في التبليغ الاعتماد على القرائن المنفصلة، فالإرجاع إلى شيءٍ مشتت وغير مدوّن تعجيزٌ للأمة وتضييعٌ للكثير من أحكامها^(٣).

(١) الصواعق المحرقة، للهيتمي: ص ١٥٠.

(٢) ينظر المستصفي من علم الأصول، للغزالي الطوسي: ج ٢ ص ١٥٧.

(٣) ينظر السنة في الشريعة الإسلامية، للسيد محمد تقي الحكيم: ص ٥٩.

المبحث الثالث

مناقشة المضعفين لصيغة (وعترتي)

وفيه مطالب:

١. من المضعفين ابن تيمية
٢. من المضعفين ابن الجوزي
٣. من المضعفين البخاري

(١) من المضعفين ابن تيمية^(١) (ت: ٧٢٨ هـ)

(قال الرافضي^(٢)): «العاشر ما رواه الجمهور من قول النبي ﷺ إني تاركٌ

(١) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي (ت: ٧٢٨ هـ)، قال عنه ابن حجر العسقلاني: «ثم نسب أصحابه إلى الغلو فيه واقتضى له ذلك العجب بنفسه حتى زهى على أبناء جنسه واستشعر أنه مجتهد، فصار يردّ على صغير العلماء وكبيرهم، قديمهم وحديثهم، حتى انتهى إلى عمر فخطأه في شيء، فبلغ ذلك الشيخ إبراهيم الرقي فأنكر عليه، فذهب إليه واعتذر واستغفر، وقال في حقّ عليّ: أخطأ، في سبعة عشر شيئاً... ومنهم (أي من العلماء) من ينسبه إلى النفاق، لقوله في عليّ ما تقدّم، ولقوله: إنه كان مخدولاً حيثما توجه، وأنه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها، وإنما قاتل للرياسة لا للديانة، ولقوله: أنه كان يجب الرياسة، وأن عثمان كان يجب المال، ولقوله أبو بكر أسلم شيخاً يدري ما يقول وعليّ أسلم صبيّاً والصبي لا يصحّ إسلامه على قول». (الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني: ج ١ ص ١٤٤).

وقال ابن حجر الهيتمي: «ابن تيمية عبدٌ خذله الله وأضلّه وأعماه وأصمّه وأذله، وبذلك صرح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي وولده التاج والشيخ الإمام العز بن جماعة وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية، ولم يقصر اعتراضه على متأخري الصوفية بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب كما سيأتي، والحاصل: أن لا يقام لكلامه وزن، بل يرمى في كلّ وعر وحزن، ويعتقد فيه أنه مبتدع ضالّ ومضلّ جاهل غال، عامله الله بعدله وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله... وأخبر عنه بعض السلف أنه ذكر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في مجلس آخر فقال: إن عليّاً أخطأ في أكثر من ثلاثمائة مكان، فيا ليت شعري من أين يحصل لك الصواب إذا أخطأ عليّ بزعمك». (الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيتمي: ص ١٤٤).

(٢) يعني العلامة الحلبي (ت: ٧٢٦ هـ)، «آية الله الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن بن

١٣٤ حديث الثقلين سنداً ودلالة

فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، وقال: أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق. وهذا يدلّ على وجوب التمسّك بقول أهل بيته وعليّ سيّدهم، فيكون واجب الطاعة على الكلّ، فيكون هو الإمام»^(١).

والجواب من وجوه:

أحدها: أنّ لفظ الحديث الذي في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم: «قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بقاء يدعى حمّاً بين مكّة والمدينة فقال: أمّا بعد أيّها الناس إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأجيب ربّي، وإني تارك فيكم ثقلين أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به؛ فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»^(٢).

وهذا اللفظ يدلّ على أنّ الذي أمرنا بالتمسّك به، وجعل المتمسّك به لا يضلّ هو كتاب الله، وهكذا جاء في غير هذا الحديث، كما في صحيح مسلم عن جابر في حجة الوداع «لما خطب يوم عرفة وقال: قد تركت فيكم ما لن تضلّوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون»^(٣). قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء

سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر الحليّ، علامة العالم، وفخر نوع بني آدم، أعظم العلماء شأنًا، وأعلاهم برهانًا، سحاب الفضل الهاطل، وبحر العلم الذي لا يساجل، جمع من العلوم ما تفرّق في الناس وأحاط من الفنون بما لا يحيط به القياس، رئيس علماء الشيعة ومروّج المذهب والشريعة، صنّف في كلّ علم كتبًا، وآتاه الله من كلّ شيء سببًا، قد ملأ الآفاق بمصنّفاته، وعطر الأكوان بتأليفاته، انتهت إليه رئاسة الإمامية في المعقول والمنقول والفروع والأصول». (ينظر الكنى والألقاب للقمي: ج ٢ ص ٤٧٨).

(١) منهاج الكرامة للعلامة الحليّ: ص ١٥٥.

(٢) صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٢٣.

(٣) صحيح مسلم: ج ٤ ص ٤١.

مناقشة المضعفين لصيغة (وعترتي)..... ١٣٥

وينكبها إلى الناس: اللهم اشهد. ثلاث مرّات».

وأما قوله: «وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(١) فهذا رواه الترمذي وقد سئل عنه أحمد بن حنبل فضعفه وضعفه غير واحد من أهل العلم، وقالوا: لا يصح^(٢).

الجواب على ابن تيمية

١. حديث الثقلين أورده جلّ المحدثين - كما تقدّم - فلا أعرف لماذا اقتصر على ذكر اسم الترمذي، ولا أعرف كيف، وأين ضعفه أحمد؟ وقد رواه في مسنده بعدة طرق وألفاظ كما تابعنا.

٢. أما رواية زيد بن أرقم فبحثها من جهتين:

الجهة الأولى: إنّ فهم ابن تيمية للحديث باطل، من حيث إنّ عبارة (فحثّ على كتاب الله ورغب فيه) هي خارج الحديث، وممكن أن تكون من زيادات الراوي (يزيد بن حيّان) الذي لم يكن أميناً، كما سيّضح أو من فهم زيد بن أرقم، وكم من الصحابة اختلفوا في فهمهم لأحاديث الرسول ﷺ! وعليه إذا حذفنا الكلام غير النبويّ في الحديث وأرجعناه إلى أصله ستكون العبارة ما يلي: «أما بعد أيّها الناس إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأجيب ربّي، وإني تارك فيكم ثقلين أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، وأهل بيتي... أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي».

وواضح أنّه عطف من دون فصل، أي: استمسكوا به وبأهل بيتي، وما

(١) سنن الترمذي: ج ٥ ص ٣٢٩.

(٢) منهاج السنّة لابن تيمية: ج ٤ ص ٣٩٥.

١٣٦ حديث الثقلين سنداً ودلالة

المانع من هذا الفهم؟ ويدعمه الشواهد الصحيحة السند وبطرق عديدة كما تقدم.

أمّا عبارة «أذكركم» وتكرارها ثلاثاً فما هي إلا تأكيد، وبيان لأهميّة الأهل، ولا يخفى أنّها إشارة للاختلاف الذي سيحصل في هذا المفهوم من جهة، وما سينال أهل البيت عليهم السلام من بني أمية والنواصب من جهة أخرى^(١).
الجهة الثانية: احتمال وجود تقطيع وبتير في هذه الرواية بلحاظ مجموعة قرائن:

القريئة الأولى: عندما نقارنها برواية الترمذي نجد أنها أتم وأقرب للذائقة وهو الذي أوتي جوامع الكلم^(٢) بخلاف رواية مسلم فكأن النبي صلى الله عليه وآله لم يتمّ كلامه وتنتظر ما بعده، لأنها في مسلم نقلت بالمعنى؛ بدليل قوله: «فحثّ على كتاب الله» وقوله: «فما حدّثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلفوني»، وهما من قول زيد بن ثابت.

(١) يقول ابن كثير: «وهكذا خلفاء بني أمية عدّتهم كعدّة الرافضيّة، ولكن المدة كانت ناقصة عن مائة من السنين خالصة، وكلّهم قد كان ناصبياً إلا الإمام عمر، التقيا معاوية ثمّ ابنه يزيد وابن ابنه معاوية السديد» (البداية والنهاية: ج ١٣ ص ٢٣٤)؛ وقال أبو الثناء: «ما كانوا بنو أمية - غضب الله تعالى عليهم - يجعلونه في أواخر خطبهم من سبّ عليّ كرم الله تعالى وجهه، ولعن كلّ من بغضه وسبّه». (روح المعاني: ج ١٤ ص ٢٢٠)؛ وقال المناوي: «وبالجمله فبنو أمية قابلوا وصية المصطفى صلى الله عليه وآله في أهل بيته وأمتّه بالمخالفة والعقوق، فسفكوا دماءهم، وسبوا نساءهم، وأسروا صغارهم، وخربوا ديارهم، وجحدوا شرفهم وفضلهم، واستباحوا نسلهم وسبيهم وسبّهم، فخالفوا رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيته وقابلوه بنقيض قصده وأمنيته. فإنا خجلهم إذا التقوا بين يديه! ويا فضيحتهم يوم يعرضون عليه!». (فيض القدير: ج ٦ ص ٤٥٩).

(٢) صحيح مسلم: ج ٢ ص ٦٤؛ من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٢٤١.

مناقشة المضعفين لصيغة (وعترتي)..... ١٣٧

القرينة الثانية: أن زيد بن أرقم تعرّض لضغوط من بني أمية، بعدم الرواية في فضائل أهل البيت عليهم السلام، وهذا ما أكده أحمد بن حنبل كما في مسنده: «قال يزيد بن حيان: ثنا زيد بن أرقم في مجلسه ذلك قال: بعث إليّ عبيد الله بن زياد فأتيته فقال^(١): ما أحاديث تحدّثها وترويها عن رسول الله صلى الله عليه وآله لا نجدها في كتاب الله، تحدّث أنّ له حوضاً في الجنة؟!^(٢)».

قال: قد حدّثنا رسول الله صلى الله عليه وآله ووعدناه.

قال: كذبت ولكنك شيخ قد خرفت^(٣).

قال: إنّي قد سمعته أذناي ووعاه قلبي^(٤) من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من

كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من جهنّم. وما كذبت على رسول الله صلى الله عليه وآله»^(٥).

هذه الرواية جاءت في المسند مباشرة بعد رواية الثقلين؛ ولذا نجد شعيب

الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد يقول: «هو موصول بأسناد سابقه»^(٦)

وسابقه: هو رواية الثقلين عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم.

يتساءل السيّد الحيدري: لماذا الإمام مسلم جزأ الرواية مع أنّ السند

واحد؟ فإمّا أنّ السند صحيح، كان ينبغي أن تنقل كلّ الرواية، وإمّا أنّ السند

ضعيف فكان ينبغي أن تترك كلّ الرواية، أهدا هو الإنصاف العلمي والأمانة

العلمية؟

(١) من غير الدنيا، أنّ صحابياً مثل زيد يحقّق معه ابن مرجانه ويدلّه الحقّ من الباطل.

(٢) لا توجد في رواية مسلم أيّ إشارة إلى الحوض، أين الأمانة العلمية؟!.

(٣) رواية مسلم تأكّد ما يريده الاتجاه الأموي، بأنّ زيدا، كبر ونسي وربّما خرف فهو فيها

أكيدا قليل الضبط.

(٤) أين هذا القول من رواية مسلم قد كبرت ونسيت (السيّد الحيدري).

(٥) مسند ابن حنبل: ج ٤ ص ٣٦٧.

(٦) مسند ابن حنبل، بتحقيق الأرنؤوط: ج ٣٢ ص ١٣.

١٣٨ حديث الثقلين سنداً ودلالة

من خلال هذا النص يتّضح: أنّ ابن زياد أرسل إلى زيد بن أرقم يعنّفه ويهدّده (ضمناً) ويهزأ به لروايته حديث الحوض، وأنّ ابن حيّان الذي روى في مسلم لم يذكر الحوض في تلك الرواية، فأين الامانة العلميّة لابن حيّان؟! هذا مع ملاحظة أنّه لا توجد رواية واحدة لزيد عن ابن حيّان في مورد آخر فيها ذكرٌ للحوض، حتّى نقول أنّه قصدها، سوى هذه الروايات التي ذكرت أنّها لن يفترقا حتّى يردا الحوض على النبيّ ﷺ، وهي في غير مسلم. علماً أنّه توجد روايات لزيد، عن غير طريق ابن حيّان فيها ذكرٌ للحوض، كما في مسند أحمد، عن القاسم بن حسنّان، وعن حبيب بن أبي ثابت كما جاء في الترمذي، وعن أبي الطفيل في المستدرک، كما قدمنا. وهذا كلّه يصلح أن يكون قرينةً على وجود التقطيع والبت.

هذا كلّه مع ضميمة أنّ ابن زياد ناصبيّ، لا يعنّف زيداً إلاّ بما يخالف عقيدته، وأكيداً أنّ ذكر أيّ فضيلةٍ من فضائل أهل البيت عليه السلام هي مخالفة لمعتقداته.

القرينة الثالثة: أنّنا لا بد أن نعلم أنّ الواقعة واحدة وليست متعدّدة، كما أنّ الراوي واحد، والواقعة هي غدير خمّ، ولم يتكلّم رسول الله ﷺ في غدير خمّ في عمره إلاّ مرّة واحدة، إذن لا يمكن لأحد أن يقول لعل زيد بن أرقم نقل الرواية عن واقعتين، بل هي حادثة واحدة. والشاهد على ذلك رواية الإمام الطحاوي؛ قال: «زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله ﷺ عن حجة الوداع ونزل بغدير خمّ، أمر بدوحات فقممن، ثمّ قال: كأني دعيت فأجبت»^(١). وهو نفس الذي في صحيح مسلم، فالواقعة واحدة وليست متعدّدة.

(١) شرح مشكل الآثار للطحاوي: ص ١٨.

مناقشة المضعفين لصيغة (وعترتي)..... ١٣٩

يقول السيد كمال الحيدري: أنا لا أتهم الإمام مسلماً، ربّما بعضهم تلاعب بالحديث وحذف ما يشاء وأضاف ما يشاء، سيّما وأنّ مسلماً قد ذكر هذه الرواية في فضائل الإمام عليّ عليه السلام، وبحسب منطوق الرواية هي ليست خاصّة به، بل بأهل البيت عليهم السلام وأكثر من ذلك - بحسب تفاسيرهم - هي في نساء النبي صلى الله عليه وآله أصلاً، وعليّ عليه السلام جاء عرضاً، فربّما يُعْتَدَر لمسلم بأنّه ذكر الرواية كاملةً مع حديث الغدير، وجاء بعده من تلاعب بها.

وتأكيداً لهذا الفهم يقول الألباني: «(من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) ورد من حديث زيد بن أرقم... حديث زيد وله عنه طرق خمس: لما رجع النبي صلى الله عليه وآله من حجّة الوداع ونزل غدیر خمّ، أمر بدوحات فقممن، ثمّ قال: (كأني دعيت فأجبت، وإني تاركٌ فيكم الثقلين: أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض)، ثمّ قال: (إنّ الله مولاي، وأنا وليّ كلّ مؤمن)، ثمّ أخذ بيد عليّ عليه السلام فقال: (من كنت وليّته، فهذا وليّته، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه). أخرجه النسائي (في خصائص عليّ: ص ١٥) والحاكم (ج ٣ ص ١٠٩) وأحمد (ج ١ ص ١١٨) وابن أبي عاصم (١٣٦٥) والطبراني (٤٩٦٩ - ٤٩٧٠) عن سليمان الأعمش قال: حدّثنا حبيب بن أبي ثابت عنه وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. قلت: سكت عنه الذهبي، وهو كما قال لولا أنّ حبيباً كان مدلساً وقد عنعنه، لكنّه لم يتفرّد به»^(١).

يقول السيد الحيدري: خمسة طرق عن زيد كلّها فيها (حديث الثقلين) و(وال من والاه)، لماذا نُسي في صحيح مسلم هذا المقطع؟! هذا سؤال للتأريخ. ما الذي حدث لمثل هذه الروايات حتّى تلاعبوا بها

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها: ج ٤ ص ٣٣٠ ح ١٧٥٠.

١٤٠ حديث الثقلين سنداً ودلالة

بمثل هذه الطريقة الواضحة، وزيد بن أرقم نقل هذا النص وله طرق خمس، صحيحة (كما يقول الحاكم والألباني)، ولكن عندما نأتي نجد إصراراً من الخطّ الأموي على إبعاد أيّ فضيلة عن عليّ عليه السلام، مع التأكيد أنّ هذا النفس اختصّ به ابن تيميّة وأتباعه ومقلّدوه في هذا الزمان (أقصد أتباع محمد بن عبد الوهّاب)، وإلاّ فإنّ كبار علماء المسلمين صرّحوا بأنّ الذي جاء عن زيد بن أرقم هو تلك الصيغة الصحيحة المشهورة - كما قدّمنا - لا الصيغة الواردة في صحيح مسلم.

القريئة الرابعة: أنّ هذه الواقعة بالنصوص الصحيحة لم يسمعها زيد بن أرقم فقط، بل سمعها العشرات، حسب بعض الروايات: ثلاثون، وبعض الروايات: ناس كثير. (جمع عليّ عليه السلام النَّاسِ فِي الرَّحْبَةِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَأَشِدُّ اللَّهُ كُلَّ امْرِيٍّ مُسْلِمٍ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ يَوْمَ غَدِيرِ حُمٍّ مَا سَمِعَ، لَمَّا قَامَ، فَقَامَ ثَلَاثُونَ مِنَ النَّاسِ، وَقَالَ^(١): فَقَامَ نَاسٌ كَثِيرٌ، فَشَهِدُوا حِينَ أَخَذَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: أَتَعْلَمُونَ أَيَّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَهَذَا مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»، قَالَ: فَخَرَجْتُ وَكَأَنَّ فِي نَفْسِي شَيْئاً، فَلَقِيْتُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَمَا تُنْكِرُ؟ قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ ذَلِكَ لَهُ^(٢).

وهذا أيضاً تأكيد بأنّ الواقعة واحدة، وليست متعدّدة.

القريئة الخامسة: في نصّ مسلم: «لَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي، وَقَدَّمَ عَهْدِي، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعْبِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله». أمّا في العبارة التي في مسند

(١) أبو نُعَيْمٍ الرَّائِي.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج ٤: ص ٣٣٠ و ٣٣١؛ مسند ابن حنبل، بتحقيق

الأرنؤوط: ٣٢ ص ٥٦.

مناقشة المضعفين لصيغة (وعترتي)..... ١٤١

أحمد: «فَمَا تُنْكِرُ؟ قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ لَهُ» شتان ما يومي على كورها^(١).

أيها أدق؟ ذاك الذي يقول: (نسيت وكبرت سنّي وقدم عهدي فلا تكلفوني ما لا أعلم)، أم الذي يقول: (سمعتُه أذني ووعاه قلبي)؟ فلذا نجد في نصّ آخر ينقله الطحاوي يقول: (فقلت لزيد سمعته من رسول الله ﷺ - يعني أنّه قال لعليّ ؑ - فقال: ما كان في الدوحات أحد إلاّ رآه بعينه وسمعه بأذنيه).

فلا أعلم كيف يمكن مع كلّ هذا أن نقول: إنّ النصّ الوارد في صحيح مسلم مقدّم على النصّ الوارد عن هؤلاء الأعلام، مع أنّ هذا ينقل عن العشرات وذاك ينقل «كبرت سنّي»!

القريئة السادسة: أنّ هذه الرواية قد وردت بصيغ تقطيعه أخرى مثلاً:
في صحيح ابن حبان: «عن يزيد بن حبان، عن زيد بن أرقم قال: ...
خطبنا فقال: إنّني تاركٌ فيكم كتاب الله هو حبل الله، من اتّبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة»^(٢).

وكذا في مصنّف ابن أبي شيبة: «عن زيد بن حباب، عن زيد بن أرقم قال: ... وإنّه خطبنا فقال: إنّني تاركٌ فيكم كتاب الله هو حبل الله، من اتّبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة»^(٣).

(١) صدّر بيت للأعشى الكبير أعشى قيس، وهو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل، من القصيدة التي قالها في منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل. (نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ١٦٢).

(٢) صحيح ابن حبان: ج ١ ص ٣٣١.

(٣) مصنّف ابن أبي شيبة: ج ٧ ص ١٧٦.

١٤٢ حديث الثقلين سنداً ودلالة

وتقطيعهم في غير رواية ابن حبان «حدثنا زكريا قال: حدثني عطية عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: إني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض»^(١).

علماً أن هذه الرواية عن عطية المتهم (لشيعه) فكيف لا يذكر أهل البيت عليه السلام؟!.

وعلى منواله الخطيب البغدادي: «عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد، أن رسول الله ﷺ قال: يا أيها الناس، إني فرط لكم، وأنتم واردون علي الحوض، وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما: الثقل الأكبر كتاب الله، سبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به، ولا تزلوا ولا تبدلوا»^(٢).

أما النص الكامل فأورده الطبراني أيضاً عن أبي الطفيل عن أسيد الغفاري، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد الغفاري: أن رسول الله ﷺ قال: «أيها الناس، إني فرط لكم، واردون علي الحوض، حوض أعرض ما بين صنعاء وبصرى، فيه عدد التجوم قدحان من فضة، وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟ السبب الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به، ولا تزلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهم لن ينقضيا حتى يردا علي الحوض»^(٣).

القريئة السابعة: رواية مسلم فيها تهافت وتناقض، وأشار إلى هذا التناقض الإمام النووي في شرحه على مسلم، قال: «فهاتان الروايتان

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ج ٧ ص ١٧٧.

(٢) تاريخ بغداد: ج ٩ ص ٤٤٦ ح ٢٨٩٥.

(٣) المعجم الكبير للطبراني: ج ٣ ص ٦٧ ح ٢٦٨٣.

مناقشة المضعفين لصيغة (وعترتي)..... ١٤٣

ظاهرهما التناقض، والمعروف في معظم الروايات في غير مسلم أنه قال: نساؤه لسن من أهل بيته»^(١).

وإليك فارق النصوص المشعر بالتناقض من مصادرها:

المعجم الكبير للطبراني: «عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، قُلْنَا: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ قَالَ: أَلُّ عَلِيٍّ، وَأَلُّ جَعْفَرٍ، وَأَلُّ عَقِيلٍ، وَأَلُّ الْعَبَّاسِ»^(٢)

المعجم الكبير للطبراني: «عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، فَقُلْنَا: مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ نِسَاؤُهُ؟ قَالَ: لَا، إِنَّ الْمَرْأَةَ قَدْ يَكُونُ يَتَزَوَّجُ بِهَا الرَّجُلُ الْعَصْرَ مِنَ الدَّهْرِ، ثُمَّ يُطَلِّقُهَا فَيَرْجِعُ إِلَى أَبِيهَا وَأُمِّهَا، أَهْلُ بَيْتِهِ أَهْلُهُ وَعَصَبَتُهُ الَّذِينَ حُرِّمُوا الصَّدَقَةُ بَعْدَهُ، أَلُّ عَلِيٍّ، وَأَلُّ الْعَبَّاسِ، وَأَلُّ جَعْفَرٍ، وَأَلُّ عَقِيلٍ»^(٣).

صحيح مسلم «حدثني يزيد بن حيان... فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته^(٤)، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقييل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم»^(٥).

فضلاً عما أردنا الاستدلال عليه من وجود التهافت المفهم للتقطيع المتعمد للرواية، يمكن أن تفيد هذه المقارنة أموراً إضافية: أن الروايات كلها من طريق ابن حيان عن زيد، وصحيحة السند كما هو واضح، فما توجيهه إلا التقطيع والحذف (من مقص الرقابة الأموية)، واختلاف الألفاظ واضح

(١) صحيح مسلم بشرح محيي الدين: ج ١٥ ص ١٨٠.

(٢) المعجم الكبير، للطبراني: ج ٥ ص ١٨٢.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) نساؤه من أهل بيته؟! قد يكون هنا استفهام استنكاري وحذف من قبل مقص الرقيب، بدليل استدراكه به (لكن).

(٥) صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٢٣.

١٤٤ حديث الثقلين سنداً ودلالة

وجليّ، ففي الأولى عطفٌ مباشرٌ بين الثقل الأوّل والثاني، وفي الثاني فصلٌ بالاتباع وإلاّ الضلالة، وفي الثالث فصل في الحثّ على التمسّك به، دون الثقل الآخر.

القريّة الثامنة: أنّ بني أميّة لم يتورّعوا عن قتل أئمّة وعلماء أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم أبو عبد الله الحسين عليه السلام، فمن السهل جداً عندهم أن يُقطّعوا حديثاً يدعم الجهة المعادية لهم، ويبيّن ذلك نهى ابن زياد لزيد بن أرقم - كما في حديث مسند أحمد - عن روايته لأحاديث كهذه تحوي مفاهيم كهذه.

(٢) من المضعفين ابن الجوزي^(١)

(أنبأنا عبد الوهاب الأنطاقي قال: أنا محمد بن المظفر قال: أنا أحمد بن محمد العتيقي قال: حدّثنا يوسف بن الدخيل قال: حدّثنا أبو جعفر العقبلي قال: أنا أحمد بن يحيى الحلواني قال: أنا عبد الله بن داهر قال: أنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد قال رسول الله ﷺ: إني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وإنهما لن يزالا جمعاً حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما». قال المصنّف: هذا حديث لا يصحّ. أمّا عطية فقد ضعّفه أحمد ويحيى وغيرهما، وأمّا ابن عبد القدوس قال يحيى: ليس بشيء، رافضيّ خبيث. وأمّا عبد الله بن داهر فقال أحمد ويحيى: ليس بشيء، ما يكتب منه إنسان فيه خير)^(٢).

أقوال العلماء في تصنيفات ابن الجوزي

قال الذهبي بترجمة أبان بن يزيد العطار: «وقد أورده العلامة أبو الفرج ابن الجوزي في الضعفاء ولم يذكر فيه أقوال من وثّقه، وهذا من عيوب كتابه، يسرد الجرح ويسكت عن التوثيق»^(٣).

(١) «الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسّر، شيخ الإسلام، مفخر العراق، جمال الدين أبو الفرج... بن محمد ابن خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي الواعظ صاحب التصانيف، ولد سنة ٥١٩، توفّي ليلة الجمعة بين العشاءين ١٣ رمضان سنة ٥٩٧ في داره بقطفنا». (ينظر سير أعلام النبلاء: ج ٢١ ص ٣٦٥).

(٢) العلل المتناهية لابن الجوزي: ج ١ ص ٢٦٩.

(٣) ميزان الاعتدال: ج ١ ص ١٦.

١٤٦ حديث الثقلين سنداً ودلالة

وبترجمة ابن الجوزي في (تذكرة الحفاظ) عن الموقاني: «وكان كثير الغلط فيما يصنّفه، فإنّه كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره». فأضاف الذهبي: «قلت: له وهم كثير في توأيفه، يدخل عليه الداخل من العجلة والتحوّل إلى مصنّف آخر، ومن أنّ جلّ علمه من كتبٍ وصحفٍ ما مارس فيه أرباب العلم كما ينبغي»^(١).

وقال العسقلاني بترجمة ثمامة بن الأشرس البصري بعد قصّة: «دلّت هذه القصّة على أنّ ابن الجوزي حاطب ليلٍ لا ينتقد ما يحدث به»^(٢).

وقال السيوطي: «قال الذهبي في التاريخ الكبير: لا يوصف ابن الجوزي بالحفظ عندنا باعتبار الصنعة، بل باعتبار كثرة اطلاعه وجمعه»^(٣).

وقال السيوطي في اللآلي: «واعلم أنّه جرت عادة الحفاظ كالحاكم وابن حبّان والعقيلي وغيرهم أنّهم يحكمون على حديثٍ بالبطلان من حيثيّة سندٍ مخصوص، لكون راويه اختلق ذلك السند لذلك المتن، ويكون ذلك المتن معروفاً من وجهٍ آخر، ويذكرون ذلك في ترجمة ذلك الراوي يجرحونه به، فيغترّ ابن الجوزي بذلك ويحكم على المتن بالوضع مطلقاً، ويورده في كتاب الموضوعات، وليس هذا بلائق، وقد عاب عليه الناس ذلك، آخرهم الحفاظ ابن حجر»^(٤).

وقال السيوطي بشرح النووي: «وقد أكثر جامع الموضوعات في نحو مجلّدين، أعني أبا الفرج ابن الجوزي، فذكر في كتابه كثيراً ممّا لا دليل على

(١) تذكرة الحفاظ: ج ٤ ص ١٣٤٧.

(٢) لسان الميزان: ج ٢ ص ٨٣.

(٣) طبقات الحفاظ: ص ٤٨٠.

(٤) اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعية: ج ١ ص ١٠٨.

مناقشة المضعفين لصيغة (وعترتي)..... ١٤٧

وضعه بل هو ضعيف». وأضاف السيوطي: «بل وفيه الحسن بل والصحيح، وأغرب من ذلك أن فيها حديثاً من صحيح مسلم كما سألته. قال الذهبي: ربّما ذكر ابن الجوزي في الموضوعات أحاديث حسناً قويّةً...»^(١).

الجواب على تضعيف ابن الجوزي للحديث

كلام ابن الجوزي باطل؛ إذ:

أولاً: لا يصحّ الاعتراض على الحديث المتواتر بحجّة ضعف بعض طرقه أو رواته، فراجع ما قدّمناه آنفاً من كلام الألباني عندما ردّ من ضعف حديث الثقلين ص ١١٠ من هذا الفصل.

ثانياً: إنّ تضعيف ابن الجوزي لحديث الثقلين ردّ من أكثر من واحد من العلماء نذكر منهم:

١. ابن حجر: «وذكر ابن الجوزي لذلك في العلل المتناهية وهم أو غفلة عن استحضار بقية طرقه»^(٢).

٢. المناوي: «قال الهيثمي: رجاله موثّقون ورواه أيضاً أبو يعلى بسند لا بأس به والحافظ عبد العزيز بن الأخضر، وزاد أنّه قال في حجة الوداع، ووهم من زعم وضعه كابن الجوزي. قال السمهودي: وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة»^(٣).

٣. السمهودي المصري: «ومن العجيب ذكر ابن الجوزي له في العلل المتناهية، فإياك أن تغترّ به، وكأنّه لم يستحضره حيثنّذ إلا من تلك الطرق الواهية ولم يذكر بقية طرقه»^(٤).

(١) تدريب الراوي للسيوطي: ج ١ ص ٢٣٥.

(٢) ينظر الصواعق المحرقة، لابن حجر الهيثمي: ص ١٥٠.

(٣) فيض القدير: ج ٣ ص ٢٠.

(٤) جواهر العقدين للسمهودي: ص ٢٣٢.

١٤٨ حديث الثقلين سنداً ودلالة

٤. الحافظ السخاوي: «وتعجبت من إيراد ابن الجوزي له في العلل المتناهية، بل أعجب من ذلك قوله (إنه حديث لا يصح) مع ما سيأتي من طرقها التي بعضها في صحيح مسلم»^(١).

تضعيفه السند بعطية العوفي

ناقش ابن الجوزي رجال السند وقال: «أما عطية فقد ضعفه أحمد ويحيى وغيرهما، وأما ابن عبد القدوس^(٢) قال يحيى: ليس بشيء، رافضي خبيث. وأما عبد الله بن داهر^(٣) فقال أحمد ويحيى: ليس بشيء، ما يكتب منه إنسان فيه خير»^(٤).

وجوابه: من تكلم في عطية العوفي^(٥) على قسمين:

الأول: قسم أبهم الجرح ولم يفسره. يقول ابن حجر: «فإذا عدل جماعة رجلاً وجرحه أقل عدداً من المعدلين، فإن الذي عليه الجمهور من العلماء أن

(١) استجلاء ارتقاء الغرف: ج ١ ص ٣٣٨ ح ٦٢.

(٢) وثقه البخاري وابن حبان. (مجمع الزوائد: ج ١ ص ١٢٠)، ولو كان ضعيفاً فهو لم ينفرد به، فقد رواه عن الأعمش: محمد بن طلحة بن مصرف الياضي، ومحمد بن فضيل بن غزوان الطيبي، كما لا يخفى على من راجع ما تقدم عن مسند أحمد.

(٣) وهذا جرح مبهم، وهي عبارات لا تشكل تضعيفاً له إلى حد سقوطه واتهامه بالكذب والوضع. ولو تنزلنا أيضاً وسلمنا بقده وسقوط حديثه، فإن الرواية قد أخرجها الترمذي عن الأعمش من غير طريق داهر، وكذا أحمد في المسند.

(٤) العلل المتناهية لابن الجوزي: ج ١ ص ٢٦٩.

(٥) عطية العوفي أحد رجال العلم والحديث، يروي عنه الأعمش وغيره، وروي عنه أخبار كثيرة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الذي تشرف بزيارة الحسين عليه السلام مع جابر الأنصاري الذي يعد من فضائله أنه كان أول من زاره. (الكنى والألقاب: ج ٢ ص ٤٩٠).

مناقشة المضعفين لصيغة (وعترتي)..... ١٤٩

الحكم للجرح والعمل به أولى، وقالت طائفة: الحكم للعدالة، وهو خطأ، قلت: بل الصواب التفصيل، فإن كان الجرح والحالة هذه مفسراً، وإلا عمل بالتعديل^(١).

وأكيداً عطية فيمن اختلف فيه؛ وعليه إذا جاء الجرح مبهماً غير مفسر، ينبغي رده وعدم العمل به، وترك الالتفات إليه، ومن ثم الأخذ بالتعديل الذي جاء في الراوي هو الصحيح، وقد استقر العمل عند المحدثين على هذا. الثاني: قسم آخر ذكر سبب جرحه، وهؤلاء كلامهم في عطية العوفي يرجع إلى ثلاثة أسباب هي:

السبب الأول: تدليسه

كثيرون جرحوا عطية العوفي بسبب روايتهم تدليسه تدليس الشيوخ^(٢). قال ابن حبان: «سمع من أبي سعيد الخدري أحاديث، فلما مات أبو سعيد جعل يجالس الكلبي ويحضر قصصه، فإذا قال الكلبي: قال رسول الله ﷺ كذا، فيحفظه، وكناهه أبو سعيد ويروي عنه، فإذا قيل له: من حدثك بهذا؟ فيقول: حدثني أبو سعيد، فيتوهمون أنه يريد أبو سعيد الخدري، وإنما أراد الكلبي»^(٣).

وقد اعتمد من اتهم عطية العوفي بتدليس الشيوخ على الآتي: «حدثنا عبد الله بن أحمد، سمعت أبي ذكر عطية العوفي فقال: هو ضعيف الحديث، بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير، وكان يكنيه بأبي سعيد فيقول:

(١) ينظر لسان الميزان، لابن حجر: ج ١ ص ١٥.

(٢) هو الإتيان باسم الشيخ، أو كنيته، على خلاف المشهور به، تعمية لأمره، وتوعيراً للوقوف على حاله. (القاموس الفقهي: ص ١٣٢).

(٣) المجروحين، لابن حبان: ج ٢ ص ١٧٦.

١٥٠ حديث الثقلين سنداً ودلالة

قال أبو سعيد: قال أبي: وكان هشيم يضعف حديث عطية^(١).
ونلاحظ: أنّ علّة تضعيف الإمام أحمد لعطية هي حكاية الكلبي، وهي
نفسها سبب كلام هشيم في عطية، وحكى أحمد تضعيف الثوري لعطية بعد
أن أسند البلاغ من طريق الثوري، فحكاية الكلبي هي أصل مستند الثوري
أيضاً في تضعيفه عطية العوفي.

«وهذا الذي اعتمدوا عليه، فيه نظر، لا يصحّ سنده، لأنّ مداره على محمّد
بن السائب الكلبي وحاله معروف، فهو تالف متّهم بالكذب، فالسند الذي
يكون فيه ذلك الرجل لا يُنظر إليه ولا يُعتمد عليه في شيء، ومع ذلك فقد
سارت الركبان بمقولته التالفة وتوارد البعض على حكايتها، والكمال لله تعالى
والمعصوم هو رسوله ﷺ»^(٢).

كلّ الذين ضعّفوا عطية اعتمدوا على هذه الرواية الساقطة لا غير، لأنّهم
لم يذكروا في تضعيفه غيرها، وعليه فإنّ المتأخّر قلّد المتقدّم، وانتهى.
على أنّ ما ذكر من تكنية عطية العوفي للكلبي - إن صحّ - فعله جماعة من
الموثّقين العدول.

قال ابن حبان: «محمّد بن السائب الكلبي كنيته أبو النضر، من أهل
الكوفة، وهو الذي يروي عنه الثوري ومحمّد بن إسحاق ويقولان: حدّثنا أبو
النضر حتّى لا يعرف»^(٣)، علماً أنّ من شيوخ الثوري ومحمّد بن إسحاق، سالم
بن أبي أمية المكنى بأبي النضر، وهو تابعي ثقة، احتجّ به الجماعة^(٤).

(١) الضعفاء، للعقيلي: ج ٣ ص ٣٥٩؛ العلل ومعرفة الرجال: ج ١ ص ١٢٢؛ الجرح

والتعديل: ج ٦ ص ٣٨٣؛ الكامل، لابن عديّ: ج ٥ ص ٢٠٠٧.

(٢) رفع المنارة، لمحمود سعيد ممدوح: ص ١٤٦.

(٣) المجروحين، لابن حبان البستي: ج ٢ ص ٢٥٣.

(٤) ينظر التهذيب: ج ٣ ص ٤٣١.

وكان هشيم بن بشير الواسطي الحافظ الثقة - وهو من المتكلمين في عطية العوفي - يفعل ذلك. قال يحيى بن معين: «لم يلق أبا إسحاق السبيعي وإنما كان يروي عن أبي إسحاق الكوفي، وهو عبد الله بن ميسرة، وكنيته أبو عبد الجليل فكناه هشيم كنية أخرى». وعبد الله بن ميسرة ضعيف^(١).

وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: كان مروان يغير الأسماء يعمي على الناس، كان يحدثنا عن الحكم بن أبي خالد وإنما هو حكم بن ظهير، ومروان هو ابن معاوية الفزاري الثقة الحافظ، والحكم الذي يدلّسه متروك متهم، وابن معين مع ذلك يقول عن مروان ثقة^(٢).

فهؤلاء أربعة من أعيان الحفاظ يدلّسون تدليس الشيوخ عن الضعفاء، فلماذا عطية العوفي تسقط وثاقته بهذا التدليس وغيره لا تسقط؟

السبب الثاني تشييعه

قال الجوزجاني: مائل^(٣)، والجوزجاني كان معروفاً بالنصب مشهوراً به، حتى قال عنه الحافظ في مقدمة اللسان: «الحاذق إذا تأمل ثلب أبي إسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب؛ وذلك لشدة انحرافه في النصب وشهرة أهلها بالتشييع»^(٤)، نقل العقيلي عن سالم المرادي^(٥) أنه قال: «كان عطية

(١) التهذيب: ج ١١ ص ٦٣.

(٢) ينظر المصدر نفسه.

(٣) أحوال الرجال، للجوزجاني: ص ٧٤.

(٤) لسان الميزان، لابن حجر: ج ١ ص ١٦.

(٥) فالمرادى هو ابن عبد الواحد الكوفي، ليس هو من الحفاظ ولا من النقاد الذين يقف المرء عند قولهم في الجرح والتعديل، وهو أيضاً شيعي كعطية العوفي، بل عطية العوفي من مشايخه، فهو بعيد جداً عن نقد عطية العوفي. (رفع المنارة لممدوح: ص ١٥٢).

١٥٢ حديث الثقلين سنداً ودلالة

العوفي رجلاً متشيعاً^(١). وأوردها الذهبي في الميزان^(٢)، وهي كلمة لا تفيد جرحاً البتة، وكذا قول الساجي في عطية العوفي كما في التهذيب ليس بحجة وكان يقدم علياً على الكل^(٣).

على أن الجرح بالتشيع وغيره، مردودٌ لا يلتفت إليه، فالعبرة بصدق الراوي لا بمذهبه، فكم من الرواة الشيعة والنواصب والخوارج وغيرهم قد أخرج حديثهم في الصحيحين وقد استقرّ الأمر على ذلك^(٤) وتشيعه الذي من المفروض أن يحسب له (لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق)^(٥) صار عليه وهو الشديد الولاء لعليّ عليه السلام، قال ابن سعد في الطبقات: «خرج عطية مع ابن الأشعث، فكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم أن يعرضه على سبّ عليّ، فإن لم يفعل فاضربه أربعمئة سوط واحلق لحيته، فاستدعاه فأبى أن يسبّ، فأمضى حكم الحجاج فيه»^(٦).

السبب الثالث: روايته المناكير

قال البخاري: «قال أحمد في حديث عبد الملك: عن عطية عن أبي سعيد

(١) الضعفاء، للعقيلي: ج ٣ ص ٣٥٩.

(٢) ميزان الاعتدال: ج ٣ ص ٧٩.

(٣) التهذيب: ج ٧ ص ٢٢٦.

(٤) «فالتشيع في عرف المتقدمين هو اعتقاد تفضيل علي عليه السلام على عثمان، وأنّ علياً كان مصيباً في حروبه، وأنّ مخالفه مخطئ، مع تقديم الشيخين وتفضيلهما، وربما اعتقد أنّ علياً عليه السلام أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإذا كان معتقد ذلك ورعاً ديناً صادقاً مجتهداً فلا تردّ روايته بهذا، ولا سيما إذا كان غير داعية، وأمّا التشيع في عرف المتأخرين، فهو الرفض المحض، فلا تقبل رواية الرافضي ولا كرامة». (تهذيب التهذيب: ج ١ ص ٨٢).

(٥) صحيح مسلم: ج ١ ص ٦١.

(٦) طبقات ابن سعد: ج ٦ ص ٣٠٤.

مناقشة المضعفين لصيغة (وعترتي)..... ١٥٣

قال النبي ﷺ: (تركتم فيكم الثقلين)، أحاديث الكوفيين هذه مناكير^(١).

ما معنى النكارة؟ المنكر: هو ما رواه الضعيف مخالفاً لما رواه الثقات، وهو مذهب ابن حجر والإمام مسلم وعامة المحدثين، يقول ابن حجر: «الرواية الموصوفون بهذا هم من المتروكين، فعلى هذا رواية المتروك - عند مسلم - تسمى منكراً. وهذا هو المختار»^(٢) قال صاحب القوانين: «ما رواه الثقة مخالفاً لما رواه الأكثر، فإن رواه غير الثقة فهو المنكر»^(٣).

ولا نعلم أين النكارة في حديث الثقلين، إلا إذا قصد أن منظومته العقديّة لا تعي نصوصاً ومفاهيم كهذه، والشيعي لا شك يروي بعض النصوص التي لا يقبلها هو، سيّما وأنّ بعضهم قد ضعّف البخاري من جرّاء اعتقاداته، كما في فتنة خلق القرآن^(٤).

قال ابن حجر: «ضعف عطية إنّما جاء من قبل التشيع ومن قبل التدليس»^(٥).

(١) التاريخ الصغير: ج ١٢٤.

(٢) النكت على كتاب ابن الصلاح، للعسقلاني: ج ٢٧٥.

(٣) قوانين الأصول، للميرزا القمي: ص ٤٨٦.

(٤) سمعت محمّد بن يحيى يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق من جميع جهاته وحيث يتصرّف، فمن لزم هذا استغنى عن اللفظ، وعمّا سواه من الكلام في القرآن، ومن زعم أنّ القرآن مخلوق فقد كفر وخرج عن الإيمان وبانت منه امرأته، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وجعل ماله فيئاً بين المسلمين، ولم يدفن في مقابر المسلمين، ومن وقف وقال: لا أقول مخلوق أو غير مخلوق، فقد ضاهى الكفر، ومن زعم أنّ لفظي بالقرآن مخلوق فهذا مبتدع لا يجالس ولا يكلم، ومن ذهب بعد مجلسنا هذا إلى محمّد بن إسماعيل البخاري فاتهموه، فإنّه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مثل مذهبه. (تاريخ بغداد: ج ٢ ص ٣١).

(٥) نتائج الأفكار، للعسقلاني: ج ١ ص ٢٧١.

التوثيقات لعطيّة العوفي

بعد أن تبين لك حقيقة الجرح الذي جاء في عطية العوفي، وأنه لا يضرّ الرجل ولا يوهن أمره؛ لأنه عند المحاققة جرح لا يلتفت إليه ولا يعمل به، وجب بيان صدق الرجل وعدالته وعمل الأئمة بحديثه واحتجاجهم به في الأحكام وتخريجهم له على الأبواب. فالرجل قد وثقه وعدّله وقبل حديثه جماعة، والحقّ معهم، فمن هؤلاء الموثقين: ابن سعد^(١)، ومن الموثقين: يحيى بن معين^(٢)، ومن الموثقين: ابن شاهين^(٣)، ومن الموثقين: أبو بكر البزار^(٤)، ومن الموثقين: أحمد بن حنبل^(٥). ومن الموثقين ابن خزيمة، فإنه أخرج الحديث في صحيحه: قال البوصيري: «رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق، فهو صحيح عنده»^(٦). ومقتضى تصحيح الحديث توثيق رجاله ومنهم عطية العوفي، ومن الموثقين الإمام أبو عيسى الترمذي، فهو من رجاله وروى له انفراداً، وقال الحافظ الذهبي: ومن الثقات من لم يخرج لهم في الصحيحين خلق منهم من صحّح لهم الترمذي وابن خزيمة، ثم من روى لهم النسائي وابن حبان^(٧).

(١) طبقات ابن سعد: ج ٦ ص ٣٠٤.

(٢) سؤالات الدوري: ج ٢ ص ٤٠٧.

(٣) الثقات، لابن حبان: ج ١٧٢.

(٤) التهذيب، لابن حجر: ج ٧ ص ٢٢٦.

(٥) قال ابن تيمية: «إن القائلين بالجرح والتعديل من علماء الحديث نوعان، منهم من لم يرو

إلا عن ثقة عنده كمالك.. وأحمد بن حنبل..». (شفاء السقام، للسبكي: ص ٧٦).

(٦) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: ج ١ ص ٩٨.

(٧) الموقظة، للذهبي: ص ٨١.

الخلاصة في عطية العوفي رحمته الله

«والحاصل: أن من تكلم فيه فلاجل ما رمي به من التدليس وهو أمر لم يصح البتة، أو التشيع، أو روايته شيئاً تكلم فيه، وقد تبين لك أن هذه الأمور الثلاثة التي تكلم فيه بسببها ليست قاذحة، وقد قال شيخ الفن وطبيب علله الحافظ ابن حجر العسقلاني: ضعف عطية إنما جاء من قبل التشيع ومن قبل التدليس وهو في نفسه صدوق^(١). فالصواب قبول حديثه وعده من الحسن لذاته. فإذا وجدت بعد هذا البيان تضعيفاً لعطية العوفي، فاعلم أنه مخالف للصواب»^(٢).

(١) أمالي الأذكار، للعسقلاني: ج ١ ص ٢٧١.

(٢) رفع المنارة، لممدوح: ص ١٧٥.

(٣) من المضعفين البخاري^(١)

قال البخاري في (التاريخ الصغير) ما نصّه: (قال أحمد في حديث عبد الملك عن عطية عن أبي سعيد: قال النبي ﷺ: «تركتم فيكم الثقلين»: أحاديث الكوفيين هذه مناكير)^(٢).

الجواب: إنّ هذا من غرائب الإمام البخاري، إذ قد ثبت - فيما تقدّم - أنّ الإمام أحمد قد روى هذا الحديث بطرق عديدة وأسانيد سديدة بلغت ستّة طرق في (المسند) عن زيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وأبي سعيد الخدري^(٣). فهذه النسبة إليه غريبة جداً، ولا يمكن توجيهها أو تأويلها بنحو من الأنحاء، ورواية أحمد للحديث في مسنده أكبر حجّة على بطلان هذه الشبهة، إذ لا يصحّ روايته إياه فيه مع إنكاره له، لأنّه يستلزم التدليس والتلبيس، علماً

(١) «أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، صاحب كتاب التاريخ وكتاب الصحيح المشهور، أوثق المحدثين وأقدمهم رتبة عند علماء الجمهور، ذكر ابن خلكان في تاريخه: أنّه رحل في طلب الحديث إلى أكثر محدّثي الأمصار، وكتب بخراسان والجبّال ومدن العراق والحجاز والشام ومصر، وقدم بغداد واجتمع إليه أهلها واعترفوا بفضلها وشهدوا بتفرّده في علم الرواية والدراية. ونقل عنه محمد بن يوسف الفريري أنّه قال: ما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلّا اغتسلت قبل ذلك وصلّيت ركعتين، وقال: صنّفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة خرّجته من ستّائة ألف حديث وجعلته حجّة فيما بيني وبين الله عزّ وجلّ، ولد سنة ١٩٤، وتوفّي ليلة الفطر سنة ٢٥٦». (الكنى والألقاب: ج ٢ ص ٧٢).

(٢) التاريخ الصغير: ج ١ ص ٣٠٣.

(٣) مسند أحمد تحقيق شعيب الأرنؤوط: الأحاديث ١٠٧٩٩ و ١١١٣٥ و ١٨٤٦٤ و ١٨٥٠٨ و ٢٠٥٩٦ و ٢٠٦٦٧.

أنه جد محتاط في ما رواه في مسنده، يقول قاضي القضاة تاج الدين السبكي بترجمة أحمد: «قال لنا حنبل بن إسحاق: جمعنا عمي - يعني الإمام أحمد - لي ولصالح ولعبد الله وقرأ علينا المسند، وما سمعه معنا - يعني تاماً - غيرنا، وقال لنا: إن هذا الكتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفاً، فما اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا إليه، فإن كان فيه وإلا ليس بحجة»^(١).

وقد صحح الألباني الرواية أعلاه فقال: «أسنده الحافظ المدني في الخصائص وابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد من طريقين عن حنبل، فهو ثابت صحيح»^(٢).

وروى الذهبي: «وقال عبد الله بن أحمد: قلت لأبي: لم كرهت وضع الكتب وقد عملت المسند، فقال: عملت هذا الكتاب إماماً إذا اختلف الناس في سنة رسول الله ﷺ رُجع إليه»^(٣).

يقول ابن تيمية: «أحمد له المسند المشهور، وله كتاب مشهور في فضائل الصحابة، روى فيه أحاديث لا يروها في المسند؛ لما فيها من الضعف؛ لكونها لا تصلح أن تروى في المسند؛ لكونها مراسيل أو ضعافاً بغير الإرسال»^(٤).
وأكيداً رواية الثقلين ثابتة في المسند، فأين ضعفها الإمام أحمد بن حنبل؟
مع نكتة أن المسند يحتوي على ثلاثة أنواع من الروايات هي: النوع الأول: هي التي رواها مباشرة أحمد بن حنبل، وهي المعروفة بالمسند. والنوع الثاني:

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ج ٢ ص ٣١.

(٢) الذبُّ الأحمَد، للألباني: ص ١٢.

(٣) سير أعلام النبلاء: ج ١١ ص ٣٢٩.

(٤) منهاج السنة، لابن تيمية: ج ٦ ص ٣٩٩.

١٥٨ حديث الثقلين سنداً ودلالة

الزيادات التي أضافها عبد الله ابنه، النوع الثالث: الزيادات التي أضافها القطيعي نقلاً عن عبد الله.

يقول ابن تيمية: «ثم إن هذا الكتاب زاد فيه ابنه عبد الله زيادات، ثم إن القطيعي الذي رواه عن ابنه عبد الله زاد عن شيوخه زيادات، وفيها أحاديث موضوعة باتفاق أهل المعرفة»^(١) وحديث الثقلين الوارد عند أحمد بطرقه الستة هو من الأصل ولا يوجد قولاً لأحدٍ قالٍ أو موالٍ بأنه من الزيادات.

مميزات مسند أحمد

الدقة، وصحة السند، والاحتياط التام، والمرجع عند الاختلاف! كيف يدخل فيه حديث الثقلين، ويرويه فيه بأكثر من لفظ وطريق، وهو يعتقد أنه من الأحاديث المناكير؟!

أما عطية الذي يعرض البخاري بكوفيته، فقد أسهبنا القول في ردّ تضعيفه - كما تقدّم - فلا داعي للإعادة، وهذا القول خطأ فادحٌ من الإمام البخاري، وتابعه ابن تيمية تقليداً باطلاً، وتعسفاً منه في دفع أدلة ابن المطهر الحليّ بأسانيد الجياد، بدعاوى الهوى والعناد^(٢).

يقول السيد كمال الحيدري: أستطيع أن أقول بضرٍ قاطع: إن لبّ حديث الثقلين إنما هو في هذا المقطع المبارك الصادر عن النبي ﷺ «وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، فعصارة هذا الحديث وزبدته وعموده الفقري إنما هو في هذا المقطع.

(١) منهاج السنة لابن تيمية: ج ٦ ص ٣٩٩.

(٢) لكنّه ردّ - في ردّه - كثيراً من الأحاديث الجياد التي لم يستحضر حالة التصنيف مظاتها، لأنّه كان لا تساعه في الحفظ يتكل على ما في صدره، والإنسان عامد للنسيان، وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي أدته أحياناً إلى تنقيص عليّ. (لسان الميزان: ج ٦ ص ٣٢٠).

من هنا تجدون أنّ الخطّ الأموي - وبالخصوص الشيخ ابن تيمية وأتباعه ومن سار على نهجه - أصروا على تضعيف، وحذف هذا المقطع، وهذا يكشف أنّهم عرفوا أنّ هذا المقطع من حديث الثقلين هو الذي يوجد فيه كلّ المحتوى والخاصة، وتترتب عليه آثار عقديّة إلى يومنا هذا، وتدخّل في صميم الفكر العقدي للإنسان المسلم، وسار على منواله أحد المحققين المعاصرين وهو الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه مسند الإمام أحمد بن حنبل هناك عندما يشير إلى هذا الحديث لا أقلّ في مواضع ثلاثة:

١. بعد أن يقول عن أبي سعيد قال: «قال رسول الله ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» يقول: حديث صحيح بشواهده دون قوله (فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض). وهذا إسناد ضعيف^(١).

٢. بعد أن ينقل الحديث (فانظروا كيف تخلفوني) يقول: «حديث صحيح، وهذا دون قوله... وهذا إسناد ضعيف»^(٢).

٣. بعد أن ينقل (ألا إنهما لن يفترقا) يقول: «صحيح دون قوله: إلا أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٣).

الشيخ شعيب الأرنؤوط معروفٌ بالتحقيق والمراجعة والدقّة، لماذا يقول إنّ هذا الحديث ضعيف؟ مع أنّه يصرّح أنّ هذا الحديث كلّ رجاله هو رجال الشيخين، في الرواية ١١١٣١ وهي عن الأعمش عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ، قال: «إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تاركٌ

(١) مسند ابن حنبل: ج ١٧ ص ١٧٠.

(٢) المصدر السابق: ج ١٧ ص ٢١٢.

(٣) المصدر نفسه: ج ١٧ ص ٣٠٩.

١٦٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

فيكم الثقلين: كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا بما تخلفوني فيهما» وبعد أن ينقل الحديث يقول: «حديثٌ صحيح بشواهده، دون قوله: «وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، وهذا إسناد ضعيف لضعف عطية العوفي، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين»^(١)، إذن لا يوجد في الحديث إشكال إلا عطية.

ويؤكد هذا المعنى في الصفحات (١٧٠ و ٣٠٩ و ٣١٠) من تعليقه على المسند يقول: «هذا إسناد ضعيف لضعف عطية، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين». وعطية العوفي رحمته الله قد بحثنا وثاقته آنفاً، وقد اتضح أنّ تضعيفه في غير محله.

إذن على ما تقدّم يتبيّن لنا بأنّ الموارد الثلاثة التي في مسند أحمد والتي عن عطية العوفي لا يوجد فيها إشكال، إذن الحديث صحيح السند، ولا أقلّ هو حسن، كما قال الإمام ابن كثير^(٢).

في مورد آخر: الرواية: «حدّثنا الأسود بن عامر، حدّثنا شريك عن الركين، عن القاسم بن حسان، عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله: إني تاركٌ فيكم خليفتين؛ كتاب الله حبل ممدود، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض». ثمّ يقول: «حديث صحيح بشواهده دون قوله (وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) وهذا إسناد ضعيف لسوء حفظ شريك»^(٣). إذن السند الأوّل فيه عطية العوفي، والثاني فيه شريك وهو سيّء الحفظ عند شعيب الأرنؤوط.

(١) مسند ابن حنبل: ج ١٧ ص ٢١٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ج ١٠ ص ٤٨٥.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج ٣٥ ص ٤٥٦.

مناقشة المضعفين لصيغة (وعترتي)..... ١٦١

يقول السيد الحيدري: كأن شعيب الأرناؤوط يريد أن يوهم القارئ والمراجع والمحقق، أن هذا الحديث لا يوجد إلا من خلال هذين الطريقتين. والحقيقة ليست كذلك فلا يخلو الأمر:

إما أن شعيب الأرناؤوط غير متتبع لكل الروايات، وهذا نقص أن يدعي التحقيق ولكن لا يتابع. أو أنه يعلم ولكنه يحاول أن يجلب الحقيقة التي ندعيها (بأن هذا المقطع من الأهمية بمكان) فيحاول أصحاب المنهج الأموي التعيم عليه بتضعيفه تارة، وبصرفه عن فحواه أخرى. والحق أنه توجد روايات عن غير هذين الطريقتين، وهي طرق صحيحة لذاتها، وهي:

الرواية الأولى: «حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(١)، ثنا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ الْوَأَسِطِيُّ^(٢)، ثنا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(٣)، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ^(٤)، عَنْ أَبِي الصُّحَى^(٥)، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعَترَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْخَوْضَ»^(٦).

الرواية الثانية: «حَدَّثَنَا مُعَاذُ أَبُو الْمُثَنَّى^(٧)، ثنا عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ^(٨)، ثنا جَرِيرٌ

(١) البغوي: من الثقات. (ابن أبي حاتم: ج ٨ ص ٤٤٧)، وثقة مأمون. (سؤالات السلمى للدارقطني: ص ٢١٤).

(٢) ثقة ثبت. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٢٣٩).

(٣) ثقة ثبت. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٢٥٦).

(٤) ثقة فاضل. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٢٠٣).

(٥) ثقة فاضل. (تقريب التهذيب: ج ٢ ص ١٧٩).

(٦) المعجم الكبير: ج ٥ ص ١٧٠ ح ٤٩٨٠.

(٧) ثقة متقن. (تقريب التهذيب: ج ٢ ص ١٩٣).

(٨) ثقة ثبت إمام أعلم أهل عصره بالحديث وعلله. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ١٩٤).

١٦٢ حديث الثقلين سنداً ودلالة

بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ^(١)، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنِ أَبِي الضُّحَى، عَنِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِترَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ^(٢).

الرواية الثالثة: في (مشكل الآثار) للإمام الطحاوي، وأوردناها في الفصل الأول، المطلب الأول (الثقلين)^(٣).

وأكيداً توجد طرق غير هذه، هي صحيحةٌ لغيرها وحسنة، فضلاً عما ذكرناه من الطرق التي صححها أئمة الفن من بداية نشوئه إلى ساعتنا، ومتابعة أوراق هذه الرسالة تكفينا مؤونة إعادة أسطرها، لكن الذين يعاندون ويصرّون على الطعن في صحّة هذا الحديث، هم فقط أصحاب المنهج الأمويّ الذين ما انفكوا يُنظِّرون ويؤصّلون للنصب المبطن لأهل البيت ﷺ، واليوم وسائل الاتصال ونقل المعلومة جدّ بسيطة ويسيرة، لا عليك سوى أن تدخل شبكة المعلومات وستجدهم بكلّ ما أوتوا من قوّة ينفون أيّ فضيلة خاصّة لأهل البيت ﷺ، ولو حاول أحدٌ حتّى لو كان من أئمة أهل السنّة والجماعة، بأن يتكلّم بلغة أسبقية وأولوية وفضائل أهل البيت ﷺ لا تمهوه مباشرةً بالتشيع إن لم يكن بالرفض، وتوجد أمثلة حيّة، وما زلنا نعيش أدوارها في عصرنا الحاضر^(٤).

(١) ثقة صحيح الكتاب. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ١٥٥).

(٢) المعجم الكبير: ج ٥ ص ١٧٠ ح ٤٩٨٠.

(٣) مشكل الآثار: ج ٥ ص ١٨.

(٤) من هذه الأمثلة العلامة الدكتور أحمد الكبيسي، أو يزاود على سنّيته؟ فلائنه انتقد معاوية شنت عليه الحملات والتهم والسباب. وكذا الدكتور عدنان إبراهيم، وكأنّ معاوية صار مقياس الحقّ والباطل، وكأنّ فيه قال النبي ﷺ: لا يحبّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق.

المبحث الرابع

سند حديثي الكساء والوقوف على بيت فاطمة عليها السلام

لحديث الكساء وحادثة مرور النبي ﷺ ووقوفه على بيت الصديقة الطاهرة الزهراء عليها السلام وتلاوته آية التطهير دون باقي بيوتاته، طرق عديدة ومستفيضة ومشهورة حتى تكاد تكون - إن لم تكن - متواترة. قبل ذكر هذه الطرق يجب أن أبين أن ذكر أسانيد هذه الروايات وتصحيحها في الفصل الأول، من باب المنهجية؛ لأننا قد اعتمدنا أن يكون الفصل الأول مختصاً بالأسانيد، وأن هذه الأحاديث سنحتاجها لمعرفة معنى وتفسير (أهل البيت) و(العترة) الواردة ألفاظها في حديث الثقلين، ولذا وجب علينا تثبيت صحتها لكي نعتمدها في فصل (الدلالة).

وسأقل نص الإمام الطحاوي في كتابه مشكل الآثار؛ لما يحتويه من استدلال لطيف على المراد، من خلال النصوص النبوية الشريفة بروايته، محاولاً (الباحث) التعليق أيضاً لبعض مراده، وتخريجاً للأحاديث التي أوردها بطريقه، عن غيره من أئمة الفن، ولا يخفى أن الطحاوي سيخص آية التطهير بالخمسة دون سواهم، وسيدافع بكل ما أوتي من حجة انتصاراً لمذهبه في هذه المسألة.

قال الطحاوي: (باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ في المراد بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، من هم؟

حدّثنا الربيع المرادي: حدّثنا أسد بن موسى: حدّثنا حاتم بن إسماعيل: حدّثنا بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد، عن أبيه قال: لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام فقال: «اللهم هؤلاء أهلي»^(١). ففي

(١) ينظر سنن النسائي: ج ٥ ص ١٠٧ ح ٨٣٩٩؛ جامع البيان: ج ٢٢ ص ١٠ ح ٢١٧٣٤؛

١٦٦..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

هذا الحديث أن المرادين في هذه الآية هم رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة وحسن وحسين عليهما السلام .

حدّثنا فهد، ثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، عن جعفر بن عبد الرحمن البجلي، عن حكيم بن سعد، عن أمّ سلمة قالت: «نزلت هذه الآية في رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة وحسن وحسين عليهما السلام ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾». ففي هذا الحديث مثل الذي في الأوّل.

حدّثنا أبو أميّة، ثنا خالد بن مخلد القطواني، ثنا موسى بن يعقوب الزمعي، أخبرني ابن هاشم بن عتبة، عن عبد الله بن وهب «عن أمّ سلمة: أنّ رسول الله ﷺ جمع فاطمة والحسن والحسين ثم أدخلهم تحت ثوبه، ثم جأر إلى الله تعالى: رب هؤلاء أهلي. قالت: أمّ سلمة فقلت: يا رسول الله فتدخلني معهم؟ قال: أنت من أهلي»^(١).

ففي هذا الحديث قول رسول الله ﷺ لأمّ سلمة جواباً منه لها - عند قولها له: تدخلني معهم -: أنت من أهلي. فكان ذلك ممّا قد يجوز أن يكون أراد به أنّها من أهله لأنّها من أزواجه وأزواجه أهله، كما قال في حديث الإفك الذي قد حدّثنا يونس، ثنا ابن معبد، ثنا عبيد الله بن عمرو، عن إسحاق بن راشد، عن الزهري، عن عروة وسعيد وعلقمة وعبيد الله عن عائشة: أنّ رسول الله ﷺ في حديث الإفك قام على المنبر، فاستعذر من عبد الله بن أبيّ، فقال: «يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهلي، والله ما علمت

المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ١٤٧ ح ٤٧٠٨؛ المتفق والمفترق: ج ١ ص ٥٤٨

ح ٢٩٩؛ تاریخ ابن عساکر، ترجمة الإمام علي عليه السلام: ج ١ ص ٢١٠ ح ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤.

(١) جامع البيان: ج ٢٢ ص ١٢ ح ٢١٧٣٥؛ المعجم الكبير: ج ٣ ص ٥٣ ح ٢٦٦٣.

سند حديثي الكساء والوقوف على بيت فاطمة عليها السلام..... ١٦٧
على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت منه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي
إلا معي»^(١).

فكان قوله: «من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي» يعني: في زوجته
التي كان أذاه فيها، فكان في ذلك ما قد دلّ على أنّ الزوجة تسمى بهذا الاسم،
فيحتمل أن يكون قوله لأمّ سلمة: «أنت من أهلي» من هذا المعنى أيضاً؛ أنّها من
أهل الآية المتلوّة في هذا الباب^(٢).

ومما يدلّ على ذلك ما قد حدّثنا الحسين بن الحكم الحبري الكوفي، حدّثنا
نحوّل بن نحوّل بن راشد الحنّاط، حدّثنا عبد الجبار بن عبّاس الشبامي، عن
عمّار الدهني، عن عمرة بنت أفعى، عن أمّ سلمة قالت: «نزلت هذه الآية في
بيتي ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، يعني
في سبعة: جبرائيل وميكائيل ورسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين ﷺ
وأنا على باب البيت، فقلت: يا رسول الله، ألسنت من أهل البيت؟ قال: إنّك
من أزواج النبي ﷺ، وما قال: إنّك من أهل البيت»^(٣).

وما قد حدّثنا الحسين أيضاً، حدّثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل، حدّثنا
جعفر الأحمر، عن الأجلح، عن شهر بن حوشب، عن أمّ سلمة وعبد الملك
عن عطاء عن أمّ سلمة قالت: «جاءت فاطمة بطعام لها إلى أبيها وهو على
منازله، فقال: أي بنية اتّنيني بأولادي وابني، وابن عمك. قالت: ثمّ جلّ لهم، أو

(١) بهذا اللفظ رواه البخاري: ج ٣ ص ١٥٦ و ج ٥ ص ٦٨ و ج ٨ ص ١٦٣؛ سنن النسائي:
ج ٥ ص ٢٨٩ و ج ٦ ص ٤١٧؛ مسند أبي يعلى: ج ٨ ص ٣٢٨؛ صحيح ابن حبان: ج ١٦
ص ١٧؛ المعجم الكبير للطبراني: ج ٢٣ ص ٦٤؛ ورواه في مسند الشاميين.

(٢) أي: في باب حديث الإفك.

(٣) ينظر: معجم الشيوخ: ج ٢ ص ٧٤٣ ح ١٥٠٥؛ الكامل: ج ٤ ص ٢٤٠ ح ٣٥ و ج ٧
ص ١٧ ح ٤٧٨؛ تاريخ ابن عساكر: ج ١٤ ص ١٤٤ ح ٣٤٥٥.

١٦٨ حديث الثقلين سنداً ودلالة

قالت: حوى عليهم الكساء، فقال: هؤلاء أهل بيتي وحامتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قالت أم سلمة: يا رسول الله، وأنا معهم؟ قال: أنت من أزواج النبي ﷺ وأنت على خير، أو إلى خير^(١).

وما قد حدثنا أبو أمية، حدثنا بكر بن يحيى بن زبان، حدثنا مندل، عن أبي الجحاف، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة قالت: «كان النبي ﷺ في بيتي فجاءته فاطمة عليها السلام بخزيرة، فقال: ادعي لي بعلك. فدعته، وابنيها، فجاء بكساء فحفهم به ثم أخذ طرفه بيده ثم رفع يديه فقال: اللهم إن هؤلاء ذريتي وأهل بيتي فأذهب الرجس عنهم وطهرهم تطهيراً. قالت: فرفعت الكساء وأدخلت رأسي فيه، فقلت: أنا يا رسول الله؟ قال: إنك على خير^(٢).

حدثنا فهد، حدثنا أبو غسان، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية عن أبي سعيد، عن أم سلمة، قالت: «نزلت هذه الآية في بيتي ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، فقلت: يا رسول الله ألسنت من أهل البيت؟ فقال: أنت على خير، إنك من أزواج النبي ﷺ وفي البيت عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين^(٣).

وما قد حدثنا ابن مرزوق، حدثنا روح بن أسلم، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة: «أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: اثني بزوجك وابنيك. فجاءت بهم، فألقى عليهم كساء فدكياً، ثم وضع يده عليهم، ثم قال: اللهم إن هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتك وبركاتك على

(١) مسند أحمد: ج ٦ ص ٢٩٢؛ المعجم الكبير: ج ٣ ص ٥٤ ح ٢٦٦٨؛ تاريخ ابن عساکر: ج ١٣ ص ٢٠٥ ح ٣١٨٦؛ وينظر السعدي في أحاديث الزهري: ص ٤٦٢ ح ٤٠٣.

(٢) انفرد بهذا الطريق الطحاوي.

(٣) ينظر الفوائد الشهرية بالغيلانيات: ج ١ ص ٢٦٥؛ الأربعين في مناقب أمتهات المؤمنين، لابن عساکر: ج ١ ص ١٠٦؛ تاريخ ابن خيثة: ج ٢ ح ١٦٦٠.

سند حديثي الكساء والوقوف على بيت فاطمة عليها السلام..... ١٦٩
آل محمد إنك حميد مجيد. قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم، فجبذه رسول الله ﷺ وقال: إنك على خير»^(١).

وما قد حدثنا سليمان الكيساني، حدثنا عبد الرحمن بن زياد، وما قد حدثنا الربيع المرادي، حدثنا أسد بن موسى قالوا: حدثنا عبد الحميد بن بهرام، حدثنا شهر قال: «سمعت أم سلمة حين جاء نعي الحسين بن عليّ، فقالت: قتلوه قتلهم الله، وغرّوه وذلّوه لعنهم الله، فإنّي رأيت رسول الله ﷺ وجاءته فاطمة غديّة بريمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها في طبق لها، حتّى وضعتها بين يديه، فقال لها: أين ابن عمك؟ فقالت: هو في البيت، قال: اذهبي فادعيه وائتيني بابنيك، وقالت: فجاءت تقود ابنيها كلّ واحد منهما وعليّ في أثرهم يمشي، حتّى دخلوا على رسول الله ﷺ فأجلسها في حجره، وجلس عليّ على يمينه وجلست فاطمة على يساره. قالت: أم سلمة: فاجتبد من تحتي كساء حبيراً كان بساطاً لنا على المنامة بالمدينة، فلّفه رسول الله ﷺ عليهم جميعاً، فأخذ بشاله طرفي الكساء، وألوى بيده اليمنى إلى ربّه عزّ وجلّ، فقال اللهمّ أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ثلاث مرار. قالت: قلت يا رسول الله ألسنت من أهلك؟ قال: بلى. قال: فادخلي في الكساء، قالت: فدخلت بعدما قضى دعاه لابن عمّه عليّ وابنيه وابنته فاطمة ؓ»^(٢).

وما قد حدثنا إبراهيم بن أحمد بن مروان الواسطي أبو إسحاق، حدثنا محمد بن أبان الواسطي، حدثنا محمد بن سليمان بن الأصبهاني، عن يحيى بن

(١) ينظر مسند أحمد: ج ٦ ص ٣٢٣؛ فضائل الصحابة: ج ٢؛ المعجم الكبير: ج ٣ ص ٥٣ ح ٢٦٦٤؛ وج ٢٣ ص ٣٣٦ ح ٧٧٩؛ تاريخ ابن عساکر: ج ١٣ ص ٢٠٣ ح ٣١٨٢ وج ١٤ ص ١٤١ ح ٣٤٥٠؛ مسند أبي يعلى: ج ٦ ص ٢٩٢ ح ٦٩٩١.

(٢) بنفس الطريق خرّجه أحمد في مسنده: ج ٦ ص ٢٩٨؛ وفي فضائل الصحابة: ج ٢ ص ٨٥٣؛ الأمالي الخميسية للجرجاني: ج ١ ص ٢٦٤.

١٧٠ حديث الثقلين سنداً ودلالة

عبيد المكي، عن عطاء بن أبي رباح، عن عمر بن أبي سلمة قال: «نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ قالت: فدعا النبي ﷺ الحسن والحسين وفاطمة فأجلسهم بين يديه، ودعا علياً فأجلسه خلف ظهره، ثم جللهم جميعاً بالكساء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قالت أم سلمة: اللهم اجعلني منهم. قال: أنت مكانك، وأنت على خير»^(١).

وما قد حدثنا فهد، حدثنا سعيد بن كثير بن عفير، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن عمرة الهمدانية قالت: «أتيت أم سلمة فسلمت عليها فقالت: من أنت؟ فقلت: عمرة الهمدانية... يا أم المؤمنين أخبريني عن هذا الرجل الذي قُتل بين أظهرنا، فمحب ومبغض! - تريد علي بن أبي طالب - قالت أم سلمة: أتحببته أم تبغضينه؟ قالت: ما أحبه ولا أبغضه. فقالت: أنزل الله هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وما في البيت إلا جبريل ورسول الله ﷺ وعلي وفاطمة وحسن وحسين عليهما السلام، فقلت: يا رسول الله أنا من أهل البيت؟ فقال: إن لك عند الله خيراً، فوددت أنه قال نعم، فكان أحب إلي مما تطلع عليه الشمس وتغرب»^(٢).

فدل ما روينا في هذه الآثار مما كان منه ﷺ إلى أم سلمة مما ذكر فيها، لم يرد به أنها كانت ممن أريد به مما في الآية المتلوّة في هذا الباب، وأن المرادين بما فيها هم: رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة وحسن وحسين عليهما السلام دون من سواهم. ومما يدل على مراد رسول الله ﷺ بقوله لأم سلمة فيما روي في هذه

(١) ينظر الجامع الصحيح: ج ٥ ص ١٤١ ح ٣٢١٦؛ ج ٥ ص ٤٣٣ ح ٣٨١٢.

(٢) الشريعة للأجري: ص ٦٠١ ح ١٥٧٨.

سند حديثي الكساء والوقوف على بيت فاطمة عليها السلام..... ١٧١

الآثار من قوله لها: «أنت من أهلي» ما قد حدثنا محمد بن الحجاج الحضرمي وسليمان الكيساني قالا: حدثنا بشر بن بكر البجلي، عن الأوزاعي، أخبرني أبو عمّار، حدّثني واثلة قال: «أتيت علياً فلم أجده، فقالت فاطمة: انطلق إلى رسول الله ﷺ يدعوه، قال: فجاء مع رسول الله ﷺ فدخلنا، ودخلتُ معها، فدعا رسول الله ﷺ الحسن والحسين، فأقعد كل واحد منهما على فخذه وأدنى فاطمة من حجره وزوجها، ثم لفّ عليهم ثوباً وأنا منتبذ، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ثم قال: اللَّهُمَّ هؤُلاءِ أَهْلِي إِنَّهُمْ أَهْلُ حَقِّ، فقلت يا رسول الله: وأنا من أهلك؟ قال: وأنت من أهلي. قال واثلة: فاتّها من أرحى ما أرحو^(١).

وواثلة أبعد منه ﷺ من أم سلمة منه، لأنّه إنّما هو رجلٌ من بني ليث ليس من قريش وأمّ سلمة موضعها من قريش موضعها الذي هي به منه، فكان قوله لواثلة: «أنت من أهلي» على معنى: لا تباغك إياي، وإيمانك بي، فدخلت بذلك في جمعتي، وقد وجدنا الله تعالى قد ذكر في كتابه ما يدلّ على هذا المعنى بقوله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ (هود: ٤٥)، فأجابته في ذلك بأن قال له: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (هود: ٤٦)، فكما جاز أن يخرج من أهله وإن كان ابنه؛ لخلافه إياه في دينه، جاز أن يدخل في أهله من يوافقه على دينه وإن لم يكن من ذوي نسبه، فمثل ذلك أيضاً

(١) ينظر مصنّف ابن أبي شيبة: ج ٦ ص ٣٧٣ ح ٢٠٩٤؛ مسند أحمد: ج ٤ ص ١٠٧؛ مسند أبي يعلى الموصلي: ج ٢ ص ٤٨٩ ح ٧٤٤٨؛ جامع البيان لابن جرير: ج ٢٢ ص ١٠ ح ٢١٧٣٢؛ ج ٢٢ ص ١٠ ح ٢١٧٣٣؛ صحيح ابن حبان: ص ٩ ح ٢٢٤٥؛ المعجم الكبير للطبراني: ج ٣ ص ٥٥ ح ٢٦٦٩ و ٢٦٧٠؛ مستدرک الحاكم: ج ٢ ص ٤١٦؛ السنن الكبرى للبيهقي: ج ٢ ص ١٥٢؛ تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤ ص ١٤٧ ح ٣٤٦٠؛ ج ١٤ ص ١٤٧ ح ٣٤٦١.

١٧٢ حديث الثقلين سنداً ودلالة

ما كان من رسول الله ﷺ جواباً لأم سلمة: أنت من أهلي، يحتمل أن يكون على هذا المعنى أيضاً وأن يكون قوله لها ذلك، كقوله مثله لوائلة.

وحديث سعد وما قد ذكرناه معه من الأحاديث في أول هذا الباب معقول بها من أهل الآية المتلوّة فيها لأنّها قد أحطنا علماً أنّ رسول الله ﷺ لما دعا من دعا من أهله عند نزولها لم يبق من أهلها المرادين فيها أحداً سواهم. وإذا كان ذلك كذلك، استحال أن يدخل معهم فيما أريدت به سواهم وفيما ذكرنا من ذلك بيان ما وصفنا.

فإن قال قائل: فإنّ كتاب الله تعالى يدلّ على أن أزواج النبي ﷺ هم المقصودون بتلك الآية، لأنّه قال قبلها في السورة التي هي فيها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ...﴾ إلى قوله: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ... الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ فكان ذلك كلّه يُردن به، لأنّه على خطاب النساء لا على خطاب الرجال، ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

فكان جوابنا له: أنّ الذي تلاه إلى آخر ما قبل قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ خطاباً لأزواجه، ثمّ أعقب ذلك بخطابه لأهله، بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ﴾، فجاء على خطاب الرجال لأنّه قال فيه ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، وهكذا خطاب الرجال، وما قبله فجاء به بالنون، وكذلك خطاب النساء.

فعقلنا: أنّ قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ خطابٌ لمن أرادته من الرجال بذلك، ليعلمهم تشريفه لهم، ورفعته لمقدارهم، أنّ جعل نساءهم من قد وصفه لما وصفه به ممّا في الآيات المتلوّات قبل الذي خاطبهم به تعالى.

وما دلّ على ذلك أيضاً: ما قد حدّثنا ابن مرزوق، حدّثنا روح بن عبادة، ثنا حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد، عن أنس «أنّ رسول الله ﷺ كان إذا

سند حديثي الكساء والوقوف على بيت فاطمة عليها السلام..... ١٧٣

خرج لصلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

وما قد حدثنا ابن مرزوق، ثنا أبو عاصم النبيل، عن عبادة، قال أبو جعفر، وهو ابن مسلم الفزاري، من أهل الكوفة، قد روى عنه أبو نعيم قال: حدثني أبو داود، قال أبو جعفر، وهو نفيح الهمداني الأعمى من أهل الكوفة أيضاً قال حدثني أبو الحمراء قال: «صحبت رسول الله ﷺ تسعة أشهر، كان إذا أصبح أتى باب فاطمة عليها السلام فقال: السلام عليكم أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»^(١) وفي هذا أيضاً دليل على أهل هذه من هم وباللغة التوفيق^(٢).

في النص أعلاه ذكر الإمام الطحاوي معظم طرقه لحديث الكساء عن أم المؤمنين (أم سلمة) رضوان الله عليها، ونحن بدورنا قد ذكرنا من خرج هذه الأحاديث من علماء الأمة في الهامش، بقي أن أشير إلى أنه توجد طرق لهذا الحديث عن أم سلمة لم يرو عنها الطحاوي^(٣).

(١) رواه ابن أبي شيبة في مسنده عن نافع بلفظ ثمانية أشهر، رقم الحديث ٧٢٠، وعن أبي داود بلفظ: سبعة أشهر، رقم ٧٢٢، ورواه صاحب المطالب العلية الهيثمي، عن رافع بلفظ ثمانية أشهر، رقم ٣٦٨٦، ورواه عبد بن حميد في مسنده، عن طريق أبي داود السيبعي: بتسعة أشهر، رقم ٤٧٥، ورواه الطبراني في كبيره، بلفظ: ستة أشهر، عن أبي داود رقم ٢٦٧٢، والمزي في تهذيب الكمال، وابن عساكر في تاريخ دمشق وغيرهم، وكلهم عن طريق الصحابي أبي الحمراء هاني بن الحارث الحمصي.

(٢) شرح مشكل الآثار: ص ٢٣٦ - ٢٤٩.

(٣) وهذه الطرق هي:

١. الكرمان بن عمرو عن عطية عن أم سلمة (طبقات المحدثين: ج ٤ ص ١٤٩ ح ٩١٥؛ المتفق والمفترق: ج ٢ ص ١١٥٨ ح ٧٢٣؛ تاريخ ابن عساكر: ج ٤٢

١٧٤..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

وقد أحصيت تخريج العلماء لحديث الكساء (اليمني أو الخيري) عن أم سلمة (رضوان الله عليها) فبلغت مائة، وهو الطريق الأول لحديث الكساء الذي ذكره الطحاوي.

والطريق الثاني: عن أنس بن مالك وأيضاً ذكره الطحاوي، وقد خرّجت في الهامش لمن ذكروه من الأئمة.

-
- ص ١٣٦ ح ٨٥١٨).
٢. الحسن بن عطية عن عطية (المتفق والمفترق: ج ١ ص ٦٥٤ ح ٣٧١؛ تاريخ ابن عساكر: ج ١٤ ص ١٤٦ ح ٣٤٥٨).
 ٣. أبو هريرة (جامع البيان: ج ٢٢ ص ١١ ح ٢١٧٣٣).
 ٤. عقبة الرفاعي عن شهر بن حوشب (مسند أبي يعلى: ج ٦ ص ٨٦ ح ٦٨٧٦؛ المعجم الكبير: ج ٣ ص ٥٣ ح ٢٦٦٥ و ج ٢٣ ص ٣٣٦ ح ٧٨٠؛ تاريخ ابن عساكر: ج ١٣ ص ٢٠٥ ح ٣١٨٥).
 ٥. بلال بن مرداس (المعجم الكبير: ج ٢٣ ص ٣٣٤ ح ٧٧٣؛ تاريخ ابن عساكر: ج ١٣ ص ٢٠٤ ح ٣١٨٤ و ج ١٤ ص ١٤٢ ح ٣٤٥٢).
 ٦. إسماعيل بن نشيط (المعجم الكبير؛ تاريخ ابن عساكر: ج ١٤ ص ١٣٩ ح ٣٤٤٣).
 ٧. سلمة بن كهيل (تاريخ ابن عساكر: ج ١٣ ص ٢٠٣ ح ٣١٨١).
 ٨. عبد الحميد بن بهرام (مسند ابن حنبل: ج ٦ ص ٢٩٨؛ المعجم الكبير: ج ٣ ص ٥٤ ح ٢٦٦٦).
 ٩. زبيد عن شهر (مسند ابن حنبل: ج ٦ ص ٣٠٠؛ الجامع الصحيح: ج ٥ ص ٤٦٦٦ ح ٣٨٩٧؛ جامع البيان: ج ٢٢ ص ١٠ ح ٢١٧٣٠؛ تاريخ ابن عساكر: ج ١٣ ص ٢٠٤ ح ٣١٨٣ و ج ١٤ ص ١٣٩ ح ٣٤٤٤؛ مسند أبي يعلى: ج ٦ ص ٢٩٠ ح ٢٩٨٥).
 ١٠. حبيب بن أبي ثابت عن شهر بن حوشب عن أم سلمة (المعجم الكبير: ج ٢٣ ص ٣٣٧ ح ٧٨٣؛ معجم الشيوخ، لابن الأعرابي: ج ٣ ص ٩٦٥ ح ٢٠٤٩؛ تاريخ ابن عساكر: ج ١٤ ص ١٤١ ح ٣٤٤٩).

سند حديثي الكساء والوقوف على بيت فاطمة عليها السلام..... ١٧٥

والطريق الثالث الذي ذكره الطحاوي: هو طريق سعد بن أبي وقاص، موجود مع تخرجاته.

والطريق الرابع: هو طريق أبي الحمراء مع تخرجاته أيضاً، قد ذكر.

والخامس: طريق وائلة بن الأسقع، وذكره الطحاوي، وبهامشه خرّجنا لمن ذكره من الأئمة، وهو تمام ما استدللّ به الطحاوي، وتوجد طرق أخرى لهذا الحديث الشريف سأذكرها تتمّة للبحث والحجّة.

أمّا الطريق السادس، حديث ابن عباس: فقد أخرجه أحمد بن حنبل في «المسند» وفي «فضائل الصحابة» أيضاً، وابن أبي عاصم في «السنّة» والنسائي في «السنن الكبرى» والطبراني في «المعجم الكبير» والحاكم في «المستدرک على الصحيحين»، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق».

والطريق السابع، حديث عائشة: فقد أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنّف» ومسلم في «الصحيح» وابن أبي حاتم في «التفسير» والطبري في «جامع البيان» والحاكم في «المستدرک» والبيهقي في «السنن الكبرى» وابن عساكر في تاريخه.

والطريق الثامن: حديث أبي سعيد الخدري، وعنه عطية وجماعة، أخرجه أبو جعفر العقيلي في «الضعفاء» وأبو بكر الخطيب في «المتفق والمفترق» وأيضاً في «تاريخ بغداد» وابن عساكر الدمشقي في «تاريخه»، كلّهم من طريق عمران بن مسلم، عن عطية به. وابن جرير في «جامع البيان» من طرق الأعمش، عن عطية، وابن عساكر في «تاريخه» من طريق الصيرفي، عن عطية به، وابن عديّ في «الكامل» والطبراني في «المعجم الصغير» وابن عساكر في «تاريخه»، كلّهم عن كثير النواء، عن عطية والطبراني في «المعجم الصغير» وأيضاً في «المعجم الأوسط» وابن عديّ في «الكامل» وابن عساكر الدمشقي في «تاريخه»، كلّهم من طريق هارون بن سعد، عن عطية، عن أبي سعيد به. أبو الجحّاف، عن عطية أخرجه أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان، والطبراني في «الصغير»

١٧٦..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

و«الأوسط» وأبو بكر المالكي في «المجالسة» والدارقطني في «المؤتلف والمختلف»، كلهم من طريقه عن أبي الجحّاف، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري. الكرمانى، عن عطية أخرجه أبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» والخطيب في «المتفق والمفترق» وابن عساكر في «تاريخه»، كلهم من طريقه، عن الكرمانى بن عمرو، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري.

الطريق التاسع: حديث البراء بن عازب، أخرجه ابن عديّ في «الكامل» وابن عساكر في «تاريخه».

الطريق العاشر: حديث عبد الله بن جعفر، أخرجه أبو بكر البزار في «المسند» والحاكم في «المستدرک».

الطريق الحادي عشر: الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»، وأخرجه الحاكم في «المستدرک».

الطريق الثاني عشر: عن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في أمالي المفيد. وهذه الطرق الأنفة الذكر ليست حدّ الاحصاء، وإنما هي المشهور منها، فلهذا الحديث «روايات جمّة تزيد على سبعين حديثاً، يربو ما ورد منها من طرق أهل السنة على ما ورد منها من طرق الشيعة، فقد روتها أهل السنة بطرق كثيرة، عن أمّ سلمة، وعائشة، وأبي سعيد الخدري، وسعد، ووائلة بن الأسقع، وأبي الحمراء، وابن عباس، وثوبان مولى النبيّ، وعبد الله بن جعفر، وعليّ والحسن بن عليّ عليه السلام، في قريب من أربعين طريقاً، وروتها الشيعة عن عليّ والسجاد والباقر والصادق والرضا عليهم السلام، وأمّ سلمة، وأبي ذرّ، وأبي ليلى، وأبي الأسود الدؤلي، وعمرو بن ميمون الأودي، وسعد بن أبي وقاص في بضع وثلاثين طريقاً»^(١).

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج ١٦ ص ٣١١.

سند حديثي الكساء والوقوف على بيت فاطمة عليها السلام..... ١٧٧

المصححون من العلماء لحديث الكساء

• قال الترمذي: «حديث الكساء، ما رواه شهر بن حوشب، عن أم سلمة، حديث حسن صحيح»، وقال أيضاً: «حديث الكساء، ما رواه سعد بن أبي وقاص، هو حديث حسن صحيح». وقال أيضاً: «وأمّا حديث أنس بن مالك فهو حسن غريب». وقال أيضاً: «وحديث عائشة في هذا الباب فهو حسن صحيح غريب»^(١).

• وقال الحاكم: «حديث الكساء: ما روته أم المؤمنين أم سلمة فهو صحيح على شرط البخاري»، وقال أيضاً: «حديث الكساء ما رواه واثلة بن الأسقع، هو حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وحديث عائشة صحيح على شرط الشيخين، وأمّا حديث عبد الله بن جعفر الطيّار قد صحّت الرواية على شرط الشيخين، وأمّا حديث أنس بن مالك فهو صحيح على شرط مسلم»، وقال أيضاً: «حديث الكساء ما رواه واثلة بن الأسقع صحيح على شرط مسلم، وأمّا حديث أم سلمة فهو صحيح على شرط البخاري»^(٢).

• وقال ابن عساكر: «حديث الكساء ما رواه عطية الطفاوي، عن أمّه من حديث أم سلمة حديث صحيح»^(٣).

• وقال الذهبي: «حديث الكساء ما رواه واثلة بن الأسقع فهو صحيح على شرط مسلم، وأمّا حديث عائشة فهو صحيح على شرط الشيخين، وحديث سعد ابن أبي وقاص في هذا الباب فهو صحيح على شرط الشيخين.

(١) تحفة الأحوذى: ج ١ ص ١٢٠؛ ج ٤ ص ٨٢؛ ج ٤ ص ٣٣٠؛ ج ٤ ص ١٦٤؛ ج ٤ ص ٢٣.

(٢) انظر المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ١٤٦؛ ج ٣ ص ١٤٧؛ ج ٣ ص ١٤٨؛ ج ٣ ص ١٥٨؛ ج ٢ ص ٤١٦.

(٣) ينظر: الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين: ص ٩٢.

- وحديث أم المؤمنين أم سلمة هو صحيح على شرط مسلم»^(١).
- وقال ابن تيمية: «وأما حديث الكساء فهو صحيح، رواه أحمد والترمذي من حديث أم سلمة ورواه مسلم في «صحيحه» من حديث عائشة»^(٢)، وقال أيضاً: «إنّ هذا الحديث صحيح في الجملة»^(٣).
 - وقال أيضاً: «ثبت في الصحيح أنّ النبي ﷺ أدار الكساء على عليّ وفاطمة وحسن وحسين ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً). وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه عن عائشة ورواه أهل السنن عن أم سلمة»^(٤).
 - وقال الطحاوي: «وحديث سعد وما قد ذكرناه معه من الأحاديث في أوّل هذا الباب معقولٌ بها من أهل الآية المتلوّة فيها، لأنّنا قد أحطنا علماً أنّ رسول الله ﷺ لما دعا من دعا من أهله عند نزولها لم يبق من أهلها المرادين فيها أحداً سواهم. وإذا كان ذلك كذلك، استحال أن يدخل معهم فيما أريدت به سواهم، وفيما ذكرنا من ذلك بيان ما وصفنا».
 - وأيضاً يروي بسنده: «رسول الله ﷺ تسعة أشهر كان إذا أصبح أتى باب فاطمة عليها السلام فقال: السلام عليكم أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب ٣٣)، وفي هذا أيضاً دليل على أهل هذه من هم وباللغة التوفيق»^(٥).

(١) ينظر تلخيص المستدرک: ج ٣ ص ١٤٧ و ج ٣ ص ١٥٠ و ج ٢ ص ٤١٦

(٢) منهاج السنّة: ج ٥ ص ١٣.

(٣) المصدر نفسه: ج ٧ ص ٧١.

(٤) المصدر نفسه: ج ٤ ص ٢٢.

(٥) ينظر شرح مشكل الآثار: ص ٢٤٩.

الفصل الثاني دلالات الحديث والآيات المقترنة به

وفيه مباحث:

١. أهل البيت عليهم السلام
٢. دلالات حديث الثقلين

المبحث الأول

أهل البيت عليهم السلام

وفيه توطئة ومطالب:

١. معاني أهل البيت لغةً وعرفاً وشرعاً
٢. أهل البيت في آيات التطهير والموّدة والمباهلة
٣. دلالات آية التطهير

توطئة

المدخل لمعرفة معنى أهل البيت في حديث الثقلين هو مجموعة النصوص الواردة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الواردة فيها جملة (أهل البيت).

في هذا المبحث سنقف على دلالات تلك النصوص، وأهمها:

• أهل البيت في آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب ٣٣).

• وحديث الكساء، وتسمية من تحته بـ (أهل البيت).

• وحديث وقوف النبي ﷺ على باب بيت فاطمة ؑ والنداء عليهم بـ (أهل البيت)^(١).

• وأهل البيت ؑ في آية المباهلة ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١).

• وأهل البيت ؑ في آية المودة ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (الشورى: ٢٣).

يقول السيد كمال الحيدري: هنا توجد قاعدة أساسية ومهمة في فهم الآيات القرآنية، وهي: إذا وردت آية، وورد فيها بيان وتفسير من النبي

(١) ذكرنا في الفصل الأول نصوص وطرق حديث الكساء ووقوف النبي ﷺ على بيت فاطمة ؑ على تفصيل، فراجع.

الأكرم ﷺ فإنه لا مجال لأن يقال: إن اللغة أو العرف يقول كذا. أي: عندما نريد أن نفهم آية ما، إذا كان هناك بيانٌ معتبرٌ وبطريق صحيح صريح من النبي ﷺ، فلا تصل النوبة إلى اللغة ولا إلى العرف ولا إلى أي جهة أخرى؛ لأن القرآن الكريم أشار بشكل صريح لمهمة الرسول ﷺ ﴿لَشُبِّينَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: ٤٤). إذن الوظيفة الأولى التي أوكلت للرسول الأعظم ﷺ هي بيان معارف الدين.

ثم لم يكتف القرآن بأنه قال أن الرسول مبيِّن: ﴿لَشُبِّينَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، بل أمرنا فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧)، ثم بيّن الدليل لهذا الأصل فقال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣، ٤).

يقول العلامة الألباني في كتابه (منزلة السنة في الإسلام) تحت عنوان (عدم كفاية اللغة لفهم القرآن): «ومما سبق يبدو واضحاً أنه لا مجال لأحدٍ مهها كان عالماً باللغة العربية وآدابها أن يفهم القرآن الكريم دون الاستعانة على ذلك بسنة النبي ﷺ القولية والفعلية، فإنه لم يكن أعلم في اللغة من أصحاب النبي ﷺ، الذين نزل القرآن بلغتهم ولم تكن قد شابتها لوثة العجمة والعامية واللحن، ومع ذلك فإنهم غلطوا في فهم الآيات السابقة حين اعتمدوا على لغتهم فقط، وعليه فمن البدهي أن المرء كلما كان عالماً بالسنة كان أحرى بفهم القرآن واستنباط الأحكام منه، ممن هو جاهلٌ بها، فكيف بمن هو غير معتدٍّ بها ولا ملتفتٍ إليها أصلاً، ولذلك كان من القواعد المتفق عليها بين أهل العلم: أن يفسر القرآن بالقرآن والسنة ثم بأقوال الصحابة»^(١).

(١) منزلة السنة في الإسلام، الأشقودري الألباني: ص ١٥.

أهل البيت عليهم السلام ١٨٥

ومثله قول ابن تيمية: «ومّا ينبغي أن يعلم أنّ القرآن والحديث إذا عرف تفسيره من جهة النبي لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللغة، فإنّه قد عرف تفسيره وما أُريد بذلك من جهة النبي... لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم»^(١).

من خلال ما تقدّم اتّضح أنّه يجب علينا في تفسير آية ما من القرآن الكريم أن نتبع الخطوات الآتية:

١. نرجع إلى السنة القولية والفعليّة لرسول الله ﷺ فإن وجد بها ما يفسّر لنا الآية فيها ونعمت.

٢. وإلا فنتقل إلى السياق.

٣. فإن لم يعنّا السياق على المطلوب، نرجع إلى القرائن المنفصلة وما يسمّى تفسير القرآن بالقرآن^(٢).

٤. وإلا رجعنا إلى اللغة.

مع هذه المقدمة البسيطة المستفادة من حلقات سماحة السيّد الحيدري سأحاول الوقوف على العناوين الواردة في (أهل البيت) التي تتحمّلها اللغة، على المراد في الآية الكريمة وفي حديث الثقلين؟ وهل تفسير الآية يحتمل كلّ معاني أهل اللغة، أم سيخصّصون بأدلة ما؟ وهو المطلوب.

حينها كلّ سيرمي بنبله، فأية أصاب، نال مبتغاه وحصل مراده، وإلا فدونها خراط القتاد^(٣).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمّد بن قاسم: ص ٢٧.

(٢) منزلة السنة في الإسلام، للألباني: ص ١٥.

(٣) يضرب للأمر دونه مانع. (مجمع الأمثال، للميداني: ج ١ ص ٢٧٦).

(١) معاني أهل البيت لغة وعرفاً وشرعاً

جاء في تاج العروس: «الأهل للنبي ﷺ: أزواجه وبناته وصهره عليّ ؑ أو نساؤه. وقيل: أهله: الرجال الذين هم آله، ويدخل فيه الأحفاد والذريات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه: ١٣٢)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣)، وقوله تعالى: ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ (هود: ٧٣). والأهل لكل نبي: أمته وأهل ملته. ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ (مريم: ٥٥).

وقال الراغب، وتبعه المناوي: أهل الرجل: من يجمعه وإياهم نسب أو دين، أو ما يجري مجراهما؛ من صناعة وبيت وبلد، فأهل الرجل في الأصل: من يجمعه وإياهم مسكن واحد، ثم تجوز به، فقيل: أهل بيته: من يجمعه وإياهم نسب أو ما ذكر، وتُعرف في أسرة النبي ﷺ مطلقاً^(١).

عن طريق ما ورد في تاج العروس وما سيرد في الصفحات الآتية يوجد للأهل مجموعة استعمالات:

الاستعمال الأول: وهو أعم العناوين وأشملها وهو لكل ما له علاقة ببيت معين، من أزواج، ومن أولاد، ومن أقرباء، وحتى الحيوانات الأليفة التي تعيش مع الإنسان، كل ما له ارتباط خاص بذلك الإنسان، يطلق عليه أنه من أهل البيت.

فقد ورد في مسند أحمد: «حَدَّثَنَا مَعْمَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ هُوَ الرَّقِّيُّ، حَدَّثَنَا

(١) تاج العروس: ج ١٤ ص ٢٦.

أهل البيت عليهم السلام ١٨٧

الْحَجَّاجُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ وُضِعَ لَهُ وَضُوءٌ، فَوَلَّغَ فِيهِ السَّنُورُ، فَأَخَذَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالُوا: يَا أَبَا قَتَادَةَ، قَدْ وَلَّغَ فِيهِ السَّنُورُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: السَّنُورُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَإِنَّهُ مِنَ الطَّوَّافِينَ أَوْ الطَّوَّافَاتِ عَلَيْكُمْ^(١).

وجاء في (وسائل الشيعة): «محمد بن الحسن بإسناده، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام في الهرة: أنها من أهل البيت، ويُتوضأ من سورها»^(٢).

فإذا كانت هذه الكلمة شاملة للهرة فمن باب أولى هي شاملة للعاقلين الذين في البيت سواء الزوجة وغيرها^(٣).

الاستعمال الثاني: العشيرة أو القومية التي ينتمي إليها، ويدخل فيها: مطلق الأقارب أو العشيرة بغض النظر عن كونهم مؤمنين أو غير مؤمنين. مثاله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء: ٣٥)، والمقصود أقارب الزوجين^(٤). قال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ (يوسف: ٢٦)، قالوا أنه ابن أختها أو ابن عمها^(٥).

أو حتى الكفار، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْجِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ (الأنفال: ٦٧)، روى المفسرون والمحدثون: «الأعمش،

(١) مسند أحمد: ج ٥ ص ٣٠٩؛ وضح في الجامع الصغير للألباني: ج ١ ص ٦٥٩ ح ٣٦٩٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٢٧٧.

(٣) ونلاحظ أنه معنى متفق عليه، فقد ورد في الروايات عن طريق مدرسة الصحابة وعن طريق مدرسة أهل البيت عليه السلام.

(٤) ينظر تفسير الجلالين وتفسير شبر.

(٥) ينظر الميزان في تفسير القرآن: ج ١٢ ص ١٤٢؛ وتفسير شبر: ص ٢٤٢.

عن عمرو بن مَرَّة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: ما تقولون في هؤلاء الأسارى؟ قال: فقال أبو بكر: يا رسول الله، قومك وأهلك، استبقهم واستتبعهم، لعل الله أن يتوب عليهم^(١).

فهؤلاء كفار مشركون، ومع ذلك أطلق عليهم (أهل) باعتبار القبيلة والقومية لأنهم كانوا أسرى بدر، وبلغوا (٧٠)^(٢) مشركاً، ولم يكونوا كلهم من بني هاشم، وإن كان فيهم العباس، إلا أنه كان مشركاً.

ومثله في مخطوطة أبي العباس البصري: «عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالُوا: يَا أَبَا طَالِبٍ إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يَشْتُمُ أَهْلَنَا، وَيُؤْذِنَا فِي كَعْبَتِنَا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَدْفَعَهُ إِلَيْنَا وَتَدْفَعُ إِلَيْكَ بَنِي إِخْوَانِنَا يَحْدُمُونَكَ. فَقَالَ: مَا أَلْفَيْتُمُونِي، أَدْفَعُ إِلَيْكُمْ ابْنَ أَخِي وَتَدْفَعُونَ إِلَيَّ بَنِي أَخَوَيْكُمْ، إِنَّ خِيَاشِيمِي نَحْدُ رِيحَ ابْنِ أَخِي لَا نَحْدُ ابْنَ أَخَوَيْكُمْ، وَلَكِنْ سَأَسْأَلُهُ الْكَفَّ عَنْكُمْ، يَا عَقِيلُ التَّمَسُّ لِي ابْنَ عَمِّكَ. قَالَ: فَخَرَجْتُ فَوَجَدْتُهُ فِي كِبْسٍ مِنْ كِبَاسِ أَبِي طَالِبٍ نَصَفَ النَّهَارَ قَائِماً يُصَلِّي. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ عَمَّكَ يَدْعُوكَ. فَأَقْبَلَ يَتَقِيماً الْأَفْيَاءَ، حَتَّى آتَاهُ. فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُكَ وَعَشِيرَتُكَ، قَدْ زَعَمُوا أَنَّكَ تَشْتُمُ أَهْلَهُمْ، وَتُؤْذِنُهُمْ فِي كَعْبَتِهِمْ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَكُفَّ عَنْهُمْ. فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكٍ مَا أَمَرَنِي اللَّهُ بِهِ»^(٣).

ففي هذين الموردين دخل المشركون والكفار في معنى الأهل، وهو

(١) تفسير ابن كثير: ج ٢ ص ٢٣٨؛ وينظر مسند ابن حنبل: ج ١ ص ٣٨٣؛ كنز العرفان: ج ١ ص ٣٧٦؛ مفاتيح الغيب: ج ١٥ ص ١٩٧؛ الجامع لاحكام القرآن للقرطبي: ج ٨ ص ٤٧.
(٢) ينظر صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب ١٠ ح ٣٩٨٦ وأعادته في التفسير - سورة آل عمران - وأخرجه أبو داود في الجهاد في باب أي وقت يستحب اللقاء، ورواه البيهقي في الدلائل: ج ٣ ص ١٢٤.

(٣) من حديث أبي العباس البصري لمحمد بن يونس الكديمي: الورقة ٢٢.

اصطلاح آخر.

الاستعمال الثالث: في النصّ القرآني يطلق عنوان أهل البيت لمن تبع نبياً من الأنبياء، واندمج مع خطّه الفكري، فإذا كان تابعاً لستّه ولطريقته ولشريعته، يقول (من أهلي). وإن كان منفصلاً عنه غير تابع، يقول (إنّه ليس من أهلك) وإن كان ابنه كما في نوح، فنحن نعلم أنّ القرآن الكريم قال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ (هود: ٤٥).

يقول الإمام الطحاوي: «ونادى نوح ربّه فقال ربّ إنّ ابني من أهلي، فأجابه في ذلك بأن قال له: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، فكما جاز أن يخرج من أهله وإن كان ابنه لخلافه إياه في دينه، جاز أن يدخل في أهله من يوافقه على دينه وإن لم يكن من ذوي نسبه، فمثل ذلك أيضاً ما كان من رسول الله ﷺ جواباً لأم سلمة أنت من أهلي يحتمل أن يكون على هذا المعنى أيضاً»^(١).

إذن هذا اصطلاح آخر، وهو أنّه قد يطلق الأهل ولا يريد الاصطلاح الأول وإنما يريد الاصطلاح الثاني، وهذا ما أكده ابن تيمية إذ يقول: «من إطلاقات الآل أنّ آل النبي ﷺ تطلق إطلاقاً عاماً ليس هو المراد في هذا الوطن^(٢) وهذا الإطلاق يراد به الأتقياء الذين تبعوا النبي ﷺ على دينه ورسالته»^(٣).

ومنه: «سلمان منّا أهل البيت»^(٤) إذن هذا الإطلاق، يراد به أهل البيت الاتباعي، يعني من أتباعنا نحن أهل البيت.

(١) شرح مشكل الآثار: ج ٢: ص ٢٤٦.

(٢) يقصد في آية التطهير.

(٣) اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية: ج ٢ ص ٥٩.

(٤) المستدرک، للحاكم: ج ٣ ص ٥٩٨.

١٩٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

الاستعمال الرابع: خصوص تلك الطبقة من أقرباء النبي ﷺ الذين حرمت عليهم الصدقة الواجبة أي الزكاة الواجبة، مثل بني عقيل وبني العباس وبني عليّ، بل مطلق بني هاشم، وهذا إطلاق فقهيّ بحثه في محله^(١)، من الذي تجوز عليه الصدقة ومن الذي تحرم عليه الصدقة؟

الاستعمال الخامس: خصوص الخمسة (محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين) صلوات الله وسلامه عليهم، وسيأتي تفصيل هذا القول في محله.

(١) ينظر المغني، لابن قدامة: ج ٧ ص ٣٠٤؛ المحلّي، لابن حزم: ج ٧ ص ٣٢٧؛ الكافي في فقه الإمام أحمد: ص ١٥٤؛ أحكام القرآن، للشافعي: ج ١ ص ٧٦ وغيرها.

(٢) أهل البيت في آيات التطهير والمودة والمباهلة

صرّحت النصوص الواردة في حديث الثقلين بمختلف صياغاتها: أنّ المراد من العترة هم أهل البيت عليهم السلام، حيث ورد في بعضها: «عترتي أهل بيتي». وفي بعضها تصريح بأن الثقل الأصغر هم أهل البيت عليهم السلام: «أذكركم الله بأهل بيتي».

تواترت النصوص الروائية الواردة عن جمّ غفير من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وغيرهم، في ذيل عدد من الآيات التي ترتبط بأهل البيت عليهم السلام، أنّ المراد هم: عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. من هنا نحاول الوقوف على تلك النصوص:

أهل البيت في آية التطهير

هناك مجموعة كبيرة من الروايات الواردة عن طرق الفريقين، بيّنت أنّ المراد بأهل البيت عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، هم: عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة: «خرج النبي صلى الله عليه وآله غداة وعليه مرط مرحل^(١) من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله، ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»^(٢).

وقد ذكرنا غير هذا الحديث في الفصل الأوّل تفصيلاً بأسماء رواتها ومن

(١) إزار خز فيه علم. (الصحاح، للجوهري: ج ٤ ص ١٧٠٧).

(٢) صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٣٠.

١٩٢ حديث الثقلين سنداً ودلالة

خرّجها من الحفاظ والأئمة حتى كاد أن يتواتر مضمونها لتعدد طرقها لدى الفريقين في جميع الطبقات وذكرنا المصححين لهذا الحديث، فراجع. والذي يهمننا في اليبين أن نذكر الأعلام والمفسرين والمحدثين والعلماء، الذين أشاروا إلى انطباق معنى هذا الحديث على خصوص الخمسة أصحاب الكساء:

الرازي فخر الدين

قال: «حديث الكساء عن عائشة. واعلم أنّ هذه الرواية كالمتمتق على صحتها بين أهل التفسير والحديث»^(١). وقال أيضاً: «ولا شك أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين عليهم السلام كان التعلّق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله أشدّ التعلّقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل». وقال أيضاً: «فثبت أنّ هؤلاء الأربعة أقارب النبي صلى الله عليه وآله. وإذا ثبت هذا، وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم، ويدلّ عليه وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

والثاني: لا شك أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يحبّ فاطمة الزهراء عليها السلام؛ قال صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما آذاها». وثبت بالنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه كان يحبّ عليّاً والحسن والحسين عليهم السلام وإذا ثبت ذلك وجب على كلّ أمة مثله؛ لقوله تعالى ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٨)، ولقوله تعالى ﴿فَلْيُحَذِّرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ (النور: ٦٣)، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١)، ولقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١).

الثالث: إنّ الدعاء للآل منصبّ عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة، وهو قوله: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وارحم محمداً

(١) مفاتيح الغيب: ج ٢ ص ٤٦٥.

أهل البيت عليهم السلام ١٩٣

وآل محمد». وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكذلك يدل على أن حب آل محمد ﷺ واجب. قال الشافعي:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي!

وقال أيضاً: «إن أهل بيته ﷺ يساوونه في خمسة أشياء: في السلام؛ قال: (السلام عليك أيها النبي) وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ وفي الصلاة عليه وعليهم في التشهد وفي الطهارة؛ قال تعالى: ﴿طه﴾ أي يا طاهر، وقال: ﴿وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً﴾ وفي تحريم الصدقة وفي المحبة؛ قال تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ وقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١).

الحافظ ابن حجر العسقلاني

قال: «ثبت في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾: قالت أم سلمة: لما نزلت دعا النبي ﷺ فاطمة وعلياً والحسن والحسين ﷺ فجللهم بكساء فقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي). أخرجه الترمذي وغيره. ومرجع أهل البيت ﷺ هؤلاء إلى خديجة؛ لأن الحسين من فاطمة الزهراء وفاطمة بنتها، وعلي ﷺ نشأ في بيت خديجة ﷺ، وهو صغير، ثم تزوج بنتها بعدها، فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها^(٢).

ابن حجر الهيثمي المكي

«أكثر المفسرين على أنها^(٣) نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ»^(٤).

(١) ينظر مفاتيح الغيب: ج ٧ ص ٣٩٠.

(٢) فتح الباري: ج ١٥ ص ٤٢٢.

(٣) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

(٤) الصواعق المحرقة: ص ٢٢٠.

قال أيضاً: «وقد ورد عن الإمام الحسن عليه السلام من طرق بعضها سنده حسن: وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»^(١).
وقال أيضاً: «والحقوا به أيضاً في قصة المباهلة في آية: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ الآية، فعدا عليه السلام محتضناً الحسن آخذاً بيد الحسين، وفاطمة تمشي خلفه وعليّ خلفها، وهؤلاء هم أهل الكساء، فهم المراد في آية المباهلة، كما أنهم من جملة المراد بآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣).

ابن تيمية

قال: «وأما حديث الكساء فهو صحيح، رواه أحمد والترمذي من حديث أم سلمة، ورواه مسلم في (صحيحه) من حديث عائشة»^(٢).
وقال أيضاً: «إنّ هذا الحديث صحيح في الجملة»^(٣).
وقال أيضاً: «وقد ثبت في الصحيح أنه عليه السلام أدار كساءً على عليّ وفاطمة الزهراء وحسن وحسين عليهم السلام ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»^(٤).
وقال أيضاً: «فإنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعليّ وفاطمة وحسن وحسين عليهم السلام: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».
وقال أيضاً: «وقد ثبت أنه أدخلهما - الحسن والحسين - مع أبيهما عليهم السلام تحت الكساء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم

(١) الصواعق المحرقة: ص ٢٢٢.

(٢) منهاج السنة، لابن تيمية: ج ٢ ص ١٢١.

(٣) المصدر نفسه: ج ٤ ص ١٢٠.

(٤) المصدر نفسه: ج ٣ ص ٤.

تطهيراً»^(١).

وقال أيضاً: «والصحيح أن آل محمد هم أهل بيته ﷺ وهذا هو المنقول عن الشافعي وأحمد، وهو اختيار الشريف أبي جعفر وغيرهم، لكن هل أزواجه من أهل بيته؟ على قولين هما روايتان عن أحمد إحداهما أنهن لسن من أهل بيته، ويروي هذا عن زيد بن أرقم».

وقال أيضاً: «أما كون علي بن أبي طالب من أهل البيت، فهذا مما لا خلاف فيه بين المسلمين، وهو أظهر عند المسلمين من أن يحتاج إلى دليل، بل هو أفضل أهل البيت ﷺ وأفضل بني هاشم وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه دار على علي وفاطمة وحسن وحسين ﷺ فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي»^(٢).

الآلوسي أبو الشاء البغدادي

قال: «أخرج الترمذي والحاكم صححاه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين ﷺ فجللهم رسول الله ﷺ بكساء عليه ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. وجاء في بعض الروايات أنه ﷺ أخرج يده من الكساء وأوماً بها إلى السماء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

وقال أيضاً: وأخبار إدخاله ﷺ علياً وفاطمة وابنيهما ﷺ تحت الكساء وقوله: اللهم هؤلاء أهل بيتي...، وعدم إدخاله أم سلمة أكثر من أن تحصى»^(٣).

(١) المصدر نفسه: ج ٢ ص ١٢١.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: ج ٤ ص ٤٩٦.

(٣) روح المعاني: ج ٢٢ ص ١٤.

١٩٦ حديث الثقلين سنداً ودلالة

وقال أيضاً: «وقد أخرج مسلم والترمذي وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص لما نزلت هذه الآية: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ﷺ فقال: اللهم هؤلاء أهلي. وهذا الذي ذكرناه من دعائه هؤلاء الأربعة المتناسبة هو المشهور المعول عليه لدى المحدثين. وفي هذه القصة أوضح دليل على نبوته ودالاتها على فضل آل الله ورسوله مما لا يمتري فيها مؤمن»^(١).

وقال أيضاً: «أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: نزلت هذه الآية في خمسة: فيّ وفي عليّ وفاطمة وحسن وحسين ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾».

وقال أيضاً: والخطاب لجميع الأمة لا للأنصار فقط، وإن ورد ما يوهم ذلك فإنهم كلهم مكلفون بمودة أهل البيت ﷺ. فقد أخرج مسلم والترمذي والنسائي عن زيد بن أرقم أنّ رسول الله ﷺ قال: أذكركم الله في أهل بيتي. وفي حديث ابن عباس عن الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معاً، في دلائل النبوة قال: قال رسول الله: أنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب»^(٢).

العلامة العزيزي^(٣)

قال: «والمراد بأهل البيت: عليّ وفاطمة الزهراء وذريتهما ﷺ»^(٤).

(١) روح المعاني: ج ٣ ص ١٨٩.

(٢) المصدر نفسه: ج ٢٥ ص ٣١.

(٣) (١٠٧٠ هـ = ١٦٦٠ م) عليّ بن أحمد بن محمد العزيزي البولاقى الشافعي: فقيه مصري، من العلماء بالحديث. مولده العزيزية - من الشرقية، بمصر - وإليها نسبته. ووفاته ببولاق. له كتب، منها السراج المنير بشرح الجامع الصغير، ثلاثة أجزاء. (الأعلام).

(٤) السراج المنير: ج ١ ص ٤٦.

أهل البيت عليهم السلام ١٩٧

وقال أيضاً: «قوله ﷺ: (أهل بيتي)، وهم عليّ وفاطمة الزهراء وابناهما وذريتهما عليهما»^(١).

وقال أيضاً: «أهل بيته، وهم عليّ وفاطمة وابناهما وذريتهما عليهما»^(٢).

العلامة الحفني^(٣)

قال: «المراد بقوله ﷺ (أهل بيتي) هم: عليّ وفاطمة وابناهما وذريتهما عليهما. وهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾»^(٤).

وقال أيضاً: «المراد بأهل بيتي، هم: عليّ وفاطمة وذريتهما عليهما»^(٥).

وقال أيضاً: «قوله ﷺ (أهل بيتي): عليّ وفاطمة وابناهما وذريتهما عليهما»^(٦).

ولحديث أبي سعيد قال: «قال رسول الله ﷺ: نزلت هذه الآية فيّ وفي عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهما»^(٧).

(١) السراج المنير: ج ١ ص ٧٥.

(٢) السراج المنير: ج ١ ص ٧٣.

(٣) العارف بالله نجم الدين أو شمس الدين محمد بن سالم بن أحمد الحفني أو الحفناوي الشافعي المصري، ولد بحفنة قرية من قسم بلبيس ونشأ بها، ثم قدم القاهرة وحفظ المتون واجتهد في تحصيل العلوم وأخذ عن علماء عصره حتى مهر وأفاد... من كتبه «أنفس نفائس الدرر» وهي حاشية على شرح الهمزية لابن حجر الهيتمي، طبعت بهامش «المنح المكية في شرح الهمزية» لابن حجر المذكور، وحاشية على «شرح العزيزي على الجامع الصغير» للسيوطي. (معجم المطبوعات).

(٤) حاشية السراج المنير: ج ١ ص ٧٣.

(٥) حاشية السراج المنير: ج ١ ص ٤٦.

(٦) حاشية السراج المنير: ج ١ ص ٥٣.

(٧) شرح صحيح مسلم ج ٥ ص ٢٥٥.

النيسابوري^(١)

قال: «وروي عن عائشة: أنه لما خرج في المرط الأسود جاء الحسن عليه السلام فأدخله، ثم جاء الحسين عليه السلام فأدخله، ثم فاطمة الزهراء عليها السلام، ثم علي عليه السلام ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، وهذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث^(٢).

وقال أيضاً: «ولا ريب أن هذا فخرٌ عظيم وشرفٌ تام، ويؤيده ما روي أن علياً عليه السلام شكاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حسد الناس فيه. فقال: (أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن إيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا)^(٣). وعنه صلى الله عليه وآله: (حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي، وأذاني في عترتي - من صنع صنيعته إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة). وكان يقول: (فاطمة بضعة مني يؤذيها ما آذاها)^(٤).

وثبت بالنقل المتواتر أنه كان يحب علياً والحسن والحسين عليهم السلام. وإذا كان ذلك، وجب علينا محبتهم؛ لقوله: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾. وكفى شرفاً لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وفخراً ختم التشهد بذكرهم، والصلاة عليهم في كل صلاة. وقال بعض

(١) حسن الأعرج، كان حياً ٨٢٨هـ، حسن بن محمد بن حسين القمي، النيسابوري المعروف بنظام الأعرج (نظام الدين) عالم مشارك في أنواع من العلوم. من آثاره: (غرائب القرآن وרגائب الفرقان في التفسير) في ثلاثة مجلدات، شرح الشافية في التصريف لابن الحاجب، الشمسية في علم الحساب، وتوضيح التذكرة للطوسي (معجم المؤلفين: ج ٣ ص ٢٨٢).

(٢) تفسير غرائب القرآن: ج ٣ ص ٢١٣.

(٣) المستدرک للحاكم: ج ٣ ص ١٤٩؛ فضائل الصحابة لابن حنبل: ج ٢ ص ٧٧٤.

(٤) مسند أحمد: ج ٥ ص ٤؛ صحيح البخاري: ج ٤ ص ٢١٠؛ صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٤١.

أهل البيت عليهم السلام ١٩٩

الذاكرين: إن النبي قال: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق^(١)»^(٢).

وقال أيضاً: «أهل البيت - وقد مرّ في آية المباهلة: أئمة أهل العباء -: النبي ﷺ لأنه أصل، وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام بالاتفاق. والصحيح أن علياً عليهما السلام منهم لمعاشرته بنت النبي ﷺ وملازمته إياه»^(٣).

وقال أيضاً: «وفي الآية - المباهلة - دلالة على أن الحسن والحسين عليهما السلام وهما أبناء البنت يصحّ أن يقال: إثمها أبناء رسول الله ﷺ لأنه وعد أن يدعو أبناءه، ثم جاء بهما»^(٤).

وقال: «وذهب أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين - منهم مجاهد وقتادة وغيرهم - إلى أئمة علي وفاطمة والحسن والحسين»^(٥).

(١) هذا حديث حسن رواه الحاكم في المناقب من مستدركه، عن عبد الله بن داهر، فوافقناه فيه بعلو، وهو عند الطبراني في معجمه الصغير كما أخرجناه، وكذا في الأوسط أيضاً. وقال: إنه لم يروه عن الأعمش إلا ابن عبد القدوس، ورواه أيضاً في الأوسط من حديث الحسن بن عمرو الفقيمي وأبو يعلى في مسنده والحاكم في تفسير هود والمناقب جميعاً من مستدركه، كلاهما من حديث المفضل بن صالح، كلاهما عن حنش قال: رأيت أبا ذر - الحديث - وقال الحاكم في أحد الموضوعين: إنه صحيح على شرط مسلم، وفي الآخر: إنه صحيح الإسناد، ثم اتفقا ولم يخرجاه، وقال البزار: لا نعلم صحابياً رواه إلا أبا ذر وليس كذلك، بل في الباب عن ابن عباس وابن الزبير وأبي سعيد الخدري، وبعضها يقوي بعضهاً ولذلك حسنته. (ينظر البلدانيات للسخاوي: ص ١٨٩).

(٢) تفسير النيسابوري: ج ٢٥ ص ٣٥.

(٣) تفسير النيسابوري: ج ٢٢ ص ١٠.

(٤) تفسير النيسابوري: ج ٣ ص ٢١٤.

(٥) تفسير الخازن لعلاء الدين الشيعي المعروف بالخازن: ج ٢ ص ٩٥٩.

أهل البيت في آية المباهلة

قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١).

أخرج مسلم في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: «أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالها له رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حمر النعم؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه، فقال له عليّ: يا رسول الله، خلقتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي. وسمعتة يقول يوم خيبر: لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، قال: فتطاولنا لها، فقال: ادعوا لي عليّاً، فأتي به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾ دعا رسول الله ﷺ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي»^(١).

وقال السيوطي في (الدرّ المنثور): «أخرج الحاكم وصحّحه وابن مروديه وأبو نعيم في الدلائل عن جابر قال: قدم على النبيّ ﷺ العاقب والسيد، فدعاهما إلى الإسلام فقالا: أسلمنا يا محمّد، قال: كذبتما، إن شئتما أخبرتكما بما يمنعكما من الإسلام، قالوا: فهات، قال: حبّ الصليب، وشرب الخمر، وأكل

(١) صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٢٠؛ سنن الترمذي: ج ٥ ص ٦٢٥؛ مسند أحمد: ج ١ ص ١٨٥؛ مستدرک الحاكم: ج ٣ ص ١٣٦؛ أسد الغابة لابن الأثير: ج ٤ ص ١١٤؛ الإصابة لابن حجر: ج ٤ ص ٤٦٨؛ تفسير القرطبي: ج ٤ ص ١٠٤.

أهل البيت عليهم السلام ٢٠١

لحم الخنزير. قال جابر: فدعاهما إلى الملاعنة، فوعداه إلى الغد، فغدا رسول الله ﷺ وأخذ بيد عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما فأبيا أن يُجيبا وأقرأ له، فقال: والذي بعثني بالحق لو فعلا لأمطر الوادي عليهما ناراً، قال جابر: فيهم نزلت: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾ قال جابر: أنفسنا رسول الله ﷺ وعليٍّ، وأبناءنا الحسن والحسين، ونساءنا فاطمة^(١).

وقال ابن طاووس في كتاب (سعد السعود): «رأيت في كتاب (تفسير ما نزل من القرآن في النبي وأهل بيته)، تأليف محمد بن العباس بن مروان، أنه روى خبر المباهلة من أحد وخمسين طريقاً عمّن سمّاه من الصحابة وغيرهم، وعدّ منهم الحسن بن عليٍّ عليه السلام، وعثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص، وبكر بن سمّال، وطلحة، والزيبر، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عباس، وأبا رافع مولى النبي ﷺ، وجابر بن عبد الله، والبراء بن عازب، وأنس بن مالك، وغيرهم»^(٢).

أهل البيت في آية المودة

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا المودة في القُرْبى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (الشورى: ٢٣).

أخرج الحاكم في المستدرک: عن الحسين بن زيد، عن عمر بن عليٍّ، عن أبيه عليٍّ بن الحسين، قال: «خطب الحسن بن عليٍّ الناس حين قُتل عليٌّ عليه السلام

(١) الدرّ المشور، للسيوطي: ج ٢ ص ٣٩.

(٢) سعد السعود: ج ٩ ص ٦٦٤؛ ينظر الأحاديث التي وردت عن هؤلاء وغيرهم من أعلام المفسرين والمحدثين في كتاب إحقاق الحق وإزهاق الباطل، للقاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري: ج ٣ ص ٤٦-٦٢؛ ج ٩ ص ٧٠-٩١؛ ج ٢٠ ص ٨٤.

٢٠٢ حديث الثقلين سنداً ودلالة

فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: لقد قبض في هذه الليلة رجلاً لا يسبقه الأولون بعمل ولا يُدركه الآخرون، وقد كان رسول الله ﷺ يعطيه رايته، فيقاتل وجبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فما يرجع حتى يفتح الله عليه، وما ترك على أهل الأرض صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت عن عطايها، أراد أن يتناع بها خادماً لأهله.

ثم قال: يا أيها الناس مَنْ عرفني فقد عرفني، وَمَنْ لم يعرفني، فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي، وأنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله موَدَّتْهم على كلِّ مسلم، فقال تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾، فاقتِرافِ الحسنة موَدَّتْنا أهل البيت^(١).

وقال الزمخشري في تفسيره في ذيل هذه الآية: «روي أنه لما نزلت، قيل: يا رسول الله، مَنْ قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا موَدَّتْهم؟ قال: عليٌّ وفاطمة وابناهما. ويدلُّ عليه ما روي عن عليٍّ ع^{عليه السلام}: شكوت إلى رسول الله ﷺ حسد الناس لي، فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أول من يدخل الجنة، أنا وأنت والحسن والحسين»^(٢).

وقال الرازي في تفسيره بعد أن نقل كلام الزمخشري المتقدم: «وأنا أقول: آل محمد ﷺ هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكلُّ من كان أمرهم إليه أشدَّ وأكمل كانوا هم الآل، ولا شكَّ أن فاطمة وعليًّا والحسن والحسين كان

(١) مستدرک الحاكم: ج ٣ ص ١٧٢.

(٢) الكشّاف: ج ٤ ص ٢١٩.

أهل البيت عليهم السلام ٢٠٣

التعلق بينهم وبين رسول الله ﷺ أشدّ التعلّقات. وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل.

وأيضاً اختلف الناس في الآل، فقليل هم الأقارب، وقيل هم أمّته، فإن حملناه على القرابة فهم الآل، وإن حملناه على الأمة الذين قبلوا دعوته، فهم أيضاً آل. فثبت أنّ على جميع التقديرات هم الآل. وأمّا غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل؟ فمختلف فيه^(١).

النتيجة

مع هذه النصوص - وكثير غيرها لا مجال لاستقصائها - لا يبقى أدنى شكّ في أنّ المراد من أهل البيت ﷺ، هم الذين جمعهم بيت عليّ وفاطمة، وهم الذين جمعهم كساء رسول الله ﷺ، وهم الذين ضمّهم رسول الله ﷺ تحت ثوبه، وهم الذين باهل بهم نجارى نصران، وهم المقصودون بذى القربى، إلى آخر ما تضمّنته الأحاديث المتقدّمة.

ومما يلفت النظر سكوت الأمة عن استيضاح أمر أهل البيت من النبيّ ﷺ، وهم يتلون الكتاب العزيز آناء الليل وأطراف النهار ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣)، ويسمعون نبيّهم ﷺ يوصي بالتمسك بأهل بيته في نوب متفرّقة وأماكن مختلفة فيقول لهم: «إني تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله... وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي». ويقول أيضاً:

(١) مفاتيح الغيب: ج ٢٧ ص ١٦٦، ويمكن مراجعة مصادر النصوص الروائيّة الواردة في إثبات أنّ المراد من «القربى» هم أهل البيت ﷺ: إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل: ج ٣ ص ٢-٢٣؛ ج ٩ ص ٩٢-١٠١؛ ج ١٤ ص ١٠٦-١١٥؛ ج ١٨ ص ٣٣٦-٣٣٨.

«مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك»^(١).
ويقول: «النجوم أمانٌ لأهل السماء، فإذا ذهب أتاهم ما يوعدون، وأنا أمان
لأصحابي ما كنت، فإذا ذهب أتاهم ما يوعدون، وأهل بيتي أمانٌ لأمتي، فإذا ذهب
أهل بيتي أتاهم ما يوعدون»^(٢).

«أما كان فيهم من يقول له: إنك عصمتنا من الضلالة بالرجوع إلى أهل
بيتك، وجعلتهم قرناء للقرآن، فمن هم أهل هذا البيت لنعتصم بهم؟ أترى

(١) وقد أخرج حديث السفينة كل من (ابن أبي شيبة الكوفي في المصنّف: ج ٧ ص ٥٠٣؛
الحافظ الطبراني في المعجم الصغير: ج ١ ص ١٣٩ - ١٤٠ و ج ٢ ص ٢٢؛ والمعجم
الأوسط: ج ٤ ص ١٠ و ج ٥ ص ٣٠٦ - ٣٥٤ - ٣٥٥ و ج ٦ ص ٨٥؛ والمعجم الكبير:
ج ٣ ص ٤٥ - ٤٦ و ج ١٢ ص ٢٧؛ والحافظ ابن سلامة القضاعي في مسند الشهاب:
ج ٢ ص ٢٧٣ - ٢٧٥؛ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ج ١٢ ص ٩٠؛ وابن المغازلي
الشافعي في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: ص ١٠٠ - ١٠١؛ وفي كنز العمال: ج ٢ ص ٤٣٤ -
٤٣٥؛ عن القطان في أماليه، وابن مردويه، وفي (١٢ ص ٩٥) عن البزار.
وقد صحّحه جمعٌ من علماء أهل السنة ومحققهم، منهم الحافظ السخاوي حيث قال:
«وبعض هذه الطُرُق يقوِّي بعضاً» استجلاء ارتقاء الغرف: ج ٢ ص ٤٨٤؛ والسيوطي
في نهاية الإفضال في تشریف الآل؛ كما حكاه في: خلاصة العبقات: ج ٤ ص ٨٢؛
وشمس الدين الشامي في سبل الهدى والرشاد: ج ١١ ص ١١ - ١٢؛ ابن حجر في شرح
الهمزية: ص ٢٢٧؛ وفي الصواعق المحرقة: ص ٤٤ ما نصّه: «وجاء من طُرُق عديدة يقوِّي
بعضها بعضاً: إنّما مثّل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا؛ والعيدروس
اليميني في: العقد النبوي والسّر المصطفوي كما حكى عنه في: خلاصة العبقات: ج ٤
ص ٨٩؛ والعلامة زيني دحلان في: الفضل المبين: ص ٣١٦؛ والمحقّق خالد الصّمي
بابطين في حواشيه على استجلاء ارتقاء الغرف: ج ٢ ص ٤٨٢ - ٤٨٣ حيث صرّح بـ
«تقوِّي أسانيد الحديث بعضها ببعض»، والرواية في المصنّف لابن أبي شيبة: ج ٧
ص ٥٠٣، سندها صحيح، رجاله ثقات عن آخرهم.

(٢) المستدرک للحاکم: ج ٢ ص ٤٤٨.

أهل البيت عليهم السلام ٢٠٥

أن عصمتهم عليهم السلام من الضلال من الأمور العادية التي لا تهم معرفتها والاستفسار عنها؟ أم ترى أنهم كانوا معروفين لديهم، فما احتاجوا إلى استفسار وحديث؟

والذي يبدو أن الصحابة ما كانوا في حاجة إلى استفسار، وهم يشاهدون نبيهم صلى الله عليه وآله في كل يوم يقف على باب عليّ وفاطمة عليهما السلام وهو يقرأ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣)، وتسعة أشهر - وهي المدة التي حدث عنها ابن عباس - كافية لأن تعرف الأمة من هم أهل البيت عليهم السلام. ثم يشاهدونه وقد خرج إلى المباهلة، وليس معه غير عليّ وفاطمة وحسن وحسين عليهم السلام وهو يقول: اللَّهُمَّ هؤُلاءِ أهل بيتي. وهم من أعراف الناس بخصائص هذا الكلام وأكثرهم إدراكاً لما ينطوي عليه من قصر واختصاص^(١).

(١) الأصول العامة للفقهاء المقارن: ص ١٧٤.

(٣) دلالات آية التطهير

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣).

الطهارة في المدلول القرآني

يقول السيد الحيدري^(١): من مقابلة الرجس بالطهارة في الآية المباركة نعرف الضدية بينهما، ومن ثمّ يمكننا معرفة كلّ منهما من خلال معرفة الآخر، كما أنّ كلّ ما ثبت لأحدهما من المراتب وغيرها لا بدّ من ثبوته للآخر.

الرجس في اللغة: «القذر»، قال في (القاموس): «الرَّجْسُ بالكسر: القذر، ويجرّك، وتُفتح الراء وتكسر الجيم، والمأثم، وكلّ ما استقذر من العمل، والعمل المؤدّي إلى العذاب والشكّ والعقاب والغضب»^(٢)، وقال الفخر الرازي في تفسيره: «الرجس: عبارة عن الفاسد، المستقذر، المستكره»^(٣)، وقال الآلوسي في (روح المعاني): «والرجس في الأصل: الشيء القذر... وقيل: يقع على الإثم، وعلى العذاب، وعلى النجاسة، وعلى النقائص. والمراد هنا ما يعمّ ذلك»^(٤)، وقال الطباطبائي في (الميزان): «فالرجس: الشيء القذر على ما ذكره الراغب في مفرداته. فالرجاسة - بالفتح - كالنجاسة والقذارة هو الوصف

(١) ينظر العصمة للسيد الحيدري: ص ٨٧ وما بعدها.

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي: ج ٢ ص ٢١٩، ونحو ذلك في لسان العرب، ومفردات القرآن للراغب الإصفهاني.

(٣) مفاتيح الغيب: ج ١٧ ص ١٦٩.

(٤) روح المعاني: ج ٢٢ ص ١٢.

أهل البيت عليهم السلام ٢٠٧

الذي يُبتعد ويُتنزه عن الشيء بسببه، لتنفّر الطبع عنه»^(١)، وقال في موضع آخر: «والرجس بالكسر فالسكون: صفة من الرجاسة وهي القذارة، والقذارة هيئة في الشيء توجب التجنّب والتنفّر منها»^(٢).

ومن هنا فالرجس لا يختصّ بالأمور المادّية الظاهريّة، بل يشمل حتّى الأمور المعنويّة الباطنيّة، من الأعمال والأخلاق والسلوك والملكات والعقائد الباطلة، بل تعلق القلب وتوجّه النفس بها أيضاً.

قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ (الأنعام: ١٤٥)، فقد أشارت هذه الآية المباركة إلى المرتبة المادّية الظاهريّة من الرجس والقذارة.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٥)، هذه الآية المباركة جعلت الضلال ونتائجه من ضيق الصدر رجساً يجعله الله على الذين لا يؤمنون.

كما كان سبب الضلال عدم طهارة القلب؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ (المائدة: ٤١)، والرجس وعدم الطهارة بمعنى واحد، كما لا يخفى.

هذه الآيات المباركة ونظائرها تشير إلى المرتبة الباطنيّة المعنويّة للرجس، لأنّ الضلال ونتائجه وأسبابه أمور باطنيّة معنويّة، وقال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ (الحج: ٣٠).

وواضح: أنّ الأوثان بنفسها لا رجس فيها، وإنّما الرجس والقذارة في

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج ٦ ص ١٢٠.

(٢) المصدر نفسه: ج ١٦ ص ٣١٢.

٢٠٨..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

عبادتها دون الله تعالى، وهي من الأمور الباطنية المعنوية أيضاً.
وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (يونس: ١٠٠). وهذه الآية المباركة جعلت الشك والريب المؤدبين إلى الضلال وعدم الإيمان بالله تعالى رجساً يجعله الله على الذين لا يعقلون.

وقال عز اسمه: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ (التوبة: ١٢٥). وقد أشارت هذه الآية الكريمة إلى حقيقة أخرى، عدا كون الشك والنفاق رجساً، وهي أن الرجس ليس كله بمرتبة واحدة، بل هو من الأمور المتفاوتة، ذي المراتب المختلفة بالزيادة والنقصان، بحسب القبائح والنقائص التي يتلبس بها الإنسان.

كما قال تعالى: ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنْهُمْ رِجْسٌ﴾ (التوبة: ٩٥)، إذ جعلت هذه الآية المباركة المنافق نفسه رجساً، وذلك لما تلبس به من النفاق.
وكما أن للرجس مراتب متعددة، ظاهرية وباطنية، كذلك نجد الإثم له ظاهر وباطن؛ قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ (الأنعام: ١٢٠)، والإثم أيضاً من الرجس^(١).

قال في الكشاف: «واستعار للذنوب الرجس، وللتقوى الطهر، لأنَّ عرض المقترف للمقبّحات يتلوّث بها ويتدنّس، كما يتلوّث بدنه بالأرجاس. وأمّا المحسّنات فالعرض معها نقيّ مصون كالثوب الطاهر، وفي هذه الاستعارة ما ينفرّ أولي الألباب عمّا كرهه الله لعباده ونهاهم عنه، ويرغبهم فيما رضى لهم وأمرهم به»^(٢).

(١) ينظر: موسوعة الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت (عليهم السلام)، لمجموعة مؤلفين: ج ٣

ص ٤٩٥؛ وينظر: العرف الشذي شرح سنن الترمذي، للكشميري: ج ١ ص ٣٩.

(٢) الكشاف: ج ٣ ص ٥٣٨.

أهل البيت عليهم السلام ٢٠٩

أضف إلى ذلك أن كل معصية ضلال؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ (يس: ٦٠-٦٢)، وواضح من الآية المباركة أنها جعلت المعصية من إضلال الشيطان، بعد ما كانت عبادة له، والضلال من مراتب الشرك، ﴿وَإِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣).

والأعمال جميعاً سواء الصالح منها وغير الصالح ذات مراتب ودرجات؛ قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيُسِسُ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٦٢)، وقال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوقِفَهُمْ أَعمالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الأحقاف: ٤٦).

وهذه الآيات المباركة ونظائرها تثبت لنا أن للرجس مراتب متعددة متفاوتة، مادية ظاهرية، ومعنوية باطنية، يتصف به المتلبس بذلك العمل، وأنه يتعلّق بالاعتقادات الباطلة، كما يتعلّق بالأخلاق والسلوك والملكات، بل بتعلّق القلب وتوجّه النفس أيضاً.

وبحكم هذه الضدية الواقعة بين الرجس والطهارة نجد المراتب نفسها ثابتة للطهارة أيضاً، فهي تتعلّق بالأمور المادية الظاهرية، كما تتصف بها الأمور المعنوية الباطنية، قال تعالى: ﴿وَيُرَزَّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ (الأنفال: ١١)، وواضح: أن هذه الطهارة المكتسبة من الماء هي الطهارة المادية الظاهرية، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ (المائدة: ٦)، وهذه هي المرتبة الظاهرية من الطهارة.

وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ (البقرة: ٢٥)، وقال سبحانه: ﴿فِي صُحُفٍ مُكْرَمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ (عبس: ١٥-١٣)، وهذا نوع آخر من الطهارة تشير إليه هذه الآيات المباركة، غير تلك التي تحصل بالماء مثلاً، وهذه من مراتب الطهارة الباطنية.

٢١٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

وقال تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ (المائدة: ٦)، ومن الواضح أن المسح بالتراب لا يحقق الطهارة الظاهرية بل قد يسبب عكس ذلك، فلا بد أن يكون المراد من الطهارة هنا المعنوية الباطنية.

وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ (التوبة: ١٠٣)، فالتعلق بالأموال رجس تطهره الصدقة، وإلا فأى قذارة ورجاسة يحملها المال ليحتاج إلى التطهير والتزكية؟! بل الرجاسة في التعلق به وحبّه حباً تنجذب إليه النفس وتنصرف نحوه، كما قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً﴾ (الفجر: ٢٠)، ولهذا كانت الصدقة سبباً لطهارة النفس والقلب من هذا النوع من التعلق الذي هو من مراتب الرجس، كما يشير إليه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ (المجادلة: ١٢).

وحيث كان الضلال رجساً، كما تلونا ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (الأنعام: ١٢٥)، فلا بد أن يكون المقابل للضلال طهارة، نتيجة للضدية الموجودة بين الرجس والطهارة، والمقابل للضلال هو «الحق»؛ قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ (يونس: ٣٢)، فكل حق طهارة، وكل ضلال رجس^(١).

ومن هنا نجد الله سبحانه يصف ذاته العلية بأنه: «الحق»؛ قال عز اسمه: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (النور: ٢٥)، ويصف دينه بـ «الحق»؛ قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ (الصف: ٩)، ووعد به «الحق»؛ قال سبحانه: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ (الأنبياء: ٩٧)، وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ (غافر: ٥٥). وهكذا نرى القرآن الكريم يصف

(١) ينظر: السباق إلى العقول، للدكتور قادري الأهدل: ج ٢ ص ٥٩.

أهل البيت عليهم السلام ٢١١

كثيراً من الحقائق بأنها «حق».

وبالعكس نراه يصف ما يقابلها بـ «الضلال» و«الباطل» و«غير الحق»؛ قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ (الأنبياء: ١٨)، وقال سبحانه: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (البقرة: ٦١).

وعليه فمن البديهي أن تكون الوحدة القياسية للأعمال في اليوم الموعود هي «الحق»^(١)؛ قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ (الأعراف: ٨) وحينئذ فبقدر اشتغال الأعمال على الحق يزداد اعتبارها، وترتفع قيمتها، أما الباطل والضلال فهو خفيف لا وزن له؛ قال سبحانه: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ (الأعراف: ٨ - ٩).

القلب السليم

يقول السيد الحيدري^(٢): ختاماً لدعاء إبراهيم عليه السلام في سورة الشعراء جاء قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٧ - ٨٩).

قال الراغب الإصفهاني: «السلم والسلامة: التعرّي من الآفات الظاهرة والباطنة»^(٣).

وفي «الكشاف»: «ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي»^(٤)، وقال في موضع آخر: «بقلب سليم من جميع آفات القلوب، وقيل: من الشرك، ولا معنى للتخصيص لأنه مطلق، فليس بعض الآفات أولى من

(١) ينظر: أفلا تذكّرون، للسيد جعفر مرتضى العاملي: ص ٦١.

(٢) العصمة، للسيد الحيدري: ص ٩٥.

(٣) مفردات الراغب: ص ٢٣٩.

(٤) الكشاف، للزنجشيري: ج ٣ ص ٣٢٠.

بعض، فيتناولها كلها»^(١).

وقال الفخر الرازي في تفسيره: «أما السليم ففيه ثلاثة أوجه: الأول وهو الأصح: أن المراد منه سلامة القلب عن الجهل والأخلاق الرذيلة، وذلك لأنه كما أن صحّة البدن وسلامته عبارة عن حصول ما ينبغي من المزاج والتركيب والاتّصال، ومرضه عبارة عن زوال أحد تلك الأمور، فكذلك سلامة القلب عبارة عن حصول ما ينبغي له، وهو العلم، والخلق الفاضل، ومرضه عبارة عن زوال أحدهما، فقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَى اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أن يكون خالياً عن العقائد الفاسدة والميل إلى شهوات الدنيا ولذاتها...»^(٢).

وهكذا بقي هذا الوصف ثابتاً لإبراهيم عليه السلام، وكان من أبرز صفات الإخلاص الذي تحلّى به؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الصافات: ٨٣ - ٨٤). قال في الكشاف: «فإن قلت: ما معنى المجيء بقلبه ربّه؟ قلت: معناه أنه أخلص لله قلبه»^(٣).

ومن هنا جاء ابتلاؤه بذبح ابنه بمنزلة البرهان العملي والدليل القاطع على سلامة القلب والإخلاص لله تعالى، والانقياد التام والتسليم المطلق لله ربّ العالمين؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (الصافات: ١٠٣).

فكان هذا الإسلام والاستسلام لله تعالى، وخلوص القلب له سبحانه، والانقياد، والخضوع التام.. من آثار سلامة قلبه عليه السلام، خُتمت به قصّته في هذه السورة المباركة، حيث ابتدأت بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الصافات: ٨٣ - ٨٤)، وما إن بلغ إبراهيم عليه السلام هذه المرتبة

(١) المصدر نفسه: ج ٤ ص ٤٨.

(٢) تفسير الرازي: ج ٢٤ ص ١٥١.

(٣) الكشاف، للزخشري ٤ ص ٤٨.

أهل البيت عليهم السلام ٢١٣

من التسليم المحض لله سبحانه حتى بلغ مرتبة الاصطفاء في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسَلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿﴾ (البقرة: ١٣٠-١٣١).

وإلا فهل يمكن أن يكون الإسلام هو بتشهد الشهادتين فحسب، وهو ما يحصل قبل الإيمان، كما قال سبحانه: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسَلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ١٤)!

قال الفخر الرازي في تفسيره: «أي: اصطفيناه في الوقت الذي قال له ربّه أسلم، فكأنه تعالى ذكر الاصطفاء، ثم عقبه بذكر سبب الاصطفاء، فكأنه لما أسلم نفسه لعبادة الله تعالى، وخضع لها وانقاد، علم تعالى من حاله أنّه لا يتغيّر على الأوقات، وآته مستمرّ على هذه الطريقة، وهو مع ذلك مطهرّ من كلّ الذنوب، فعند ذلك اختاره للرسالة، واختصّه بها، لأنّه تعالى لا يختار للرسالة إلاّ من هذا حاله في البدء والعاقبة...»^(١).

واستمراراً لهذا الإسلام والاستسلام يأتي دعاء إبراهيم عليه السلام عند بناء البيت، كما حكاه الله تعالى عنه وعن ابنه إسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ (البقرة: ١٢٨).

وهذا هو الاستسلام، والانقياد والخضوع التام والرضا. قال الرازي أيضاً: «أي: نكون مسلمين لك لا لغيرك، وهذا يدلّ على أنّ كمال سعادة العبد في أن يكون مسلماً لأحكام الله تعالى وقضائه وقدره، وأن لا يكون ملتفت الخاطر إلى شيء سواه»^(٢).

وهذا ما تجده في عباد الله المخلصين، وهم الذين بلغوا مرتبةً من

(١) تفسير الرازي: ج ٤ ص ٧٩.

(٢) تفسير الرازي: ج ٤ ص ٦٧.

٢١٤..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

الإخلاص لله بحيث لا يتعلّق قلبهم بسواه، وهم الذين لم يعبدوه طمعاً في جنّته، ولا خوفاً من ناره، بل عبدوه لأنّه أهل للعبادة.

وهذه مرتبة عالية من الطهارة لا ينالها إلاّ عباد الله المخلصون.

الخلاصة: أنّ للرجس والطهارة مراتب متعدّدة، فهما يتعلّقان بالأعمال والملكات، والأخلاق، والسلوك، ويتعلّق القلب وتوجّه النفس أيضاً.

الإرادة

هناك بحوث كثيرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ (الأحزاب ٣٣)، لاسيّما فيما يرتبط ببحث الإرادة.

جدير بالذكر أنّ لفظ «إنّما» من أدوات الحصر، كما نصّ على ذلك علماء اللغة العربيّة، فتدلّ على حصر إرادته تعالى بإذهاب الرجس عن هؤلاء البررة وتطهيرهم، فلا إرادة له تعالى خلاف هذه، كما قال الراغب في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾ (البقرة: ١٧٣)، «أي: ما حرّم إلاّ ذلك»^(١).

قال ابن حجر الهيتمي: «ثمّ هذه الآية منبع فضائل أهل البيت النبوي؛ لاشتغالها على غرر مآثرهم، والاعتناء بشأنهم، حيث ابتدأت بـ (إنّما) المفيدة لحصر إرادته تعالى في أمرهم على إذهاب الرجس الذي هو الإثم أو الشكّ فيما يجب الإيثار به عنهم، وتطهيرهم من سائر الأخلاق والأحوال المذمومة، وسيأتي في بعض الطرق تحريمهم على النار، وهو فائدة ذلك التطهير وغايته...»^(٢).

أمّا لفظة الإرادة فهي ومشتقاتها من الألفاظ القرآنيّة الكثيرة الاستعمال فيه، وهي أيضاً من الألفاظ الشائعة في المحاورات العرفيّة.

(١) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب: ص ٩٢.

(٢) الصواعق المحرقة: ص ١٤٤.

واصطلح الأصوليون على تقسيم الإرادة إلى:

١. تكوينية، وهي: إرادة الشخص صدور الفعل عنه بنفسه، من دون تخلل إرادة غيره في صدوره، كما في إرادة الله تعالى خلق العالم، وإيجاد الأرض والسماء، وإرادتك أكلك وشربك وصلاتك وصيامك.
٢. تشريعية، وهي: إرادة الشخص صدور الفعل من غيره، بإرادته واختياره، كما في إرادة الله تعالى صدور العبادات والواجبات من عباده، باختيارهم وإرادتهم، لا مجرد حصولها بأعضائهم، وصدورها بأبدانهم من دون تخلل القصد منهم، وكما في إرادتك صدور الفعل من ابنك وخادمك بلا إجبار منك وإلجاء^(١).

قال الطباطبائي: «للمشيئة والإرادة انقسام إلى الإرادة التكوينية الحقيقية، والإرادة التشريعية الاعتبارية. فإن إرادة الإنسان التي تتعلق بفعل نفسه نسبة حقيقية تكوينية، تؤثر في الأعضاء الانبعاث إلى الفعل، ويستحيل معها تخللها عن المطاوعة، إلا لمانع. وأما الإرادة التي تتعلق منّا بفعل الغير، كما إذا أمرنا بشيء أو نهينا عن شيء، فإنها إرادة بحسب الوضع والاعتبار، لا تتعلق بفعل الغير تكويناً، فإن إرادة كل شخص إنما تتعلق بفعل نفسه من طريق الأعضاء والعضلات، ومن هنا كانت إرادة الفعل أو الترك من الغير لا تؤثر في الفعل بالإيجاد والإعدام، بل تتوقف على الإرادة التكوينية من الغير بفعل نفسه، حتى يوجد أو يترك عن اختيار فاعله لا عن اختيار أمره وناهيه...»^(٢).

يقول السيد الحيدري^(٣): «وحيث أن يصبح الفارق الرئيس بين هذين

(١) ينظر: اصطلاحات الأصول، للمشكيني: ص ٢٩.

(٢) أصول الكافي: ج ١ ص ١٥١ تعليقة رقم (١).

(٣) انظر كتاب: العصمة: ص ١٧٩.

٢١٦..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

القسمين هو تخلل إرادة اختيارية بين المرید وتحقق الفعل المراد، وعدم تخللها في ذلك. فمتى كان بإمكان إرادة الطرف الآخر أن تحول بين الفعل ومریده، كانت تلك الإرادة من القسم الثاني أعني التشريعية، وإلا فهي من القسم الأول أي التكوينية.

من هذه القسمة الحاصرة للإرادة، والدائرة بين النفي والإثبات، يتضح لنا عدم إمكان قسم ثالث لها.

ويتضح أيضاً عدم إمكان تخلف الإرادة عن تحقق الفعل المراد خارجاً في الحالة الأولى، وذلك لكون الإرادة على أقل التقادير هي الجزء الأخير من العلة، وأن استحالة تخلف المعلول عن العلة من البدييات. وهذا بخلاف الحالة الثانية لها، حيث يمكن فيها عدم تحقق الفعل خارجاً من خلال إرادة الغير المتوسطة بينها وبين الفعل، كما في حالات عصيان التشريع وعدم امثاله.

وفي الواقع فإن كلا القسمين من الإرادة يستحيل تخلفه عن المراد، بيد أن المراد ومتعلق الإرادة مختلف فيهما، فهو في القسم الأول التحقق الخارجي للفعل، أما في القسم الثاني فتشريعه للمكلفين، فمتى ما شاء تشريع الحكم فلا يعقل تخلف ذلك.

قال السيد محمد تقي الحكيم: «وهي يعني التكوينية والتشريعية وإن كانت من حيث استحالة تخلف المراد عنها واحدة، إلا أنها تختلف بالنسبة إلى المتعلق، فإن كان متعلقها خصوص الأمور الواقعية من أفعال المكلفين وغيرها، سميت تكوينية، وإن كان متعلقها الأمور المجعولة على أفعال المكلفين من قبل المشرع سميت إرادة تشريعية»^(١).

(١) الأصول العامة للفقهاء المقارن: ص ١٤٩.

أهل البيت عليهم السلام ٢١٧

أما فيما يرتبط ببحثنا فربما يقال: إن الإرادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ (الأحزاب: ٣٣)، هي من القسم الثاني أعني التشريعية فيكون المعنى: (إنما شرعنا لكم أهل البيت الأحكام لنذهب عنكم الرجس ونطهركم)، ولكن هذا التفسير للإرادة يتنافى مع الحصر المستفاد من كلمة (إنما)، إذ من الواضح أن الغاية من تشريع الأحكام إذهاب الرجس عن جميع المكلفين لا عن خصوص أهل البيت عليهم السلام، ولا خصوصية لهم في تشريع الأحكام، وليست لهم أحكام مستقلة عن أحكام بقية المكلفين، على أن حملها على الإرادة التشريعية يتنافى أيضاً مع اهتمام النبي صلى الله عليه وآله بأهل البيت عليهم السلام، وتطبيق الآية عليهم بالخصوص، كما أن حملها على التشريعية يبعتها عن كونها منقبة للمخاطبين بها من أهل البيت عليهم السلام؛ لأنها تكون إنشاءً وطلباً للتطهير وإذهاب الرجس من المخاطبين بها، وهذا خلاف ما أجمع عليه المفسرون في فهم هذه الآية المباركة، من أنها بصدد الإخبار عن منقبة وفضيلة لأهل البيت عليهم السلام، لهذا نجد النزاع قائماً فيما بينهم في شأن نزولها، ويحاول كل فريق إثبات نزولها في قوم دون آخرين.

وهذا خير شاهد على أن الآية ليست بصدد الإنشاء والطلب، كما يحاول مدعو الإرادة التشريعية، بل هي إخبار عن أمر خارجي، وهذا لا ينسجم إلا مع الإرادة التكوينية.

قال الطبرسي: «فلا تخلو الإرادة في الآية أن تكون هي الإرادة المحضة، أو الإرادة التي يتبعها التطهير وإذهاب الرجس. ولا يجوز الوجه الأول، لأن الله تعالى قد أراد من كل مكلف هذه الإرادة المطلقة، فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق، ولأن هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم، بغير شك ولا شبهة، ولا مدح في الإرادة المجردة، فثبت الوجه الثاني»^(١).

(١) مجمع البيان: ج ٨ ص ١٥٧.

٢١٨ حديث الثقلين سنداً ودلالة

وقال الطباطبائي: «ويكون المراد بالإرادة أيضاً غير الإرادة التشريعية؛ لما عرفت أن الإرادة التشريعية، التي هي توجيه التكليف إلى المكلف، لا تلائم المقام أصلاً»^(١).

وكل هذا شاهد بأن هذه الآية المباركة تمثل منقبة كبيرة، وتشير إلى مزيد فضل لمن نزلت في حقه، وإذ لم يمكننا حمل الإرادة على التشريعية فلا بد من حملها على التكوينية، لأن القسمة حاصرة فيها.

الشمولية في إذهب الرجس

يقول السيد الحيدري^(٢): من الجدير بالذكر أن قوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾، عام شامل في إذهب الرجس؛ وذلك لما تفيدته (ال) في قوله (الرجس) من العموم والشمولية؛ إذ هي إما أن تكون للجنس، أو للاستغراق، ولم يتقدم ذكر أو إشارة إلى الرجس في الآيات السابقة لتكون (ال) حينئذ عهديّة. وهذه الشمولية تعني نفي الرجس عن هؤلاء البررة نفيّاً عاماً شاملاً لجميع مستويات الرجس، سواء على مستوى الاعتقاد، أم الأعمال، أم الأخلاق والسلوك، أم التعلّق بغير الله تعالى. فكل رجس وكلّ قذارة فقد أذهبها الله تعالى عنهم، وأثبت مكانها الطهارة المؤكّدة، كما هو مدلول قوله تعالى: ﴿وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً﴾.

قال الفخر الرازي: «وقوله تعالى: ﴿يُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً﴾ فيه لطيفة، وهي: أنّ الرجس قد يزول عيناً ولا يطهر المحلّ، فقوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ أي يزيل عنكم الذنوب، ﴿وَيُطَهِّرْكُمْ﴾ أي: يُلبسكم خلع الكرامة»^(٣).

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج ١٦ ص ٣١٣.

(٢) ينظر: العصمة للسيد الحيدري: ص ١٠٠ وما بعدها.

(٣) تفسير الرازي: ج ٢٥ ص ٢٠٩.

أهل البيت عليهم السلام ٢١٩

ومن هذه الشمولية في نفي الرجس نعرف عدم الفرق بين الحالات، فهو منفي عن هؤلاء الصفوة قبل البلوغ وبعده، حال تبليغ الأحكام وغيره، في العمد والنسيان والجهل، وذلك لكون المحرّمات الإلهية رجساً حقيقة، غاية أن الجاهل بها وبحرمتها يُرفع عنه العقاب واللوم، لطفاً من الله سبحانه بهذه الأمة المرحومة، لكن حقيقة الرجس لا تتبدّل ولا تتغيّر بعلم الإنسان أو جهله، فهذه الآية المباركة حيث أكّدت نفي الرجس وأثبتت الطهارة المؤكّدة لهؤلاء الصفوة، فهي تعبير آخر عن «العصمة» المطلقة، وفي جميع حالاتهم، ولا تختص بحالة دون أخرى، ولا بزمان دون غيره.

زيادة على ما تقدّم من أن كلّ حقّ طهارة، وكلّ رجس ضلال وباطل، فإنّ إذهاب الرجس عن هؤلاء الصفوة يعني: إذهاب كلّ باطل وضلال عنهم، وإثبات الطهارة لهم يعني: إثبات كلّ حقّ لهم، في اعتقاداتهم، وأفعالهم، وأقوالهم، وسلوكهم. ومن هنا فهم حقّ متجسّد، لا يصدر منهم الباطل بأيّ حال من الأحوال؛ قال عزّ اسمه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١).

فهو ﷺ حقّ لا يتطرق إليه الباطل في جميع تصرّفاته، وشئى حالاته، وحيث كان نفي الرجس وإثبات الطهارة تعبيراً آخر عن «العصمة» فمن المفيد هنا البحث عن حقيقة العصمة، والإمكانات العلمية التي زوّد بها المعصوم، وقدراته الفائقة في إعمال إرادته نحو الخير والفضيلة.

تطبيق معنى العصمة

من الأسئلة الأساسية التي تحوم حول الآية: هل نستفيد من الآية الكريمة حصراً، بأنّ المقصود بأهل البيت ﷺ هم عترة النبي ﷺ خاصة، أم نحتاج إلى قرينة خارجية تدلّ على المطلوب؟

٢٢٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

فالأية تذكر أهل البيت عليهم السلام، ولكن هذا اللفظ في القرآن تعبير عن اصطلاح عام، فهل نحتاج لكي نخصّصه بطائفة أو جماعة أو أفراد معيّنين، إلى قرينة من الخارج، كالرواية والوقائع التاريخية وأجواء النزول ومناخاته، أم أنّ الآية نفسها لا قابليّة لها على شمول غير طائفةٍ ونفرٍ معيّن؟ هكذا يمكن لبعض أن يذهب إلى أنّ القرآن ما دام لم يحدّد من هم أهل البيت عليهم السلام، فإنّ الآية عامّة، لكن بالعودة إلى المقدّمين اللتين ثبتتا فيما مضى، نستفيد حصر الآية في العترة خاصّة دون من سواهم.

تفيد المقدّمة الأولى أنّ قوله: ﴿وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً﴾، دالّ على العصمة.

وتفيد المقدّمة الثانية أنّ قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾، هو إخبار وليس إنشاءً.

إذن، هذه الآية لا يمكن أن تشمل أقرباء النبي صلى الله عليه وآله ولا نساءه ولا أعمامه ولا أيّ مصداق آخر غير العترة خاصّة، لأنّ جميع فرق المسلمين تتفق على عدم عصمة أولئك، ولو كانت الآية تنطوي على الإطلاق بحيث تشمل أعمام النبي صلى الله عليه وآله وقرابته ونساءه لكان منهم من ادّعى هذا الفخر، وهو وسامٌ عظيمٌ لا يمكن لإنسان أن يزهد فيه، لكن عند العودة إلى التاريخ لا تجد أحداً ادّعى ذلك.

من ناحية ثانية تشير الوقائع التاريخية إلى أنّ هؤلاء كانوا مشركين ثمّ صاروا مسلمين، وحتى بعد أن أسلموا صدرت منهم أخطاء واشتباهاات وبدرت من بعضهم معاصٍ وانحرافات وإن تأوّلها بعضٌ بالاجتهاد، وهذا ما يخالف العصمة التي من المفروض أنّ الآية نصّت عليها بهم.

خذ من نساء النبي صلى الله عليه وآله عائشة أمّ المؤمنين مثلاً، إذ خرجت على إمام زمانها الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. ومن الواضح أنّ الخروج على إمام الزمان شقٌّ لعصا المسلمين. أجل، هناك في المدرسة السنّية من تأوّل ذلك لعائشة بأنّها اجتهدت وأخطأت، وكذلك فعلوا مع سائر الصحابة،

أهل البيت عليهم السلام ٢٢١

ولكنّها على كلّ حال أخطأت وصدر منها ما يجانب العصمة ويعارضها.
يقول الألباني: «ولا نشكّ أنّ خروج أمّ المؤمنين كان خطأ من أصله
ولذلك همّت بالرجوع حين علمت بتحقيق نبوءة النبي ﷺ عند الحوَاب،
ولكنّ الزبير أقنعها بترك الرجوع بقوله (عسى الله أن يصلح بك بين الناس)
ولا نشكّ أنّه كان مخطئاً في ذلك أيضاً، والعقل يقطع بأنّه لا مناص من القول
بتخطئة إحدى الطائفتين المتقاتلتين اللتين وقع فيهما مئات القتلى، ولا شكّ أنّ
عائشة المخطئة لأسباب كثيرة وأدلة واضحة، ومنها ندمها على خروجها،
وذلك هو اللائق بفضلها وكمالها، وذلك ممّا يدلّ على أنّ خطأها من الخطأ
المغفور بل المأجور»^(١).

فليس في القرائن التاريخية ما يشير إلى ادّعاء أحد ممّن ذكروا أنّهم مصداق
الآية دون عتره النبي ﷺ خاصّة، فيذكر المحدثون «أنّ الحسن بن عليّ حين
قُتل عليّ عليه السلام استخلف، فبينما هو يصليّ بالناس إذ وثب إليه رجل قطعنه
بخنجر في وركه فتمرّض منها أشهراً، ثمّ قام فخطب على المنبر فقال: يا أهل
العراق اتّقوا الله فينا فإنّا أمراءكم وضيّفانكم ونحن أهل البيت الذين قال الله عزّ
وجلّ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، فما
زال يومئذ يتكلّم حتّى ما ترى في المسجد إلّا باكياً»^(٢).

وذكر الطبري وابن كثير: «حدّثني محمّد بن عماره، قال: ثنا إسماعيل بن
أبان، قال: ثنا الصباح بن يحيى المرّي، عن السدي، عن أبي الديلم، قال: قال
عليّ بن الحسين لرجل من أهل الشام: أما قرأت في الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، قال: ولأنتم هم؟ قال:

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج ١ ص ٨٥٤.

(٢) ينظر: مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٧٥؛ المعجم الكبير: ج ٣ ص ٩٣ ورجاله ثقات.

٢٢٢..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

نعم»^(١).

أما الآخرون لم يذكروا ولو في موردٍ واحدٍ أنّ الآية نزلت فيهم وأتتهم مشمولون بها، مع ما في ذلك من السموّ والرفعة، وأيضاً مع حاجة بعضهم إلى هذا الوسام القرآني الرفيع.

من جهة أخرى: لا يمكن أن تكون الآية شاملة ومطلقة في نفسها لكي تحتاج إلى مخصص من الخارج، وإنما هي خاصة بنفر معيّن، وهؤلاء النفر هم الذين عيّنهم لنا حديث الثقلين.

وحديث الثقلين بيّن للمسلمين كافّةً من هم عدل القرآن الذين لا يفترقون عنه.

(١) ينظر تفسير الطبري: ج ٢٢ ص ١٢؛ تفسير ابن كثير: ج ٣ ص ٤٩٥.

المبحث الثاني

دلالات حديث الثقلين

وفيه توطئة ومطالب

١. يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي، فَأَجِيبَ، أَوْ كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ فَأَجِبْتُ
٢. وَإِنِّي، تَارِكٌ فِيكُمْ، الثَّقَلَيْنِ، أَوْ الْخَلِيفَتَيْنِ
٣. مَا إِن تَمَسَّكْتُمْ بِهِ، أَوْ مَا إِن أَخَذْتُمْ بِهِ، أَوْ مَا إِن اعْتَصَمْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا
٤. أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخِرِ: كِتَابُ اللَّهِ، حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَعِثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي
٥. وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ
٦. دلالة ذكر «حديث الثقلين» مع حديث «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه» يوم الغدير

توطئة

إنني قد نوّهت - بداية القول - إلى أنّ مادّة هذه البحوث التي هي للسيد كمال الحيدري أصل فكرتها من خلال برنامج الأطروحة المهدويّة الذي يبث من قناة الكوثر الفضائيّة، والذي تناول فيه موضوع حديث الثقلين، في أكثر من ٧٥ حلقة، تناوله سنداً وبعض دلالاته، وأتينا على مباحث السند في الفصل الأوّل من هذه الرسالة، وأمّا مباحث الدلالة فلم يتمكّن سماحة السيد الحيدري من إتمام بحوثه فيها؛ لانقطاع بثّ البرنامج في القناة المذكورة، إلّا أنّ المهمّ في الأمر قد بيّن لنا سماحته منهجيّته في كيفية تناوله لهذه المباحث العقديّة مع تطبيقات غنيّة لمقاطع من حديث الثقلين. وبالحقيقة: إنّنا لو أردنا أن نأتي بكلّ ما أراد أن يطرحه سماحته في دلالات الثقلين، كان من المؤكّد أنّنا سنحتاج إلى ضعف عدد الصفحات المقرّرة لهذه الرسالة، ومن حسن الحظّ أنّ الذي ألقاه سماحته في البرنامج هو بمقدار تستطيع صفحات هذه الرسالة أن تحمله، وأنا بدوري سأحاول أن أقدم المادّة التي تصلح لأن تكون لباب منهجيّة سماحة السيد، كي أستفيد أنا كباحث، وغيري من طلبة العلوم، من الكليّات والقواعد العامّة، التي يبثّها سماحته إثراءً للبحث العلمي.

سنقف على دلالة حديث الثقلين عن طريق ألفاظه وتنوعها، ومن الروايات الصحيحة السند التي ذكرناها في الفصل الأوّل، وذلك أن نأخذ مقطعاً ما، من الحديث باختلاف ألفاظه ونقف على معانيه لغةً واصطلاحاً، ومن ثمّ نقوم بجمع هذه المعاني بعضها ببعض، للوصول إلى المعنى العامّ، وهو أسلوب الاستقراء الذي يعتمد على سماحة السيد الحيدري، مع ضميمته

٢٢٦.....حديث الثقلين سنداً ودلالة

أسلوب جمع القرائن الذي يتبعه ويستدلّ به سماحته أيضاً، للوصول إلى الدلالات والنتائج، وذلك بضمّ قرينةٍ إلى آخرتها، إلى أن يصل بنا الموضوع والمطلب إلى مراده، لا أن نصل نحن بالمطلب إلى مرادنا.

كذلك هنا سنعمل بالمنهج نفسه، وهو أننا سنقف عند المفردات مفردةً مفردة، ثمّ بعد ذلك ضمّنا إلى بعضها ونحاول الحصول على المعنى العامّ للنصّ.

بمعنى آخر: لا نسقط المعنى العامّ على المفردات، وإنّنا نشكّل المعنى العامّ من الأجزاء والمفردات، وهو ما يقال له بالاصطلاح المنطقي: الاستقراء^(١).

(١) الاستقراء: هو أن يدرس الذهن عدّة جزئيات فيستنبط منها حكماً عاماً. (المنطق، للمظفر: ص ٢٣٤).

(١) يُوشِكُ، أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي، فَأَجِيبَ، أَوْ كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ فَأَجِبْتُ

الألفاظ

- (يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب) برواية مسلم، وأخرجه أحمد في المسند، والدارمي والبيهقي، والنسائي في السنن، وابن أبي شيبة في المسند وغيرهم.
- (كأني قد دُعيت فأجبت) برواية النسائي، وأخرجه الطحاوي والحاكم والطبراني، وابن أبي عاصم في السنة.

المعاني لغة

- يوشك: «الوشيك: السريع. أمرٌ وشيكٌ: سريع، وشكٌ وشاكَةٌ ووشكٌ وأوشكٌ، وقال بعضهم: يُوشِكُ أن يكون كذا وكذا، ويوشِكُ أن يكون الأمرُ، ويوشِكُ الأمرُ أن يكون»^(١).
- يأتيني: «أتي: الإتيان: المجيء. أتيتُه أتياً وأتياً وإتياً وإتياناً وإتيانَةً ومأتاةً: جئتُه»^(٢).
- رسول: «الرَّسول معناه في اللغة: الذي يُتابع أخبار الذي بعثه، أخذاً من قولهم جاءت الإبل رسلاً أي متتابعة»^(٣).
- ربي «الرَّبُّ: هو الله عز وجل، هو رَبُّ كلِّ شيءٍ أي مالكه، وله الرُّبوبيَّة على جميع الخلق، لا شريك له، وهو رَبُّ الأربابِ، ومالكُ الملوِكِ والأَملاكِ.

(١) لسان العرب: ج ١٠ ص ٥١٣.

(٢) المصدر نفسه: ج ١٤ ص ١٣.

(٣) المصدر نفسه: ج ١١ ص ٢٨٤.

٢٢٨ حديث الثقلين سنداً ودلالة

ولا يقال الربُّ في غيرِ الله، إلَّا بالإضافة، قال: ويقال الرَّبُّ، بالألفِ واللام، لغيرِ الله»^(١).

• أجيب: «والجواب، معروفٌ: رَدِيدُ الكلام، والفِعْلُ: أَجَابَ يُجِيبُ. قال الله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾؛ أي: فليُجِيبُوني. وقال الفراءُ: يقال: إِنها التَّلبِيَةُ، والمصدر الإِجابةُ، والاسم الجابَةُ، بمنزلة الطاعةِ والطاقة»^(٢).

• كَأَنَّ: حرفٌ تشبيهِ، إِنما هو أَنَّ دخلت عليها الكاف ؛ قال ابن جنِّي: إن سأل سائلٌ فقال: ما وَجَهَ دخول الكاف ههنا، وكيف أَصلُ وَضْعِها وترتيبها؟ فالجوابُ أَنَّ أَصلَ قولنا: كَأَنَّ زيداَ عَمُرُو إِنما هو إنَّ زيداَ كَعَمُرُو، فالكاف هنا تشبيهه صريحٌ، وهي متعلِّقةٌ بمحذوف فكأنك قلت: إنَّ زيداَ كائنٌ كَعَمُرُو»^(٣).

«ويقال لكلِّ من مات: دُعِيَ فَأَجاب»^(٤).

الشرح

المقطع الأوَّل في هذا الحديث يشير إلى أَنَّ الحديث صدر في أخريات حياة النبي الأكرم ﷺ، وقد ورد هذا الحديث قبل ذلك، ولكن رسول الله ﷺ يريد أن يُختم حياته بذكر هذا الحديث وفي حجة الوداع مقترناً بحديث الغدير في غدير خم.

هذا المقطع من الحديث الشريف بلفظيه يشير إلى معنى واحد، وهو قرب

(١) المصدر نفسه: ج ١ ص ٣٩٩.

(٢) لسان العرب: ج ١ ص ٢٨٣.

(٣) المصدر نفسه: ج ١٣ ص ٣٣.

(٤) المصدر نفسه: ج ١٤ ص ٢٥٩.

دلالات حديث الثقلين ٢٢٩

رحيل المصطفى ﷺ عن الدنيا. فقوله (يوشك): أي: سريعاً. وأكد هذا المعنى بـ «أن». (يأتيني): يجيئني رسول ربّي - وهو ملك الموت الموكل بقبض الأرواح - كنايةً عن الموت. (فأجيب): فألبي مطيعاً. وقوله (كأنّي) شبه نفسه ﷺ بالميت. (قد) حرف تحقيق. (دعيت) أي: إلى الموت فليت وأطعت.

دلالات المقطع

الدلالة الأولى: تهيئة الأمة لمواجهة فاجعة رحيل النبي ﷺ عن عالم الدنيا، وبه ينقطع الوحي عنهم، وعليه ما الكيفية التي ستعيشها الأمة من بعده، وما هي طريقة اتّصالهم بالسما، وهل ستنتهي الرسالة بانتقال روح النبي الخاتم ﷺ إلى الباري، لاسيّما وإنّه توجد إشارة قرآنية لهذه التساؤلات ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ (آل عمران ١٤٤)، ومن خلال هذا الجواب القرآني نبّهت السماء: أنّ الموضوع هو ليس شخص محمّد، بمقدار ما يحمله محمّد ﷺ من وحي ونبوة، فستبقى الرسالة من بعده. إذن هذا الحديث في أواخر حياته ﷺ.

الدلالة الثانية: أنّ هذا التنبيه هو وصيةٌ بحدّ ذاتها، أهميتها وعظمتها كونها نبوية، وظرفها الحساس وإشاراتها المهمة، ومضامينها، كلّ هذه ستجعل وجعلت الأمة في موقع المسؤولية تجاهها، لذا سنجد ﷺ يردّد «أذكركم الله في أهل بيتي» ثلاثاً.

(٢) (وَإِنِّي، تَارِكٌ فِيكُمْ، الثَّقَلَيْنِ، الْخَلِيفَتَيْنِ)

الألفاظ

- (إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ) برواية النسائي والطحاوي والحاكم، وابن أبي عاصم، والطبراني والألباني والترمذي والبغوي والسخاوي وابن حجر الهيثمي.
- (إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ) برواية الحاكم وابن أبي شيبة وأحمد في المسند وعبد بن حميد في مسنده.
- (إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ) برواية ابن أبي شيبة في المسند.
- (الثقلين) النسائي والطحاوي والحاكم وابن أبي شيبة وأحمد.
- (الخليفتين كاملتين) رواه ابن أبي شيبة في المسند.
- (الخليفتين من بعدي) رواه ابن أبي شيبة في المصنّف، والسمهودي، وعبد بن حميد، ورواه الطبراني، وأحمد، والهيثمي، والطحاوي، والترمذي، والسيوطي، والسخاوي، وصحّحه الألباني.
- (حبلٌ ممدودٌ ما بين السماء والأرض) رواه أحمد بن حنبل في المسند، وفي فضائل الصحابة، والسيوطي في جامع الصغير، والآلوسي في روح المعاني، والألباني في صحيح الجامع الصحيح، والترمذي في جامعه.

المعاني لغة

- الترك: قال ابن منظور: «التَّرْكُ: وَدَعَا الشَّيْءَ، تَرَكَه يَتْرُكُهُ تَرْكًا وَاتَّرَكَه. وَتَرَكْتُ الشَّيْءَ تَرْكًا: خَلَيْتَهُ»^(١).

(١) لسان العرب: ج ١٠ ص ٤٠٥.

• **الثقل**: متاع المسافر كما في اللغة، فإنّي تاركٌ فيكم الثقلين، الثقلين تشية ثقل، وجماعة من المحدثين واللغويين يقرأون الكلمة بالثقلين: إنّي تاركٌ فيكم الثقلين، فيكون تشية للثقل. قال الفيروزآبادي: «والثقل: متاع المسافر وحشمه وكلّ شيءٍ نفيسٍ مصون، ومنه الحديث: إنّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي»^(١)، وقال ابن منظور: «فكلّ شيءٍ نفيس، وعَلِقَ حَظِيرٌ فهو ثَقْلٌ وَثَقِيلٌ وثاقل»^(٢).

• **خليفتين**: «استخلف فلاناً من فلان: جعله مكانه. وخلف فلان فلاناً: إذا كان خليفته. يقال: خلفه في قومه خلافةً. وفي التنزيل العزيز: ﴿قَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾. وخلفته أيضاً: إذا جئت بعده. ويقال: خلفت فلاناً أخلفه محليفاً واستخلفته أنا: جعلته خليفتي. واستخلفه: جعله خليفة. والخليفة: الذي يستخلف من قبله»^(٣).

قال ابن منظور: «عتره رسول الله ﷺ ولد فاطمة عليها السلام؛ هذا قول ابن سيده، وقال الأزهري رحمه الله: (وفي حديث زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: إنّي تاركٌ فيكم الثقلين خلفي: كتاب الله وعترتي، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض؛ وقال: قال محمد بن إسحق: وهذا حديث صحيح، ورفع نحوّه زيد بن أرقم وأبو سعيد الخدري، وفي بعضها: إنّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فجعل العتره أهل البيت. وقال أبو عبيد وغيره: عتره الرجل وأسرته وفصيلته: رهطه الأذنون. ابن الأثير: عتره الرجل أحص أقاربه. وقال ابن الأعرابي: العتره ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه، قال:

(١) القاموس المحيط، لفيروز آبادي: ج ٣ ص ٣٤٢.

(٢) لسان العرب: ج ١١ ص ٨٦.

(٣) لسان العرب: ج ٩ ص ٨٣.

٢٣٢..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

فَعْتَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ: وَلَدُ فَاطِمَةَ الْبُتُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(١).

دلالات المقطع

في كل هذه الألفاظ المعنى واحد، فالنبي ﷺ لا يتكلم عن قضية مرتبطة بحياته، وإنما يتكلم بأمرٍ مرتبط بعدها، فهو يخطط لمستقبل الدعوة ول مستقبل الأمة، يريد أن يصونها كونه هو صمام الأمان، في حياته وبعد مماته، وهذه الوصية المرتبطة بتكليف الأمة من بعده، وهي تركته إليهم وخيرة ما ينصح به المسلمين للبقاء على الجادة والطريق المستقيم.

فالنبي ﷺ ودّع الأمة الثقلين، ومنه نفهم أنه سيسترجعها، لأنه من يودّع شيئاً فبرجاء استرجاعه، وبالفعل أن منطوق الحديث سيشير إلى هذه الوديعة واسترجاعها بقوله «حتى يردا عليّ الحوض» وهذا الفهم اللغوي الاستقرائي للمفردات يصلح ردّاً على من ضعف هذا الجزء من الحديث: «وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

الدلالة الأولى: أن هذا المقطع بشكل صريح وواضح يقصر وصية الرسول ﷺ بأن من يخلفه بالأمة من بعده هما الثقلان الكتاب والعترة، لا أزود ولا أنقص ولا غيرهما، فهما يمثلان المرجعية الكاملة بعد رسول الله ﷺ للأمة. وأكداً هي المرجعية المطلقة بلحاظ عدم التقييد والتخصيص، وبلحاظ وجود أحد القرينين هو القرآن، الذي - على ما سيأتي - فيه من علوم ومعارف هي إما أن تكون علوماً تحيط بكافة حاجات البشرية على مستوى التشريع وغيره، أو على قول آخر: أن فيه كل ما يحتاجه البشر للهداية، وعلى كلا الاحتمالين: أن عدله فيه إطلاق معرفي، وإن سمي بالأصغر.

(١) لسان العرب: ج ٤ ص ٥٣٨.

دلالات حديث الثقلين ٢٣٣

وعليه فلو كانت الأمة ستصلح بغير هذين الثقلين، لكان من الواجب الأكد أن يشير النبي ﷺ إليه، «ولمّا لم يبيّنه فيلزم أن لا يكون ضمن مراده؛ لكونه في مقام البيان من هذه الجهة»^(١).

يقول شرف الدين الطيّبي: (إني تارك فيكم) إشارة إلى أنّها بمنزلة التوأمين الخلفين عن رسول الله ﷺ، وأنّه يوصي الأمة بحسن المعاشرة معها وإيثار حقها على أنفسهم، كما يوصي الأب المشفق لأولاده^(٢).

ومثله ملا علي القاري: «فمن أقام بالوصية وشكر تلك الصنعة بحسن الخلافة فيها، لن يفترقا فلا يفارقانه في مواطن القيامة ومشاهدها حتّى يرد الحوض»^(٣).

الدلالة الثانية: ما يلفت النظر هذه الاستعارة (الثقلين) ليعبر عن خطر شأنها وجلالة قدرهما وشرف منزلتهما، يقول الهيثمي: «وسمّاهما ثقلين إعظاماً لقدرهما؛ إذ يقال لكلّ خطيرٍ شريف: ثقلاً، أو لأنّ العمل بها أوجب الله من حقوقها ثقيل جداً، ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (المزمل: ٥)، أي: له وزن وقدر؛ لأنّه لا يؤدّي إلّا بتكليف ما يثقل»^(٤).

وقال ابن الأثير «(إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي) سمّاهما ثقلين، لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل. ويقال لكلّ خطيرٍ [نفيس]: ثقل، فسّمّاهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما»^(٥).

(١) مرجعية أهل البيت ﷺ في ضوء حديث الثقلين، للسيد راضي الحسيني: ص ٦٩.

(٢) الكاشف عن حقائق السنن، للطيبي: ج ١٢ ص ٣٩.

(٣) مرقاة المفاتيح، للقاري: ج ١١ ص ٣٠٨.

(٤) الصواعق المحرقة: ص ٢٢٨.

(٥) النهاية، لابن الأثير: ج ١ ص ٢١٦.

٢٣٤..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

وقال السمهودي: «والحاصل: أنه لما كان كل من القرآن العظيم والعترة الطاهرة معدناً للعلوم الدينية والأسرار والحكم النفيسة الشرعية وكنوز دقائقها واستخراج حقائقها أطلق عليهما بالثقلين»^(١). وأيضاً «سمّاهما ثقلين لأنّ الأخذ بهما، والعمل بما يُتلقَى عنهما، والمحافظة على رعايتهما، والقيام بواجب حرمتها ثقيل»^(٢).

والخلاصة: إن أهم ما قدّمه عليهما وأنفس ما أوصى به، هما هذان الثقلان، فلا بدّ من الأخذ بتعاليمهما والتمسك بحبلهما، وهو تمسكٌ ثقيلٌ نفيس.

إنّ تعبيره عليهما في هذا الحديث عن كتاب الله وعترة عليهما بـ «الثقلين»، - بمجرّده - دليلٌ واضح، وبرهانٌ لائح، على وجوب اتّباع أهل البيت والعترة الطاهرة عليهما؛ وذلك لقول الكثير من علماء المسلمين الحفاظ - كما قدّمنا - في وجه هذه التسمية وهذا التعبير: إنّ العمل والأخذ بهما والانقياد لهما والمحافظة على حقوقهما ورعايتهما وما يجب لهما ثقيل^(٣).

وعليه: فكما أنّ الأخذ والعمل بأحكام القرآن فرض، فكذلك العترة، وهذا هو المطلوب.

(١) جواهر العقدين، للسمهودي: ص ٢٤٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ومّن نصّ على ذلك: الأزهري في تهذيب اللغة، والنووي في المنهاج، والمجد ابن الأثير في جامع الأصول والنهاية، والديلمي في فردوس الأخبار، والطيّبي في الكاشف، والشريف الجرجاني في الحاشية على المشكاة، وابن خلفة في الإكمال، والسنوسي في مكمل الإكمال، والسيوطي في الثير، والشهاب الدولت آبادي في هداية السعداء، ومحمّد طاهر الفتني في مجمع البحار، وابن حجر في الصواعق، والميرزا مخدوم في النواقص، والشيخ عبد الحقّ الدهلوي في اللمعات، وأشعة اللمعات والزرقاني في شرح المواهب اللدنية، والزيبيدي في تاج العروس، وابن منظور في لسان العرب وآخرون.

الدلالة الثالثة: ومن خلال هذا المقطع من الحديث يتضح بطلان تلك الدعوى التي قالت إنّ الرسول أوصى بالقرآن فقط، كما قرأنا في الفصل الأول في بعض الروايات، كما في صحيح ابن حبان: «عن يزيد بن حبان، عن زيد بن أرقم قال... خطبنا فقال: إني تارك فيكم كتاب الله هو حبل الله، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة»^(١) هذه نفس رواية مسلم، وعن زيد لکنه توقّف عند كتاب الله، وكأنّه أوصى به فقط، وكذا في مصنف ابن أبي شيبة^(٢)، وعلى منواله الخطيب البغدادي^(٣) وغيرهم.

الدلالة الرابعة: أنّ مفردة «خليفين» تمثّل منظومة عقديّة في الموروث النبوي، فعلى طريقة جمع القرائن بأن نجعل حديث الثقلين قرينةً على فهم ما، ونضمّ إليه حديثاً آخر، وهكذا مجموع هذه القرائن سيتهي بنا إلى دليل عقليّ متين، نتج من مقدّمات النقل بالمأثور. فالذي بين أيدينا هو حديث الثقلين بلفظ الخليفين، ونحن كمتلقين فهمنا منه فهماً بدائياً أنّه نصّ من رسول الله ﷺ على أنّ عترته من تخلفه من بعده، سواء أكان سياسياً، أم تشريعياً، وممكن أن ندعم هذا الحديث بحديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» (والذي فهم منه الخلافة بإجماع شرّاحه)، إلّا أنّ هذا الحديث بصراحة وببساطة، لا يمتّ بأيّ صلة إلى الخلافة الأولى، فهو لم يسمّهم بل قال: الخلفاء الراشدين، هذا إذا ضممناه مع الحديث الصحيح الآخر: الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش (والذي أيضاً فهم منه الخلافة بإجماع شرّاحه) ستتكوّن منظومة عقديّة متّسقة مستقرّة متماسكة. وتفصيل هذا الربط ستأتي في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

(١) صحيح ابن حبان: ج ١ ص ٣٣١.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ج ٧ ص ١٧٦.

(٣) تاريخ بغداد: ج ٩ ص ٤٤٦ ح ٢٨٩٥.

(٣) (مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ، أَوْ: مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ، لَنْ تَضِلُّوا)

الألفاظ

- (مَا إِنْ أَخَذْتُمْ) رواه البوصيري والطحاوي والترمذي وابن أبي عاصم وصححه الألباني، ورواه ابن أبي عاصم والبغوي في شرح السنّة والسخاوي والهيتمي.
- (مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ) رواه عبد بن حميد والكليني والترمذي والطبراني في المعجم الصغير، والحنفي في ينايعه، والسمهودي في جواهره، والطبري في ذخائر العقبي.
- (لَنْ تَضِلُّوا) رواه أحمد في المسند، والطحاوي وعبد بن حميد، والترمذي في الجامع، والبغوي والبصيري والسخاوي والألباني. وهذا اللفظ مشهور.

المعاني لغة

- أخذتم: «الأخذ: خلاف العطاء، وهو أيضاً: التناول. أخذت الشيء أَخْذَهُ أَخْذًا: تناولته؛ وَأَخَذَهُ يَأْخُذُهُ أَخْذًا»^(١). و«الأخذ: التناول»^(٢).
- لفظ «الأخذ» في الحديث دليل على وجوب الاتّباع.
- إن من ألفاظ حديث الثقلين قوله ﷺ: «إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا، كِتَابَ اللَّهِ وَعَتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي» وهو أيضاً يفيد وجوب اتّباع أهل البيت ﷺ.

(١) لسان العرب: ج ٣ ص ٤٧٢.

(٢) العين، للفراهيدي: ج ٤ ص ٢٩٨.

دلالات حديث الثقلين ٢٣٧

ومن المعلوم أنّ الأخذ معناه الاقتداء والعمل، كالتمسك والاعتصام؛ قال القاري: «والمراد بالأخذ بهم: التمسك بمحبّتهم، ومحافظة حرمتهم، والعمل بروايتهم، والاعتقاد على مقالتهم»^(١).

وقال الشهاب الخفاجي: «وقال ﷺ: (ما إن أخذتم به) أي: تمسكنم وعملتكم وأتبعتموه...»^(٢).

• تمسكنم: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾، أي: يؤمنون به ويحكمون بها فيه. الجوهري: أَمَسَكَتْ بِالشَّيْءِ وَتَمَسَّكَتُ بِهِ وَاسْتَمَسَّكَتُ بِهِ وَامْتَسَّكَتُ، كُلُّهُ بِمعنى اعتصمت، وكذلك مَسَّكَتُ بِهِ تَمَسِّكًا، وقرئ ﴿وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ﴾. وفي التنزيل ﴿فَقَدِ اسْتَمَسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾؛ وقال زهير: بِأَيِّ حَبْلِ جِوَارٍ كُنْتُ أَمْتَسِكُ. ولي فيه مُسْكَة، أي: ما أَمَسَّكَ بِهِ. وَالتَّمَسُّكُ: اسْتِمْسَاكَكُ بِالشَّيْءِ»^(٣).

قال الطيبي: «وإمساك الشيء: التعلق به وحفظه؛ قال تعالى: ﴿وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ (الحج: ٦٥)، وتمسك بالشيء إذا تحرى الإمساك به، ولهذا لما ذكر التمسك عقبه بالتمسك به صريحاً وهو الحبل في قوله: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، فيه تلويح إلى قوله تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ (الأعراف: ١٧٦)، كأن الناس واقعون في مهواة طبيعتهم، مشتغلون بشهوتهم، وأن الله تعالى يريد بلطفه رفعهم، فأدنى حبل القرآن إليهم ليخلصهم من تلك الورطة، فمن تمسك به نجا، ومن أخلد إلى الأرض هلك، ومعنى التمسك بالقرآن العمل بها فيه وهو الائتمار بأوامره، والانتهاز عن نواهييه، والتمسك بالعترة: محبتهم والاهتداء

(١) مرقاة المفاتيح: ج ١١ ص ١٠٧.

(٢) نسيم الرياض: ج ٣ ص ٤١٠.

(٣) لسان العرب: ج ١٠ ص ٤٨٧ - ٤٨٨.

٢٣٨ حديث الثقلين سنداً ودلالة

بهديهم وسيرتهم»^(١).

وشبه هذا المعنى للتفتازاني: «نعم لا تصافهم بالعلم والتقوى مع شرف النسب. ألا يرى أنه ﷺ قرنهم بكتاب الله في كون التمسك بهما منقداً من الضلالة، ولا معنى للتمسك بالكتاب إلا الأخذ بما فيه من العلم والهداية، فكذا في العترة»^(٢).

• الضلالة: ضدُّ الهدى والرَّشاد^(٣) قال الجوهري: «ضلَّ الشيء يضلُّ ضلالاً، أي: ضاع وهلك»^(٤).

دلالات المقطع

الدلالة الأولى: من المعنى اللغوي يتضح مراد النبي ﷺ في هذه الوصية فهو الإيمان والاعتصام بأهل البيت ﷺ، وكذا الأخذ هو التناول والاعتصام نفسه التمسك^(٥).

فالنتيجة: أنه لا مفرّ من الالتزام والاعتصام والتمسك بحبل أهل البيت ﷺ، وكذا القرآن الكريم.

وإنّ هذا التأكيد تارةً بالتمسك أو بالأخذ أو بالاعتصام بهم واحترامهم وحفظهم، يدلّ على أنّ أهل البيت ﷺ هم من يقوم مقامه بعد رحيله عن عالم الدنيا، فالأخذ والتمسك والاعتصام بأقوالهم وأفعالهم يمثل الالتزام بما أمر به النبي الخاتم ﷺ وهو أيضاً أمر الله تعالى، مع عدم نسيان أنه قد قرنهم

(١) الكاشف، للطّبي: ج ١٢ ص ٣٩٠٩.

(٢) شرح المقاصد في علم الكلام، للتفتازاني: ج ٢ ص ٣٠٣.

(٣) لسان العرب: ج ١١ ص ٣٩٠.

(٤) الصحاح، للجوهري: ج ٥ ص ١٧٤٨.

(٥) ينظر المفردات، للراغب؛ النهاية، لابن الأثير؛ لسان العرب؛ تاج العروس.

دلالات حديث الثقلين ٢٣٩

بالقرآن العظيم. وعليه فكما أنّ القرآن هو الحجّة البالغة على خلقه، كذا قرينه، وهم أهل البيت عليهم السلام، هم الحجّة البالغة على خلقه، ولذا يقول عليّ عليه السلام «أنا القرآن الناطق»^(١). ولو فهمنا غير ذلك، سنكذب رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّه قال: «لن يفترقا»، وإنّ أتباع غير هذين الثقلين سيؤدّي بالضرورة إلى الميل عن الحق، وإلى الضلال.

يقول النيسابوري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ (آل عمران ١٠١): «﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ استفهامٌ بطريق الإنكار والعجب. والمعنى: من أين يتطرق إليكم الكفر، والحال أنّ آيات الله تتلى عليكم على لسان الرسول صلى الله عليه وآله في كلّ واقعة، وبين أظهركم رسول الله صلى الله عليه وآله يبيّن لكم كلّ شبهة ويزيح عنكم كلّ علة؟ ومع هذين النورين لا يبقى لظلمة الضلال عينٌ ولا أثر، فعليكم أن لا تلتفتوا إلى قول المخالف، وترجعوا فيما يعنّ لكم إلى الكتاب والنبى صلى الله عليه وآله. قلت: أمّا الكتاب فإنّه باقٍ على وجه الدهر، وأمّا النبى صلى الله عليه وآله فإن كان قد مضى إلى رحمة الله في الظاهر، ولكنّ نور سرّه باقٍ بين المؤمنين، فكأنّه باقٍ. على أنّ عترته عليهم السلام وورثته يقومون مقامه بحسب الظاهر أيضاً. ولهذا قال صلى الله عليه وآله: (إني تاركٌ فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي) وقال: (إنّ العلماء ورثة الأنبياء) اللهم اجعلنا من زميرهم بعصمتك وهدايتك. وفي هذا بشارَةٌ لهذه الأمة أنّهم لا يضلّون أبداً إلى يوم القيامة»^(٢).

وقال القرطبي: «وهذه الوصيّة وهذا التأكيد العظيم، يقتضي وجوب احترام أهله وإبرارهم وتوقيرهم ومحبتهم وجوب الفروض المؤكّدة التي لا

(١) ينابيع المودة: ج ١ ص ٢١٤.

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين القميّ النيسابوري: ج ٢ ص ٢٢١.

٢٤٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

عذر لأحد في التخلف عنها. هذا مع ما علم من خصوصيتهم بالنبي ﷺ وبأئمتهم جزءاً منه، فإنهم أصوله التي نشأ عنها، وفروعه التي نشأوا عنه، كما قال: (فاطمة بضعة مني). ومع ذلك فقابل بنو أمية عظيم هذه الحقوق بالمخالفة والعقوق، فسفكوا من أهل البيت ﷺ دماءهم، وسبوا نساءهم، وأسروا صغارهم، وخربوا ديارهم، وجحدوا شرفهم وفضلهم، واستباحوا سبهم ولعنهم، فخالفوا المصطفى ﷺ في وصيته، وقابلوه بنقيض مقصوده وأمنيته، فوا خجلهم إذا وقفوا بين يديه، ويا فضيحتهم يوم يُعرضون عليه^(١).

الدلالة الثانية: أن الأمر بالتمسك والاعتصام بهذه الطبقة من الصالحين، يدلّ بالدلالة الالتزامية على أن أهل البيت ﷺ هم الأعلام، من بعد رسول الله ﷺ، وأئمتهم الأعلى درجة في الأمة؛ يقول الإمام الطحاوي: «فمن أخرج عترة رسول الله (صلى الله عليه وعليهم) من المكان الذي جعلهم الله به على لسان نبيه ﷺ مما قد ذكرناه في هذه الآثار، فجعلهم كسواهم ممن ليس من أهل عترته، كان ملعوناً؛ إذ كان قد خالف رسول الله ﷺ فيما فعل من ذلك»^(٢).

وفي هذا الكلام من الإمام الطحاوي إشارة واضحة إلى مرتبتهم المميزة وأن لا يقاس بهم أحد من الأمة، فاللعن يستلزم خروجاً عن أمر عقدي أصيل في الشريعة، وهذا هو سرّ حديث الثقلين الذي التفت إليه الطحاوي. ويعزّز هذا الفهم النبوي ما قاله الإمام عليّ ﷺ: «لا يقاس بآل محمد ﷺ من هذه الأمة أحد، ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين،

(١) صحيح الأحاديث القدسية، للألباني: ص ٩٣.

(٢) شرح مشكل الآثار، للطحاوي: ج ٩ ص ٩١.

دلالات حديث الثقلين ٢٤١

وعماد اليقين، إليهم يفىء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حقّ الولاية، وفيهم الوصية والوراثة»^(١).

الدلالة الثالثة عدم الضلالة محصوراً بالتمسك بهم. (لن تضلّوا) هذه الفقرة صريحة بنجاة كلّ من اتّبع الثقلين معاً، بلحاظ التمسك بهما، وهو الذي نطلبه كلّ يوم في صلواتنا أن نكونه (غير المغضوب عليهم ولا الضالّين). وعليه، نفهم أنّهم الصراط المستقيم، ومنه نفهم أنّهم هم الذين أنعم عليهم، ونلاحظ هذه الفتوحات المعرفية التي يقدّمها لنا هذا الحديث الشريف. فهو بحقّ منظومة عقديّة بصياغة الوحي على لسان النبيّ ﷺ الذي ما ينطق عن الهوى.

(فلن تضلّوا) أفادت وتفيد - أو لا أقلّ أنّها ممكن أن تفيد - هذه المعاني بهذا التسلسل البديع الكاشف للمعاني القرآنيّة، بدلالة حديث الرسول ﷺ، وعليه يصلح تفسيراً لما ورد في الموروث عن أهل البيت عليه السلام كما في قول الإمام زين العابدين عليه السلام: «نحن الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه»^(٢) وغيرها من المعاني التي ما انفكّ الآخر متّهماً بها أتباع أهل البيت عليه السلام بالغلوّ والانحراف.

«إنّ مفاد قوله ﷺ: (ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي) هو وجوب اتّباع أهل البيت عليه السلام، فإنّه ﷺ فرض على الأمة ذلك لتلاّ يضلّوا بعده وينقلبوا على أعقابهم خاسرين»^(٣).

وبمثله قال الزرقاني ثمّ قال: «وأكد تلك الوصية وقواها بقوله: فانظروا

(١) نهج البلاغة: ج ١ ص ٣٠.

(٢) معاني الأخبار: ج ١ ص ٣٢ وج ٥ ص ٣٥.

(٣) نفحات الأزهار: ج ٢ ص ٢٥٠.

٢٤٢..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

بما تخلفوني فيهما بعد وفاي، هل تتبعونهما فتسروني أو لا فتسيئونني»^(١).
وقال القاري في شرحه: «قال ابن الملك: التمسك بالكتاب: العمل بما فيه، وهو الائتثار بأوامر الله والانتهاء بنواهيه، ومعنى التمسك بالعترة: محبتهم والاهتداء بهداهم وسيرتهم...»^(٢).

(١) شرح المواهب اللدنية: ج ٧ ص ٥.

(٢) مرقاة المفاتيح: ج ١١ ص ٣٠٧.

(٤) (أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخِرِ: كِتَابُ اللَّهِ، حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَعَتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي)

الألفاظ

- (أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخِرِ) رواه النسائي في سننه وفي خصائص أمير المؤمنين، والحاكم في المستدرک، وأحمد في مسنده، والبغوي في السنة.
- (كِتَابُ اللَّهِ) مشهور.
- (حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) رواه أحمد في المسند والفضائل، والسيوطي في الجامع، والألباني في صحيح الجامع.
- (وَعَتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي) لفظ مشهور.

المعاني لغة:

- أحدهما: قال الجوهری: «أحد: بمعنى الواحد، وهو أول العدد»^(١).
- أكبر: «من الكبر، بالكسر، وهو العظمة. ويقال كبر بالضم يكبر أي عظم، فهو كبير. ابن سيده: الكبر نقيض الصغر»^(٢).
- الآخر: «الآخر: خلاف الأول، والآخر، بالفتح: أحد الشئین، وهو اسم على أفعل، والآخر بمعنى: غير، كقولك: رجل آخر وثوب آخر»^(٣).
- كتاب الله: «الأزهري: الكتاب: اسم لما كُتِبَ مجْموعاً»^(٤). كتاب

(١) الصحاح: ج ٢ ص ٤٤٠.

(٢) لسان العرب: ج ٥ ص ١٢٦.

(٣) ينظر لسان العرب: ج ٤ ص ١٢.

(٤) المصدر نفسه: ج ١ ص ٦٩٨.

الله: القرآن

- حبل: قال ابن منظور: «الحَبْلُ: الرِّبَاطُ»^(١)، وقال الجوهري: «الحبل: العهد. والحبل: الأمان»^(٢).
- ممدود: «المدُّ والمْتُ والمَطُّ سَوَاءٌ، وَقَدْ مَدَّ يَمُدُّهُ مَدًّا، وَمَدَّ بِهِ فَاَمْتَدَّ وَتَمَدَّدَ. صاحب العين: شيءٌ مديد: ممدود»^(٣)، «وشيءٌ مديد: ممدود. ورجلٌ مديد الجسم: طويل»^(٤).
- السماء: «السَّمَاءُ: سَقْفُ كُلِّ شَيْءٍ وَكُلُّ بَيْتٍ. وَالسَّمَاءُ: كُلُّ مَا عَلَاكَ فَأَظْلَلَكَ، وَالسَّمَاءُ الَّتِي تُظَلُّ الْأَرْضُ»^(٥).
- الأرض: «الْأَرْضُ: الَّتِي عَلَيْهَا النَّاسُ، أَنْثَى وَهِيَ اسْمُ جِنْسٍ»^(٦).
- عترتي: «قال أبو عبيد وغيره: عِتْرَةُ الرَّجُلِ وَأُسْرَتُهُ وَفَصِيلَتُهُ: رَهْطُهُ الْأَذْنَون. ابن الأثير: عِتْرَةُ الرَّجُلِ أَخَصُّ أَقَارِبِهِ. وقال ابن الأعرابي: العِتْرَةُ: وَلَدُ الرَّجُلِ وَذَرِّيَتُهُ وَعَقْبُهُ مِنْ صُلْبِهِ، قال: فَعِتْرَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَدُ فَاطِمَةَ الْبْتُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٧).

توطئة

يقول السيّد الحيدري بياناً لميزة اختصّ بها حديث الثقلين لم يشاركه فيها إلا النزر من الأحاديث:

(١) المصدر نفسه: ج ١١ ص ١٣٤.

(٢) الصحاح: ج ٤ ص ١٦٦٤.

(٣) المخصّص، لابن سيّده: ج ٤ ق ١ ص ٣٠.

(٤) لسان العرب: ج ٣ ص ٣٩٧.

(٥) المصدر نفسه: ج ١٤ ص ٣٩٨.

(٦) المصدر نفسه: ج ٧ ص ١١١.

(٧) ينظر لسان العرب: ج ٤ ص ٥٣٨.

إنّ المعروف أنّ الخصائص والميزات التي في الأحاديث (عادة) يحكي ويكشف عنها الحديث نفسه، وهذا هو المطرد في جلّ الأحاديث والنصوص النبويّة، باستثناء حديث الثقلين، فإنّ الفضائل والدرجات والكرامات والنتائج التي يحويها هذا الحديث أُحيل كشفها وبيان أمرها إلى القرآن الكريم، لأنّه قد قرنهم به.

لذا نحن إذا اردنا أن نعرف من هم أهل البيت عليهم السلام وما منزلتهم ومقدارهم، يجب أن نقايسهم بعدلهم، وهو القرآن المجيد.

وهذه الميزة نلاحظ تكرّرها في الأحاديث الواردة في بيان فضل أهل البيت عليهم السلام، مثل: «حسين مَنّي وأنا من حسين»^(١)، أو «فاطمة بضعة مَنّي»^(٢)، فمعرفة فاطمة والحسين متوقّفة على تمام معرفة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكذا قوله صلى الله عليه وآله: «أنت مَنّي بمنزلة هارون من موسى»، فهذه المنزلة معرفتها من خلال القرآن ومن خلال معرفة منزلة هارون من موسى فيه؛ قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِ * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (طه: ٢٩-٣١).
يؤكد ساحة السيّد الحيدري في دلالة حديث الثقلين:

١. أنّ الطريق لمعرفة معطيات حديث الثقلين يمرّ من خلال هذه النقطة المحوريّة في حديث الثقلين وهو قوله صلى الله عليه وآله: «فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» لأنّ هذا المقطع من حديث الثقلين يبيّن لنا بشكل واضح وصریح أنّه لا يقع الافتراق بين القرآن وبين العترة أهل البيت - كما سيأتي - لا في الدنيا

(١) أخرجه: الترمذي: ج ٥ ص ٣٢٤؛ ابن ماجة: ج ١ ص ٥١؛ ابن حبان: ج ١٥ ص ٤٢٩؛ أحمد في المسند: ج ٤ ص ١٧٢؛ الحاكم في المستدرک: ج ٣ ص ١٧٧؛ الطبراني في المعجم الكبير: ج ٣ ص ٣٢؛ ابن أبي شيبة في المصنّف: ج ٧ ص ٥١٥؛ السيوطي في الجامع الصغير: ج ١ ص ٥٧٥؛ البخاري في الأدب المفرد: ص ٨٥، وكثيرون غيرهم.
(٢) البخاري ومسلم (متفق عليه).

٢٤٦..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

ولا في البرزخ ولا في الحشر الأكبر، إلى أن يردا (القرآن والعترة) عند الحوض على النبي ﷺ.

وفي حديث الثقلين بيّن النبي ﷺ أن هؤلاء لا يعرفون إلا من خلال معرفة القرآن؛ كونهم عدله. وهذه قضية مهمّة وأساسية في حديث الثقلين نحن لم نعهدها إلا في أحاديث قليلة جداً.

منطوق الحديث: أن العترة لا تفترق عن القرآن الكريم، فأينما وجد القرآن فالعترة معها، لا يفترق أحدهما عن الآخر، بعبارة النصوص الروائية الصحيحة عندنا: «ولا يفارقون القرآن ولا يفارقهم»^(١) أينما وجد القرآن فهم موجودون، وأينما وجدوا فالقرآن معهم.

إن النبي ﷺ الذي قال عنه تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣-٤)، قال لنا: «وإنهما لن يفترقا» وهذا دالٌّ على النفي. أي: أحدهما لا يفترق عن الآخر.

وعدم الافتراق هذا لازمٌ في الدنيا وفي البرزخ وفي الحشر الأكبر «حتى يردا عليّ الحوض»^(٢) إذن عدم الافتراق هذا ليس في زمان واحد أو في عصر واحد، بل كلّ النشأة الدنيوية وكلّ عالم البرزخ وكلّ عالم الحشر إلى الحوض لا يوجد افتراق بين القرآن والعترة.

٢. بناء على هذا الأصل: وهو أن أيّ وصفٍ أو امتيازٍ أو دورٍ ثبت أو يثبت للقرآن الكريم، وأيّ مسؤوليّة أُلقيت على عاتق القرآن الكريم يكون

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ١٢٤.

(٢) قال ابن كثير: «تفرّد به النسائي من هذا الوجه، قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح، وقال الطحاوي في مشكل الآثار: فهذا الحديث صحيح الإسناد لا طعن لأحد في أحد من رواه فيه». والحديث صحّحه الألباني والذهبي والحاكم والسيوطي والطحاوي وغيرهم.

دلالات حديث الثقلين ٢٤٧

مثلها للعترة عليها السلام، لأن النبي صلى الله عليه وآله قال: «وإنهما لن يفترقا أو يتفرقا حتى يردا علي الحوض».

هذا الفهم توصل إليه علم من أعلام المدرسة السلفية هو ابن باز، حيث يقول: (في صحيح مسلم، عن جابر رضي الله تعالى عنه، أن النبي عليه الصلاة والسلام أوصى في حجة الوداع بكتاب الله، فقال: «إني تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به»^(١): كتاب الله من تمسك به نجا، ومن أعرض عنه هلك^(٢))، وفي صحيح مسلم أيضاً، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إني تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»، فالنبي صلى الله عليه وآله أوصى بكتاب الله، كما أوصى الله بكتابه، ثم الوصية بكتاب الله وصية بالسنة^(٣)؛ لأن القرآن أوصى بالسنة وأمر بتعظيمها، فالوصية بكتاب الله وصية بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهما الثقلان^(٤)، وهما الأصلان اللذان لا بدّ منهما، من تمسك بهما نجا، ومن حاد عنهما هلك، ومن أنكر واحداً منهما كفر بالله^(٥)، وحلّ دمه وماله، وقد جاء في رواية أخرى: «إني تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به، كتاب الله، وسنتي» أخرجها الحاكم

(١) صحيح مسلم: ج ٤ ص ٤١.

(٢) (كتاب الله من تمسك به نجا، ومن أعرض عنه هلك) هذا النص لم أقف عليه لا في صحيح مسلم ولا في غيره!.

(٣) لا نعرف وجه الربط بين أن يقول (خذوا بكتاب الله وتمسكوا به وأهل بيتي) وبين الوصية بالسنة؟!.

(٤) عجيب أمر ابن الباز نصّ الحديث يقول: إثمها الكتاب والعترة؟! وهو يقول: إثمها الكتاب والسنة.

(٥) على أننا في مدرسة أهل البيت لا نقول بكفر من يفصل بين القرآن والعترة (الحيدري).

بسند جيّد^(١).

المهمّ عندنا أنّه فهم من الثقلين هذا التلازم (وتعيين الموضوع أي أنّ الثقل الآخر هو السنّة أم العترة، بحسب الدليل) وعدم الانفكاك بينهما، وإلاّ أدّى بمدّعيه إلى الكفر، على حدّ تعبيره.

مما سبق أتضح لنا جليّاً: أنّ الطريق إلى معرفة أهل البيت عليهم السلام هو معرفة القرآن نفسه وذلك من خلال وصف القرآن للقرآن، فقد وصف نفسه بأوصاف كثيرة، وسمّى نفسه بتسميات متعدّدة فقد عبّر القرآن عن نفسه أنّه فرقان وأنّه شفاء لما في الصدور، وأنّه ﴿لِكِتَابٍ عَزِيزٍ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ﴾ (فصلت: ٤١)، وعبّر عن نفسه أنّه ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: ١٧)، وأنّه ﴿تَبْيَانٌ لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ وهكذا عشرات الأوصاف والأسماء القرآنيّة، كلّ هذه الأوصاف والأسماء لا بدّ أن تكون ثابتة للعترة، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله الذي ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٤-٥)، قال: «إنهما لن يفترقا ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض».

في الجملة نقول: إنّ القرآن الكريم أثبت عدم الافتراق بشكل كليّ، أي: لا يحصل أيّ افتراق، ولو افترق العترة في وصفٍ من الأوصاف للزم أن لا يصدق حديث النبي صلى الله عليه وآله. بمعنى: لو قلنا أنّ هذا الوصف ثابتٌ للقرآن ولكنه ليس ثابتاً للعترة، فهذا تكذيب وطعن في كلام النبي صلى الله عليه وآله وطعن فيما قال الله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٤-٥).

النتيجة: أنّ هذه الأوصاف والمقامات والأدوار والمسؤوليّات التي نريد أن نثبتها للعترة، لا نثبتها من خلال الحديث وإنّما نثبتها من خلال القرآن، وهذا هو الامتياز الذي يوجد لحديث الثقلين، ولا يوجد لأيّ حديث آخر.

(١) مجموع فتاوى ابن باز: ج ٢٤ ص ١٨٢.

دلالات حديث الثقلين ٢٤٩

الأحاديث الأخرى تثبت لأهل البيت عليهم السلام بعض المقامات ولكن من خلال الحديث النبوي نفسه، ولكن هذه المقامات تثبت للعترة لا من خلال الحديث وإنما من خلال الأوصاف القرآنية وما أثبتته القرآن لنفسه. وهذه ميزة كبيرة، لأنه إذا كان النص حديثاً فلا بد أن نتأكد من السند، والمتن، ولا بد أن نعرف أن الراوي نقل اللفظ أم نقل المعنى، ولا بد أن نتأكد أنه ليس واهماً، ولا بد أن نتأكد أنه لم يخلط ولا بد أن نعرف هل كانت هناك قرينة، أم لا؟ وهل حذفت أم لا، فعشرات الآفات موجودة في الرواية، ولكن القرآن بريء من جميع هذه الآفات سنداً ودلالة ومضموناً، وعليه كل وصف ثبت للقرآن من القرآن، يكون ثابتاً للعترة.

أهم الأوصاف التي وصف القرآن بها نفسه

القرآن الكريم لكي نعرفه لا يحتاج إلى أن يعرفه أحد، القرآن هو يعرف لنا نفسه، إذن إذا أردنا أن نعرف القرآن فعلينا بالقرآن، فالقرآن هو الأصل. وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً^(١)

أولاً: الفرقان

من الأسماء المعروفة للقرآن أن القرآن سمي نفسه بأنه فرقان. المورد الأول: قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١). المورد الثاني: قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ (آل عمران: ٢-٣).

(١) العرف الطيب شرح ديوان أبي الطيب، ناصيف اليازجي: ج ٢، الملحق.

آراء المفسرين في معنى الفرقان

١. الطبري: «فقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ يقول: تبارك الذي نزل الفصل بين الحق والباطل، فصلاً بعد فصل، وسورة بعد سورة، على عبده محمد ﷺ، ليكون لجميع الجن والإنس الذين بعثه الله إليهم داعياً إليه»^(١).
٢. البغوي: «﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾: المفرق بين الحق والباطل»^(٢).
٣. ابن الجوزي: «القرآن سمي فرقاناً، لأنه فرق به بين الحق والباطل»^(٣).
٤. ابن تيمية: «فصل: في الفرقان بين الحق والباطل وأن الله بين ذلك بكتابه ونبيه، فمن كان أعظم اتباعاً لكتابه الذي أنزله، ونبيه^(٤) الذي أرسله، كان أعظم فرقاناً. ومن كان أبعد عن اتباع الكتاب والرسل كان أبعد عن الفرقان واشتبه عليه الحق بالباطل، كالذين اشتبه عليهم عبادة الرحمن بعبادة الشيطان، والنبي الصادق بالمتنبي الكاذب، وآيات النبيين بشبهات الكذابين حتى اشتبه عليهم الخالق بالمخلوق»^(٥).

إذن كلما كان التمسك بالكتاب أكثر، كان الفرقان أشد وأكثر. وبنفس هذا البيان: كلما كان التمسك بالعترة أكثر، كان الفرقان أشد وأكثر.

النقطة المهمة في قوله: «ومن كان أبعد عن اتباع الكتاب والرسول ﷺ كان أبعد عن الفرقان واشتبه عليه الحق بالباطل». أي: من لم يتبع الكتاب يشته عليه الحق والباطل - بنفس هذا البيان - ومن لم يتبع عدل الكتاب الذين

(١) جامع البيان: ج ١٨ ص ٢٣٨.

(٢) معالم التنزيل، للبغوي: ج ٢ ص ٦.

(٣) زاد المسير في علم التفسير: ج ٦ ص ٣.

(٤) نحن أيضاً نقول: النبي ﷺ، ولكن ما الطريق للوصول إلى أحاديث النبي ﷺ، إلا من خلال العترة.

(٥) مجموعة الفتاوى، لابن تيمية: ج ١٣ ص ٦.

هم العترة أيضاً يشته به عليه الحقّ بالباطل.

٥. السعدي: «تَبَارَكَ» أي: تعظيم، وكملت أوصافه، وكثرت خيراته، الذي من أعظم خيراته ونعمه، أن ﴿تَزَلَّ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ الفارق بين الحلال والحرام، والهدى والضلال، وأهل السعادة من أهل الشقاوة^(١).
إذن من أتبع القرآن أو عدل القرآن فقد نجا من الضلال.

٦. عبد الرحمن ناصر البراك: «قوله: القرآن، الفرقان، الهدى، النور، التنزيل، الشفاء، وغير ذلك، هذه الأسماء كلّها لمسمّى واحد وهو هذا الكتاب. ولكل اسم من هذه الأسماء معنى من المعاني، فهو كتابٌ لأنّه مكتوب، وهو قرآنٌ بمعنى الجمع، وهو فرقانٌ لأنّه فارقٌ بين الحقّ والباطل، وبين أولياء الله وأعدائه»^(٢). وهنا جملة قيّمة: القرآن (وعدله) هو الذي يميّز لك من هم أعداء الله من أولياء الله.

٧. الشيخ الفوزان: «فرقان، بمعنى: أنّه يفرّق بين الحقّ والباطل وبين الهدى والضلال، فهو فارق وفرقان يميّز لك أيها المسلم ما ينفعك وما يضرّك، ويأمرك بفعل الخير، وينهاك عن فعل الشرّ، ويبصرّك بما تحتاج إليه في دنياك وآخرتك، فهو فرقانٌ بمعنى: أنّه يفرّق بين الحقّ والباطل، وهو هدىٌ بمعنى أنّه يهدي ويدلّ ويرشد إلى الصراط المستقيم، وهو نورٌ لأنّه يضيء لك الطريق، وهو حياةٌ لأنّه يحيي به القلب ويشفي، ويحيي به إذا كان قلباً مريضاً أو ميتاً»^(٣).

كلّ هذه الأوصاف تثبت للعترة؛ لأنّ أيّ وصف من هذه الأوصاف إذا لم يثبت للعترة لزم الافتراق بين القرآن وبين العترة، وهذا خلاف نصّ حديث

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة السعدي: في ذيل آية سورة الفرقان.

(٢) شرح العقيدة التدمريّة، للبراك: ص ٣٤١.

(٣) محاضرات في العقيدة والدعوة، للشيخ الفوزان: ج ٢ ص ٢٧٩.

الثقلين الذي قال: «وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

٨. الطباطبائي: «قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ ما يفرّق به بين الحقّ والباطل، على ما في الصحاح. واللفظ ببادته يدلّ على الأعمّ من ذلك، وهو: كلّ ما يفرّق به بين شيءٍ وشيءٍ. قال تعالى: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّمَيِّ الْجُمُعَانِ﴾ (الأنفال: ٤١)، وقال تعالى: ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (الأنفال: ٢٩)، وإذا كان الفرق المطلوب عند الله فيما يرجع إلى معنى الهداية هو الفرق بين الحقّ والباطل في العقائد والمعارف وبين وظيفة العبد وما ليس بوظيفة له بالنسبة إلى الأعمال الصادرة عنه في الحياة الدنيا، انطبق معناه على مطلق المعارف الأصليّة والفرعيّة التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه بالوحي، أعمّ من الكتاب وغيره. قال تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ (الأنبياء: ٤٨)، وقال تعالى ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ (البقرة: ٥٣)، وقال تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١).

وقد عبّر تعالى عن هذا المعنى بالميزان في قوله ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥)، وهو في وزان قوله ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (البقرة: ٢١٣)، فالميزان كالفرقان هو الدين الذي يحكم بين الناس بالعدل^(١).

إذن الطريق لمعرفة جميع المعارف الأصليّة والفرعيّة هو باتّباع القرآن ومن معهم القرآن، وهم العترة.

تطبيق صفة الفرقان على العترة

الآن سنطبّق النتيجة التي انتهينا إليها، التي تقول: إنّ ما يصدق على

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج ٣ ص ٩.

القرآن يصدق على العترة، أو ما يتّصف به القرآن يتّصف به العترة. والمعنى الذي بين أيدينا هو الفرقان، فهل يصدق على أحد من أصحاب الكساء أنّه فرقان؟ هل يوجد في المأثور نصوص تؤكّد هذا المعنى في حقّ أحد ما؟ وإذا وجدت نصوص كهذه، هل هي من الخصوصيات أم شاركهم فيها غيرهم؟ والجواب: وردت نصوص عديدة في هذا المعنى (أنهم فرقان) بشأن الأربعة أصحاب الكساء (خاصّة). وإليك التفصيل:

علي أمير المؤمنين عليه السلام

١. أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام في غدیر خمّ: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاده»^(١).

والمعنى: أنّ من والى عليّاً فهو من أهل الحقّ والهدى، ومن عادى عليّاً فهو من أهل الباطل والضلال والردى، وأنّ موالاته عليّ ومحاربه عليّ هي الميزان لمعرفة أهل الحقّ من أهل الباطل، وهذا هو الفارق، وهذا هو الفرقان، وهذا هو الميزان. ولم يثبت هذا المعنى لأحد غير عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٢. «قال عليّ: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنّ لعهد النبي الأميّ صلى الله عليه وآله إليّ: أن لا يحبّني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق»^(٢).

من خلال الحديث الشريف: الميزان بين الإيثار والنفاق، هو حبّ عليّ وبغض عليّ، وهذا هو الفرقان.

القرآن وصف نفسه بأنّه فرقان بين الحقّ والباطل، فرقان بين الإيثار

(١) إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين (مسند ابن حنبل: ج ٣٢ ص ٥٦ ح ١٩٣٠٢)؛ إسناده صحيح على شرط البخاري. (سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني: ج ٤ ص ٣٣٠).

(٢) صحيح مسلم: ج ١ ص ٦١.

٢٥٤..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

والنفاق، فرقان بين الهدى والضلال، وعليّ أيضاً فرقان بين الحقّ والباطل،
وفرقان بين الهدى والضلال، وفرقان بين الإيثار والنفاق.

٣. أ - «من آذى عليّاً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله أكبّه
الله على منخريره في نار جهنم»^(١).

ب - «من أحبّ عليّاً فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله عزّ وجلّ ومن
أبغض عليّاً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عزّ وجلّ...»^(٢).

٤. «من سبّ عليّاً فقد سبّني»^(٣).

٥. عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ
لعليّ عليه السلام: «يا عليّ أنت متي وأنا منك»^(٤).

وهذه كلّها معانٍ تشير إلى الفصل ما بين الحقّ والباطل.

فاطمة الزهراء عليها السلام

١- قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها أغضبني»^(٥).

٢- قال رسول الله ﷺ: «إنّما فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها»^(٦).

الحسن والحسين عليهما السلام

١. قال رسول الله ﷺ: «من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبّني، ومن

(١) وبالجملة فالحديث صحيح بمجموع هذه الطرق (سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج ٥
ص ٣٧٣ ح ٢٢٩٥).

(٢) صحيح على شرط الشيخين. (سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج ٣ ص ٢٨٧ ح ١٢٩٩).

(٣) إسناده صحيح. (مسند ابن حنبل، بتحقيق الأرنبوط: ج ٤ ص ٣٢٩).

(٤) ترتيب الأمالي لمحمّد جواد المحمّدي: ج ٤ ص ١٨٥٤.

(٥) الجامع الصحيح، للبخاري: ج ٣ ص ١٧٤ ح ٣٧١٤.

(٦) صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٤١.

أبغضهما فقد أبغضني»^(١).

٢. قال أبو هريرة: قال رسول الله: «من أحببهما فقد أحببني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»^(٢).

«والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحدٌ إلا أدخله الله النار»^(٣).

هذه المعاني كلّها تجدها في النصوص الواردة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.
فمثلاً: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «يا عليّ أنت منّي وأنا منك: وليك وليي، ووليّ وليّ الله، وعدوك عدوّي، وعدوّي عدوّ الله. يا عليّ أنا حرب لمن حاربك، وسلم لمن سالمك. يا عليّ لك كنز في الجنة وأنت ذو قرنيها، يا عليّ أنت قسيم الجنة والنار، لا يدخل الجنة إلا من عرفك وعرفته، ولا يدخل النار إلا من أنكرك وأنكرته. يا عليّ أنت والأئمة من ولدك على الأعراف يوم القيامة تعرف المجرمين بسيماهم، والمؤمنين بعلاماتهم، يا عليّ لولاك لم يُعرف المؤمنون بعدي»^(٤).

ثانياً: (تبياناً لكلّ شي)

نريد أن نقف من الوصف الثاني على علم أهل البيت عليهم السلام وهذه قضية أساسية، وهي: من هو الأعلم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.
تكمن أهمية هذه النقطة أنّه إذا ثبت أنّ شخصاً ما هو الأعلم، إذن تكون المرجعية له، كما كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله في حياته، وكان كلامه الحجّة

(١) وفي الزوائد إسناده صحيح رجاله ثقات. (سنن ابن ماجه: ج ١ ص ٩٦).

(٢) إسناده قويّ، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير أبي الجحّاف. (مسند ابن حنبل: ج ١٣ ص ٢٦٠ ح ٧٨٦٧).

(٣) إسناده حسن من أجل هشام بن عمّار ومن فوقه ثقات أخرجه الحاكم وأخرجه البزار وأورده الهيثمي (صحيح ابن حبان: ج ١٥ ص ٤٣٥؛ قال صحيح على شرط مسلم، قلت: وهو كما قال. (سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج ٥ ص ٦٤٣).

(٤) أمالي المفيد.

والفصل عند الاختلاف.

لا يصح القول أن القرآن كافٍ، لأنّ نظريّة «حسبنا كتاب الله» باطلة، ولا يمكن الاستناد إليها، لأنّ القرآن صريح بالإرجاع إلى النبيّ ﷺ لغرض التبيين؛ قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: ٤٤)، ما يعني أنّ السنّة ركنٌ أساسيٌّ في فهم المعارف الدينيّة والقرآنيّة.

إذا كان الأمر كذلك، فإذا اختلفت الأمتة لمن ترجع في حلّ اختلافها؟ من الواضح: أنّ أصحاب رسول الله ﷺ عندما كانوا يختلفون في أيّ قضية دينيّة كان المرجع رسول الله ﷺ لأنّ هؤلاء كلّهم كانوا من الصحابة ويريدون أن يفهموا الدين، وطبعاً هم عربٌ أفحاح ويعرفون لغة القرآن ولكن مع ذلك اختلفوا، إذن لا بدّ أن يوجد هناك من له القول الفصل، وكان رسول الله ﷺ.

السؤال: من له القول الفصل بعد رسول الله ﷺ إذا اختلفت الأمتة في

معارفها الدينيّة؟

نعود إلى الآية ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ١٨٩). فقد وصف القرآن نفسه بأنّه:

أولاً: تبيان لكلّ شيء.

ثانياً: هدى.

ثالثاً: رحمة.

رابعاً: بشرى للمسلمين.

ونقف فقط عند جملة «تبياناً لكلّ شيء»؛ وما معناها؟

هناك اتّجاهان عند علماء المسلمين - شيعةً وسنّة، متقدّمين ومتأخّرين -:

الاتّجاه الأوّل يقول: صحيح أنّ الآية المباركة عامّة، فتشمل كلّ شيء

سواء أكان في الدين أم في الدنيا، لأنّها قالت ﴿تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾. ولكن هناك

قرينة في الآية المباركة وهي أنه هذا الكتاب نزل على قلب الخاتم ﷺ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ (الشعراء: ١٩٣)، والنبى ﷺ وظيفته الأصلية بيان المعارف الدينية، إذن: المراد من ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾: كل شيء مرتبط بالمعارف الدينية أصولاً كانت أم فروعاً، وهذا هو ما ذهب إليه جملة من أعلام المسلمين شيعة وسنة متقدمين ومتأخرين؛ منهم:

١. الطبري في تفسير ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ يقول: «نزل عليك يا محمد هذا القرآن بياناً لكل ما بالناس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب»^(١).

٢. الألوسي قال: «(كل شيء) على ما ذهب إليه جمع: ما يتعلق بأمر الدين، أي: بياناً بليغاً لكل شيء يتعلق بذلك»^(٢).

٣. ابن عاشور قال: «(كل شيء) يفيد العموم؛ إلا أنه عموم عرفي في دائرة ما مثله تجيء الأديان والشرائع: من إصلاح النفوس، وإكمال الأخلاق، وتقويم المجتمع المدني، وتبيين الحقوق، وما تتوقف عليه الدعوة من الاستدلال على الوحدانية وصدق الرسول ﷺ وما يأتي في خلال ذلك من الحقائق العلمية والدقائق الكونية، ووصف أحوال الأمم، وأسباب فلاحها وخسارها، والموعظة بآثارها بشواهد التاريخ، وما يتخلل ذلك من قوانينهم وحضاراتهم وصنائعهم. وفي خلال ذلك كله أسرار ونكت من أصول العلوم والمعارف صالحة لأن تكون بياناً لكل شيء على وجه العموم»^(٣).

٤. السعدي قال: «﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ في أصول الدين

(١) تفسير الطبري: ج ١٤ ص ٢١١.

(٢) روح المعاني: ج ١٤ ص ٢١٤.

(٣) التحرير والتنوير: ج ١٤ ص ٢٥٣.

وفروعه، وفي أحكام الدارين، وكلّ ما يحتاج إليه العباد»^(١).

٥. الطباطبائي قال: «فصفته العامّة أنّه تبيانٌ لكلّ شيء، والتبيان والبيان واحد كما قيل. وإذ كان الكتاب هداية لعامّة الناس، وذلك شأنه، كان الظاهر أنّ المراد بكلّ شيء: كلّ ما يرجع إلى أمر الهداية ممّا يحتاج إليه الناس في اهتدائهم من المعارف الحقيقية المتعلقة بالمبدأ والمعاد والأخلاق الفاضلة والشرائع الإلهية والقصص والمواعظ، فهو تبيان لذلك كلّ»^(٢).

الاتجاه الثاني: يقول (كلّ شيء) يبقى على عمومته وشموله. أشار إلى ذلك: ١. الألوسي: «وذهب بعضهم إلى ما يقتضيه ظاهر الآية غير قائل بالتخصيص ولا بأنّ (كلّ) للتكثير فقال: ما من شيء من أمر الدين والدنيا إلّا يمكن استخراجها من القرآن، وقد بيّن فيه كلّ شيء بياناً بليغاً وعدّت في ذلك مراتب الناس في الفهم، فربّ شيء يكون بياناً بليغاً لقوم ولا يكون كذلك لآخرين، بل قد يكون بياناً لواحد ولا يكون بياناً لآخر، فضلاً عن كون البيان بليغاً أو غير بليغ، وليس هذا التفاوت قوى البصائر، إلى أن يقول... ويؤيد القول بالظاهر أنّ الشيخ الأكبر^(٣) وغيره قد استخرجوا منه ما لا يحصى من الحوادث الكونية. وقد رأيت جدولاً حرفياً منسوباً إلى الشيخ كتب عليه أنّه يعرف منه حوادث أهل المحشر، وآخر كتب عليه أنّه يعرف منه حوادث أهل

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ج ١ ص ٤٦٦.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ج ١٢ ص ٣٢٥.

(٣) محي الدين محمد بن عليّ بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي، أحد أشهر المتصوّفين. لقبه أتباعه وغيرهم من الصوفية بالشيخ الأكبر؛ ولذا ينسب إليه الطريقة الأكبرية الصوفية. ولد في مرسية في الأندلس في شهر رمضان الكريم عام ٥٥٨هـ وتوفي في دمشق عام ٦٣٨هـ. ودفن في سفح جبل قاسيون (ينظر سلطان العارفين، لعبد الحفيظ فرغلي: ج ٢ ص ١٦-٣٢).

الجنة، وآخر كتب عليه أنه يعرف منه حوادث أهل النار، وكل ذلك - على ما يزعمون - مستخرج من الكتاب الكريم، ومثل هذا الجفر الجامع المنسوب إلى أمير المؤمنين عليّ كرم الله تعالى وجهه فياتهم قالوا: إنه جامع لما شاء الله تعالى من الحوادث الكونية، وهو أيضاً مستخرج من القرآن العظيم.

وقد نقل الجلال السيوطي عن المرسي أنه قال: جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علماً حقيقة إلا المتكلم به، ثم رسول الله ﷺ خلا ما استأثر به سبحانه، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة ومثل ابن عباس وابن مسعود. إلى أن يقول... وقيل: لا يخلو الزمان من عارف بجميع ذلك وهو الوارث المحمدي ويسمى الغوث وقطب الأقطاب والمظهر الأتم ومظهر الاسم الأعظم إلى غير ذلك»^(١).

٢. ابن كثير: «قال ابن مسعود رضي الله عنه: فالتفت فإذا عيناه تذرفان وقوله ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ قال ابن مسعود: قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء، وقال مجاهد: كل حلال وكل حرام، وقول ابن مسعود أعم وأشمل؛ فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع، من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وكل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم ﴿وَهَدَىٰ﴾ أي للقلوب ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).

٣. الطباطبائي: «لكن في الروايات ما يدل على أن القرآن فيه علم ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة. ولو صحّت الروايات، لكان من

(١) روح المعاني: ج ١٤ ص ٢١٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ج ٢ ص ٦٠٣.

٢٦٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

اللازم أن يكون المراد بالتيبان: الأعمّ مما يكون من طريق الدلالة اللفظية، فلعلّ هناك إشارات من غير طريق الدلالة اللفظية تكشف عن أسرار وخبايا لا سبيل للفهم المتعارف إليها^(١).

من البيان السابق لمعنى ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يتّضح: أنّ هذا الذي في القرآن من العلوم وعلى مستوى الفهمين، سواء كان بياناً لخصوص علوم الهداية والشريعة أو مطلق العلوم، وهو أيضاً ثابتٌ لأهل البيت عليهم السلام، باعتبارهم عدل القرآن وقرينه؛ بنصّ الحديث الشريف «وإنّهما لن يفترقا»، وإن قلنا خلاف ذلك فيستلزم تكذيب النبي صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين.

وهذا المعنى في أنّ أهل البيت عليهم السلام عندهم علوم القرآن الكريم واضح وصريح وجليّ في موروث أهل البيت عليهم السلام.

من هذه الروايات: «عَبْدُ الْأَعْلَى مَوْلَى آلِ سَامٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ كِتَابَ اللَّهِ. مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ كَأَنَّهُ فِي كَفِّي، فِيهِ خَبْرُ السَّمَاءِ وَخَبْرُ الْأَرْضِ وَخَبْرُ مَا كَانَ وَخَبْرُ مَا هُوَ كَائِنٌ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: فِيهِ تَبَيَّنَ كُلُّ شَيْءٍ»^(٢).

وفي رواية أخرى: «عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَعَدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا مِنْهُمْ عَبْدُ الْأَعْلَى وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَشِيرٍ الْحُثَمِيُّ سَمِعُوا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَأَعْلَمُ مَا فِي الْجَنَّةِ وَأَعْلَمُ مَا فِي النَّارِ، وَأَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ. قَالَ: ثُمَّ مَكَثَ هُنَيْئَةً فَرَأَى أَنَّ ذَلِكَ كَبُرَ عَلَى مَنْ سَمِعَهُ مِنْهُ، فَقَالَ: عَلِمْتُ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ:

(١) تفسير الميزان: ج ١٢ ص ٣٢٥.

(٢) الكافي، للكليني: ج ١ ص ٢٢٩.

فيه تَبْيَانٌ كُلِّ شَيْءٍ»^(١).

دلالات المقطع

الدلالة الأولى: معرفة أهل البيت عليهم السلام من خلال معرفة القرآن. ومن خلال هذا الفهم نصل إلى الدلالة الثانية.

الدلالة الثانية: أن من صفات القرآن أنه الفرقان، وأن أهل البيت عليهم السلام هم الخمسة المتصفون بصفات الفرقان لا غير، ولو كان هناك شخص غيرهم لأخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله كأزواجه وأعمامه وأخواله، فقال: من أحبهم فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني، ومن سبهم فقد سبني وهكذا، مع أنه لا توجد حتى رواية واحدة بهذا المعنى لغيرهم. وعليه، فهم ميزان الحق والباطل، وهم الفرقان.

الدلالة الثالثة: أن القرآن فيه تبيان كل شيء، وأتمهم كذلك بدليل «لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» ولا يحتمل تخلفهم عن هذا الوصف، لأن لازمه هو كذب النبي صلى الله عليه وآله حاشاه!، إذن فهم الأعم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله^(٢).

الدلالة الرابعة: القرآن هو المقياس بدلالة قوله صلى الله عليه وآله: «ما أتاكم عنا فاعرضوه على كتاب الله». وهو معنى الأكبرية في الحديث الشريف «أحدهما أكبر من الآخر»^(٣).

(١) الكافي، للكليني: ج ١ ص ٢٦١. إلى هنا انتهى مطلب ساحة السيد الحيدري في هذا المقطع ولم يتمه لانتهاه حلقات البرنامج، إلا أنه قد بين لنا المنهجية في كيفية تتبعه للحديث الشريف واستنطاق معانيه وتتبعها بهذه الطريقة العلمية المميزة.

(٢) إلى هنا انتهت لوازم معرفة أهل البيت عليهم السلام من خلال معرفة القرآن.

(٣) مسند أحمد: ج ٣ ص ١٤؛ ج ٣ ص ٢٧؛ ج ٣ ص ٥٩؛ المستدرک، للحاكم: ج ٣ ص ١٠٩؛ سنن النسائي: ج ٥ ص ٤٥؛ المعجم الكبير: ج ٣ ص ٦٥ وغيرها.

٢٦٢..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

وكما في رواية الصدوق: «أما الثقل الأكبر فكتاب الله عز وجل»^(١).

وفي رواية القندوزي: «الأكبر منهما كتاب الله، والأصغر عترتي أهل بيتي»^(٢).

وفي رواية الطبراني «السَّبَبُ الْأَكْبَرُ كِتَابُ اللَّهِ»^(٣).

فما معنى الأكبر وما هو اللحاظ في ذلك؟

عرفنا في اللغة أنّ الأكبر: الأعظم، وعليه فالقرآن الكريم أعظم من أهل البيت عليهم السلام، وطبيعيّ جداً أن تكون الأصالة لكتاب الله، وأنهم عليهم السلام إنّما نالوا درجاتهم بالنسبة إليه، وخير ما نستدلّ به على هذه الأصالة: المأثور الذي وصلنا عن أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم.

عن حقيقة القرآن الكريم قال الإمام الصادق عليه السلام: «لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه، ولكنهم لا يبصرون»^(٤).

وعن هداية القرآن الكريم قال الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله: «وهو الدليل، يدلّ على خير سبيل»^(٥)، وعنه صلى الله عليه وآله: «القرآن هدىً من الضلالة، وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة»^(٦)، وعن الإمام عليّ عليه السلام: «أيتها الناس إنّ من استنصح الله وُفق، ومن اتّخذ قوله دليلاً هُدي للتي هي أقوم»^(٧)، وعن فاطمة الزهراء عليها السلام: «... وقائدٌ إلى الرضوان أتباعه، ومؤدّ إلى النجاة أشياعه»^(٨).

(١) الخصال، للشيخ الصدوق: ص ٦٦.

(٢) ينابيع المودة: ج ١ ص ١٠٤.

(٣) المعجم الكبير: ج ٣ ص ٦٧.

(٤) بحار الأنوار: ج ٨٩ ص ١٠٧.

(٥) الكافي، للكليني: ج ٢ ص ٥٩٩.

(٦) المصدر نفسه: ج ٢ ص ٦٠٠.

(٧) نهج البلاغة: ج ٢ ص ٣٢.

(٨) الاحتجاج، للطبرسي: ج ١ ص ١٣٤.

وعن إحاطة القرآن العظيم قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ العزيز الجبار أنزل عليكم كتابه وهو الصادق البار، فيه خبركم وخبر من قبلكم وخبر من بعدكم وخبر السماء والأرض، ولو أتاكم من يُخبركم عن ذلك لتعجبتم»^(١)، وعنه عليه السلام: «إنّ الله أنزل في القرآن تبيان كل شيء، حتى والله ما ترك شيئاً يحتاج العباد إليه إلا بينه للناس»^(٢).

وعن التبيان الذي في القرآن العزيز قال الإمام عليّ عليه السلام: «... وتبيناً لا تهدم أركانه»^(٣)، وعنه عليه السلام: «وعليكم بكتاب الله فإنّه الحبل المتين.. لا يعوجُّ فيقام، ولا يزيغ فيستعَب»^(٤)، وعن الإمام السجاد عليه السلام: «وميزان قسط لا يحيفُ عن الحقّ لسأته، ونور هدى لا يُطفأ عن الشاهدين بُرهانه»^(٥).

وأكدوا عليهم السلام أنّ القرآن لا بديل عنه. فقال الإمام عليّ عليه السلام: «واعلموا أنّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحدٍ قبل القرآن من غنى»^(٦)، وعنه عليه السلام: «ومن طلب الهدى في غيره أضله الله»^(٧)، وعنه عليه السلام: «وفيه ربيع القلب.. وما للقلب جلاء غيره»^(٨)، وعنه عليه السلام: «ولا تُكشف الظلماتُ إلاّ به»^(٩).

وعن عظمة القرآن وفضله، روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «القرآن أفضل كلّ شيء

(١) الكافي، للكليني: ج ٢ ص ٥٩٩.

(٢) المصدر نفسه: ج ١ ص ٥٩.

(٣) نهج البلاغة: ج ٢ ص ١٧٧.

(٤) المصدر نفسه: ج ٢ ص ٤٩.

(٥) الصحيفة السجادية: ص ١٩٤.

(٦) نهج البلاغة: ج ٢ ص ٩٢.

(٧) بحار الأنوار: ج ٨٩ ص ٣٢.

(٨) نهج البلاغة: ج ٢ ص ٩٥.

(٩) المصدر نفسه: ج ١ ص ٥٦.

٢٦٤..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

دون الله، فمن قرَّ القرآنَ فقد قرَّ الله»^(١)، وعنه صلى الله عليه: «فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»^(٢).

وأنَّ القرآنَ كتابٌ شاملٌ كاملٌ، عن الإمام عليّ عليه السلام: «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه: ألا إنَّ فيه علمَ ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم ونظم ما بينكم»^(٣)، وعنه عليه السلام: «فَعظَمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ، وَلَمْ يَتْرِكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ حِكْماً بَادِئاً، وَآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ»^(٤).

من هذه الأحاديث الشريفة نعرف ما معنى آتة الأكبر، أو السبب الأكبر، لأنَّه إليه مرجع الأشياء، ونحن في التمهيد لهذه الرسالة ذكرنا آتة ممَّا تسالم في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وعمل به جُلٌّ من علماء الأُمَّة، وسبقهم إلى ذلك بعض الصحابة، أمَّهم كانوا يردُّون ما يأتيهم من شيء إلى القرآن، فإن وافق أخذوه وإلا فتركوه، وهذا لبُّ المعنى في قوله (الأكبر)، أي: ما سواه يقاس به.

الدلالة الخامسة: القرآن هو حبل الله وكذا أهل البيت عليهم السلام هم حبل الله، وهو يفسر قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾.

قال المفسرون^(٥) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣): «أي تمسكوا»، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ

(١) بحار الأنوار: ج ٨٩ ص ١٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) نهج البلاغة: ج ٢ ص ٤٥.

(٤) المصدر نفسه: ج ٢ ص ١١١.

(٥) ينظر: الطبري والثعلبي والواحدي والبغوي والرازي والبيضاوي والخازن والنيسابوري والسيوطي.

دلالات حديث الثقلين ٢٦٥

يَعْتَصِمُ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ (آل عمران: ١٠١) أي: «ومن يستمسك».

قال الثعلبي في تفسير الآية ما نصّه: وروى أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد: نحن حبل الله الذي قال الله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾. وقال الشيخ سليمان القندوزي: أخرج الثعلبي: بسنده عن أبان بن تغلب، عن جعفر الصادق عليه السلام قال: نحن حبل الله الذي قال الله (عز وجل) ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾. أيضاً أخرج صاحب كتاب «المناقب: عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله إذ جاء أعرابي فقال: يا رسول الله سمعتك تقول ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ فما حبل الله الذي نعتصم به؟ فضرب النبي صلى الله عليه وآله يده في يد عليّ وقال: تمسكوا بهذا، هو حبل الله المتين»^(١).

والجدير بالذكر هنا: أنه قد فسّر الشافعي «حبل الله» بولاء أهل البيت عليهم السلام معلناً ذلك في أبيات نظمها، فقد قال العجلي عند الكلام على شهادة الأئمة الأربعة بفضل أهل البيت عليهم السلام: وأما شهادة الأئمة الأربعة، فمن كلام الإمام الشافعي:

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم مذاهبهم في أبحر الغي والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا وهم آل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهم كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل^(٢)

(١) ينابيع المودة: ج ١ ص ٣٥٧.

(٢) رشفة الصادي من بحر فضائل بني النبي الهادي، لأبي بكر شهاب الدين العلوي: ج ٥٧ ص ١٠٥.

(٥) (وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ)

رواه بهذا اللفظ النسائي في سننه وفي خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، والطحاوي في مشكل الآثار، والحاكم في المستدرک، وابن كثير في البداية والنهاية وصححه الذهبي.

أولاً: (وَإِنَّهُمَا) أَوْ (فَاتَهُمَا)

إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدأ هذا المقطع من الحديث بحرفٍ يفيد التوكيد، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَإِنَّهُمَا أَوْ فَاتَهُمَا)، وذلك لأنَّ (إِنَّ) تفيد التأكيد أو التوكيد. قال ابن هشام: «(إِنَّ) المكسورة المشددة، على وجهين: أحدهما: أن تكون حرف توكيد»^(١) ولو قال: وهما لن يفترقا، فإنَّ هذا التأكيد لا يحصل.

ثانياً: قوله (لَنْ)

ماذا يستفاد من حرف لن؟ يقول الدكتور فاضل السامرائي: «لن، تدخل على الفعل المضارع فتخلصه للاستقبال». ويقول: «وهي نقيض سوف. فإذا قلت سوف أفعل، فنفيه: لن أفعل. فسوف للإثبات، ولن للنفي، ولا يجمع بينهما. وهذا واضح»^(٢).

ومعناه: أن (لن) تفيد النفي، وإذا دخلت على المضارع تفيد نفي الاستقبال، لا نفي الحال ولا نفي الماضي. وهذا أمر متفق عليه عند النحويين. يقول ابن هشام: «ولا تفيد لن توكيد النفي خلافاً للزخشي في كشافه

(١) مغنى اللبيب، ابن هشام الأنصاري: ج ١ ص ٣٧.

(٢) معاني النحو، فاضل السامرائي: ج ١ ص ٣١٠.

ولا تأييد النفي، خلافاً له في أنموذجه»^(١).

إذن تحصل لنا:

١. أنّ (لن) تفيّد النفي وهو المشهور، ولكنّه هناك جملة من القرائن المرتبطة باللفظ، أو المرتبطة بأمور خارجيّة قد يستفاد من مجموعها أنّها تفيّد التأكيد أو تفيّد التأييد، إذن التأييد والتوكيد ليسا مدلولين لنفس لن وإنّما يستفادان من قرائن خارجيّة.

٢. وأنّها تفيّد تأييد النفي كما عند الزمخشري، يقول: (فإن قلت: ما حقيقة «لن» في باب النفي؟ قلت: «لا» و«لن» أختان في نفي المستقبل، إلّا أنّ في «لن» توكيداً وتشديداً. تقول لصاحبك: لا أقيم غداً، فإن أنكرك عليك قلت: لن أقيم غداً)^(٢).

والمعنى في الحالين في صالحنا: زيادته «أنّ» في الثاني تأييد، وفي الأوّل توكيد.

ثالثاً: ما المراد من الافتراق؟

يقول السيّد الحيدري: إذا كان هناك شخصان أحدهما يمشي إلى جنب الآخر، ماذا يقال؟ يقول: متلاصقان أو متلازمان أو أحدهما إلى جنب الآخر، أمّا بمجرد أن يذهب أحدهما إلى جانب ويذهب الآخر إلى جانب الآخر، يقال: افترقا، فما معنى أنّ القرآن والعترة لا يفترقان؟ معناه: أنّ أحدهما إلى جنب الآخر ولن يذهب أحدهما في طرفٍ والآخر في طرف.

١. قال الراغب الأصفهاني: «والفرق يقال اعتباراً بالانفصال. قال تعالى:

(١) مغني اللبيب: ج ١ ص ٢٨٤.

(٢) الكشاف: ج ١ ص ٣٢.

٢٦٨ حديث الثقلين سنداً ودلالة

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ (البقرة: ٥٠)، والفرق: القطعة المنفصلة، ومنه: الفرقة للجماعة المتفردة من الناس، وقيل: فرق الصبح، وفتح الصبح. قال: ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (الشعراء: ٦٣)، والفرق: الجماعة المتفرقة عن آخرين، قال: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمُ بِالْكِتَابِ﴾ (آل عمران: ٧٨)، ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة: ٨٧)، ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (الشورى: ٧)، ﴿إِنَّهٗ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾ (المؤمنون: ١٠٩)، ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ (مريم: ٧٣)، ﴿وَنُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّنْ دِيَارِهِمْ﴾ (البقرة: ٨٥) ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ (البقرة: ١٤٦)، وفرقت بين الشيين: فصلت بينهما، سواء كان ذلك بفصل يدرکه البصر، أو بفصل تدرکه البصيرة^(١).

٢. قال الفراهيدي: «والفرق: تفريق بين شيئين فرقا، حتى يفترقا ويتفرقا»^(٢).

٣. ابن الأثير الجزري: «والتفرق والافتراق سواء»^(٣).

رابعاً: كلمة (حتى)

إنها تفيد الغاية، أي: غاية الشيء، تقول: سرت الطريق حتى وصلت إلى....

يقول الدكتور السامرائي: «حتى: حرف غاية»^(٤). وانتهينا إلى ما يلي:

١. أنه لا يقع الافتراق بل لن يقع الافتراق بين القرآن وبين العترة، أو

(١) مفردات الراغب: ص ٣٧٧.

(٢) العين: ج ٥ ص ١٤٧.

(٣) النهاية، لابن الأثير: ج ٣ ص ٤٣٩.

(٤) معاني النحو: ج ٣ ص ٢٩.

قل: بين القرآن وبين عدل القرآن، من حين صدور هذا الكلام من النبي الأكرم ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٢. بل كذلك لن يقع الافتراق بين القرآن وعدل القرآن الذين هم العترة كما ثبت، في سكرات الموت أيضاً، لأن هذه أيضاً من مقدمات مواقف القيامة، وكذلك لن يقع الافتراق بين القرآن وعدله في عالم البرزخ ﴿وَمَنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٠)، بل لن يقع الافتراق في الحشر الأكبر (إلى أن يرث الله الأرض والحوض).

خامساً: الحوض

يقول السيد الحيدري^(١): في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾. (الكوثر: ١): إن الله تعالى عندما يستعمل لفظة (إنّا) فهذا إشارة إلى أن هذا الفعل يقع مع الواسطة، أمّا عندما يستعمل لفظة (إني) فهذا يعني أن الفعل وقع بلا واسطة، وذلك من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: ١)، فنزول القرآن الكريم كان بتوسط جبرئيل؛ قال تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (الشعراء: ١٩٣-١٩٤)، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

وأما في سورة البقرة فيقول تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠)، أي أن هذا الخليفة هو خليفة الله تعالى بلا واسطة، ولذا نجد أن القرآن الكريم يقول بشكل واضح: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١)، لأنّ المعلم هو الله تعالى، والمتعلم هو آدم، ثم قال: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ (البقرة: ٣٣)، وهنا صار آدم واسطة للتعليم، أو لإنباء الملائكة.

(١) المعاد رؤية قرآنية، للسيد كمال الحيدري: ج ٢ ص ٢٥١ وما بعدها.

٢٧٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

ثم إنه تعالى لم يقل «آتيناك الكوثر» بل قال: ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾ لأن لفظ الإعطاء ظاهر في التمليك، والسبب فيه كما قال الرازي في تفسيره أمران: «الأول: أن الإيتاء يحتمل أن يكون واجباً وأن يكون تفضلاً، وأما الإعطاء فإنه بالتفضل أشبه؛ فقوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ يعني: أن هذه الخيرات الكثيرة محض التفضل منا إليك، وليس منه شيء على سبيل الاستحقاق والوجوب. فلما دلّ قوله أَعْطَيْنَاكَ على أنه تفضل لا استحقاق، أشعر ذلك بالدوام والتزايد أبداً، فإن قيل: أليس قال: ﴿آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ (الحجر: ٨٧)؟ قلنا: الجواب من وجهين:

الأول: إن الإعطاء يوجب التمليك، والملك سبب الاختصاص، والدليل عليه أنه لما قال سليمان ﴿وَهَبْ لِي مَلِكًا﴾ فقال: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ (ص: ٣٩)، ولهذا السبب من حمل الكوثر على الحوض قال: الأمة تكون أضيافاً له، أما الإيتاء فإنه لا يفيد الملك، فلهذا لو قال في القرآن: آتَيْنَاكَ، فإنه لا يجوز للنبي أن يكتفم شيئاً منه...»^(١).

ولأن النبي ﷺ في مقام الملكية، والملكية سبب للاختصاص، فستكون الأمة أضيافاً على رسول الله ﷺ في حوض الكوثر.

وأما قوله: ﴿الْكَوْثَرَ﴾ ففي اللغة يعني: الخير الكثير، وهذا ما اتفق عليه كلام المفسرين، ولكن ما هي مصاديق الخير الكثير في الدنيا وفي الآخرة؟
أما على مستوى الدنيا فيشير إليها الرازي بزهاء عشرين مصداقاً، ومنها: علماء أمة محمد ﷺ، والنبوة، والقرآن، وأولاده، والإسلام، والفضائل الكثيرة التي فيه ﷺ، ورفعته الذكر.

(١) مفاتيح الغيب، للرازي: ج ٣٢ ص ١٢٣.

وذكر المجلسي في البحار هذه الأقوال، ومما قاله: «وقيل: الكوثر: الخير الكثير؛ عن ابن عباس وابن جبير ومجاهد، وقيل: هو النبوة والكتاب، عن عكرمة. وقيل: القرآن، عن الحسن. وقيل: هو كثرة الأصحاب والأشياء؛ عن أبي بكر بن عيَّاش. وقيل: هو كثرة النسل والذرية، وقد ظهرت الكثرة في نسله من ولد فاطمة عليها السلام حتى لا يحصى عددهم، واتصل إلى يوم القيامة مددهم...»^(١).

وعندما يذكر الرازي معاني الكوثر يقف مطوّلاً عند تفسيره بالخير الكثير، فيقول: «والقول الثالث: الكوثر: أولاده؛ قالوا لأن هذه السورة نزلت رداً على مَنْ عابه عليه السلام بعدم الأولاد، فالمعنى: أنه يعطيه نسلًا يبقون على مرّ الزمان، فانظر كم قُتل من أهل البيت، ثمّ العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحدٌ يعبأ به، ثمّ انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام...»^(٢).

فالرازي ملتفت إلى أنّ المراد من أهل البيت عليهم السلام ليس مطلق من ينتسب نسباً إلى أهل البيت عليهم السلام، وإنما المراد طبقة مخصوصة وأشخاص معيّنون هم الذين ينتسبون إلى أهل البيت، ويصدق عليهم أنهم أهل البيت عليهم السلام. هذا في ما يتعلّق بمصايق الكوثر في الدنيا، وكلّ الكلام والمسألة الأساسية في بحثنا هو في مصايق الكوثر يوم القيامة.

الكوثر نهر في الجنة، ولعلّ من المسائل التي اتّفق عليها الفريقان هو تحديد المراد من الكوثر يوم القيامة، حيث نجد في ألفاظ الحديث الوارد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عند أتباع أهل البيت عليهم السلام وعند غيرهم أنّ المشهور والمستفيض

(١) بحار الأنوار: ج ٨ ص ١٧.

(٢) مفاتيح الغيب: ج ٣٢ ص ١٢٤.

عند السلف والخلف أن المراد من الكوثر هو نهر في الجنة.

قال الرازي في تفسيره: «واختلف المفسرون فيه على وجوه؛ الأول، وهو المشهور المستفيض عند السلف والخلف: أنه نهر في الجنة، روى أنس عن النبي ﷺ قال: رأيت نهراً في الجنة حاقته قباب اللؤلؤ المجوف فضربت بيدي إلى مجرى الماء فإذا أنا بمسك أذفر، فقلت ما هذا؟ قيل الكوثر الذي أعطاك الله^(١)، وفي رواية أنس: أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، فيه طيور خضر، لها أعناق كأعناق البخت، من أكل من ذلك الطير وشرب من ذلك الماء فاز بالرضوان، ولعله إنما سمى بذلك النهر كوثرًا إمّا لآته أكثر أنهار الجنة ماءً وخيراً أو لآته انفجر منه أنهار الجنة..»^(٢).

وهكذا في الروايات الواردة من طرق أهل البيت عليه السلام فقد ورد فيها هذا المضمون، ومنها: عن عبد الله بن عباس قال: «لما نزل على رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، قال له عليّ بن أبي طالب: ما هو الكوثر يا رسول الله؟ قال: نهر أكرمني الله به، قال عليّ: إنّ هذا النهر شريف فانعتة لنا يا رسول الله. قال: نعم يا عليّ، الكوثر نهر يجري تحت عرش الله تعالى، ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، وحصاه (حصاؤه) الزبرجد والياقوت والمرجان، حشيشه الزعفران، ترابه المسك الأذفر، قواعده تحت عرش الله عزّ وجلّ، ثمّ ضرب رسول الله ﷺ يده في جنب عليّ أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا عليّ إنّ هذا النهر لي ولك ولحبيبك من بعدي»^(٣).

(١) مسند أحمد: ج ٣ ص ١٦٤ و ١٩١ و ٢٣٢؛ البخاري: ج ٦ ص ٩٢؛ الترمذي: ج ٥ ص ١١٩ ح ٣٤١٨.

(٢) مفاتيح الغيب: ج ٢٣ ص ١٢٤.

(٣) أمالي المفيد: ص ٢٤٩؛ أمالي الطوسي: ٦٩؛ بحار الأنوار: ج ٨ ص ١٨.

دلالات حديث الثقلين ٢٧٣

وفي الروايات المتقدمة وغيرها إشارة إلى اختصاص النبي ﷺ وأهل بيته ﺍﻟﻤﻨﺘﻘﺪﻣﺔ بالكوثر، وهذا من المقامات والدرجات الخاصة بهم يوم القيامة. والملاحظ أنّ روايات الكوثر والحوض بمعظمها منقولة عن الرسول الأكرم، والناقل لها هم أصحابه ﺍﻟﺄﻛﺮﻡ.

وفي هذه الروايات مجموعة من الخصائص والحقائق نشير إليها، وهي: أولاً: إنّ الكوثر نهرٌ في داخل الجنة؛ لأنّ في بعضها تصريحاً بأنّه نهرٌ في الجنة، وفي بعضها الآخر بأنّه: (قصورك وقصور وزيرك وذريته على حافتي النهر) وغير ذلك من الخصوصيات، وفي هذا إشارة إلى الاختلاف بين حوض الكوثر ونهر الكوثر كما سيأتي.

ثانياً: إنّ هذا النهر من مختصات النبي الأكرم ﺍﻟﺄﻛﺮﻡ وأهل بيته ﺍﻟﻤﻨﺘﻘﺪﻣﺔ. ثالثاً: إنّ هذه النعوت التي ذكرت في الروايات للكوثر: (ألين من الزبد، حصباؤه الزبرجد والياقوت والمرجان...) إنّها هي من باب التشبيه والتمثيل، لأنّ هذه الأمور تختلف ما بين عالم الدنيا والآخرة.

حوض الكوثر

في مقابل الروايات المتقدمة التي عبّرت عن الكوثر بأنّه نهرٌ في الجنة، نجد طائفة كبيرة من الروايات تحدّثت وذكرت الكوثر على أنّه «حوض»؛ ومنها: عن أبي الورد قال: «سمعت أبا جعفر محمد بن عليّ الباقر ﺍﻟﻤﻨﺘﻘﺪﻣﺔ يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيدٍ واحد من الأولين والآخرين، عراة حفاة، فيوقفون على طريق المحشر حتّى يعرقوا عرقاً شديداً، وتشتدّ أنفاسهم، فيمكثون كذلك ما شاء الله، وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (طه: ١٠٨)، قال: ثمّ ينادي منادٍ من تلقاء العرش: أين النبيّ الأُمّي؟ قال: فيقول الناس: قد أسمعتم كلاً، فسّمه باسمه، قال: فينادي: أين نبيّ الرحمة محمد بن عبد الله؟ قال: فيقوم رسول

٢٧٤..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

اللَّهُ ﷻ فيتقدّم أمام الناس كلّهم حتّى ينتهي إلى حوض طوله ما بين إبله وصنعاء، فيقف عليه ثمّ ينادي بصاحبكم، فيقوم أمام الناس فيقف معه، ثمّ يؤذن للناس فيمرون. قال أبو جعفر عليه السلام: فيين وارد يومئذ وبين مصروف»^(١).

فالحوض هو غير نهر الكوثر؛ لأنّه بحسب هذه الرواية له خصوصيات، منها:

أولاً: أنّه في المحشر.

ثانياً: أنّ الناس بإزائه ينقسمون إلى صنفين، بعضهم يُعطى وبعضهم يُمنع.

وأيضاً: أنّ الحوض لا يشرب منه جميع الناس، بل هم ما بين وارد ومصروف؛ عن حمزة بن أبي سعيد الخدريّ، عن أبيه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: ما بال أقوام يقولون: إنّ رحم رسول الله ' لا يشفع (لا ينفع) يوم القيامة؟ بلى والله إنّ رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة، وإني أيّها الناس فرطكم يوم القيامة على الحوض، فإذا جئتم قال الرجل: يا رسول الله أنا فلان بن فلان، فأقول: أمّا النسب فقد عرفته، ولكنكم أخذتم بعدي ذات الشمال وارتددتم على أعقابكم القهقري»^(٢).

وانقسام الناس من أمة محمد ﷺ بالنسبة إلى الشرب من الحوض إلى قسمين ورد في روايات الفريقين، وليس ذلك من مختصات روايات الشيعة فقط، وقد ورد ذلك في صحيح البخاري:

الرواية الأولى: «حدّثنا مسلم بن إبراهيم، حدّثنا وهيب، حدّثنا عبد العزيز عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ليردن عليّ ناس من أصحابي الحوض

(١) بحار الأنوار: ج ٨ ص ١٧.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢٢٩.

دلالات حديث الثقلين ٢٧٥

حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول: أصحابي. فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»^(١).

الرواية الثانية: عن أبي حازم قال: «سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: أنا فرطكم على الحوض، فمن ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظماً بعده أبداً، ليرد عليّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفونني ثم يُحال بيني وبينهم. قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عيَّاش وأنا أحدثهم هذا، فقال: هكذا سمعت سهلاً يقول؟ فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه، ليس هذا القدر أي أن النبي ﷺ زيادة عن ذلك قال: إنهم متي، فيقال: إنك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول: سحراً سحراً لمن بدل بعدي»^(٢).

المستفاد من هذه النصوص حقائق هي:

الأولى: أن الحوض لا يشرب منه جميع أمة محمد ﷺ، ومن لم يشرب من الحوض لا يتأهل للدخول إلى الجنة التي هي دار الطهر والطهارة.

الثانية: أن القول بأن جميع صحابة رسول الله ﷺ هم من العدول يتنافى مع روايات البخاري التي تنص على وجود فئة يقول عنهم الرسول ﷺ بأنهم (أصحابي) لا يردون الحوض ويبعدون عنه، وروايات البخاري هي حجة على المعتقدين به، لاسيما مع قولهم بأنه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى.

خصائص حوض الكوثر

في ضوء الروايات المتقدمة يمكن أن نستكشف مجموعة من الخصائص لحوض الكوثر كالتالي:

أولاً: إنه حوض وليس بنهر، ومن الواضح أن النهر شيء، والحوض

(١) صحيح البخاري: ج ٧ ص ٢٠٧.

(٢) البخاري: ج ٨ ص ٨٧.

٢٧٦..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

شيءٌ آخر مختلف عن النهر، ولذا وقع المفسرون في حيرة وتخبُّط، كما حصل مع الفخر الرازي.

ثانياً: إنَّ الناس، أي أمة محمد ﷺ، ينقسمون إلى قسمين بإزاء الشرب من الحوض، وهم ما بين واردٍ ومصروف، بين من يُجاز له أن يشرب وبين من يُمنع ويُطرد عن الحوض.

ثالثاً: إنَّه توجد على الحوض أوانٍ كثيرة بعدد نجوم السماء، وهذه الخصوصية لا نجدها في الروايات الواردة في نهر الكوثر.

رابعاً: وهي مبنية على الخصوصيات السابقة؛ حيث نستفيد منها أنَّ الحوض خارج الجنة، وإلا لا معنى لأن يكون الناس بإزائه ما بين وارد ومصروف، ولو كان داخل الجنة لما كان معنى لصرف الناس عنه.

فائدة الشرب من الحوض

إنَّ الجنة دار الطهر والطهارة ودار القدس، ولا يمكن أن يدخلها إلا الطاهر والمطهر. وإذا أراد الإنسان أن يدخل الجنة وفيه شيء من الكدورات فإنَّ هذا الشراب الطهور من حوض الكوثر والذي يسقيه الله تعالى لبعض الناس بواسطة النبي ﷺ وعليّ وأهل بيته عليهم السلام يبيئهم للدخول إلى الجنة بأعلى درجات الطهر والطهارة.

دلالات المقطع

الدلالة الأولى: عدم افتراق القرآن والعترة دليل على وجوب الاتباع لقد أمر رسول الله ﷺ بقوله: «وإنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» الأمة بالتمسك بأهل البيت عليهم السلام.

وبهذا صرَّح المناوي في (فيض القدير) بشرح العبارة: «وفي هذا مع قوله

دلالات حديث الثقلين ٢٧٧

أولاً: (إني تارك فيكم) تلويح بل تصريحٌ بأنهم كتوأمين، خلفهما ووصى أمته بحسن معاملتهما، وإيثار حقهما على أنفسهما، والاستمساك بهما في الدين، أما الكتاب فلأنه معدنٌ للعلوم الدينية والحكم الشرعية وكنوز الحقائق وخفايا الدقائق، وأما العترة فلأنَّ العنصر إذا طاب أعان على فهم الدين، فطيب العنصر يؤدّي إلى حسن الأخلاق، ومحاسنها تؤدّي إلى صفاء القلب ونزاهته وطهارته^(١).

الدلالة الثانية: عصمة العترة النبوية من المعاصي والأخطاء والاشتباه

إنَّ تصريح النبي ﷺ بعدم افتراقهم عن القرآن الكريم في قوله: «ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض» معناه عصمتهم، لأنَّ تجويز المعاصي والأخطاء والاشتباه عليهم، يعني: تجويز افتراقهم عن القرآن.

ودلالة الحديث واضحة على هذا المعنى، فأوجب التمسك بهم، ومن يحتمل معصيته وخطؤه واشتباهه يستحيل أن يأمر الله تعالى بالتمسك به، فلو لم يكونوا معصومين لجاز أن يكون التمسك بهم ضالاً، وبما أنَّ الأمر النبوي بالتمسك بهم مطلقاً بدون قيد، دلَّ على هداية من تمسك بهم مطلقاً، ومن كان التمسك به هداية دائماً، فهو معصوم.

يقول السيّد الحيدري^(٢) في دلالة هذا المقطع من الحديث الشريف على

العصمة:

«أولاً: اقترانهم بالكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتصريحه بعدم افتراقهم عنه، ومن البديهي أنَّ صدور أية مخالفة للشريعة سواء أكانت عن عمد أم سهو، أم غفلة، تُعد افتراقاً عن القرآن في هذا الحال، وإن لم

(١) فيض القدير للمناوي: ج ٣ ص ٢٠.

(٢) مدخل إلى الإمامة، السيّد كمال الحيدري: ص ٦٦.

٢٧٨..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

يتحقّق انطباق عنوان المعصية عليها أحياناً، كما في الغافل والساهي، والمدار في صدق عنوان الافتراق عنه، عدم مصاحبته لعدم التقيّد بأحكامه، وإن كان معذوراً في ذلك، فيقال فلان - مثلاً - افترق عن الكتاب وكان معذوراً في افتراقه عنه، والحديث صريح في عدم افتراقهما حتّى يردا الحوض.

ثانياً: على أنّ تجويز الافتراق عليهم بمخالفة الكتاب وصدور الذنب منهم، تجويز للكذب على رسول الله ﷺ الذي أخبر عن الله عزّ وجلّ بعدم وقوع افتراقهما، وتجويز الكذب عليه متعمّداً في مقام التبليغ والإخبار عن الله في الأحكام وما يرجع إليها من موضوعاتها وعللها، منافع لافتراض العصمة في التبليغ، وهو ممّا أجمعت عليها كلمة المسلمين على الإطلاق، حتّى نفاة العصمة بقول مطلق.

يقول الشوكاني بعد استعراضه لمختلف مبانيهم في عصمة الأنبياء: «وهكذا وقع الإجماع على عصمتهم بعد النبوة، من تعمد الكذب في الأحكام الشرعيّة، لدلالة المعجزة على صدقهم، وأمّا الكذب غلطاً فمنعه الجمهور وجوّزه القاضي أبو بكر»^(١).

«ولا إشكال في أنّ الغلط لا يتأتّى في هذا الحديث لإصرار النبي ﷺ على تبليغه في أكثر من موضع، وإلزام الناس بمؤداه، والغلط لا يتكرّر عادة»^(٢).

إذن فهذا النصّ المبارك يثبت لنا ضرورة عصمة العترة، مضافاً إلى عشرات الأدلّة القرآنيّة والروائيّة التي لا مجال للوقوف عليها في هذه العجالة. نعم، قد يقال: إنّ العترة عنوان عامّ يمكن أن يشمل غير الأئمة الاثني

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، للشوكاني: ص ٣٤.

(٢) السنّة في الشريعة الإسلاميّة؛ لمحمّد تقي الحكيم: ص ٥٣.

دلالات حديث الثقلين ٢٧٩

عشر، الذين تمسك بهم الشيعة الإمامية، لأنه كما ثبت في محله، القضية لا تثبت موضوعها، ومن هنا لا يمكن التمسك بهذا الحديث وما يشابهه لتعيين مصاديق أحاديث «الخلفاء اثنا عشر»؛ لذا أشكل أبو زهرة في هذا الحديث بقوله: «وبعد التسليم بصحة اللفظ نقول: بأنه لا يقطع، بل لا يعين من ذكروهم من الأئمة الستة المتفق عليهم عند الإمامية الفاطميين، وهو لا يعين أولاد الحسين دون أولاد الحسن، كما لا يعين واحداً من هؤلاء بهذا الترتيب»^(١).

ولكن هناك طرق عديدة من خلالها يمكن تعيين مصاديق العترة وأهل البيت عليهم السلام نعرضها بإيجاز:

الطريق الأول: هو الطريق المباشر لتعيينهم من خلال الروايات المنقولة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، التي تنص عليهم بأسمائهم، التي سنشير إليها في الفصل الثالث.

الطريق الثاني: وهو طريق نقلي أيضاً، ولكنه طوي، ونعني به: أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يعين بعضاً من هؤلاء الأئمة من بعده، ثم يقوم كل واحد من هؤلاء بتعيين الخليفة الذي يأتي بعده وهكذا، ومنها:

١. الروايات الكثيرة التي نصت على عصمة الإمام علي عليه السلام وهي متواترة بين الفريقين، مثل قوله صلى الله عليه وآله: «علي مع الحق والحق مع علي، يدور معه حيثما دار»^(٢)، وقوله صلى الله عليه وآله لعمار: «يا عمار إن رأيت علياً قد سلك وادياً، وسلك

(١) الإمام الصادق عليه السلام لمحمد أبو زهرة: ص ١٩٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ١٥٥؛ وبنفس المعنى ينظر الطبراني الصغير: ص ٧٨ و ١٧٠؛ مستدرک الحاكم: ج ٣ ص ١٥٠ و ج ٢ ص ٣٤٣؛ ميزان الاعتدال: ج ١ ص ٢٢٤؛ مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٦٨؛ تاريخ الخلفاء: ص ٥٧٣؛ الخصائص الكبرى: ج ٢ ص ٢٦٦؛

٢٨٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

الناس وادياً آخر، فاسلك مع عليّ ودع الناس، إنّه لن يدلّك على ردى، ولن يخرجك من هدى»^(١).

من هنا قال أبو القاسم البجلي وتلامذته من المعتزلة: «لو نازع عليّ عقيب وفاة رسول الله ﷺ وسلّ سيفه، لحكمتنا بهلاك كلّ من خالفه وتقدّم عليه، كما حكمتنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه، ولكنّه مالك الأمر وصاحب الخلافة، إذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها، وإذا أمسك عنها وجب علينا القول بعدالة من أغضى له عليها، وحكمه في ذلك حكم رسول الله ﷺ، لأنّه قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحة أنّه قال: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، يدور معه حيثما دار، وقال له غير مرّة: حريك حربيّ وسلمك سلمي»^(٢).

لذا قال عليّ بن أبي طالب عن نفسه - كما في مواضع متعدّدة من النهج - : «إخواننا وأهل دعوتنا، استقلونا واستراحوا إلى كتاب الله وإنّ الكتاب لمعي، ما فارقتّه مذ صحبتّه»^(٣). ونعلم جميعاً أنّه صحب الكتاب وهو دون العاشرة.

وقال أيضاً: «أيّها الناس، إنّي قد بثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء بها أممهم، وأديت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم، وأدبتكم بسوطي فلم تستقيموا، وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا، لله أنتم، أتتوقعون إماماً غيري يظاً

تاريخ بغداد: ج ١٢ ص ٩١؛ حلية الأولياء: ج ٤ ص ٣٠٦؛ منتخب كنز العمال: ج ٥ ص ٩٢ و ص ٩٥؛ ربيع الأبرار: ج ١ ص ٨٢٨ - ٨٢٩؛ شرح النهج، ابن أبي الحديد: ج ١٨ ص ٧٢.

(١) كنز العمال: ج ١١ ص ٦١٣ ح ٣٢٩٧٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٩٧.

(٣) نهج البلاغة: ج ١ ص ٢٣٦.

بكم الطريق، ويرشدكم السبيل»^(١) .

وقال أيضاً: «والله ما كتمت وشمة، ولا كذّبت كذبة»^(٢) .

وقال أيضاً: «فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منكم لأعذرنّ إلى الله فيك، ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار»^(٣) .

ثم إن الإمام بعد أن ثبتت عصمته وإمامته من خلال تلك البيانات، عرف للأمة أهل بيت رسول الله ﷺ ببيانات كثيرة في النهج، نقف عند بعضها:

• قال عليّ عليه السلام: «لا يقاس بآل محمد ﷺ من هذه الأمة أحد، ولا يستوي بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حقّ الولاية، وفيهم الوصيّة والوراثة»^(٤) .

• ثم قال عليّ عليه السلام: «انظروا أهل بيت نبيكم، فالزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يُخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا»^(٥) .

• وقال أيضاً: «ألا أنّ مثل آل محمد ﷺ كمثل نجوم السماء، إذا خوى نجم، طلع نجم، فكأنّكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع، وأراكم ما كنتم تأملون»^(٦) .

(١) المصدر نفسه: ج ٢ ص ١٠٨ .

(٢) المصدر نفسه: ج ١ ص ١٤٨ .

(٣) المصدر نفسه: ج ٣ ص ٦٧ .

(٤) المصدر نفسه: ج ١ ص ٣٠ .

(٥) المصدر نفسه: ج ١ ص ١٨٩ .

(٦) المصدر نفسه: ج ١ ص ١٩٤ .

٢٨٢..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

• وقال أيضاً: «فأين تذهبون، وأنى تؤفكون، والأعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم، وكيف تعمهون، وبينكم عترة نبيكم، وهم أزمة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العطاش»^(١).

مع كل هذه النصوص وعشرات غيرها، تأتي بعض الأقسام لتقول: إن أئمة أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم الإمام علي بن أبي طالب، لم يدعوا لأنفسهم العصمة، ولم يقولوا ما قالته الشيعة عنهم، وإنما هي من اختلاقات فلاسفة الشيعة ومتكلميهم، والأمر كما ترى.

٢. تعيينهم بحديث الكساء، كما قدمنا.

٣. تعيينهم بخروجه صلى الله عليه وآله بهم للمباهلة، وقوله: «اللهم هولاء أهل بيتي»،

وقد تقدم.

يقول السيد كمال الحيدري^(٢): وعلى كل حال، فإن خلاصة هذا الطريق:

أنه بعد أن تعين عدد من المعصومين من أهل البيت عليهم السلام في الخطوة الأولى، كما تم لعلي وفاطمة والحسن والحسين، يأتي دور هؤلاء لتعيين كل سابق الإمام اللاحق له. وهذا ما نجده واضحاً في كثير من الروايات التي عين فيها كل سابق اللاحق له ونص عليه.

لا يقال: إن بعض هذه الروايات إما هي ضعيفة السند، وعلى فرض صحتها فهي آحاد، لا يمكن الاعتماد عليها في الأصول الاعتقادية كمبحث الإمامة.

فإنه يقال: حتى لو سلمنا ما يقوله المستشكل، فإنه لا نعتد على

(١) المصدر نفسه: ج ١ ص ١٥٤.

(٢) مدخل إلى الإمامة: ص ٨٤.

دلالات حديث الثقلين ٢٨٣

خصوص هذه الروايات لتعيين الأئمة من السجّاد عليه السلام إلى القائم عليه السلام، وإنما يضاف إليها عشرات الروايات التي تحدّثت عن أسائهم جميعاً، كما في الطريق الأول. مضافاً إلى دليل آخر يمكن اعتماده في هذا المجال وهو الدليل التاريخي، لإثبات إمامتهم، وتوضيحه كما قرره أستاذنا (الكلام للسيد الحيدري) الحكيم في الأصول العامّة: «إنّ هؤلاء الأئمة الاثني عشر، قد ادّعوا لأنفسهم الإمامة في عرض السلطات الزمنية، واتخذوا من أنفسهم، كما اتّخذهم الملايين من أتباعهم قادة للمعارضة السلمية للحكم القائم في زمنهم، وكانوا عرضةً للسجون والمراقبة، وكثير منهم قُتل بالسمّ، وفيهم من استشهد في ميدان الجهاد على أيدي القائمين بالحكم، وفي هؤلاء من تولّى الإمامة وهو ابن عشرين سنة كالحسن العسكري عليه السلام، بل فيهم من تولّى منصبها وهو ابن ثمان كالإمامين الجواد والهادي عليهما السلام. ومن المعروف عن الشيعة ادّعاؤهم العصمة لأئمتهم الملازمة لدعوى الإحاطة في شؤون الشريعة جميعها، بل ادّعوا الأعلمية في جميع الشؤون، وهم أنفسهم صرّحوا بذلك»^(١).

ومن كلماتهم في ذلك:

١. عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول: «نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينايع الحكمة»^(٢).
٢. وعنه عليه السلام أيضاً: «أين الذين زعموا أنّهم الراسخون في العلم دوننا، كذباً وبغياً، أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرّمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يُستعطي الهدى، ويُستجلى العمى، إنّ الأئمة من قریش، غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاية من غيرهم»^(٣).

(١) سنة أهل البيت، السيد محمد تقي الحكيم: ص ٦٩.

(٢) نهج البلاغة: ج ١ ص ٢١٥.

(٣) المصدر نفسه: ج ٢ ص ٢٧.

٢٨٤..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

٣ . وقال الإمام السجّاد عليه السلام: «وذهب آخرون إلى التخصير في أمرنا، واحتجوا بمتشابه القرآن، فتأولوه بأرائهم، واتهموا مآثور الخبر فينا - إلى أن قال -: وإلى من يفرع خلف هذه الأمة، وقد درست أعلام الملة، ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف، يكفر بعضهم بعضاً، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ (آل عمران: ١٠٦)، فمن الموثوق به على إبلاغ الحجّة، وتأويل الحكمة، إلا أهل الكتاب، وأبناء أئمة الهدى، ومصايح الدجى، الذين احتج الله بهم على عباده، ولم يدع الخلق سدىً من غير حجّة، هل تعرفونهم أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة، وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»^(١).

٤ . وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الله عزّ وجلّ أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل منهاجه، وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه - إلى أن يقول - فلم يزل الله تبارك وتعالى يختارهم لخلقهم، من ولد الحسين عليه السلام من عقب كلّ إمام، يصطفيهم لذلك، ويحتببهم ويرضى بهم لخلقهم، ويرتضيهم، كلّ ما مضى منهم إمام نصب لخلقهم من عقبه إماماً، علماً بيناً، وهادياً نيراً، وإماماً قيماً، وحجّةً عالماً، أئمة من الله، يهدون بالحقّ وبه يعدلون، حجج الله ودعائه ورعائه على خلقه... جعلهم حياةً للأنام، ومصايح للظلام، ومفاتيح للكلام، ودعائم للإسلام، جرت بذلك فيهم مقادير الله على محتومها»^(٢).

٥ . وقال الإمام الرضا عليه السلام: «إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء، إنّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله، ومقام أمير المؤمنين عليه السلام، وميراث الحسن والحسين عليهما السلام، إنّ الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعزّ

(١) الصحيفة السجادية: ص ٥٢٤.

(٢) الكافي، للكليني: ج ١ ص ٢٠٣.

المؤمنين، إنّ الإمامة أسّ الإسلام النامي، وفرعه السامي - إلى أن يقول - الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كلّ من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب. أتظنون أنّ ذلك يوجد في غير آل الرسول ﷺ، كذّبتهم والله أنفسهم، ومنتهم الأباطيل، فارتقوا مرتقى صعباً دحضاً، نزل إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة باثرة ناقصة، وآراء مضلّة، فلم يزدادوا منه إلّا بعداً، ولقد راموا صعباً، وقالوا إفكاً، وضلّوا ضلالاً بعيداً... وإنّ العبد إذا اختاره الله عزّ وجلّ لأمر عبادته، شرح صدره لذلك وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألمه العلم إلهاماً، فلم يع بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيد، موفق مسدد، قد أمن من الخطايا والزلل والعتار، يخصّه الله بذلك ليكون حجته على عبادته، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم^(١).

ونظير هذه الأقوال كثير في كلام أئمة أهل البيت عليه السلام. من هنا قد يقال: «أما كان بوسع السلطة وهي تملك ما تملك من وسائل القمع، أن تقضي على هذه الجبهة من المعارضة ذات الدعاوى العريضة من أيسر طرقها، وذلك بتعريض أئمتها لشيء من الامتحان العسير في بعض ما يملكه العصر من معارف، لاسيّما ما يتصل بغوامض الفقه والتشريع، ليسقط دعواها في الأعلمية من الأساس، أو يعرضهم إلى شيء من الامتحان في الأخلاق والسلوك ليسقط ادّعاؤهم العصمة. وإذا كان في الكبار منهم عصمة وعلم، نتيجة دربة ومعاناة، فما هو الشأن في ابن عشرين عاماً أو ابن ثمان، فهل تملك الوسائل الطبيعيّة تعليلاً لتمثّلهم لذلك كلّ. ولو كان هؤلاء الأئمة في زوايا أو تكايا، وكانوا محجوبين عن الرأي العامّ كما هو الشأن في أئمة الإسماعيلية،

(١) المصدر السابق: ج ١ ص ٢٠٠.

أو بعض الفرق الباطنية، لكان لإضفاء الغموض والمناقبية على سلوكهم من الاتباع مجال، ولكن ما نضع وهم مصحرون بأفكارهم وسلوكهم وواقعهم، اتّجاه السلطة وغيرها من خصومهم في الفكر، والتأريخ حافل بمواقف السلطة منهم ومحاربتها لأفكارهم، وتعريضهم لمختلف وسائل الإغراء والاختبار، ومع ذلك فقد حفل التأريخ بنتائج اختباراتهم المختلفة وسجلها بإكبار. ولقد حدّث المؤرّخون عن كثير من هذه المواقف المحرجة، سيّما مع الإمام الجواد، مستغلّين صغر سنّه عند تولّي الإمامة. وحتى لو افترضنا سكوت التأريخ عن هذه الظاهرة، فإنّ من غير الطبيعي أن لا تحدث أكثر من مرّة، تبعاً لتكرّر الحاجة إليها، ولأنّ المعارضة كانت على أشدها في العصور العباسية، وطريقة إعلان فضيحتهم بإحراج أئمّتهم فيما يدّعون من علم واستقامة سلوك، وإبراز سخفهم لاحتضانهم أئمة بهذا السنّ وهذا المستوى لو أمكن ذلك، أيسر بكثير من تعريض الأئمة إلى حروب قد يكون الخليفة نفسه من ضحاياها، أو تعريض هؤلاء الأئمة إلى السجون والمراقبة أو المجاملة أحياناً. وإذا كان للصدفة - وهي مستحيلة - مجالها في امتحان ما، بالنسبة إلى شخص ما، فليس لها موقع بالنسبة إليه في مختلف المجالات، فضلاً عن تكرّرها بالنسبة إلى جميع الأئمة، صغارهم وكبارهم، كما يحدث في ذلك التأريخ. وأظنّ أنّ في هذه الاعتبارات التي ذكرناها مجتمعةً ما يغني عن استيعاب كلّ ما ذكر في تشخيص المراد من أهل البيت عليهم السلام ^(١).

الدلالة الثالثة: أعلميتهم

كما يدلّ على ذلك اقترانهم بالكتاب الذي لا يغادر صغيرةً ولا كبيرة؛ لقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨)، وقوله تعالى:

(١) سنّة أهل البيت: ص ٧٢.

دلالات حديث الثقلين ٢٨٧

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: ٨٩)، لذا ورد عن النبي ﷺ: «لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»^(١).

يقول ابن حجر: تنبيه: «سمى رسول الله ﷺ القرآن وعترته، وهي بالمشاة الفوقية، الأهل والنسل والرهط الأذنون، الثقلين، لأن الثقل كل نفيس خطير مصون، وهذان كذلك، إذ كلُّ منهما معدن العلوم اللدنية، والأسرار والحكم العلية، والأحكام الشرعية، ولذا حثَّ ﷺ على الاقتداء والتمسك بهم والتعلم منهم، وقال: (الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت)، وقيل: سميّا ثقلين لثقل وجوب رعاية حقوقهما، ثم إن الذي وقع الحثُّ عليهما منه، إنما هم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله، إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض، ويؤيده الخبر السابق (ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم)، وتميزوا بذلك عن بقية العلماء، لأنَّ الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وشرفهم بالكرامات الباهرة، والمزايا المتكاثرة، وقد مرَّ بعضها»^(٢).

الدلالة الرابعة: بقاء العترة إلى جانب الكتاب إلى يوم القيامة

ورود الحوض كناية عن انقضاء عمر الدنيا، فلو خلا زمان من أحدهما لم يصدق أتمها لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، وهي كناية عن بقائها إلى يوم القيامة. يقول ابن حجر: «وفي أحاديث الحثِّ على التمسك بأهل البيت ﷺ إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أنَّ الكتاب العزيز كذلك؛ ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما يأتي، ويشهد لذلك الخبر السابق (في كلِّ خلف من أمّتي عدول من أهل بيتي...) إلى آخره. ثمَّ أحقَّ من يتمسك به منهم إمامهم وعالمهم عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه؛ لما قدّمناه

(١) نوادر الأخبار فيما يتعلّق بأصول الدين، للفيض الكاشاني: ص ١٢٧.

(٢) الصواعق المحرقة: ص ١٥١.

٢٨٨..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته، ومن ثمّ قال أبو بكر: عليّ عترة رسول الله ﷺ أي: الذين حثّ على التمسك بهم، فخصّه بما قلنا، وكذلك خصّه بما مرّ يوم غدِير خَمٍّ^(١).

يقول السيّد الخوئي: «ومن ينظر في هذه العبارات يجد أنّ ابن حجر استدللّ بهذا الحديث الشريف على وجود الحجّة القائم عجل الله تعالى فرجه، وأنّه لا بدّ من وجود متأهلّ منهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أنّ الكتاب العزيز لا بدّ من بقائه إلى يوم القيامة، وأنّه ذكر أشخاصهم، وعيّنهم في آخر كلامه، حيث إنّّه لا يصلح لهذا الأمر غيرهم، فيتعيّن أن يكونوا هم المقصودين بهذا الحديث وأمثاله ممّا صدر عن رسول الله ﷺ، فقال: (ثمّ إنّ أحقّ من يتمسك به منهم إمامهم وعالمهم.. إلخ)^(٢).

فإنّه لو لم يكن في زمن من الأزمنة من هو عدل الكتاب وقرينه، لزم افتراق كلّ منهما عن الآخر، وهذا ينافي ما هو صريح الحديث من كونها عدلين وعدم افتراقهما أبداً، وهو بالضرورة يدلّ على دوامهما وعدم انقضائهما أبداً.

وهذا يدلّ على وجود من يكون أهلاً للتمسك به من أهل البيت ﷺ في جميع الأزمان وعدم خلوّ الزمان من إمام معصوم إلى يوم القيامة، مضافاً إلى الحديث المشهور: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة»^(٣) أو ما يقرب من مضمونه، مثل: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة» أو «من مات وليس عليه إمام، فإنّ موته موتة جاهليّة» أو «من مات بغير إمام مات

(١) الصواعق المحرقة: ص ١٥١.

(٢) نظر محاضرات السيّد الخوئي في الموارث: ص ٤٨.

(٣) أخرجه الكليني والصدوق ووالده والحميري والصفار.

دلالات حديث الثقلين ٢٨٩

ميتة جاهليّة». وتناقلت كتب الحديث السنيّة - فضلاً عن الموسوعات الحديثيّة الشيعيّة - هذا الحديث بألفاظ مختلفة^(١).

قال الشريف السمهودي: «هذا الخبر يُفهم وجود من يكون أهلاً للتمسك به من أهل البيت والعترة الطاهرة عليهم السلام في كلّ زمن إلى قيام الساعة حتّى يتوجّه الحثّ المذكور إلى التمسك به كما أنّ الكتاب كذلك؛ فلذلك كانوا أماناً لأهل الأرض، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض، وأنّ الحثّ وقع على التمسك بالكتاب والسنة، وبالعلماء بهما من أهل البيت النبوي. ويستفاد من مجموع ذلك استمرار وجود الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة»^(٢).

يقول ابن أبي الحديد: «كي لا يخلو الزمان ممّن هو مهيمنٌ لله تعالى على عباده، ومسيطرٌ عليهم، وهذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الإماميّة، إلا أنّ أصحابنا يحملونه على أنّ المراد به الأبدال»^(٣).

وقال ابن حجر العسقلاني: «وفي صلاة عيسى عليه السلام خلف رجل من هذه الأئمة، مع كونه في آخر الزمان، وقرب قيام الساعة، دلالة للصحيح من

(١) صحيح البخاري: ج ٥ ص ١٣؛ صحيح مسلم: ج ٦ ص ٢١ ح ١٨٤٩؛ مسند أحمد: ج ٢ ص ٨٣؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: ج ٧ ص ٤٩ ح ٤٥٥٤؛ المعجم الكبير: ج ١٠ ص ٣٥٥ ح ١٠٦٨٧؛ المستدرک: ج ١ ص ٧٧؛ حلية الأولياء: ج ٣ ص ٢٢٤؛ الكنى والأسماء: ج ٢ ص ٣؛ سنن البيهقي: ج ٨ ص ١٥٦؛ المبسوط: ج ١ ص ١١٣؛ شرح نهج البلاغة، للمعتزلي: ج ٩ ص ١٠٠؛ شرح صحيح مسلم، للنووي: ج ١٢ ص ٤٤؛ تلخيص المستدرک للذهبي: ج ١ ص ٧٧؛ تفسير ابن كثير: ج ١ ص ٥١٧؛ شرح المقاصد: ج ٢ ص ٢٧٥؛ مجمع الزوائد: ج ٥ ص ٢١٨ - ٢١٩؛ كنز العمال: ج ٣ ص ٢٠٠؛ تيسير الوصول: ج ٢ ص ٣٥٠؛ ينابيع المودة: ص ١١٧.

(٢) ينظر جواهر العقدين: العقد الثاني، الذكر الرابع، ص ١٧٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج ١٨ ص ٣٥١.

٢٩٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

الأقوال: أن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة. والله أعلم»^(١).

يقول السيّد الحيدري: «ولا بدّ من الإشارة هنا إلى نكتة، وهي: قد يستشكل بعض على جملة من هذه الروايات التي ترد في مثل هذه البحوث بأنها ضعيفة السند، إلا أن هذا الإشكال غير تامّ بحسب الموازين العلميّة الثابتة في محلّها، لأنّ هذه الروايات ليست هي آحاد، حتّى يمكن الإشكال السندي فيها، وإنّما هي من الكثرة بمكان، بنحو إمّا أن تكون متواترة، أو قريبة من ذلك، ومن الواضح أنّه في مثل هذه الحالة لا مجال للبحث السندي فيها، طبعاً مع مراعاة الخصوصيّات والعوامل الموضوعيّة والذاتيّة التي أشار إليها أستاذنا الشهيد الصدر قده في نظريّة حساب الاحتمالات، فإنّه مع الأخذ بعين الاعتبار تلك العوامل، فلا ريب في حصول الاطمئنان للباحث المنصف، في صدور كثير من هذه الأحاديث عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام»^(٢).

(١) فتح الباري: ج ٦ ص ٣٥٩.

(٢) مدخل إلى الإمامة: ٣٩.

(٦) دلالة ذكر «حديث الثقلين» مع حديث «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» يوم الغدير

توطئة

إنّ هذا المطلب في حقيقة الأمر هو تحصيل حاصل لمجموع دلالات حديث الثقلين، فحريّ بمن اجتمعت لهم تلك الصفات الكماليّة أن يكونوا هم خلفاء النبيّ ﷺ من بعده على الأمتّة بعد رحيله عن الدنيا، وإلا سيكون من العبث أن تترك هذه الإمكانيات الجبّارة التي تتمتع بها العترة ليكون حالهم من حال الرعيّة، وإنّه من العبث أن يكون مجموع الفضائل التي ركّز عليها حديث الثقلين، لغرض التمجيد والمدحة لا غير، بمعنى أنّهم مميّزون فقط، ولا داعي للاستفادة من هذا التميّز، وإن كانت الأمتّة تعاملت معهم بهذه الطريقة.

فقد جاء في بعض ألفاظ خطبة الغدير حديث التمسك بالكتاب والعترة وحديث «من كنت مولاه فعليّ مولاه» معاً، ورواه الطبراني بسند صحيح: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثنا أَبُو نُعَيْمٍ، ثنا كَامِلُ أَبُو الْعَلَاءِ، قَالَ: سَمِعْتُ حَبِيبَ بْنَ أَبِي ثَابِتٍ يُحَدِّثُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى غَدِيرِ حُمٍّ أَمَرَ بِدُوحٍ، فَكُسِحَ فِي يَوْمٍ مَا أَتَى عَلَيْنَا يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ حَرًّا مِنْهُ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يُبْعَثْ نَبِيٌّ قَطُّ إِلَّا عَاشَ نِصْفَ مَا عَاشَ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأَجِيبَ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضَلُّوا بَعْدَهُ كِتَابَ اللَّهِ»، ثُمَّ قَامَ وَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»^(١).

(١) المعجم الكبير: ج ٥ ص ١٧٢.

٢٩٢..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

ورواه الحاكم النيسابوري بثلاثة طرق عن أبي عوانة عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم... ثم قال: «هذا حديثٌ صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله»^(١).

وقد وافقه الحافظ الذهبي على تصحيحه على شرطهما في (تلخيصه)^(٢).
ورواه النسائي في سننه، وعنه الحافظ ابن كثير ثم قال: «قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح»^(٣).

وأيضاً رواه الإمام الطحاوي في (مشكل الآثار) وحسنه الأرئوط^(٤) وكذا البوصيري روايته في كتاب إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة بسندٍ صحيح^(٥) وابن حجر في المطالب العالية^(٦) والكليني في كتاب الكافي^(٧) كل هذه الروايات إما بأسانيد صحيحة لذاتها أو لغيرها أو حسنة لذاتها، فراجعها في الفصل الأول من هذه الرسالة.

دلالة اقتران حديث الثقلين مع حديث الولاية

أمّا دلالة الحديث الشريف فإنّها تفيد: كما أنّ الرسول ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو سيّدهم ووليّ أمرهم المتصرّف في شؤونهم، فنفس هذه الأمور تثبت للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام إذ هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم

(١) المستدرک، للحاکم: ٣ ص ١٠٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) البداية والنهاية: ج ٥ ص ٢٠٦.

(٤) شرح مشكل الآثار: ج ٥ ص ١٣ ح ١٧٦٠.

(٥) إتحاف الخيرة المهرة، البوصيري: ج ٩ ص ٢٧٩.

(٦) المطالب العالية، للعسقلاني: ج ٤ ص ٦٥ ح ٣٩٧٢.

(٧) الكافي: ج ١ ص ٢٨٧ ح ١.

دلالات حديث الثقلين ٢٩٣

وسيدهم ووليّ أمرهم المتصرّف في شؤونهم.

قد يقال: إنّ كلمة (مولى) كما تفيد معنى السيد المتصرّف في شؤون عبده، تفيد أيضاً معنى المحبّ والناصر، فيكون معنى الحديث: (من كنت ناصره فإنّ عليّاً ناصره)، فلا معنى لتخصيص اللفظ بالمعنى الأوّل؟

والجواب: إنّ هذا يحتمله من قصر نظره على هذه الجملة (من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه) فقط دون النظر إلى ما احتفّت بها من القرائن، فضلاً عن النظر في بقيّة الروايات الصحيحة المفسّرة لمعناها، فالرواية السابقة فيها قرينة واضحة على أنّ الولاية هنا تعني أنّ الإمام عليّاً عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهي تقديمه صلى الله عليه وآله قوله (إنّ الله مولاي وأنا وليّ كلّ مؤمن) على (من كنت وليه، فهذا وليه) الذي يبيّن أنّ المعنى المقصود هو: من كنت أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه.

والأمر أكثر وضوحاً في رواية أخرى صحيحة السند يتبيّن منها أنّ جملة (فعليّ مولاه) تعني أنّ عليّاً عليه السلام وليّ أمره وأولى به من نفسه: «عن البراء بن عازب، قال: أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع التي حجّ، فنزل في الطريق، فأمر: الصلاة جامعة، فأخذ بيد عليّ عليه السلام، فقال: أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى! قال: أأنت بأولى بكلّ مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى! قال: فهذا وليّ من أنا مولاه. اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه»^(١).

وذكرها ابن كثير بهذا اللفظ: «فقال: أأنت تعلمون - أو أأنتم تشهدون - أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى! قال: فمن كنت مولاه فإنّ عليّاً

(١) صحيح سنن ابن ماجه: ج ١ ص ٥٦ ح ٩٤؛ وعلّق عليه الألباني بقوله: صحيح، وأحال إلى سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح ١٧٥٠.

٢٩٤..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

مولاه»^(١). وهذا الحديث الصحيح دليل قاطع على أنّ معنى كلمة (مولاه) تعني الأولى به من نفسه وسيّده المتصرّف في شؤونه، كما هو شأن ولاية النبي ﷺ للمؤمنين، وقد أكّد رسول الله ﷺ على هذا المعنى مرتين بقوله «أست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ألت بأولى بكلّ مؤمن من نفسه؟ فهذا وليّ من أنا مولاه».

ويدلّ عليه أيضاً رواية أخرى صحيحة السند، ذكرها الألباني: «عن عمران بن حصين، قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً، واستعمل عليهم عليّ بن أبي طالب، فمضى في السريّة، فأصاب جارية، فأنكروا عليه، وتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: إذا لقينا رسول الله ﷺ أخبرناه بما صنع عليّ، وكان المسلمون إذا رجعوا من السفر بدعوا برسول الله ﷺ فسلموا عليه ثمّ انصرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت السريّة سلموا على النبي ﷺ، فقام أحد الأربعة، فقال: يا رسول الله! ألم تر إلى عليّ بن أبي طالب صنع كذا وكذا؟! فأعرض عنه رسول الله ﷺ. ثمّ قام الثاني، فقال مثل مقالته، فأعرض عنه. ثمّ قام الثالث، فقال مثل مقالته، فأعرض عنه. ثمّ قام الرابع، فقال مثل ما قالوا. فأقبل ﷺ والغضب يُعرف في وجهه، فقال: ما تريدون من عليّ؟! ما تريدون من عليّ؟! ما تريدون من عليّ؟! إنّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي»^(٢).

وهذا حديثٌ صحيحٌ وصريحٌ في أنّ ولاية الإمام عليّ عليه السلام على المؤمنين

(١) البداية والنهاية: ج ٥ ص ٢١٢، وعلّق عليه بقوله: وهذا إسناد جيّد، رجاله ثقات على شرط السنن.

(٢) صحيح سنن الترمذي: ج ٣ ص ٥٢١ ح ٣٧١٢، وعلّق عليه الألباني بقوله: صحيح وأحال إلى سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح ٢٢٢٣.

إنما تعني الأولى بهم من أنفسهم، وليست بمعنى ناصرهم ومحبتهم، لأنّ الولاية التي قصدها النبي ﷺ في هذا الحديث إنما تثبت للإمام عليّ ﷺ بعد وفاته ﷺ بصريح قوله: (وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي)، ولا يحتمل أنّ الولاية هنا تعني النصرّة والمحبة؛ لأنّ الولاية بهذا المعنى ثابتة للإمام عليّ ﷺ ولجميع المؤمنين في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، فيكون ذكره ﷺ للقيّد (بعدي) لغواً وعبثاً على هذا الفرض، والعياذ بالله.

ويدلّ عليه أيضاً: أنّه لو كانت الولاية في هذا الحديث تعني النصرّة والمحبة لما كان هناك وجهٌ صحيحٌ ومعنى مقبولٌ لتعجب أبي الطفيل وعدم تسليمه للحديث عندما سمع الإمام عليّاً ﷺ في الرحبة ينشد الناس أيهم سمع رسول الله ﷺ يقول (من كنت مولاه فعليّ مولاه)، كما ذكر الألباني: «عن أبي الطفيل قال: جمع عليّ ﷺ الناس في الرحبة، ثمّ قال لهم: أشدّ الله كلّ امرئ مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خمّ ما سمع لِمَا قام، فقام ثلاثون من الناس (وفي رواية: فقام ناس كثير) فشهدوا حين أخذ - الرسول ﷺ - بيده فقال للناس: أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: من كنت مولاه، فهذا مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه. قال: فخرجت وكأّنّ في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم، فقلت له: إنّي سمعت عليّاً ﷺ يقول كذا وكذا!! قال: فما تنكر، قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك له»^(١).

وعلى هذا لو كان معنى الولاية في (فعليّ مولاه) هو المحبة والنصرة كما يزعمون، لما شكّ أبو الطفيل ولما اختلجه الريب من ثبوتها للإمام عليّ ﷺ

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني: ج ٤ ص ٣٣١، وعلّق عليه الألباني بقوله: قلت: إسناده صحيح على شرط البخاري.

٢٩٦..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

في حين إنها معلومة الثبوت لجميع المؤمنين بقوله تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١)، ثم ما معنى إنشاد الصحابة بأن يشهدوا على ثبوتها له ﷺ وهي ثابت لهم بأجمعهم من قبل؟!

وأوضح من هذا كله، هو فهم الصحابة لقول رسول الله ﷺ في غدیر خُم: (من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه)، إذ جاء بسندٍ صحيح أن أبا أيوب الأنصاري وبعض الأنصار من الصحابة شهدوا للإمام أمير المؤمنين ﷺ بأنهم موالي له كما كانوا كذلك لرسول الله ﷺ، فسألهم الإمام عليٌّ ﷺ عن سبب كونهم موالي له مع أنهم من العرب، والحال أن المولى يكون حبشياً أسود أو أعجمياً وليس بعربي، فقالوا إنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خُم: (من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه).

وهذا نص الحديث كما في مسند أحمد: «عن رياح الحارث قال: جاء رهط إلى عليٍّ بالرحبة، فقالوا: السلام عليك يا مولانا. فقال: كيف أكون مولاكم، وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خُم: من كنت مولاه فهذا مولاه. قال رياح: فلما مضوا اتبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري»^(١).

وهكذا يتبين أن فهم مدرسة أهل البيت ﷺ لقوله ﷺ: «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه» بأن الإمام علياً ﷺ أصبح أولى بالمؤمنين من أنفسهم، كان هو المعنى الصحيح والمستفاد من الروايات الصحيحة، وهو بعينه الذي فهمه الصحابة من هذا الحديث الشريف، والفهم والعلم شيء، والتطبيق والإيمان شيء آخر.

(١) مسند أحمد: ج ٥ ص ٤١٩، ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج ٤ ص ٣٤٠، وعلق عليه، قلت: وهذا إسناد جيد رجاله ثقات.

فتقدّم كبار الصحابة وقدموا التهاني لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكان من جملة المهتئين عمر بن الخطّاب، فقال لعليّ بن أبي طالب: «هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمّسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة»^(١).
ففي هذا الحديث أعلن النبي صلى الله عليه وآله عن عميد أهل بيت النبوة بلا منازع، وهو رجلهم المقدّم الذي لا يتقدّم عليه أحد، ولا ينازعه بالعمادة أحد، فأنت تلاحظ أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد أعلن عميد أهل بيت النبوة في الوقت نفسه الذي أعلن فيه حديث الثقلين.

سبب تقطيع النصوص وبتراها

كلّ النصوص التي سقناها، المتعلقة بحديث الثقلين، وحديث (من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه) مقاطع من خطبة الرسول في غدیر خمّ، وقد ألقيت الخطبة في مكان واحد وزمان واحد (كما قدّمنا)، لكنّ الجانب الذي يتعلّق بموالاة عليّ سيق وحده في أكثر الروايات، والجانب المتعلّق بحديث الثقلين

-
- (١) • فلقية عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمّسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (مسند أحمد: ج ٤ ص ٢٨١)، علّق الأرناؤوط في تحقيقه على مسند أحمد: ج ٣٠ ص ٤٣٠: صحيح لغيره.
• فقال عمر بن الخطّاب: بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم (تاريخ بغداد: ج ٩ ص ٢٢١).
• فلقية عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمّسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة. (المصنّف ابن أبي شيبة: ج ٦ ص ٣٧٢).
فقال هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمّسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة. (تاريخ دمشق: ج ٤٢ ص ٢٢١).
• فلقية عمر رضي الله عنه فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة. (مفاتيح الغيب: ج ١٢ ص ٤٠١).

٢٩٨ حديث الثقلين سنداً ودلالة

سيق وحده، ولم يثر الموضوع بعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ، وظل ساكناً، لأنه كان مناقضاً للواقع السياسي الذي كان سائداً آنذاك، وإثارته فيها حرج كبير، لكن فيما بعد أثير الجانب المتعلق بالإمام عليّ ﷺ أثناء فترة العداة لعليّ بن أبي طالب التي قادها معاوية والخلفاء الأمويون، ففرضوا على الناس سب الإمام عليّ ﷺ^(١). فقام سعد بن أبي وقاص اعتراضاً منه على سب الإمام عليّ وذكر الجانب المتعلق بموالاتة الإمام عليّ، وهو بالصدّ مما أرادته معاوية بن أبي سفيان.

تّمّا تقدّم يتّضح:

١. أنّ النبيّ ﷺ قرن بين حديث الثقلين وحديث الغدير، وواضح أنّ حديث الثقلين يدلّ على وجوب التمسك بالعترة، فما اقترانه بحديث الموالاتة إلاّ إشارة جليّة إلى أنّ أوّل من يُتمسك به من العترة هو عليّ بن أبي طالب ﷺ وقد تقدّمت الإشارة إلى ذلك في حديث الثقلين.

٢. تأكيد النبيّ ﷺ أولويّته من أنفس المؤمنين ثمّ إثباته الولاية لعليّ ﷺ فقال في بعضها «أتعلمون أيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم» وفي ذلك دلالة واضحة على أنّ النبيّ ﷺ يريد نقل هذه الولاية الثابتة إلى عليّ ﷺ.

٣. عرفنا أنّ الصحابيّ أبا الطفيل «عامر بن واثلة» عندما سمع شهادة الصحابة لعليّ بالولاية صار في نفسه شيء وسأل زيد بن أرقم عمّا سمع

(١) ينظر صحيح مسلم: ج ٢ ص ٣٦٠؛ الترمذي: ج ٥ ص ٣٠١ ح ٣٨٠٨؛ والمستدرک، للحاكم: ج ٣ ص ١٠٩؛ تاريخ دمشق: ج ١ ص ٢٠٦ ح ٢٧١ و ٢٧٢؛ خصائص أمير المؤمنين: ص ٢٨؛ كفاية الطالب، للكنجي: ص ٨٤؛ المناقب، للخوارزمي: ص ٥٩؛ أسد الغابة، لابن الأثير: ج ١ ص ١٣٤ و ج ٤ ص ٢٥ و ٢٦؛ الإصابة، لابن حجر العسقلاني: ج ٢ ص ٥٠٩؛ العقد الفريد، لابن عبد ربّه: ج ٤ ص ٢٩؛ شرح النهج، لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٥٦ و ٣٦١.

فأخبره زيد بصحة ذلك، ولا وجه لهذا الاستنكار لولا فهم أبي الطفيل أنّ المراد من الولاية هي الأولوية في التصرف؛ لأنّه معلوم عند الكلّ أنّ عليّاً ناصر المؤمنين، فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض، فتشكيك أبي الطفيل، فيه دلالة واضحة على أنّ المفهوم من هذه الواقعة هو تويّي عليّ عليه السلام الإمامة والخلافة الإسلامية.

٤. عرفنا في آخر خبر ذكرناه أنّ قوماً من الأنصار سلّموا على عليّ عليه السلام بقولهم: «السلام عليك يا مولانا»، فأجاب الإمام عليّ عليه السلام بشكل يلفت الناس ويذكرهم بأنّه الويّي والخليفة بنصّ الرسول صلى الله عليه وآله فقال: «كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب»، أو «أولستم قوماً عرباً».

والمعنى أنتم قوم عرب أحرار، فكيف أكون وليّاً عليكم وسيّداً لكم وأولى بالتصرف بكم من أنفسكم.

فقالوا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدیر خمّ. وذكروا الحديث.

فلما سمع عليّ عليه السلام ذلك منهم، ضحك حتّى بدت نواجذه وقال: اشهدوا^(١).

ومن الواضح: أنّه لا معنى لأن يُشهدهم على أنّه ناصر المؤمنين بعد طيلة هذه السنين من جهاده عليه السلام ومعرفة كلّ الناس أنّ المؤمنين بعضهم أولياء بعض، ولم يشكّ أحدٌ في أنّ عليّاً ناصر المؤمنين؛ لذا فمن سلامهم عليه بالولاية وجوابه لهم بتلك الطريقة من التساؤل، ثمّ إشهدهم على ذلك، يتّضح: أنّ المراد من الولاية والمفهوم منها عند الصحابة هي الأولوية في التصرف من النفس، وهي تعني الإمامة الإسلامية العامة.

(١) وقعة صفّين، لابن ديزل الكسائي: نقلاً عن شرح النهج: ج ٣ ص ٢٠٨، ورجاله ثقات.

٣٠٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

دلالات المقطع

الدلالة الأولى: التأكيد أنّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو المصدق الأهمّ للعترة.

الدلالة الثانية: أنّ كلّ ما توصلنا له من دلالات من عصمة، وأعلميّة، وأفضليّة، ووجوب تمسّك، وضلالة من خالف، والوصيّة، والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله - أي: كلّ مواصفات الكمال التي عنها حديث الثقلين - هي لعليّ عليه السلام.

الدلالة الثالثة: بعيداً عن الخوض في دلالة «من كنت مولاه فعليّ مولاه» من النصّ نفسه - : أنّ حديث الثقلين يصلح أن يكون قرينةً خارجيّةً للدلالة على الخلافة، وإلّا فما المناسبة لأنّ يقدم حديث الولاية بحديث الثقلين.

بعبارة أخرى: حتّى لو ذهبنا إلى أنّ لفظ المولى هو غير الخلافة السياسيّة، يأتي حديث الثقلين ليحرف مسار هذا الفهم ويصرفه إلى معنى الوصيّة والتركة والخلافة، لماذا؟ لأنّه يقول «إني تاركٌ فيكم ما إن تمسّكتم به»، ثمّ يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» مباشرة، فما توجيه اقتران عدم الضلالة بشيء مستحبّ (أعني حبّ عليّ) كما يدعون.

الدلالة الرابعة: المرجعيّة السياسيّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هي لخصوص أهل البيت عليهم السلام بلحاظ أنّ ما انتهينا إليه من دلالات في حديث الثقلين تؤهّلهم. وتأكيد هذه الأهليّة من خلال قول الرسول صلى الله عليه وآله «من كنت مولاه فعليّ مولاه».

الفصل الثالث
شبهات حول دلالات الحديث
والآيات المقترنة به

وفيه مباحث:

١. شبهات حول آية التطهير
٢. شبهات حول حديث الثقلين

المبحث الأول

شبهات حول آية التطهير

١. في المراد من أهل البيت عليهم السلام
٢. عدم إفادة معنى العصمة
٣. كون الإرادة في الآية تشريعية ولا تكوينية

الشبهة الأولى: في المراد من أهل البيت عليهم السلام

ذهب جمهور المفسرين من غير الإمامية إلى شمول آية التطهير لنساء النبي صلى الله عليه وآله؛ قال الألويسي في تفسيره:

«والذي يظهر لي أن المراد من أهل البيت عليهم السلام: من لهم مزيد علاقة به صلى الله عليه وآله ونسبة قوية قريبة إليه (عليه الصلاة والسلام) بحيث لا يقبح عرفاً اجتماعهم وسكناهم معه صلى الله عليه وآله في بيت واحد، ويدخل في ذلك أزواجه، والأربعة أهل الكساء، وعليّ كرم الله وجهه، مع ما له من القرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد نشأ في حجره (عليه الصلاة والسلام) فلم يفارقه، وعامله كولده صغيراً، وصاهره وآخاه كبيراً»^(١).

هذا، وقد ابتنى استدلالهم لهذا الرأي على مجموعة وجوه:

الوجه الأول

رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس من نزولها في أمهات المؤمنين، وتفسير مقاتل، وكان عكرمة ينادي في السوق، ويقول: «مَنْ شاء باهله أنها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وآله»^(٢).

وقال أيضاً: «ليس بالذي تذهبون إليه، إنما هو نساء النبي صلى الله عليه وآله»^(٣).
ويمكننا أن نسجل على هذا الوجه مجموعة ملاحظات:

(١) روح المعاني: ج ٢٢ ص ١٩.

(٢) الدر المنثور: ج ٥ ص ١٩٨.

(٣) المصدر نفسه.

الملاحظة الأولى

إنّ هذا الرأي يستدعينا قبل كلّ شيء إلى تقييم موضوعي لآراء عكرمة ومقاتل وأقوالهما، ودوافعهما النفسيّة فيها. تاريخياً كان عكرمة مولياً لابن عباس، أمّا الجهة الرجاليّة فإنّ الرجلين كانا أشدّ المُعادين للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، بعبارة أخرى: كان هذان من الخوارج، ومذهب الخوارج معروف؛ إذ لا يمكنهم الإقرار في أنّ آية التطهير نزلت في نفرٍ منهم الإمام عليّ، لأنّها تثبت لهم العصمة، وإذا ثبتت العصمة للإمام أمير المؤمنين فإنّ مذهب الخارجين عليه سيكون باطلاً جزمياً، ولن يتمتّع بأيّ شرعيّة يمكن أن تضمن ولاء أهله أو قبوله من بقيّة المسلمين وتفاعلهم معه.

لذلك كلّ سعى هؤلاء لإثارة الأجواء من حول الآية لكي يصرفوها عن الإمام عليّ، حتّى لا يبقى ثمّ دليل على عصمته قرآنياً.

من المؤشّرات التاريخيّة التي تشير إلى أنّ هؤلاء كانوا بصدد إشاعة جوّ معيّن يسوّغ لهم شرعيّة عملهم، أنّ عكرمة مثلاً كان يقف في السوق وينادي بأعلى صوته: «من شاء باهلته أمّا نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وآله»^(١).

من الواضح: أنّ في هذا النوع من الإثارة ما يكشف عن أنّ الرأي السائد عند المسلمين أنّ الآية نزلت في غير نساء النبي صلى الله عليه وآله، إذ لو كان الشائع بينهم أنّها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله، فلا معنى للمباهلة والدعوة والصراخ في الأسواق وطلب الحجاج بهذه الصيغة المثيرة.

لهذا يعقّب السيّد محمّد تقي الحكيم على الواقعة بقوله: «والذي يبدو أنّ الرأي السائد على عهده كان على خلاف رأيه، كما يُشعر فحوى ردّه على غيره:

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ج ٩ ص ٣١٣٢؛ تفسير ابن كثير: ج ٣ ص ٤٩١؛ الدرّ المنثور: ج ٥ ص ١٩٨ وغيرها.

شبهات حول آية التطهير..... ٣٠٧

ليس الأمر بالذي تذهبون إليه إنما هو نساء النبي ﷺ^(١).
فمثل هذا الخطاب موجّه إلى المسلمين الذين فهموا أنّ الآية نزلت في آل
النبي ﷺ وعترته خاصّة دون زوجاته وبقية ذوي قرباه.

ترجمة عكرمة- بتصرف- عند المزي:

(قليل العقل خفيف صفريّ خارجيّ - حروريّ أباضيّ بيهسيّ - وخبيث
عند مولاه ابن عبّاس، يستعطي).

قال ابن لهيعة: وكان يحدث برأي نجدة الحروري^(٢)، وأتاه فأقام عنده
ستّة أشهر، ثمّ أتى ابن عبّاس فسلمّ عليه، فقال ابن عبّاس: قد جاء الخبيث.
وقال عليّ بن المدني: كان عكرمة يرى رأي نجدة الحروري. وقال أبو بكر بن أبي
خيثمة: سمعت يحيى بن معين يقول: إنّما لم يذكر مالك بن أنس عكرمة، لأنّ
عكرمة كان ينتحل رأي الصفريّة^(٣). وقال عمر بن قيس المكيّ، عن عطاء:
كان عكرمة أباضيّاً^(٤)، وقال الحسن بن عطية القرشي الكوفي: سمعت أبا مريم

(١) الأصول العامّة للفقّه المقارن: ص ١٥٢.

(٢) سهو نجدة بن عامر الحروري الحنفي، من بني حنيفة رأس الفرقة النجدية، ويعرف
أصحابها بالنجدات، انفرد عن سائر الخوارج بأراء. والحرورية: نسبة إلى حروراء:
موضع على ميلين من الكوفة، كان أوّل اجتماع الخوارج به، فنسبوا إليه. وقدم نجدة مكّة،
وقتل سنة ٦٩ هـ، وله مقالات معروفة، وأتباع انقرضوا (تاريخ الإسلام: ج ٣ ص ٨٨؛
لسان الميزان: ج ٦ ص ١٤٨؛ شذرات الذهب: ج ١ ص ٧٦، ٢٦٠).

(٣) وهم فرقة من حرورية الخوارج يُنسبون إلى عبد الله بن الصّفّار أو إلى زياد بن الأصفر،
أو لصفرة اللون، أو لخلوّهم من الدين وقولهم: أنّ أصحاب الذنوب مشركون (ينظر
موسوعة الفرق الإسلامية: ص ٣٥٤).

(٤) وهم أتباع عبد الله بن أباض التميمي، وكان من الخوارج ثمّ انشقّ عليهم (موسوعة
الفرق الإسلامية: ص ٦٠).

٣٠٨..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

يقول: كان عكرمة بيهسياً^(١).

وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: سألت أحمد بن حنبل عن عكرمة، قال: كان يرى رأي الأباضية، فقال: يقال: إنه كان صفرياً، قال: قلت لأحمد بن حنبل: كان عكرمة أتى البربر؟ قال: نعم، وأتى خراسان يطوف على الأمراء يأخذ منهم.

وقال علي بن المديني^(٢): حكى عن يعقوب الحضرمي عن جدّه، قال: وقف عكرمة على باب المسجد، فقال: ما فيه إلا كافر، قال: وكان عكرمة يرى رأي الأباضية. وقال إسحاق بن عيسى ابن الطباع: سألت مالك بن أنس، قلت: أبلغك أن ابن عمر قال لنافع: لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على عبد الله بن عباس؟ قال: لا، ولكن بلغني أن سعيد بن المسيب قال ذلك لبرد مولاه^(٣).

وقال جرير بن عبد الحميد عن يزيد بن أبي زياد، دخلت على علي بن عبد الله بن عباس وعكرمة مقيّد على باب الحش، قال: قلت: ما لهذا كذا؟ قال: إنه يكذب على أبي^(٤).

وقال مسلم بن خالد الزنجي عن عبد الله بن عثمان بن خثيم: أنه كان جالساً مع سعيد بن جبير، فمرّ به عكرمة، ومعه ناس، فقال لنا سعيد بن جبير: قوموا إليه، فاسألوه، واحفظوا ما تسألون عنه وما يجيبكم. فقمنا إلى

(١) فرقة من الخوارج أصحاب أبي بيهس هيصم بن جابر. قالوا: إن من واقع ذنباً لم نشهد عليه بالكفر حتى يرفع إلى الوالي ويحدّ. ولا نسّميه قبل الرفع مؤمناً ولا كافراً. وقال بعضهم: إذا كفر الإمام كفرت الرعية (ينظر موسوعة الفرق الإسلامية: ص ١٦٧).

(٢) المعرفة والتاريخ، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي: ج ٢ ص ١١ - ١٢.

(٣) العلل، لابن حنبل: ج ٢ ص ٧١.

(٤) الضعفاء، للعقيلي: ص ١٦٨.

شبهات حول آية التطهير..... ٣٠٩

عكرمة، فسألناه عن أشياء فأجابنا فيها، ثم أتينا سعيد بن جبير، فأخبرناه، فقال: كذب.

وقال عارم، عن الصلت بن دينار: قلت لمحمد بن سيرين: إن عكرمة يؤذينا، ويُسمعنا ما نكره. قال: فقال كلاماً فيه لين، أسأل الله أن يميته ويريحنا منه^(١).

وقال عباس الدوري^(٢): عن يحيى بن معين: كان مالك بن أنس يكره عكرمة. قلت: فقد روى عن رجل عنه؟ قال: نعم، شيء يسير. وقال الربيع بن سليمان عن الشافعي: وهو - يعني: مالك بن أنس - سيئ الرأي في عكرمة، قال: لا أرى لاحد أن يقبل حديثه. وقال أيضاً: سمعت أبا عبد الله قال: عكرمة مضطرب الحديث، مختلف عنه، وما أدري.

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة: رأيت في كتاب علي بن المديني: سمعت يحيى بن سعيد يقول: حدثوني، والله، عن أيوب أنه ذكر له أن عكرمة لا يحسن الصلاة، قال: أيوب: وكان يصلي؟!

وقال الفضل بن موسى عن رشدين بن كريب: رأيت عكرمة قد أقيم قائماً في لعب النرد. وقال الحسن بن علي الخلال: سمعت يزيد بن هارون يقول: قدم عكرمة البصرة، فأتاه أيوب.

وقال عمران بن حدير: تناول عكرمة عمامة له خلقاً، فقال رجل: ما تريد إلى هذه العمامة، عندنا عمائم نرسل إليك بواحدة، قال: أنا لا آخذ من الناس شيئاً، إنما آخذ من الأمراء.

وقال مسلم بن الحجاج: حدثنا إبراهيم بن خالد الشكري، قال: حدثنا

(١) الكامل، لابن عدي: ج ٢ ص ٢٩٢.

(٢) تاريخ يحيى بن معين المرّي الغطفاني البغدادي: ج ١ ص ١٤٤.

٣١٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

أبو الوليد الطيالسي، عن القاسم بن معن بن عبد الرحمن، قال: حدّثني أبي، عن عبد الرحمن، قال: حدّث عكرمة بحديث، فقال: سمعت ابن عبّاس يقول كذا وكذا، قال: فقلت يا غلام هات الدواة والقرطاس. فقال: أعجبك؟ قلت: نعم. قال: تريد أن تكتبه؟ قلت: نعم. قال: إنّما قلته برأبي.

وقال أحمد بن حنبل: مات عكرمة وكثير عزة في يوم واحد ولم يشهد جنازة عكرمة كبيراً أحد. وقال البخاري^(١) ويعقوب بن سفيان عن عليّ بن المدني: مات بالمدينة سنة أربع ومئة، زاد يعقوب عن عليّ: فما حمّله أحد، أكثروا له أربعة. قال: وسمعت بعض المدنيين يقول: اتّفقت جنازته وجنازة كثير عزة بباب المسجد في يوم واحد، فما قام إليها أحد من أهل المسجد، ومن هناك لم يرو عنه مالك^(٢).

وعلى هذا الأساس، رفض كبار المحدثين رواياته، ولم يثق أحدٌ بها إلا البخاري. وكان مسلم بن الحجاج يتجنّب الرواية عنه، ولم ينقل عنه إلا رواية أو روايتين في سياق روايات أخرى مقرونة بروايته ومؤيدة لها.

أمّا رواية ابن عبّاس، فهي مروية بوساطة عكرمة، وقد عرفت حاله في الكذب على مولاه، وأمّا رواية سعيد بن جبير لها عن ابن عبّاس مباشرة، فمن القريب أنّها بوساطة عكرمة وقد وقع فيها نوع من التدليس، فإنّ الذي أخرجه ابن أبي حاتم وابن عساكر وابن جرير وابن مردويه الحافظ لهذه الرواية إنّما هو عن عكرمة عن ابن عبّاس^(٣).

مضافاً إلى ما تقدّم من النصوص الصحيحة عن ابن عبّاس وكثير غيرها،

(١) التاريخ الصغير، للبخاري: ج ١ ص ٢٥٧.

(٢) ينظر: تهذيب الكمال: ص ٢٦٤-٢٩٠.

(٣) الدرّ المشور: ج ٥ ص ١٨٩.

شبهات حول آية التطهير..... ٣١١

في نزول آية التطهير في الخمسة عليه السلام فإنه يكذب هذه الرواية، ولا تصلح لمعارضته.

ترجمة مقاتل بن سليمان

وأما مقاتل بن سليمان فإنه أيضاً يروي هذا الحديث، وهو من الكذابين والوضاعين المشهورين، لم يختلف عن عكرمة، وعدّه النسائي من الكذابين المعروفين بوضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وآله (١).

وقال الجوزجاني كما جاء في ترجمة مقاتل عند العسقلاني: كان مقاتل كذاباً جسوراً. وكان يقول للمنصور: انظر ما تحب أن أحدثه فيك حتى أحدثه، وقال للمهدي إن شئت وضعت لك أحاديث في العباس! قال: لا حاجة لي فيها (٢).

قال البخاري: مقاتل بن سليمان خراساني منكر الحديث سكتوا عنه. ثنا ابن حماد ثنا عباس عن يحيى قال: مقاتل بن سليمان ليس حديثه بشيء. سمعت ابن حماد يقول: قال السعدي مقاتل بن سليمان كان دجالاً جسوراً. سمعت أبا اليمان قدمها هنا فلما أن صلى الإمام أسند ظهره إلى القبلة، قال: سلوني عما دون العرش، وحدثت أنه قال مثلها بمكة، فقام إليه رجل فقال: أخبرني عن النملة أين أمعاؤها؟ فسكت (٣).

وقال أبو حاتم بن حبان: كان مقاتل يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان مشبهاً يشبهه الرب عز وجل بالمخلوقين، وكان يكذب (٤).

(١) ميزان الاعتدال: ج ٤ ص ١٧٣.

(٢) تهذيب التهذيب: ج ١٠ ص ٢٥٢.

(٣) الكامل، للجرجاني: ج ٦ ص ٤٣٥.

(٤) الضعفاء والمتروكين، لابن الجوزي: ج ٣ ص ١٣٧.

٣١٢..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

ونقل الذهبي في ترجمة مقاتل عن أبي حنيفة أنه قال: أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال: إنه تعالى ليس بشيء. وأفرط مقاتل في الإثبات حتى جعله مثل خلقه^(١).

والقول: إن رجلاً بهذه المواصفات تسقط روايته من درجة الاعتبار، ولا يحتاج إلى بحث طويل عند أصحاب الاختصاص وأهل الجرح والتعديل. وردّ على هذا القول ابن كثير في تفسيره: إذا كان المراد أئمن سبب النزول^(٢) فهذا صحيح، وأمّا إن أريد أئمن المراد دون غيرهن فهذا غير صحيح، فقد روى ابن حاتم عن العوّام بن حوشب عن ابن عمّ له قال: دخلت مع أبي علي عائشة. فسألته عن عليّ عليه السلام فقالت: تسألني عن رجل كان من أحبّ الناس إلى الرسول صلى الله عليه وآله وكانت تحته ابنته وأحبّ الناس إليه، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله دعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام، فألقى عليهم ثوباً فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قالت: فدنوت منهم، فقلت يا رسول الله: وأنا من أهل بيتك، فقال صلى الله عليه وآله: تنجي فإنك على خير. (أخرجه الحافظ البزار والترمذي وابن كثير في تفسيره)^(٣).

الملاحظة الثانية

التأمل في النصوص الواردة بشأن أهل البيت عليهم السلام، سواء المرتبط منها بآية التطهير، أم غيرها من حديث الثقلين وحديث المباهلة وما إلى ذلك، يفيدنا أنّ مفهوم «الأهل» لا يشمل الأزواج في استعمالات العرب إلا على نحو من التجوّز، الذي يحتاج إلى عناية خاصّة، وقرينة توضيحية متصلة أو

(١) ميزان الاعتدال: ج ٤ ص ١٧٣.

(٢) المشهور سبب النزول رواية أمّ سلمة، ولم يشتهر أنّها نزلت مع باقي آيات النساء.

(٣) تفسير ابن كثير: ج ٣ ص ٧٦٩.

شبهات حول آية التطهير..... ٣١٣

منفصلة، وتبدو مفروغية ذلك في قول النبي ﷺ لأم سلمة حينما قالت: «يا رسول الله ألسنتُ من أهل البيت؟!» قال: «إنك على خير، إنك من أزواج النبي»^(١).

وسئل زيد بن أرقم فيما رواه مسلم في الصحيح ف قيل له: «من أهل بيته، نساؤه؟». قال: «لا وأئيم الله، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها»^(٢).

«فإنّ تعليل زيد بن أرقم يدلّ على المفروغية عن ذلك، ولا يبعد دعوى التبادر من كلمة (أهل) خصوص من كانت له بالشخص وشائج قرىبي ثابتة غير قابلة للزوال، والزوجة وإن كانت قريبة من الزوج، إلا أنّ وشائجها القريبة قابلة للزوال بالطلاق وشبهه، كما ذكر زيد»^(٣).

وأما رأي عروة بن الزبير وعكرمة في اختصاص الآية بنساء النبي ﷺ وإصرار عكرمة على ذلك، فلم يوافقها أحد فيه، بل «الذي يبدو أنّ الرأي السائد على عهده كان على خلاف رأيه، كما يشعر به فحوى ردّه على غيره: ليس بالذي تذهبون إليه، إنّما هو نساء النبي ﷺ»^(٤).

الوجه الثاني

النصوص الظاهرة في شمولها لغير عليّ وفاطمة وابنيهما عليهما السلام كأمّ سلمة، أو وائلة بن الأسقع، فروي عن أمّ سلمة أنّها قالت: (في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، قالت: فأرسل رسول

(١) الدرّ المشور: ج ٦ ص ٦٠٤.

(٢) صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٢٣.

(٣) الأصول العامة للفقهاء المقارن: ص ١٥٥.

(٤) بحوث في الفقه المعاصر، للشيخ حسن الجواهري: ج ٧ ص ٨٢.

٣١٤..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

الله ﷺ إلى عليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهما السلام، وقال: «هؤلاء أهل بيتي». قالت: فقلت: يا رسول الله أما أنا من أهل البيت؟ قال: بلى إن شاء الله^(١). وعن الأوزاعي، قال: حدّثني أبو عمّار رجل منّا، قال: حدّثني واثلة بن الأسقع الليثي، قال: (جئت أريد عليّاً فلم أجده، فقالت فاطمة: انطلق إلى رسول الله ﷺ يدعوه، فاجلس، فجاء مع رسول الله ﷺ فدخلا ودخلتُ معها، فدعا رسول الله ﷺ حسناً وحسيناً، فأجلس كلّ واحدٍ منهما عليّ فخذ، وأدنى فاطمة من حجره وزوجها، ثمّ لفّ عليهم ثوبه وأنا منتبذ، فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. اللهم هؤلاء أهلي، وأهلي أحقّ. قال واثلة: قلت: يا رسول الله وأنا من أهلك؟ قال: «وأنت من أهلي». قال واثلة: إنّه لمن أرجى ما أرجو^(٢).

هذه النصوص وأمثالها قد تذكّر للتدليل على شمول آية التطهير لغير من يقول بهم الإمامية.

وهذا الوجه لا يمكننا قبوله أيضاً، لأنّ الأخبار المذكورة في ذلك ومجموعها لا يصل إلى عشر روايات لا يمكنها مقاومة ما تقدّم من النصوص الكثيرة، لأنّ الضعيف سنداً منها لا يصحّ الاحتجاج به، والصحيح خبر واحد لا ينهض بمعارضة المتواترات من الأخبار، ولقد قال الألوسي في تفسيره: «وأخبار إدخاله ﷺ عليّاً وفاطمة وابنيهما رضی الله تعالى عنهم تحت الكساء،

(١) ينظر: السنن الكبرى: ج ٢ ص ١٥٠؛ ذخائر العقبى: ج ٢٢ و ٢٣؛ ينابيع المودة: ص ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٩٤؛ مسند أحمد: ج ٦ ص ٢٩٦؛ بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٢٢٠ و ج ٤٥ ص ١٩٩؛ أسد الغابة: ج ٥ ص ٥٢١ و ٢٨٩ و ٣٠٦؛ ترجمة الإمام الحسين عليهما السلام من تاريخ دمشق: ج ٦٥-٧٢؛ مشكل الآثار: ج ١ ص ٣٣٥-٣٣٣؛ الصواعق المحرقة: ص ١٤٢ وراجع ص ٢٢٧.

(٢) شواهد التنزيل، للحافظ الحسكاني: ج ٢ ص ٦٤.

شبهات حول آية التطهير..... ٣١٥

وقوله عليه الصلاة والسلام: (اللّهم هؤلاء أهل بيتي)، ودعائه لهم، وعدم إدخال أم سلمة أكثر من أن تحصى، وهي مخصّصة لعموم أهل البيت بأيّ معنى كان. فالمراد بهم من شملهم الكساء، ولا يدخل فيهم أزواجه^(١). وقد أعلن ذلك من قبل أمّهات المؤمنين أنفسهنّ فيما روي عنهنّ بالأسانيد الصحيحة وقد تقدّم بعضه^(٢).

وأما رواية دخول وائلة بن الأسقع فلا تصلح لمعارضة الروايات الصحيحة عن وائلة، الخالية من قوله: «قلت: يا رسول الله وأنا من أهلك؟ قال: وأنت من أهلي. قال وائلة: إنّه لمن أرجى ما أرجو»^(٣).

والذي يغلب على الظنّ أنّ هذه الزيادة قد جاءت من قبل أولئك المتزلفين للسلطات الحاكمة آنذاك، الذين حاولوا تميع مقام العترة النبويّة، من خلال إضافة شيء أو حذف آخر في نصوص السنّة الشريفة، وإلا فشمول آية التطهير لوائلة شرف لا يمكنه أن يتغافل عنه أو ينسأه فيما رواه الثقات من الحديث الصحيح عن وائلة نفسه! وقد تقدّم قسط منه^(٤).

الوجه الثالث

وحدة السياق، وهي أهمّ ما ذكر للاستدلال على شمول آية التطهير لنساء النبيّ ﷺ، فإنّها جاءت ضمن الآيات (٢٨-٣٤) من سورة

(١) روح المعاني: ج ٢٢ ص ١٥.

(٢) ينظر: شواهد التنزيل: فقد ذكر ما يزيد عن ١٤٠ رواية بأسانيد وألفاظ مختلفة تمت الإشارة إلى بعضها.

(٣) شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٦٤.

(٤) وأيضاً أجاب الطحاوي عن هذه الشبهة باعتبار وائلة من أهل بيت النبيّ ﷺ التبعيّ لا النسبيّ، فراجع الفصل الأوّل من هذه الرسالة.

٣١٦..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

الأحزاب)، وهذه الآيات الكريمة تبدأ بخطاب الرسول الأكرم وأمره ﷺ بتخيير أزواجه بين الدنيا والآخرة، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ...﴾، ثم يتحوّل الخطاب إلى أزواجه ﷺ في وعظهن وإرشادهن، وبيان اختلافهنّ عن جميع نساء المسلمين، وأنّ الحسنة مضاعفة لهنّ كالسيئة، وفي ضمن ذلك تأتي آية التطهير كواحدة من الآيات الشارحة لمكانة أمّهات المؤمنين.

والمدعى: أنّ دلالة وحدة السياق كافية لتعيين المراد من أهل البيت ﷺ في الآية، وشمولها لنساء النبي ﷺ على أقلّ تقدير.

جوابه: إنّ مسألة وحدة السياق تواجهها هي الأخرى مجموعة إشكالات:
١. إنّ الشرط الأساس لجواز التمسك بها في كلّ كلام، العلم بوحدة ذلك الكلام، ليكون بعضه قرينة على المراد من بعضه الآخر. فإنّ احتمال تعدّد الكلام وحده كافٍ في عدم جواز التمسك بوحدة السياق، كما هو واضح.
وكذلك هي آيات الكتاب العزيز، لا يصحّ التمسك فيها بوحدة السياق ليكون بعضها قرينة على المراد من بعضها الآخر، إلّا بعد إثبات نزولها دفعة واحدة، وفي مناسبة واحدة.

ومن الواضح: أنّ نظم الآيات في القرآن الكريم لم يكن على أساس من التسلسل الزمني. فربّ آية مدنيّة وضعت بين آيات مكّيّة وبالعكس^(١)، ويتّضح هذا بأدنى مراجعة لأسباب النزول في كثير من آيات الذكر الحكيم.
على هذا الأساس فوقع آية التطهير ضمن ما نزل في أمّهات المؤمنين لا يدلّ على نزولها مع تلك الآيات، لئتمسك بوحدة السياق في تعيين المراد منها،

(١) ينظر معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس: ج ٢ ص ٥٢٨؛ شواهد التنزيل: ج ١ ص ٢٨٠؛ معالم التنزيل، للبعوي: ج ٢ ص ٣٤٢؛ التفسير الكبير: ج ٢٣ ص ٢ وغيرها من كتب التفسير.

شبهات حول آية التطهير..... ٣١٧

ومن العسير جداً إثبات وحدة النزول لهذه الآيات الكريمة، ومن ضمنها آية التطهير، بل إن النصوص المتقدمة المتواترة مضموناً لتعدد رواياتها في جميع الطبقات كافية لنفي هذا الاحتمال، وهي صريحة بنزولها - أعني آية التطهير - مستقلة عما سبقها ولحقها من الآيات.

بل منها ما يشير إلى تقدم نزولها على آيات النساء بفترة ليست بالقصيرة، فقد تلاها (أي آية التطهير) رسول الله ﷺ أول مرة عند زفاف فاطمة لعليّ عليها السلام، وأعقب ذلك صبيحة العرس ولمدة دامت أربعين يوماً، يقف كل صباح على باب دارهما ويقرأ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

والذي عليه المفسرون أن نزول الآيات المرتبطة بالنساء كان بعد زواج رسول الله ﷺ بمجموعة منهن، بل ثمة من ذهب إلى كونهن تسعة عند نزول هذه الآيات^(١)، ولم يختلف أحد في وجود «حفصة» آنذاك، وأنها من جملة النساء اللاتي خيرهن رسول الله ﷺ بين الدنيا والآخرة^(٢).

وكان زواجه ﷺ من «حفصة» - فيما صرح به الطبري وغيره - في السنة الثالثة من الهجرة، قبل الخروج إلى أحد^(٣)، وهذا التاريخ متأخر عن زواج فاطمة عليها السلام بما يقارب السنة الواحدة أو يزيد عليها^(٤).

«والظاهر من روايات أم سلمة، وهي التي نزلت في بيتها هذه الآية، أنها نزلت منفردة، كما توحي به مختلف الأجواء التي رسمتها رواياتها، لما أحاط بها

(١) ينظر: الدرّ المنثور: ج ٦ ص ٥٩٦؛ مجمع البيان: ج ٨ ص ١٥١.

(٢) ينظر: الدرّ المنثور: ج ٦ ص ٥٩٣.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٤٩٩.

(٤) وقد تقدم أن زواج فاطمة عليها السلام بعد الرجوع من غزوة بدر.

٣١٨..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

من جمع أهل البيت عليهم السلام. وإدخالهم في الكساء، ومنعها من مشاركتهم في الدخول، إلى ما هنالك»^(١).

هذا، ولو فرض عدم بلوغ هذا التقريب مرحلة القطع، فيكفي كونه احتمالاً مانعاً من التمسك بوحدة السياق.

٢. إن جميع الضمائر الواردة في الآيات المرتبطة بالنساء مؤنثة، سواء منها ما جاء قبل آية التطهير كقوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ... وَمَنْ يَفْتَنُ مِنْكُنَّ... يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ... إِنْ أَتَقِيْنَ فَلَا تَخْضَعْنَ... وَقُلْنَ... وَقُرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ...﴾ وما بعدها: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ...﴾، وتأتي آية التطهير بين هذه الآيات المباركة بالضمائر المذكورة، مضافاً إلى اختلاف لحن الخطاب فيها عن المقطع المرتبط بـ «أهل البيت»، فإن المقاطع الأولى تصرّح بأن بلوغ نساء النبي عليه السلام مرتبة الأجر المضاعف أو نيل العقوبة كذلك، منوط بهنّ وإيرادتهنّ الخاصة، كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا... وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ...﴾ وهكذا البواقي، وهذا بخلاف المقطع المرتبط بأهل البيت عليهم السلام، فإنه يحكي تعلق الإرادة الإلهية لا إرادتهم بإذهاب الرجس وتطهيرهم تطهيراً.

يقول السيّد الحيدري: وكيف يمكن لإرادة الله تعالى المحتومة أن تتعلّق بنزاهة أزواج النبي عليه السلام، وطهارتهنّ من كلّ الخبائث والأرجاس، والآيات السابقة يلوح منها احتمال انصرافهنّ إلى الدنيا وسقوطهنّ في حبائلها وزينتها؟! ومن الواضح عدم انسجامه مع الإرادة الحتمية بالطهارة. وهذا يقرب ما نرمي إليه من أنّ آية التطهير منفردة في النزول والموضوع،

(١) الأصول العامة للفقهاء المقارن: ص ١٥٨.

شبهات حول آية التطهير..... ٣١٩

بل لو ثبت نزولها مع الآيات الأخرى فإنها تختلف عنها في شأن النزول، إذ إنّ وحدة السياق تقتضي الاتّحاد في نوع الضمائر من جهة، والاتّحاد في لحن الخطاب من جهة أخرى، وهذا ما لا نجده في هذه الآيات الكريمة.

ومن هنا اضطرّ الفخر الرازي إلى حمل الآية على خلاف ظاهرها، حيث يقول: «يعني ليس المنتفع بتكليفكّن هو الله، ولا تنفعن الله فيما تأتين به، وإنّما نفعه لكّن، وأمره تعالى لمصلحتكّن»^(١).

نعم، يبقى هذا التساؤل وهو: إذا لم تكن هذه الآية قد نزلت مع تلك الآيات، كما هو الأقوى، أو أنّها نزلت معها لكنّها مختلفة عنها من حيث شأن النزول، فما هي مناسبة وضعها ضمن تلك الآيات التي تتعلّق بأزواج النبيّ الأعظم ﷺ؟

وقد أُجيب عنه بعدّة وجوه، نكتفي منها بوجه واحد:

إنّ التأمّل في سياق الآيات الكريمة يلوح منه أنّ أزواج النبيّ ﷺ أو بعضهنّ «كانت لا ترتضي ما في عيشتهنّ في بيت النبيّ ﷺ من الضيق والظنك، فاشتكت إليه ذلك، واقترحت عليه أن يسعدهنّ في الحياة بالتوسعة فيها، وإيتائهنّ من زينتها. فأمر الله سبحانه نبيّه أن يختيرهنّ بين أن يفارقه وهنّ ما يردن، وبين أن يبقى عنده وهنّ ما هنّ عليه من الوضع الموجود»^(٢).

وبهذا المعنى جاءت النصوص الكثيرة الواردة بشأن نزول آيات التخير، وأنّها نزلت بسبب سوء معاشرّة بعضهنّ لرسول الله ﷺ، وكنّ يغاضبه ﷺ، ويهجرنه اليوم حتّى الليل، في سبيل النفقة والتوسعة فيها، فمن ذلك ما أخرجه في الصحيح وغيره عن عمر لما حدّثته زوجته عن نساء النبيّ ﷺ

(١) مفاتيح الغيب: ج ٢٤ ص ٢٠٩.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ج ١٦ ص ٣٠٥.

٣٢٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

وكيفية معاشرتهم له، قال: (فقلت لحفصة: أترجعين رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم، وتهجره إحدانا اليوم إلى الليل، قال: فقلت: قد خابت من فعلت ذلك منكّن وخسرت، أتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله ﷺ فإذا هي قد هلكت)^(١).

وأخرج مسلم في الصحيح عن جابر؛ قال: (أقبل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ، والناس ببابه جلوس، فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر، فاستأذن فلم يؤذن له، ثم أذن لأبي بكر وعمر فدخلا، والنبى ﷺ جالس وحوله نساؤه، وهو ساكت، فقال عمر: لأكلمن النبى ﷺ لعله يضحك، فقال عمر: يا رسول الله لو رأيت بنت زيد امرأة عمر فسألتي النفقة آنفاً فوجأت عنقها. فضحك النبى ﷺ حتى بدا نواجذه، قال: هنّ حولي كما ترى يسألني النفقة. فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة، كلاهما يقولان: تسألان رسول الله ﷺ ما ليس عنده! فنهأ رسول الله ﷺ، فقلن نساؤه: والله لا نسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده. قال: وأنزل الله عزّ وجلّ الخيار...)^(٢).

وفي رواية أخرى: (قال: هنّ حولي كما ترى يسألني النفقة. فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده. فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً

(١) صحيح البخاري: ج ٣ ص ١٠٤؛ صحيح مسلم: ج ٤ ص ١٩٢؛ مسند ابن حنبل: ج ١ ص ٣٣؛ سنن الترمذي: ج ٥ ص ٩٣؛ سنن البيهقي: ج ٧ ص ٢٧؛ سنن النسائي: ج ٥ ص ٢٦٦؛ صحيح ابن حبان: ج ١٠ ص ٨٦؛ كنز العمال: ج ٢ ص ٢٥٢؛ وغيرها من كتب التفسير والسيرة.

(٢) صحيح مسلم: ج ٤ ص ١٨٧.

ليس عنده. ثم اعتزلهنّ شهراً أو تسعاً وعشرين، ثمّ نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ...﴾ حتى بلغ ﴿لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

فجاءت الآيات الكريمة شارحة لمكانة نساء النبي ﷺ، محذرة لهنّ من السقوط في المعصية، وأنّ جميع ما ترتب عليهنّ من مضاعفة الثواب والعقاب وغيره إنّما هو بسبب انتسابهنّ إلى رسول الله ﷺ، وأنّ هذا النوع من الانتساب لا يُضفي على الإنسان أيّ تمييز أو كرامة على الله سبحانه ما لم يقترن بالتقوى والإحسان، كما قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ أُنْقِيَّتْنَ﴾ (الأحزاب ٣٢).

وهذه التكاليف الموجهة إليهنّ، وإن كانت مشتركة بين جميع المكلفين إلّا أنّها مؤكّدة بالنسبة لهنّ، فيجب عليهنّ أن يبالغن في امتثال أحكام الله تعالى، ويحتطن في دينه أكثر من سائر النساء، لأنهنّ في بيت الله الرجس عن أهله وطهرهم تطهيراً، كما قال في دلائل الصدق:

«إنّما أمرهنّ ونهاهنّ وأدبهنّ إكراماً لأهل البيت ﷺ، وتنزيهاً لهم عن أن تنالهم بسببهنّ وصمة، وصوناً لهم عن أن يلحقهم من أجلهنّ عيب، ورفعاً لهم عن أن يتصل بهم أهل المعاصي، ولذا استهلّ سبحانه الآيات بقوله: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾، ضرورة أنّ هذا التمييز إنّما هو للاتّصال بالنبي ﷺ، وآله، لا لذواتهنّ، فهنّ في محلّ وأهل البيت ﷺ في محلّ آخر، فليست الآية الكريمة إلّا كقول القائل: يا زوجة فلان لست كأزواج سائر الناس، فتعفّفي وتستري وأطيعي الله تعالى، إنّما زوجك من بيت أطهار يريد الله حفظهم من الأدناس وصونهم من النقائص»^(٢).

(١) المصدر نفسه.

(٢) دلائل الصدق لنهج الحقّ، الشيخ المظفر: ج ٤ ص ٣٧٤.

٣٢٢..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

يقول السيّد الحيدري: فكأنّ موقع آية التطهير للتدليل على أنّ أسرة الرسول الأكرم ﷺ منقسمة على قسمين: قسم يُراد منه الامتثال المؤكّد لأحكام الله تعالى، والتأدّب بالأخلاق والفضائل، والمزايا الحميدة وما إلى ذلك، لا لأجل ذواتهم بل لاتّصالهم وانتسابهم بمن هو مثل رسول الله ﷺ المنزّه عن كلّ وصمة أو عيب. وهؤلاء هم الذين سمّاهم القرآن الكريم بـ (نساء النبي ﷺ)، ولم يضيف حتّى بيوتهنّ إلى الرسول الأكرم ﷺ، بل أضافه إليهنّ في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، ولم يكن في جميع هذه الآيات المباركة أيّ تدليل على الاصطفاء، أو التمييز، أو الكرامة الخاصّة على الله تعالى.

وقسم آخر من أسرة الرسول الكريم ﷺ اصطفاهم الله تعالى، وأراد لهم بإرادته المحتومة التي لا خلف فيها: الطهارة من كلّ رجس، والعصمة بأسمى معانيها، وهؤلاء هم الذين ورد التعبير عنهم بـ «أهل البيت»، من دون وصف للبيت ولا إضافة، كأنّما هذا البيت هو البيت الواحد في هذا العالم المستحقّ لهذه الصفة، فإذا قيل «البيت» فقد عرّف وحُدّد، كما قيل عن الكعبة: «بيت الله» فسُمّيت البيت والبيت الحرام.

وأهل هذا البيت الجليل هم الخمسة الذين ضمّهم الكساء، وعلى رأسهم صاحب البيت وعميدهم رسول الله ﷺ.

ومن ثمّ فقد جاءت آية التطهير بمثابة الجملة الاعتراضية، لتبيّن الفوارق بين القسمين من أسرة النبيّ الأعظم ﷺ، لئلا يتوهّم أحد أنّ جميع أفراد الأسرة على نسيج واحد وشاكلة واحدة، فلم يتوجّه خطاب الوعد والوعيد والتحذير من السقوط في مهاوي الدنيا وما إلى ذلك إليهم جميعاً، بل لقسم واحد منهم وهو (نساء النبيّ ﷺ)، وأما القسم الآخر فقد اصطفاهم الله تعالى وأكرمهم بإذهابه الرجس عنهم وتطهيرهم تطهيراً.

شبهات حول آية التطهير..... ٣٢٣

٣. ولو غُضَّ النظر عمّا سبق، وأمکن التمسك بوحدة السياق «لما كانت أكثر من كونها اجتهاداً في مقابلة النصّ، والنصوص السابقة كافية لرفع اليد عن كلّ اجتهاد جاء على خلافها»^(١).

٤. إنّ شمول هذه الآية الكريمة لإنسان - أيّ إنسان - شرف يفتخر به، وفضيلة يعلنها للناس عند مسيس الحاجة إليها، وهذا ما نجده في كثير من مواقف الخمسة من أهل البيت عليهم السلام. فما أكثر ما كانوا يعلنون نزول هذه الآية فيهم، وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يعلن للناس أنّ الله جعل بيته أفضل البيوت، وهو من الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، كما تقدّمت خطبته صلى الله عليه وآله في ذلك.

فليس في القرائن التاريخية ما يشير إلى ادّعاء أحد ممّن ذكروا أنّهم مصداق الآية دون عترة النبي صلى الله عليه وآله خاصّة.

يذكر المحدثون «أنّ الحسن بن عليّ عليه السلام حين قتل عليّ عليه السلام استخلف، فبينما هو يصليّ بالناس إذ وثب إليه رجل فطعنه بخنجر في وركه، فتمرّض منها أشهراً، ثمّ قام فخطب على المنبر، فقال: يا أهل العراق اتقوا الله فينا فإنّا أمراءكم وضيّفانكم، ونحن أهل البيت الذين قال الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، فما زال يومئذٍ يتكلّم حتّى ما ترى في المسجد إلّا باكياً»^(٢).

وذكر الطبري وابن كثير «حدّثني محمّد بن عمارة، قال: ثنا إسماعيل بن أبان، قال: ثنا الصباح بن يحيى المرّي، عن السدي، عن أبي الديلم، قال: قال عليّ بن الحسين لرجلٍ من أهل الشام: أما قرأت في الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

(١) الأصول العامّة للفقّه المقارن: ص ١٥٧.

(٢) ينظر مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٧٥؛ المعجم الكبير: ج ٣ ص ٩٣ ورجاله ثقات.

٣٢٤..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴿١﴾ قال: ولأنتم هم؟ قال: نعم^(١). أمّا الآخرون فلم يذكروا ولو في مورد واحد أنّ الآية نزلت فيهم وأتهم مشمولون بها، مع ما في ذلك من السموّ والرفعة، وأيضاً مع حاجة بعضهم إلى هذا الوسام القرآني الرفيع.

وعائشة بحسب البخاري قالت: إنّه لم ينزل فينا شيء، سوى عذري، في إشارة إلى حادثة الإفك^(٢).

ولم نجد مثل هذا الإعلان لدى أمّهات المؤمنين الأخريات، فلم تدع واحدة منهنّ نزول آية التطهير فيها أو شمولها لها، مع مسيس حاجة بعضهنّ إليه، تصحيحاً لبعض مواقفها السياسيّة ومعارضة الخلافة القائمة آنذاك.

بل على العكس من ذلك فقد اعترفت عائشة وأمّ سلمة فيما تحدّثن به من حديث الكساء بعدم إذن رسول الله ﷺ لهما بالدخول تحت الكساء، وكنّ يتمنّين ذلك، إلا أنّ الرسول الأكرم ﷺ بقي مصرّاً على عدم مشاركتهنّ لهؤلاء، وقد تقدّم بعض ذلك.

عن مجمع، قال: «دخلت مع أمّي على عائشة، فسألته أمّي قالت: رأيت خروجك يوم الجمل؟ قالت: إنّه كان قدراً من الله. فسألته عن عليّ، فقالت: تسأليني عن أحبّ الناس كان إلى رسول الله ﷺ، وزوج أحبّ الناس كان إلى رسول الله، لقد رأيت عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، وجمع رسول الله

(١) ينظر تفسير الطبري: ج ٢٢ ص ١٢؛ تفسير ابن كثير: ج ٣ ص ٤٩٥.

(٢) كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدرها، فقال مروان: إنّ هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالَيْهِ أُفٍّ لَكُمْ مَا اتَّعَدَانِي﴾. فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أنّ الله أنزل عذري (صحيح البخاري: ج ٦ ص ٤٢).

شبهات حول آية التطهير..... ٣٢٥

ﷺ بثوب عليهم، ثم قال: «اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». فقلت: يا رسول الله أنا من أهلك؟ قال: تنحى إنك إلى خير»^(١).

وعن عمّار بن أبي معاوية الدهني، عن عمرة، قالت: سمعت أمّ سلمة تقول: «نزلت هذه الآية في بيتي: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»، قالت: وفي البيت سبعة: جبرئيل، وميكائيل، ورسول الله ﷺ، وعليّ، وفاطمة، وحسن، وحسين صلوات الله عليهم. قالت: وأنا على باب البيت جالسة، قلت: يا رسول الله ألسنتُ من أهل البيت؟! قال: إنك على خير، إنك من أزواج النبي. وما قال إنني من أهل البيت»^(٢).

وفي بعض النصوص عن أمّ سلمة أنّها قالت: «فلو كان قال نعم، كان أحبّ إليّ ممّا تطلع عليه الشمس وتغرب»^(٣).

(١) شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٦٢.

(٢) شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٨٢.

(٣) المصدر نفسه: ج ٢ ص ١٣٣.

الشبهة الثانية: عدم إفادة معنى العصمة

وجاءت هذه الشبهة في كلمات بعض المفسرين، ومنهم الألوسي في تفسيره، إذ يقول ردّاً على استفادة العصمة من الآية الكريمة: «وتعقّبهُ بعض أجلة المتأخّرين، بأنّه لو فرض تعيّن كلّ مذهبوا إليه، لا تُسَلّم دلالتها على العصمة، بل لها دلالة على عدمها، إذ لا يقال في حقّ من هو طاهر: إنّي أريد أن أُطهّره، ضرورة امتناع تحصيل الحاصل. وغاية ما في الباب: أنّ كون هؤلاء الأشخاص (رضي الله تعالى عنهم) محفوظين من الرجس والذنوب بعد تعلّق الإرادة بإذهاب رجسهم، يثبت بالآية، ولكن هذا على أصول أهل السنة، لا على أصول الشيعة، لأنّ وقوع مراده - تعالى - غير لازم عندهم لإرادته مطلقاً. وبالجملة: لو كانت إفادة معنى العصمة مقصودة لقليل هكذا: (إنّ الله أذهب عنكم الرجس أهل البيت وطهّرهم تطهيراً)»^(١).

يردّ السيّد كمال الحيدري على هذه الشبهة بعدّة نقاط:

١. فيما يتّصل بدعوى أنّ إرادة الله تعالى لا تستتبع وقوع الفعل المراد عند الشيعة، فهي نسبة غريبة جدّاً، لم يذهب إليها أحد منهم، وليته دلّنا ولو على شيعيٍّ واحد يؤمن بهذا الرأي، وقد أشبعنا البحث في «الإرادة» فيما تقدّم.
٢. وأمّا فيما يرتبط بمسألة تحصيل الحاصل، فإن كان يقصد بذلك التعبير بـ «يُذهب» في الآية الكريمة كما يظهر من فحوى كلامه المتقدّم، ولاسيّما المقطع الأخير منه، مع ملاحظة أنّ معنى الإذهاب هو الرفع لا الدفع، أي رفع الرجس الموجود، وعليه فلا تدلّ الآية على العصمة، بل دلالتها على عدم

(١) روح المعاني: ج ٢٢ ص ١٨.

العصمة أوضح، فالجواب عنه نقضاً وحلاً:

الأول: (النقض): إنه مما لا خلاف فيه بين المفسرين والمحدثين أن رسول الله ﷺ ممن ضمّه الكساء، وشملته الآية الكريمة، بل هو أفضلهم وأكملهم، كما نطقت به النصوص المتقدمة وغيرها. فإن كان إذهاب الرجس عنه ﷺ عند نزول الآية أو على حدّ تعبيره: «أنّ كون هؤلاء الأشخاص (رضي الله تعالى عنهم) محفوظين من الرجس والذنوب بعد تعلق الإرادة بإذهاب رجسهم»، فلازمه عدم طهارته ﷺ قبل نزول الآية، وهذا ما لا يلتزم به هذا القائل، بل هو مخالف لجميع المسلمين، إذ لا يستريب أحد منهم في عصمة النبي الأكرم ﷺ من حين البعثة على أقلّ التقادير. هذا وتأخر نزول هذه الآية عن البعثة بمدة ليست بالوجيزة من الواضحات.

الثاني: (الحل): إنّ لفظة «أذهب» ومشتقاتها تطلق في الاستعمال العربيّ الشائع ويراد منها الرفع والدفع، أي رفع الحاصل، أو دفع ما هو ممكن الحصول. ونصوص السنّة الشريفة خير شاهد على ذلك، فقد ورد عن النبيّ ﷺ أنه قال: «مَنْ أطعم أخاه حلاوةً أذهب الله عنه مرارة الموت»^(١). وعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «مَنْ ابتداءً بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعاً من البلاء»^(٢). وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «مَنْ تصدّق بصدقة حين يصبح أذهب الله عنه نحس ذلك اليوم»^(٣).

ومن هذه النصوص وغيرها نعرف معنى «أذهب»، حيث استعملت في هذه النصوص بمعنى دفع ما يمكن أن يحصل، و(أذهب الله عنه...) أي: دفع

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٦ ص ٣٥٥.

(٢) كنز العمال: ج ١٠ ص ٨٦.

(٣) الكافي، للكليني: ج ٤ ص ٦.

عنه هذه الأمور، لا أنه رفعها بعد أن كانت موجودة فيه.

قال السيد علي خان في (رياض السالكين) تعقيباً على قوله عليه السلام: «فأزح عنّا ريب الارتياب»: «ليس المراد بالإزاحة والإذهاب هنا: إزالة ريب الارتياب بعد كونه وحصوله، وإن كان معناه في أصل الوضع، بل هو من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣)، ومعناه حسم أسباب الرجس، وعدم الإعداد له رأساً، لا إزالته بعد حصوله، ولذلك قال الزمخشري: بين تعالى بهذه الآية أنه إنما يريد أن لا يقارف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله المآثم، وأن يتصوّنوا عنها بالتقوى»^(١).

وقال الزمخشري: «تقول: (سبحان من صغر جسم البعوضة، وكبر جسم الفيل)، وقولك للحفّار: (ضيّق فم الركبة، ووسّع أسفلها). وليس ثمّ نقل من كبر إلى صغر، ولا من صغر إلى كبر، ولا من ضيق إلى سعة، ولا من سعة إلى ضيق، وإنما أردت الإنشاء على تلك الصفات»^(٢).

ومن هنا يتجلّى لنا المراد من الآية الشريفة، وأنّ قوله تعالى: لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ... للتدليل على دفع الرجس وإبعاده عن هؤلاء البررة. وهذا هو الأسلوب القرآني في التعبير عن الأنبياء وعباد الله المخلصين، حيث لا يدنو منهم الرجس، ولا الفحشاء ولا المنكر، وتكون هي المنصرف والمبتعدة عنهم؛ قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤)، فكان السوء والفحشاء هما المنصرفين عن يوسف عليه السلام، لا هو المنصرف عنهما؛ «لما في الثاني من الدلالة على أنه كان فيه ما يقتضى اقترافهما

(١) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام، السيد علي خان: ج ٥ ص ١٤٩.

(٢) الكشّاف: ج ٣ ص ٥٣٨.

شبهات حول آية التطهير..... ٣٢٩

المحوج إلى صرفه عن ذلك، وهو ينافي شهادته تعالى بأنه من عباده المخلصين، وهم الذين أخلصهم الله لنفسه، فلا يشاركه فيهم شيء، فلا يطيعون شيطان، أو تزيين نفس، أو أيّ داعٍ يدعو من دون الله سبحانه»^(١).

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج ١١ ص ١٢٩.

الشبهة الثالثة: كون الإرادة في الآية تشريعية لا تكوينية

ممن آثار هذه الشبهة الآلوسي أيضاً، حيث قال: «وقد يُستدل على كون الإرادة هنا بالمعنى المذكور (أي التشريعية) دون المعنى المشهور (أي التكوينية) الذي يتحقق عنده الفعل، بأنه ﷺ قال حين أدخل علياً وفاطمة والحسينين ﷺ تحت الكساء: (اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)، فإنه أي حاجة للدعاء لو كان ذلك مراداً بالإرادة بالمعنى المشهور؟ وهل هو إلا دعاء بحصول واجب الحصول؟!»^(١).

يجيب السيّد الحيدري^(٢):

أولاً: إن جعل الإرادة تشريعية لا يدفع محذور تحصيل الحاصل الذي فرضه للإرادة التكوينية، لأنه حينئذ يكون معنى دعاء النبي ﷺ هو (اللهم اجعل أهل بيتي مشمولين بأمرك ونهيك، واجعلهم مكلفين بالأحكام التي شرعتها لجميع الناس)، وهل هذا إلا نفس تحصيل الحاصل الذي حاول الآلوسي التخلص منه؟! التخلّص منه؟!!

ثانياً: إنه لا تنافي بين أن يكون الشيء حاصلًا، والدعاء لإدامته أو زيادته. فهذا رسول الله ﷺ الذي قال عنه الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢)، مع ذلك يقف في صلاته كل يوم عشرات المرات ليقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦).

تُرى أنه لم يكن قبلها مهدياً إليه! كلا؛ فإنه دعاء لإدامة تلك الهداية، فلماذا لم يعدّه الآلوسي دعاءً بحصول الحاصل؟

(١) روح المعاني: ج ٢٢ ص ١٨.

(٢) العصمة، للسيّد كمال الحيدري: ص ٢٥٥.

شبهات حول آية التطهير..... ٣٣١

ثالثاً: إنّ الدعاء بالتطهير أو بأيّ أمرٍ حاصل، يمكن تفسيره بأحد وجهين:

١. إنّ حصول الشيء عند الإنسان لا يعني الاستغناء عن الله تعالى في دوامه واستمراريته، ولا يعني أيضاً إمكانية الخروج عن قدرته تعالى فيما لو أراد سبحانه إزالته أو تغييره، بل الإنسان - أيّ إنسان - محتاج في كلّ لحظة من لحظات وجوده إلى فيض الله تعالى ولطفه، سواء في أصل وجوده وبقائه، أم في توابع الوجود من العلم والرزق والقدرة وغيرها، وقد جعل الله تعالى لنفسه المشيئة في كلّ الأمور؛ قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير: ٢٩)، ومن ثمّ يمكن أن يكون دعاء الرسول الأكرم ﷺ في تطهير أهل بيته ﷺ طلباً من الله تعالى لإدامة هذا الأمر الحاصل، واستمراريته.

وهذا من الأدب الذي أدّب الله سبحانه به أنبياءه وأصفياه ﷺ، فهم لا يرون لأنفسهم أيّ استقلال فيما أتوا، ولا يعتمدون على ما عندهم من قدرة، بل يجدون أنفسهم في فقر دائم وحاجة مستمرة إلى الله تعالى وفيضه ولطفه؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الكهف: ٢٣-٢٤).

قال الطباطبائي: «والذي يراه القرآن في تعليمه الإلهي: أن ما في الوجود من شيء ذاتاً كان أو فعلاً وأثراً، فإنّها هو مملوك لله وحده، له أن يفعل فيه ما يشاء، ويحكم فيه ما يريد، لا معقّب لحكمه، وليس لغيره أن يملك شيئاً إلا ما ملكه الله تعالى منه، وأقدره عليه، وهو المالك لما ملكه، والقادر على ما عليه أقدره»... إلى أن يقول: «فعلى الإنسان العارف بمقام ربّه، المسلم له، أن لا يرى نفسه سبباً مستقلاً لفعله، مستغنياً فيه عن غيره، قادراً عليه بإقداره، وإنّ القوّة لله جميعاً، وإذا عزم على فعل أن يعزم متوكلاً على الله تعالى...»^(١).

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج ١٣ ص ٢٧٠.

٣٣٢..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

وقال تعالى حكاية عن يوسف الصديق عليه السلام: ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (يوسف: ٣٣).

قال الطباطبائي: «إن تلك القوة القدسية التي استعصم بها يوسف عليه السلام، كانت كأمر تدريجي يفيض عليه أنا بعد أن من جانب الله سبحانه، وليست بالأمر الدفعي المفروغ عنه، وإلا لانقطعت الحاجة إليه تعالى، ولذا عبّر عنه بقوله: ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي﴾، ولم يقل: (وإن لم تصرف عني)، وإن كانت الجملة الشرطية منسلخة الزمان، لكن في الهيئة إشارات، ولذلك أيضاً قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ (يوسف: ٣٤)، فنسب دفع الشر عنه إلى استجابة و صرف جديد»^(١).

٢. تقدم فيما سبق أن المقامات السامية التي بلغها الصفوة من العباد ليست كلها بدرجة واحدة. فالأنبياء يتفاضلون فيما بينهم، وتتفاوت درجاتهم ومراتبهم؛ قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ (البقرة: ٢٥٣)، ولم يكن هذا التفاضل جزافاً ومن دون ضوابط، ولا أنه اعتباري عارٍ من الحقيقة، بل هو حقيقي ناشئ من أمور حقيقية كامنة في نفوس هؤلاء البررة عليهم السلام، ومن ثمّ يمكن أن يكون دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله فيما نحن فيه من أجل أن يرتفع هؤلاء الأشخاص بمراتب القدس والطهارة، ويصلوا بذلك حيث القرب الإلهي، في «أشرف محلّ المكرّمين، وأعلى منازل المقرّبين، وأرفع درجات المرسلين، حيث لا يلحقه لاحق، ولا يسبقه سابق، ولا يطمع في إدراكه طامع»^(٢)، فجاءت آية التطهير معلنة هذا المعنى، وذلك من خلال حصر إرادة الله تعالى التي لا خلف فيها، بإذهاب

(١) المصدر نفسه: ج ١١ ص ١٥٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦١٣.

شبهات حول آية التطهير..... ٣٣٣

الرجس عنهم وتطهيرهم تطهيراً.

والملاحظة الجديرة بالاهتمام هنا: أنّ الكساء المبارك قد جمع عدّة أصناف من المعصومين، فضمّ مَنْ هو نبيّ قد مضت على بعثته عدّة سنوات، وهو رسول الله ﷺ، واحتوى إماماً لم يكن وقت إمامته، وهو أمير المؤمنين عليه السلام، وفي الكساء امرأة هي واسطة عقدي النبوة والإمامة، وهي الزهراء فاطمة البتول عليها السلام، وجمع صغيرين لم يبلغا الحلم، وهما الحسنان عليهما السلام.

إنّ هذا النوع من الاجتماع تحت الكساء أو في بيت فاطمة عليها السلام، أو بيت أمّ سلمة أو غير ذلك ممّا مرّ، يدلّ بوضوح على شموليّة العصمة والتطهير من الرجس لجميع حالات المعصومين ومستوياتهم، فليست العصمة مختصّة بحال تبليغ الأحكام، أو التصدي للإمامة كما في أمير المؤمنين عليه السلام، وفاطمة البتول عليها السلام. وأيضاً فإنّ العصمة غير مختصّة بما بعد البلوغ كما في تنصيب الآية على عصمة الحسنين عليهما السلام، ومع هذا كلّه فهل يصحّ لنا أن نفترض أنّ عصمة رسول الله ﷺ وهو أفضلهم، بل أفضل البشريّة على الإطلاق، مختصّة بحال تبليغه للأحكام فقط؟! أو أنّه ﷺ غير معصوم في أموره الحياتيّة؟! أو ما إلى ذلك؟!!

المبحث الثاني

شبهات حول حديث الثقلين

- ١ . معارضة حديث الثقلين بحديث «الخلفاء الراشدين»
- ٢ . من هم الخلفاء الراشدون
- ٣ . حديث «الاثني عشر» وتفسيرات علماء المسلمين له
- ٤ . تفسير مدرسة أهل البيت عليهم السلام لأحاديث الخلفاء اثنا عشر

(١) معارضة حديث الثقلين بحديث «الخلفاء الراشدين»

قال الدهلوي: (وهذا الحديث أيضاً كالأحاديث السابقة لا مساس له بمدعاهم، وإذ لا يلزم أن يكون المتمسك صاحب الزعامة الكبرى، سلّمنا، ولكن قد صحّ الحديث أيضاً: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»^(١) سلّمنا، ولكن العترة في لغة العرب هم الأقارب، فلو دلّ الحديث على الإمامة لزم أن يكون جميع أقاربه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أئمة واجبي الإطاعة وهو باطل، وأيضاً قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «واهدتوا بهدي عمّار، وتمسكوا بعهد ابن أمّ عبد»^(٢)، «وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل»^(٣) سيّما قوله: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر» البالغ درجة الشهرة والتواتر المعنوي، فلزم من هذه الأحاديث أن يكون أولئك الأشخاص أئمة، وأن يدلّ هذا الحديث على إمامة العترة^(٤).

في النصّ أعلاه للدهلوي: يقول لو تنزلنا وقلنا بثبوت مدعى الإمامية بأنّ حديث الثقلين يُثبت الإمامة الكبرى، فهو معارض بحديث: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ» فهو أيضاً بهذا الفهم يثبت الولاية الكبرى.

(١) مسند ابن حنبل: ج ٤ ص ١٢٦؛ سنن الدارمي: ج ١ ص ٤٥؛ سنن الترمذي: ج ٤

ص ١٥٠ ح ٢١٨٦؛ سنن ابن ماجه: ج ١ ص ١٥ ح ٤٢.

(٢) الترمذي و صحيح الجامع: رقم ١١٤٤.

(٣) أحمد والترمذي وابن ماجه، و صحيح الجامع: رقم ٨٩٥.

(٤) مختصر التحفة الاثني عشرية، الدهلوي: ص ١٧٤.

٣٣٨..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

ونحن نقول: كلامه من حيث إنه يُثبت صحيح، أما من حيث إنه يعارض فلا نسلم؛ لأنه: من قال: أن الخلفاء الراشدين المذكورين في الحديث هم الذين كانوا في الخلافة الأولى؟ وإليك التفصيل:

لقد ذكرنا في الفصل الأول رواياتٍ صحيحة السند بلفظ خليفتين أو الخليفتين، ذكرها ابن أبي شيبة في المسند والمصنّف، وكذا أحمد في المسند وفضائل الصحابة، وابن أبي عاصم في السنّة، والطبراني في كبيره، والهيثمي في زوائده، والسخاوي في ارتقاء الغرف، والسيوطي في الجامع الصغير، والسمهودي في جواهر العقدين، والآلوسي في تفسيره، والألباني في صحيح الجامع الصغير، ومصطفى العدوي في الصحيح المسند.

ولفظ خليفتين صريح بالدلالة المطابقة^(١) على أن النبي ﷺ قد ترك من بعده خليفة على الأمة، وأي فهم خلاف ذلك فهو تأويل اقتضاه واقع الحال الذي كان في الخلافة الأولى.

ولا أدري أي لفظ يقوله رسول الله ﷺ لينصب به علياً خليفة من بعده؟ (واستخلفه: جعله خليفة. والخليفة: الذي يُستخلفُ ممن قبله)^(٢) أليس رسول الله ﷺ في هذا النصّ الصحيح قد استخلف العترة على الأمة؟ هذا الفهم البسيط الأولي الذي لا تعسف فيه ولا تكلف.

نعم يأتي التكلف من لوازم الإحراج الذي يقع فيه الآخر، ونقع في التكلف لضرورة الدفاع عن التاريخ^(٣)، ما ذنبنا وقد وجدنا أحاديث كهذه

(١) دلالة اللفظ على تمام ما وضع له مطابقة (إرشاد الفحول، للشوكاني: ص ١٧.

(٢) لسان العرب: ج ٩ ص ٨٣.

(٣) وفي ختام القول عن فقه الحديث أذكر هنا ما ذهب إليه بعض المسلمين من: أن الحديث يدلّ على إمامة أفراد معيّنين من أهل البيت عليهم السلام، تجب طاعتهم والأخذ عنهم، وأن أول هؤلاء عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وأنه هو وصيّ رسول الله ﷺ. وهذا

شبهات حول حديث الثقلين ٣٣٩

صحيحة وواضحة الدلالة في أنّ النبي ﷺ قد نصّ على الخلافة من بعده، لا أقلّ هذا عذرٌ كافٍ لأتباع أهل البيت عليه السلام في مبانيهم العقديّة من هذه الجهة وفي هذه النقطة.

الآخر هو الذي يُسأل: لماذا، وكيف خالف هذا النصّ الصريح؟ وهذا الآخر كائنٌ من كان، عليه الإجابة، سواء كان صحابياً أم تابعياً أم عالماً، أم محدثاً، أمّا محاولة إسقاط الواقع الذي كان، وعدّه الشرعيّة الحقيقيّة لأنّه كان، وذلك عن طريق التمويه والتدليس في عدم إشهار هذا الحديث، فهذا الأسلوب لا يُغني عن الحقّ شيئاً.

هذا من جهة الخلافة بالاصطلاح السياسي.

أمّا لو تنزّلنا، واخترنا أن نسكت كما سكت صاحب الحقّ لمصلحةٍ هو قدرها عن الخلافة الأولى، وعلينا كمتبعين لعليّ عليه السلام أن نفتدي به من هذه الجهة وبهذه الصفة سيّما أتباع مدرسة أهل البيت عليه السلام (وأنّى لنا ذلك)، فنحن وإن فهمنا أنّ الخلافة الأولى تفتقد للشرعيّة التأسيسية بنصّ حديث الثقلين، إلّا أنّ سيّد العتره عليّ بن أبي طالب قد تعامل معها برفق ولين ونصيحة. وهذا هو الظاهر، إذا لم نتعسف في فهم عليّ عليه السلام، ونحمل الأشياء على غير ظاهرها، وجلّ معارضته^(١) الواضحة كانت نهاية خلافة عثمان، وفساد بني أبيه الذين صاروا يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع^(٢).

القول جدّ خطير، فإنّه يؤدّي إلى اتهام الصحابة الكرام، خير أمة أخرجت للناس، بأنّهم خالفوا وصيّة رسول الله ﷺ، وإلى عدم شرعيّة خلافة الخلفاء الراشدين الثلاثة - رضي الله تعالى عنهم - وإلى هدم أركان رئيسة في الإسلام (السالوس).

(١) هذا مع سكوتنا عن حادثة عدم بيعته لأبي بكر (ينظر: صحيح البخاري: ج ٥ ص ٨٣؛

صحيح مسلم: ج ٥ ص ١٥٤).

(٢) نهج البلاغة: ج ١ ص ٣٥.

٣٤٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

أقول: أما من الناحية غير السياسية فأين أهل البيت عليهم السلام وحقوقهم في الأمة؟

ونأتي إلى سيدهم علي بن أبي طالب عليه السلام الذي عاش مع النبي صلى الله عليه وآله سنّي البعثة كلّها حتّى مات رسول الله صلى الله عليه وآله في حجره^(١)، لم يرو عنه أصحّ كتاب بعد القرآن (!) البخاري سوى ٣٤ حديثاً وفي صحيح مسلم ٣٨ حديثاً، أمّا أبو هريرة فروى عنه البخاري ٤٤٦ حديثاً، ومعلوم أنّه أسلم عام ٦ أو ٧ مع وفد اليمن أي بعد بعثة النبي صلى الله عليه وآله ب (٢٠) عاماً، هذا المثال أنموذج بسيط للالتزام بوصيّة المصطفى بعترته إن صرفنا معنى الاستخلاف (تعسّفاً) إلى معنى الخليفة تشريعياً (فقط) أي: أن تتخذوهم مرجعاً دينياً كما كان يفعل عمر، وهو القائل: (أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن)^(٢).

بعد هذه المقدمة نرجع إلى مفردة خليفتين ومدلولاتها.

في الحقيقة، مفردة خليفتين تمثّل منظومة عقديّة في الموروث النبوي. فعلى طريقة جمع القرائن، نجعل حديث الثقلين قرينة على فهم ما، ونضمّ إليه حديثاً آخر، وهكذا مجموع هذه القرائن سينتهي بنا إلى دليل عقليّ متين نتج من مقدّمات النقل بالمأثور عن النبي صلى الله عليه وآله وإليك التطبيق:

الذي بين أيدينا هو حديث الثقلين بلفظ الخليفتين. ونحن كمتلقين فهمنا

(١) مسند ابن حنبل: ج ٦ ص ٣٠٠؛ المستدرک، للحاكم: ج ٣ ص ١٣٨؛ مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١١٢؛ المصنّف، لابن أبي شيبة: ج ٧ ص ٤٩٤؛ سنن النسائي: ج ٤ ص ٢٦١؛ مسند أبي يعلى: ج ١٢ ص ٣٦٤؛ كنز العمال: ج ١٣ ص ١٤٦.

(٢) أخرجه أحمد في المناقب: ص ٩٧؛ يوجد في الاستيعاب هامش الإصابة: ج ٣ ص ٣٩؛ صفوة الصفوة: ج ١ ص ٣١٤٠؛ الرياض النضرة: ج ٣ ص ١٦١؛ تذكرة السبط: ص ١٣٤؛ الصواعق: ص ٧٦؛ فتح الباري: ج ١٣ ص ٢٨٦؛ كنز العمال: ج ١٠ ص ٣٠٠؛ طبقات ابن سعد: ج ٢ ص ٣٣٩؛ تهذيب التهذيب: ج ٧ ص ٢٩٧.

شبهات حول حديث الثقلين ٣٤١

منه فهماً بدائياً أنه نصّ من الرسول ﷺ، على أن عترته من تخلفه من بعده، سواء سياسياً، أم تشريعياً، ويمكن أن ندعم هذا الحديث بالحديث: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، لا أن نعارضه به، لأنّ هذا الحديث بصراحة وببساطة لا يمتّ بأيّ صلة إلى الخلافة الأولى، فهو لم يسمّهم بل قال الخلفاء الراشدين، هذا إذا ضممناه مع الحديث الصحيح الآخر: الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش (والذي أيضاً بإجماع شرّاحه فهموا منه الخلافة) ستتكوّن منظومة عقديّة متّسقة مستقرّة متماسكة. وإليك التفاصيل:

رواية (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين الهادين عصوا عليها بالنواجذ)^(١) «أول ما يرد عليها: استحالة صدور مضمونها من المعصوم (وأنه قصد بها الخلافة الأولى) لاستحالة أن يعبدنا الشارع بالمتناقضين، وتناقض سيرة الخلفاء في نفسها من أوضح الأمور لمن قرأ تأريخهم واستقرأ ما صدر عنهم من أحداث»^(٢).

وحسبك أن سيرة الشيخين ممّا عرضت على الإمام عليّ عليه السلام يوم الشورى، فأبى التقيّد بها ولم يقبل الخلافة لذلك، وقبلها عثمان^(٣) وخرج عليها بإجماع المؤرّخين^(٤) وعارضه الإمام عليّ في أيام خلافته في كثير من الأحكام^(١)،

(١) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجّة والترمذي، وصحّحه الحاكم وقال: على شرط الشيخين. وقال الألباني قلت: وهذا إسناد حسن رجاله ثقات، رجال مسلم، غير سعيد

بن خثيم، وهو صدوق كما في التقريب، إرواء الغليل: ج ٨ ص ١٠٨.

(٢) السنة في الشريعة الإسلامية، لمحمد تقي الحكيم: ص ٢٤.

(٣) هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه، وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي (ينظر تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٢٩٧؛ الكامل في التاريخ: ج ٣

ص ٧١؛ البداية والنهاية: ج ٧ ص ١٦٥؛ تاريخ الإسلام: ج ٣ ص ٣٠٥.

(٤) ومن حديث الأعمش يرويه أبو بكر بن أبي شيبة قال: كتب أصحاب عثمان عيبه وما

٣٤٢..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

وفي أيام خلافة الإمام عليه السلام، نقض كل ما أبرمه الخليفة عثمان، وخرج على سيرته سواء في توزيع الأموال أم المناصب أم أسلوب الحكم.

والشيخان نفسها مختلفا السيرة، فأبو بكر ساوى في توزيع الأموال الخراجية وعمر فاوت فيها^(٢)، وأبو بكر كان يرى طلاق الثلاث واحداً، وعمر شرّعه ثلاثاً^(٣)، وعمر منع عن المتعتين^(٤)، ولم يمنع عنهما الخليفة الأول ونظائرها أكثر من أن تحصى^(٥)، وإن أبا بكر سبى أهل الردّة، وردّهم عمر

ينقم الناس عليه في صحيفة، فقالوا: من يذهب بها إليه؟ فقال عمّار: أنا، فذهب بها إليه، فلما قرأها قال: أرغم الله أنفك، قال: وبأنف أبي بكر وعمر، قال: فقام إليه فوطئه حتى غشي عليه. (ينظر العقد الفريد: ج ٢ ص ١٩٢؛ مروج الذهب، للمسعودي: ج ٢ ص ٣٣٨؛ الاستيعاب: ج ٣ ص ١١٣٦؛ الطبري: ج ٣ ص ٤٩٧؛ الكامل: ج ٣ ص ٢٢٧ - ٢٢٨).

(١) فقال عثمان: تراني أنهى الناس عن شيء وتفعله أنت؟! فقال علي عليه السلام: لم أكن لأدع سنة رسول الله صلى الله عليه وآله لقول أحد (صحيح البخاري: ج ٣ ص ١٠٨ ح ١٤١٢).
(٢) ينظر ابن أبي شيبة: ج ١٢ ص ٣٠٣؛ أبو يوسف في الخراج: ص ٥٣؛ البزار: ج ٢٨٦؛ الطحاوي في شرح معاني الآثار: ج ٣ ص ٣٠٤؛ البيهقي: ج ٦ ص ٣٠٥؛ وهو ثابت بمجموعه.

(٣) إن أبا الصهباء قال لابن عباس: هات من هناتك. ألم يكن الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر واحدة فقال: قد كان ذلك فلما كان في عهد عمر تتابع الناس في الطلاق فأجازاه عليهم (صحيح مسلم: ج ٤ ص ١٨٤).

(٤) فلما ولي عمر خطب الناس وقال: إثمها كانتا متعتان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما: أحدهما متعة النساء.. والأخرى متعة الحجّ (سنن البيهقي: ج ٧ ص ٢٠٦؛ تفسير الطبري: ج ٥ ص ١٣؛ تفسير الرازي: ج ٣ ص ٥٠؛ الدر المنثور: ج ٢ ص ١٤٠).

(٥) انظر: السنة في الشريعة الإسلامية: ص ٢٣.

شبهات حول حديث الثقلين ٣٤٣

أحراراً^(١)، وأشار عمر إلى بكر بعزل خالد بقتله لمالك بن نويرة^(٢) فأبى عليه.

والصحابة أنفسهم قد عارضوا الخلفاء الأربعة. فهذا سعد بن عبادة قد وقف موقفاً شديداً من أبي بكر وعمر في موضوع السقيفة. فعندما تمت البيعة لأبي بكر بالصورة التي كانت، أرسلوا إلى سعد يطلبونه أن يبايع، فقال لهم: «لا والله حتى أرميكم بكل سهم في كنانتي، وأخضب منكم سناني ورمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم مع من معي من أهلي وعشيرتي»^(٣).

فإذا كان المقصود بالراشدين الخلافة الأولى، فأني لسعد بمخالفتهم ولا يقبل منهم إلا بعد أن يخضب سنانه بدمائهم ويضرب أعناقهم بسيفه. وأكثر من ذلك: أنه لما قال عمر بن الخطاب: «اقتلوا سعداً، قتله الله»^(٤) نهض قيس بن سعد يأخذ بلحية عمر ويقول له: «والله لو حصحصت منه شعرة ما رجعت وفيك واضحة»^(٥).

(١) في كتب أبي بكر إلى قبائل العرب المرتدة، وأن يسبى النساء والذراري (تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٤٨٢؛ البداية والنهاية: ج ٦ ص ٣٤٨).

(٢) ينظر: وفيات الأعيان: ج ٥ ص ٦٦-٦٧؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٦٧.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٢١٠؛ تاريخ ابن الأثير: ج ٢ ص ١٣٧؛ شرح ابن أبي الحديد: ج ١ ص ١٢٨؛ السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٨٧.

(٤) ينظر: مسند أحمد: ج ١ ص ٥٦؛ فتح الباري: ج ٧ ص ٢٥؛ المصنف، للصنعاني: ج ٥ ص ٤٤٤؛ صحيح ابن حبان: ج ٢ ص ١٥١؛ الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٦١٦؛ تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٢٤؛ تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٤٤٧؛ تاريخ الإسلام: ج ٣ ص ٨؛ البداية والنهاية: ج ٥ ص ٢٦٧.

(٥) ينظر: مسند أحمد: ج ١ ص ٥٦؛ تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٤٥٩؛ السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٤٨٢.

٣٤٤..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

وأما الحَبَّاب بن المنذر فهو الآخر لم يكن يعرف لأبي بكر وعمر طاعة في يوم السقيفة قطّ، فلَمَّا رَدَّ الشيخان كلامه في أمر الخلافة صاح قائلاً: «والله لا يردّ عليّ أحد ما أقول إلاّ حطّمت أنفه بالسيف، أنا جذيلها المحكّك وعذيقها المرجّب، أنا أبو شبل في عرينة الأسد»^(١).

لقد كان الحَبَّاب مستعدّاً لضرب من يخالفه منها ويحطّم أنفه بسيفه، كما كان مستعدّاً لتوليّ أمر الخلافة بنفسه، فضلاً عن إباته التسليم والبيعة لهما بالخلافة. فلا سعد ولا قيس ولا الحَبَّاب ولا عليّ عليه السلام يعرفون حديث الخلفاء!

وبالجملة: خلاف القوم فيما بينهم مشهور. وإليك التفاصيل من الأعلام: يقول الصنعاني: «ومعلوم من قواعد الشريعة: أن ليس لخليفة راشد أن يشرع طريقة غير ما كان عليها النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ عمر نفسه الخليفة الراشد سمّي ما رآه من تجميع صلاته ليالي رمضان بدعة، ولم يقل: إنّها سنّة، فتأمّل. على أن الصحابة خالفوا الشيخين في مواضع ومسائل، فدلّ أنّه لم يحملوا الحديث على أن ما قالوه وفعلوه حجّة»^(٢).

«فمما اختلف فيه الشيخان - أبو بكر وعمر - غير ما ذكرنا... سبي أهل الردّة، فقد كان أبو بكر يرى سبي نساء المرتدّين، على عكس ما يراه عمر الذي نقض - في خلافته - حكم أبي بكر في هذه المسألة، وردّهنّ إلى أهاليهنّ حرائر، إلاّ من ولدت لسيدّها منهنّ، ومن جملتهنّ كانت خولة بنت جعفر الحنفيّة أمّ محمّد بن عليّ. كما اختلفا في قسمة الأراضي المفتوحة، فكان أبو بكر يرى

(١) ينظر: صحيح البخاري: ج ٨ ص ٢٧؛ مسند أحمد: ج ١ ص ٥٦؛ سنن البيهقي: ج ٨

ص ١٤٢؛ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ج ١ ص ١٧٤.

(٢) سبل السلام، لمحمّد الكحلاني الصنعاني: ج ٢ ص ١١.

شبهات حول حديث الثقلين ٣٤٥

قسمتها، وكان عمر يرى وقفها ولم يقسمها. كذلك اختلفا في المفاضلة في العطاء، فكان أبو بكر يرى التسوية في الأعطيات، حين كان عمر يرى المفاضلة، وقد فاضل بين المسلمين في أعطياتهم. وعمر لم يستخلف، على حين استخلفه أبو بكر، كما كان بينهما اختلاف في كثير من مسائل الفقه»^(١).

يقول الألوسي (إن من اقتدى في دينه بعلي فقد اهتدى) مسلم، لكن إن سلم لنا خبر ما كان عليه علي عليه السلام، ودونه مهامه فيحكم، على أن الشائع عند أهل السنة تقديم ما عليه الشيخان. وإذا اختلفا، فما عليه الصديق؛ حيث إن النبي صلى الله عليه وآله ترقى في التخصيص إليه»^(٢).

يقول الشنقيطي: «وأما استدلالهم على تقليدهم بقول عمر لأبي بكر، رأينا لرأيك تبع، فيكفي في رده ما قدمنا قريبا، من مخالفة عمر لأبي بكر، مع القصة التي قال له فيها: رأينا لرأيك تبع، ردّ فيها على أبي بكر بعض ما قاله»^(٣).

قال ابن حزم: «ليس وجوب الشناء عليهم بموجب أن يقلدوا، إذ قد ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله أن أبا بكر وعمر - اللذين هما أفضل رجالهم بعد رسول الله - قد أخطأ. كما حدثنا حماد بن أحمد، ثنا عبد الله بن إبراهيم، ثنا أبو زيد المروزي، نا الفربري، نا البخاري، نا إبراهيم بن موسى، نا هشام بن يوسف: أن ابن جريج أخبرهم، عن ابن أبي مليكة: أن عبد الله بن الزبير أخبرهم: أنه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وآله فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زرارة، قال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس. فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافاك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في

(١) أدب الاختلاف في الإسلام، طه جابر العلواني: ص ٥٩-٦٠.

(٢) روح المعاني: ج ١ ص ٤٧.

(٣) أضواء البيان، الشنقيطي: ج ٧ ص ٣٢٧.

٣٤٦..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات: ٢)»^(١).

وقال: «وأما قوله ﷺ: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، فقد علمنا أنه ﷺ لا يأمر بما لا يقدر عليه، ووجدنا الخلفاء الراشدين بعده قد اختلفوا اختلافاً شديداً، فلا بدّ من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها: إمّا أن نأخذ بكلّ ما اختلفوا فيه، وهذا ما لا سبيل إليه، ولا يقدر عليه، إذ فيه الشيء وضده، ولا سبيل إلى أن يورث أحد الجدّ دون الإخوة بقول أبي بكر وعائشة، ويورثه الثلث فقط، وباقي ذلك للإخوة على قول عمر، ويورثه السدس وباقيه للإخوة على مذهب عليّ. وهكذا في كلّ ما اختلفوا فيه، فبطل هذا الوجه»^(٢).

وعلى هذا، فأية هذه السير هي السنة؟ وهل يمكن أن تكون كلّها سنة حاكية عن الواقع، وهل يتقبّل الواقع الواحد حكيمين متناقضين؟! وما أحسن ما ناقش الغزالي أمثال هذه الروايات بقوله: «فإنّ من يجوز عليه الغلط والسهو ولم تثبت عصمته عنه، فلا حجّة في قوله، فكيف يحتجّ بقولهم مع جواز الخطأ، وكيف تدعى عصمتهم من غير حجّة متواترة، وكيف يتصوّر عصمة قوم يجوز عليهم الاختلاف، وكيف يختلف المعصومان، كيف وقد اتّفقت الصحابة على جواز مخالفة الصحابة، فلم ينكر أبو بكر وعمر على من خالفهما بالاجتهاد، بل أوجبوا في مسائل الاجتهاد على كلّ مجتهد أن يتبع اجتهاد نفسه، فانتفاء الدليل على العصمة ووقوع الاختلاف بينهم وتصريحهم بجواز مخالفتهم، فيه ثلاثة أدلّة قاطعة»^(٣).

(١) الأحكام، ابن حزم: ج ٦ ص ٨٠٤.

(٢) المصدر نفسه: ج ٦ ص ٨٠٥.

(٣) المستصفي، الغزالي: ص ١٦٨.

شبهات حول حديث الثقلين ٣٤٧

مما تقدّم اتّضح: أنّ الخلافة الأولى لا يمكن الاقتداء بها. يقول الشوكاني: «ولا يخفّك أنّ الكلام في قول الصحابي إذا كان ما قاله من مسائل الاجتهاد، أمّا إذا لم يكن منها ودلّ دليل على التوقيف فليس ممّا نحن بصدده. والحقّ أنّه ليس بحجّة؛ فإنّ الله سبحانه لم يبعث إلى هذه الأمة إلّا نبينا محمداً ﷺ وليس لنا إلّا رسول واحد وكتاب واحد، وجميع الأمة مأمورة باتباع كتابه وسنة نبيّه، ولا فرق بين الصحابة ومن بعدهم في ذلك، فكُلّهم مكلفون بالتكاليف الشرعية وباتباع الكتاب والسنة. فمن قال إنّها تقوم الحجّة في دين الله عزّ وجلّ بغير كتاب الله وسنة رسوله وما يرجع إليهما فقد قال في دين الله بما لا يثبت، وأثبت في هذه الشريعة الإسلامية شرعاً لم يأمر الله به. وهذا أمر عظيم»^(١).

فالحديث إذا ثبت سنداً، فدلالته من خلال حديث الثقلين «إني مخلف فيكم» العترة، ومن خلال حديث «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش»^(٢)، وقد فسّر عليّ عليه السلام هذا الحديث فقال: «إنّ الأئمّة من قريش في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم ولا يصلح الولاية من غيرهم»^(٣).

(١) إرشاد الفحول، للشوكاني: ص ٢٤٤.

(٢) رواه مسلم (في صحيحه: ج ٦ ص ٤) بهذ اللفظ، وبألفاظ أخرى البخاري وأحمد والترمذي وأبو داود وغيرهم.

(٣) نهج البلاغة: ج ٢ ص ٢٧.

(٢) من هم الخلفاء الراشدون

قال ابن منظور: «وَحَلَفَ فلان فلاناً: إذا كان خَلِيفَتَهُ. يقال: خَلَفَهُ في قومه خِلافةً. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾. وَخَلَفْتُهُ أيضاً: إذا جئت بعده. ويقال: خَلَفْتُ فلاناً أَخْلَفْتُهُ تَحْلِيفاً وَاسْتَخْلَفْتُهُ أَنَا جَعَلْتُهُ خَلِيفَتِي. وَاسْتَخْلَفْتُهُ: جعله خليفة^(١). هذا لغة.

أما اصطلاحاً: يقول الراغب: «وخلف فلان فلاناً: قام بالأمر عنه إمّا معه وإمّا بعده؛ قال تعالى ﴿وَلَوْ كُنَّا جَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ (الزخرف: ٦٠)، والخلافة: النيابة عن الغير إمّا لغيبة المنوب عنه وإمّا لموته وإمّا لعجزه وإمّا لتشريف المستخلف، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض؛ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ (الأنعام: ١٦٥)، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ (فاطر: ٣٩)، وقال: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ (هود: ٥٧) والخلائف جمع خليفة، وخلفاء جمع خليف، قال تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ (ص: ٢٦)، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَةً﴾ (يونس: ٧٣)، ﴿إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ (الأعراف: ٦٩)^(٢).

في البدء لا توجد ولا رواية واحدة أن أحداً من الصحابة قد أطلق مفردة الراشد على أيّ من الخلفاء الثلاثة، وأقصد أن هذا الاصطلاح غير متعارف عندهم، بل أكثر من ذلك مفردة الخليفة وُجدت بتكلف، فقد جاء في لسان العرب عن «ابن الأثير أن أعرابياً جاء أبا بكر وقال له: أنت خليفة رسول

(١) لسان العرب: ج ٩ ص ٨٣.

(٢) مفردات الراغب: ص ١٥٦.

شبهات حول حديث الثقلين ٣٤٩

الله؟ فقال: لا. فقال: فما أنت؟ قال: أنا الخليفة بعده. قال ابن الأثير، الخليفة: الذي لا غناء ولا خير فيه. وإنها قال ذلك تواضعاً^(١).

قال العسكري في (الأوائل) «أول من سمّي خليفة أبو بكر، وخليفة الرجل: من يقوم مقامه، خلفته أخلفه خلافة، وأما الخلافة بالفتح فالحمق وقلة الخير، رجل خالف، وفي القرآن الكريم: ﴿فَأَقْصُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾، قال أبو زيد: يعني: من لا خير فيه من المنافقين»^(٢).

عجباً لابن الأثير، وهل من التواضع أن يصف الإنسان نفسه بالحمق والنفاق وهو خليفة سيّد الكائنات.

والذي يظهر من التعريف اللغوي أنّ الخليفة هو من يُنصب من قبل المستخلف خلفاً له على قومه، وأكداً هذا لم يكن.

وكذا في الاصطلاح لأنّه هو من يقوم بالأمر نيابةً عن المستخلف بناءً على تخليفه إياه، وهذا أيضاً غير صادق على الخلافة الأولى.

وعليه فالذي اصطلح على أبي بكر، فمن باب التسامح أو التوسّع في الاصطلاح، ولذا حينما سُئِلَ (أنفاً) أجاب بالنفي، لعلمه أنّه لم يُنصب من قبل النبي ﷺ.

«وقالت الصحابة لأبي بكر: خليفة رسول الله، وبذلك كان يدعى مدّته. فلما ولي عمر قالوا: خليفة خليفة رسول الله»^(٣).

ولو أنّها كانت تعني المفهوم الاصطلاحي، لكان سمّي أبو بكر إماماً، وأميراً للمؤمنين، نظراً لتداخل معاني هذه الكلمات في الاعتبار الشرعي

(١) ينظر لسان العرب: ج ٩ ص ٨٩.

(٢) الأوائل، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري: ص ١٤٥.

(٣) تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي: ج ٧ ص ٣٧٨.

٣٥٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

والاصطلاح، ويعزز ذلك ما أكده المؤرخون من أن أول من سمى نفسه أمير المؤمنين من الخلفاء بعد وفاة الرسول ﷺ هو عمر بن الخطاب. وكان عدي بن حاتم أول من سمّاه بها، وأول من سلّم عليه بها: المغيرة بن شعبة. وأول من دعا له بهذا الاسم على المنبر: أبو موسى الأشعري. فلما قرأها على عمر قال: «إني لعبد الله وإني لعمر وإني لأمير المؤمنين، والحمد لله رب العالمين»^(١).

وأقصد أنّها وجدت بتكلف؛ لما فيه من حرج لمن يطلقها على نفسه، إذ سبق أن قرّر في وجدان المسلمين أنّ الخلافة أمر يقرّره النصّ، لأنّها ملازمة للإمارة التي سبق أن أوضحنا رأي الرسول ﷺ فيها منذ البداية، عندما عرض نفسه على بني عامر بن صعصعة قائلاً: «الأمر لله يجعله حيث يشاء»^(٢). ولأنّ الخلافة ظلّت من اختصاص الإمام عليّ عليه السلام لما استحقّها بمؤازرته^(٣).

(١) ينظر الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٣ ص ١١٥؛ كنز العمال: ج ١٢ ص ٥٧٦؛ روح المعاني: ج ٢٣ ص ١٨٦؛ طبقات ابن سعد: ج ٣ ص ٢٨١؛ أسد الغابة: ج ٤ ص ٧١ وغيرها.

(٢) ينظر: البداية والنهاية: ج ٣ ص ١٧٢.

(٣) «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» (صحيح البخاري رقم ٣٧٠٦ ورقم ٤٤١٦؛ صحيح مسلم: ج ٤ ص ١٨٧٠ رقم ٢٤٠٤؛ مسند أحمد: ج ١ ص ١٧٥ و ١٨٢؛ سنن الترمذي: ج ٥ ص ٦٣٨ رقم ٣٧٢٤؛ سنن ابن ماجه: ج ١ ص ١١٥؛ خصائص النسائي: ص ٧٠؛ مسند أبي داود: ج ١ ص ٢٨ رقم ٢٠٩؛ مشكل الآثار: ج ٢ ص ٣٠٩؛ المعجم الكبير: ج ١٢ ص ٩٩؛ المعجم الصغير: ج ٢ ص ٢٢؛ طبقات ابن سعد: ج ٣ ص ٢٤؛ شرح السنّة: ج ٨ ص ٨٥ رقم ٣٩٠٦؛ صفوة الصفوة: ج ١ ص ٣١٢؛ تاريخ بغداد: ج ١١ ص ٤٣٢؛ سيرة ابن هشام: ج ٤ ص ١٦٢؛ السنن الكبرى: ج ٩ ص ٤٠؛ دلائل النبوة، للبيهقي، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وِزيراً مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (طه: ٣٢) تهذيب التهذيب: ج ٧ ص ٢٩٦؛ العقد الفريد: ج ٥ ص ٦١؛ مناقب

شبهات حول حديث الثقلين ٣٥١

فهي اصطلاحاً كانت من اختصاصه منذ واقعة الإنذار بيوم الدار^(١) وبعدها حديث الثقلين وحديث الغدير^(٢).

وهناك قرينة أخرى تصرف هذا العنوان عن الخلفاء الأربعة بهذا الترتيب، وهو ما نقله أهل الصحاح من أنّ الخلفاء الذين أوصى بهم الرسول ﷺ باقتفاء آثارهم، والذين ربط خير الأمة بإمامتهم، كانوا أكثر من أربعة. لقد ذكر عليه الصلاة والسلام اثنا عشر منهم بعدد نقباء بني إسرائيل، وتواتر ذلك.

ومن جانب آخر، ذكر الحديث أنّ خلفاء مهديّون. ومفاده: أنّ خلفاءه بلغوا من التمسك بالسنة حدّاً باتوا فيه مهديّين جميعاً. وواقع الخلفاء يثبت عكس ذلك. فكيف يكونون مهديّين وقد اختلفوا بينهم أشدّ الاختلاف وطعن بعضهم في بعض كما قدّمنا.

الحوارزمي: ص ٨.

(١) «إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا». (أخرجه الهندي في كنز العمال وابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي في سننه وفي دلائله والبغوي في تفسيره والثعلبي والطبري في تفسير سورة الشعراء في تفسيره الكبيرين وأخرجه الطبري أيضاً في كتابه تاريخ الأمم والملوك وأرسله ابن الأثير إرسال المسلّمات في الجزء الثاني من كامله وابن أبي الفداء في المختصر.

(٢) حديث بريدة، وله عنه ثلاث طرق، الأولى: عن ابن عباس عنه قال: «خرجت مع عليّ ﷺ إلى اليمن فرأيت منه جفوة، فقدمت على النبي ﷺ فذكرت عليّاً فتنقّصته، فجعل رسول الله ﷺ يتغيّر وجهه، فقال: يا بريدة! ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه، فعليّ مولاه». (أخرجه الحاكم: ج ٣ ص ١١٠؛ مسند أحمد: ج ٥ ص ٣٤٧، من طريق عبد الملك بن أبي غنية قال: أخبرنا الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قلت: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، وتصحيح الحاكم على شرط مسلم وحده (سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني: ج ٤ ص ٣٣٦-٣٣٧).

٣٥٢..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

إن مقتضى حديث الرسول ﷺ إن صح، هي مطابقة سنة الراشدين لسنته ﷺ مطابقة لا تخالف الشرع في شيء، ولو أن الخلفاء أو من فهم ذلك من أمرهم أدركوا أنهم مهديون جميعاً وأن سنة واحد منهم كثانيهم فثالثهم.

ولو كانت واحدة إذن لما جعلوها شرطاً لعلّي ﷺ عند استخلاف عمر بن الخطاب للسنة من أصحابه، عندما عرضوا عليه الخلافة على أساس شرط اتباع سنة الرسول ﷺ وسيرة الشيخين^(١)، فأبى إلا سنة الرسول ﷺ. وقد رفضوا على الإمام عليّ ﷺ تمسكه بسنة الرسول ﷺ وحدها. فهذا إن دلّ فإنها يدلّ على أن سنة الشيخين كانت تعني شيئاً زائداً على سنة رسول الله ﷺ بحسب فهم الإمام عليّ ﷺ وهي شهادة راشديّ معاصر لهم.

وقد كان عمر بن الخطاب قد خلف وراءه سنة، منهم طلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد، وكان من المحتمل أن يكون أحدهم هو الرابع دون عليّ أو عثمان، وكان من المحتمل أن لا يكون عليّاً أو عثمان، ويكون طلحة أو سعداً، فهل هذا بدء في اعتبار الخلفاء الراشدين هم الأربعة المذكورين أم ماذا؟! بل هو دليل على انعدام هذا الفهم المدّعى للخلافة الراشدة عند الأوائل.

ولو كان عمر بن الخطاب يعرف أن الراشدين هم هؤلاء الأربعة، إذن لماذا لم يحتج يوم السقيفة بهذا الفهم، بدل خبط الناس وإجبارهم على البيعة^(٢)،

(١) هل أنت مباعي على كتاب الله وسنة نبيه، وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقي. (ينظر تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٢٩٧؛ الكامل لابن الأثير: ج ٣ ص ٧١؛ البداية والنهاية: ج ٧ ص ١٦٥؛ تاريخ الإسلام: ج ٣ ص ٣٠٥).

(٢) عن ابن عباس قال: بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى عليّ حين قعد عن بيعته وقال: ائني به، فلما أتاه جرى بينهما كلام، فقال عليّ: ما نفس على أبي بكر هذا الأمر، لكننا أنكرنا ترككم مشاورتنا. فقال عمر: إنك لست متروكاً حتى تباع، فقال له عليّ: احلب يا عمر حلباً

شبهات حول حديث الثقلين ٣٥٣

وأحال الأمر إلى العدد وترتيب حديث الراشدين؟!
ومما يدلّ على فقر هذه الرواية في اعتبار المدعى منها، أنّها لم تكن على ذات الانتشار والقوّة في عهد الرسول ﷺ إذ لو أنّها كانت كذلك، لما لجأ عمر بن الخطّاب إلى غيرها من الشعارات المقويّة لرأيه في تنصيب أبي بكر خلفاً للرسول ﷺ، ولو كانت على نفس الوضوح لما حدث صراع بين المسلمين في موضوع الخلافة الأولى.

لقد رفض عليّ ؑ بيعته أبي بكر وعمر وعثمان. ولو كان يعرف ذلك الحديث ما انصرف فهمه إلى ذلك ولما خالفه. ولو كان هذا الفهم سائداً، لما عدّ عمر خلافة أبي بكر فلتة توجب القتل^(١).

إنّ هذه القرائن جميعها تدلّ بما لا يدع مجالاً للشكّ، بأنّ المرّوجين لهذه الادّعاءات كانوا على اتّصال باللعبة السياسيّة للخلفاء الأمويّين، وجاءت بعد

لك شطره! أشد له اليوم أمره ليردّ عليك غداً! ألا والله لا أقبل قولك ولا أبيعه، فقال له أبو بكر: فإن لم تبايعني لم أكرهك (ينظر: أنساب الأشراف: ج ١ ص ٥٨٧؛ رواه ابن قتيبة أيضاً في تاريخ الخلفاء: ج ١ ص ١٢؛ الجوهرى في السقيفة: ص ٦٣؛ شرح النهج، لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ١١. وأيضاً قصّة كبس بيت فاطمة لأخذ البيعة ممّن فيه، رواها الطبراني في معجمه: ج ١ ص ٦٢؛ مجمع الزوائد: ج ٥ ص ٢٠٣؛ سير أعلام النبلاء: ص ١٧؛ تاريخ الإسلام: ج ١ ص ١١٧ و ١١٨؛ العقد الفريد: ج ٤ ص ٢٦٨؛ تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ١٣٧؛ الإمامة والسياسة: ج ١ ص ١٨؛ تاريخ الأمم والملوك: ج ٣ ص ٤٣٠؛ مروج الذهب: ج ١ ص ٤١٤ و ج ٢ ص ٣٠١؛ شرح نهج البلاغة، للمعتزلي: ج ١ ص ١٣٠ و ج ١٧ ص ١٦٤ و ص ١٦٨ و ج ٢ ص ٤٦ و ص ٤٧ و ج ٢٠ ص ١٧-٢٤؛ كنز العمال: ج ٣ ص ١٢٥ و ج ٥ ص ٦٣١ و ٦٣٢؛ تاريخ ابن عساكر ترجمة أبي بكر؛ مختصر تاريخ دمشق: ج ١٣ ص ١٢٢ وغير ذلك.

(١) «كانت بيعته أبي بكر فلتة وقى الله شرّها، فمن عاد لمثلها فاقتلوه». (تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ١٥٨).

انتهاء الخلافة الأولى بكثير.

وعليه فإنّ المدعى في ذلك مردود؛ لكون المغزى من ذلك مشروطاً بخير الأمة وعدم تصارعها وعدم تضارب سنتهم، وما قدّمنا من أحداث يؤكّد تضارب سنة الراشدين.

ولأنّ هذه الخلافة كما تقدّم متعلّقة بأهل البيت عليهم السلام، وأنّ عدد الخلفاء اثنا عشر، وبعد أن تبيّن لنا الاضطراب الشديد الذي لفّ ما ادّعوه من أنّ الراشدية تنطبق على الأربعة، وبأنّ ذلك تعسّف ثقيل على مغزى الحديث، ومدعى أضيق من معناه، يجدر بنا التعرّف على المغزى الحقيقي له بما ينطبق مع واقع الخلافة.

في البدء، لا بدّ من الاتفاق على أنّ الخلافة أمرٌ خاضع للجعل الشرعي، (بدلالة حديث الثقلين) وخارج عن نطاق الاختيار، وعلى هذا الأساس، فإنّ الخلافة تبقى خارج نطاق العصبية والغلبة، وإلاّ أصبح معيار الإمامة هو الغلبة والعصبية، كما فهمها الكثير من السلف، ومنهم ابن عمر، فقد روي عنه «أنّه كان في زمن الفتنة لا يأتي أمير إلاّ صلّى خلفه وأدى إليه زكاة ماله» ومثله عن سيف المازني «كان ابن عمر يقول: لا أقاتل في الفتنة وأصلّي وراء من غلب»^(١).

إنّ الخلافة كالإمامة شأنٌ ديني، نابعٌ من صميم الفرد وإمكانياته الذاتية، سواء أمارس الخلافة وتحقّقت له الغلبة أم لا. إنّها شأن يقاس بالنبوة في معنى الاختصاص، من حيث إنّ النبوة ما دامت اختياراً مولوياً لا شأن للبشر فيه، فهي تثبت مع الغلبة ودونها. فالنبي صلى الله عليه وآله لا يلغي نبوته افتقاره للعصبية والغلبة، فهو نبيّ سواء احتضنه قومه أو رفضوه. والإمامة على ذلك النحو

(١) إرواء الغليل، للألباني، وأسنادهما صحيح: ج ٢ ص ٣٠٣.

شبهات حول حديث الثقلين ٣٥٥

أمرٌ لا يلغيه افتقاد العصبية.

إنّ الذي جعل بعض العلماء يحاولون المستحيل في تأويل حديث الراشدين، لجعله منسجماً مع واقع الخلفاء الفعليين، كان بسبب اعتقادهم بالمعيار «العصباني» حسب تعبير ابن خلدون^(١).

وعليه، فإنّ معنى الراشدية ينصرف إلى أوصياء أهل البيت عليهم السلام لما اشتملت عليه سيرتهم من قرائن تعزز المدعى، ولما ثبت لدينا من توافق سيرتهم مع مواصفات الخلفاء الراشدين المقصودين في معنى الحديث السابق. وأهمّ تلك القرائن: العلم، والهداية، والعدد. وسوف نعمل على توضيح هذه القرائن بمزيد من التفصيل والوضوح ليتبين: أنّ كلّ تلك القرائن دالة على انصراف معنى الحديث إليهم، وأنّ جلّ تلك القرائن لا يتوفّر عليها تيار العصبية، الذي لم يكن في مستوى مضمون الحديث، بل المعنى الذي تعارفت عليه العامة فيما بعد العصر الأموي كان إسقاطاً متعسفاً وطرحاً مفتعلاً.

(١) ينظر مقدّمة ابن خلدون: ج ١ ص ١٣٠ وما بعدها.

(٣) حديث «الاثني عشر» وتفسيرات علماء المسلمين له

يقول السيّد كمال الحيدري: «وهو من الأحاديث المتواترة بين الفريقين، وأخرجته جملة من المصادر المعتبرة بين الفريقين بصياغاتٍ متعدّدة»^(١) منها:

١. صحيح البخاري

أخرج البخاري في صحيحه: عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكون اثنا عشر أميراً» فقال كلمة لم أسمعها، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلهم من قريش»^(٢).

٢. صحيح مسلم

• أخرج مسلم في صحيحه: عن حصين، عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي علي النبي ﷺ فسمعتة يقول: «إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة»، ثمّ تكلم بكلام خفي عليّ، قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلهم من قريش».

• وعن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً»، ثمّ تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت عليّ، فسألت أبي: ماذا قال رسول الله ﷺ؟ فقال: «كلهم من قريش».

• وعن سماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، ثمّ قال

(١) علم الإمام، للسيّد كمال الحيدري.

(٢) صحيح البخاري: ص ١٢٧٥، كتاب الحكام، باب ٢٥.

كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: «كلهم من قريش».

• وعن الشعبي عن جابر بن سمرة قال: قال النبي ﷺ: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، ثم تكلم بشيء لم أفهمه، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: «كلهم من قريش».

• وعن الشعبي عن جابر بن سمرة قال: انطلقت إلى رسول الله ﷺ ومعني أبي فسمعتة يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة»، فقال كلمة صمّنها الناس، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلهم من قريش».

• وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع: أن أخبرني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ، قال: كتب إلي: سمعت رسول الله ﷺ يوم جمعة عشية رجم الأسلمي يقول: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش...»^(١).

٣. سنن أبي داود

• أخرج أبو داود في سننه: عن إسماعيل - يعني ابن أبي خالد - عن أبيه عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه [عليهم] الأمة»، فسمعت كلاماً من النبي ﷺ لم أفهمه، فقلت لأبي: ما يقول؟ قال: «كلهم من قريش».

أورده الألباني في (صحيح سنن أبي داود) وقال: صحيح ق دون قوله: «تجتمع عليه الأمة». أي أنّ عبارة «كلهم تجتمع عليه الأمة» لم تصح عنه ﷺ.

• وعن عامر عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة». قال: فكبر الناس وضجوا، ثم قال

(١) صحيح مسلم: ج ٣ ص ٣٦٥-٣٦٧، كتاب الإمارة: باب الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش.

٣٥٨..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

كلمة خفيفة [خَفِيَّة]. قلتُ لأبي: يا أبتَ ما قال؟ قال: «كلهم من قريش».
أورده الألباني في (صحيح سنن أبي داود) وقال: صحيح.

٤. سنن الترمذي

أخرج الترمذي في سننه: عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة، قال:
قال رسول الله ﷺ: «يكونُ منْ بعدي اثنا عشر أميراً»، قال: ثمَّ تكلمَ بشيءٍ لم
أفهمه، فسألتُ الذي يليني، فقال: «كلهم من قريش». قال أبو عيسى (الترمذي): هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.
وأورده الألباني في (صحيح سنن الترمذي) وقال: صحيح^(١).

٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل

• أخرج أحمد في مسنده: عن سماك قال: سمعت جابر بن سمرة يقول:
سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»
فقال كلمة لم أفهمها، قال: قلت لأبي: ما قال؟ قال: قال: «كلهم من قريش».
قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح^(٢).
وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناده حسن من أجل
سماك، وهو ابن حرب^(٣).
• وعن عامر قال: حدّثني جابر بن سمرة السوائي قال: خطبنا رسول الله
ﷺ فقال: «إنّ هذا الدين لا يزال عزيزاً إلى اثني عشر خليفة» قال: ثمَّ تكلم
بكلمة لم أفهمها وضجّ الناس، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلهم من قريش».
قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح^(٤).

(١) صحيح سنن الترمذي: ج ٢ ص ٤٨٤.

(٢) مسند أحمد: ج ١٥ ص ٣٣٩ ح ٢٠٧٣.

(٣) مسند أحمد: ج ٣٤ ص ٤٢٧-٤٢٨ ح ٢٠٨٣٨.

(٤) مسند أحمد: ج ١٥ ص ٣٤٨ ح ٢٠٧٦٩.

شبهات حول حديث الثقلين ٣٥٩

وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم^(١).

• وعن عامر - يعني الشعبي - عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة» فكبر الناس وضجوا وقال كلمة خفيت، قلت لأبي: يا أبت ما قال؟ قال: «كلهم من قريش».

قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح^(٢).

وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناده حسن في المتابعات والشواهد^(٣).

• وعن الشعبي قال: سمعت جابر بن سمرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً منصوراً على من ناوأهم عليه إلى اثني عشر خليفة».

قال جعل الناس يقومون ويقعدون.

قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح^(٤).

قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم^(٥).

• وعن سالك، ثنا جابر بن سمرة يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة» فقال كلمة لم أفهمها، قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلهم من قريش».

قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح^(٦).

وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناده حسن من أجل

(١) مسند أحمد: ج ٣٤ ص ٤٤٩ ح ٢٠٨٧٩.

(٢) مسند أحمد: ج ١٥ ص ٣٦١ ح ٢٠٨٢٤.

(٣) مسند أحمد: ج ٣٤ ص ٤٧٢ ح ٢٠٩٢٧.

(٤) مسند أحمد: ج ١٥ ص ٣٦٤ ح ٢٠٨٣٥.

(٥) مسند أحمد: ج ٣٤ ص ٤٧٧ ح ٢٠٩٣٩.

(٦) مسند أحمد: ج ١٥ ص ٣٦٧ ح ٢٠٨٤٧.

٣٦٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

سماك^(١).

• وعن الشعبي عن جابر بن سمرة قال: كنت مع أبي - أو مع ابني - قال: وذكر النبي ﷺ فقال: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً منيعاً ينصرون على من ناوهم عليه إلى اثني عشر خليفة» ثم تكلم بكلمة أصمّنيها الناس، فقلت لأبي - أو لابني - : ما الكلمة التي أصمّنيها الناس، قال: «كلهم من قريش».

قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح^(٢).

قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين^(٣).

• وعن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال: جئت أنا وأبي إلى النبي ﷺ وهو يقول: «لا يزال هذا الأمر صالحاً حتى يكون اثنا عشر أميراً» ثم قال كلمة لم أفهمها، قلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلهم من قريش».

قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح^(٤).

وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين^(٥).

٦. صحيح ابن حبان

أخرج ابن حبان في صحيحه: أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع، قال: حدثنا هُدبة بن خالد، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن سماك بن حرب، قال: سمعتُ جابر بن سمرة يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة». قال: فقال كلمة لم أفهمها، قلت لأبي: ما قال؟

(١) مسند أحمد: ج ٣٤ ص ٤٨٢-٤٨٣ ح ٢٠٩٥١.

(٢) مسند أحمد: ج ١٥ ص ٣٧٠ ح ٢٠٨٦٢.

(٣) مسند أحمد: ج ٣٤ ص ٤٩٠ ح ٢٠٩٦٦.

(٤) مسند أحمد: ج ١٥ ص ٣٨٦ ح ٢٠٩٣٧.

(٥) مسند أحمد: ج ٣٤ ص ٥٢٥ ح ٢١٠٣٩.

شبهات حول حديث الثقلين ٣٦١

قال: «كلّهم من قریش».

قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن على شرط مسلم^(١).

وبعد ذكر هذا الحديث الشريف بعدة ألفاظ وردت في الصحيحين وفي غيرهما كسنن أبي داود وسنن الترمذي ومسنند أحمد بن حنبل، ينبغي لكل مسلم أن يسأل نفسه هذا السؤال: من هم الخلفاء الاثنا عشر الذين يبقى الإسلام عزيزاً منيعاً بهم حتى تقوم الساعة؟ وما هي صفاتهم التي تجعلهم قادرين على حفظ الدين إلى قيام الساعة؟

هذا، فضلاً عما ورد من الأحاديث الكثيرة والمتواترة عن النبي ﷺ من طرق أهل البيت عليه السلام التي تصدّت لتعيين المراد من الخلفاء الاثني عشر، كما سيأتي.

يقول السيّد كمال الحيدري: قدّم علماء المسلمين من أهل السنّة وجوهاً متعدّدة لتفسير هذه الروايات تفسيراً ينسجم مع الخصوصيات والمواصفات التي ذكرت لهؤلاء الخلفاء، لكنّها في الأعمّ الأغلب لم تستطع أن تعطي التفسير الذي يمكن انطباقه على هذه الروايات، وهذا ما نجده بشكل واضح في جملة من كلمات علماء السنّة، وكنموذج على ذلك نحاول الوقوف على بعض تلك الوجوه:

آراء علماء أهل السنّة في تحديد الخلفاء الاثني عشر

لقد عجز علماء أهل السنّة عن تحديد مقصود النبي الأكرم ﷺ من هذا الحديث، وتضاربت أقوالهم فيه، ولكنهم يتفقون تقريباً على أن أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية من الخلفاء الاثني عشر، وأغلبهم يشمل يزيد بن معاوية،

(١) صحيح ابن حبان: ج ١٥ ص ٤٤ ح ٦٦٦٢.

٣٦٢..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

ويجعله من الخلفاء الاثني عشر، ثم حكام بني أمية، واختلفوا فيهم كثيراً،
وسنعرض أقوالهم في تحديد الخلفاء الاثني عشر:

١. الحافظ ابن حجر العسقلاني

قال في (فتح الباري): «فالأولى أن يحمل قوله: (يكون بعدي اثنا عشر خليفة) على حقيقة البعدية، فإن جميع من ولي الخلافة من الصديق إلى عمر بن عبد العزيز أربعة عشر نفساً، منهم اثنان لم تصح ولايتها ولم تطل مدتها وهما: معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم، والباقون اثنا عشر نفساً على الولاء كما أخبر ﷺ، وكانت وفاة عمر بن عبد العزيز سنة إحدى ومائة، وتغيرت الأحوال بعده، وانقضى القرن الأول الذي هو خير القرون، ولا يقدر في ذلك قوله: (يجتمع عليهم الناس) لأنه يحمل على الأكثر الأغلب، لأن هذه الصفة لم تفقد إلا في الحسن بن عليّ وعبد الله بن الزبير مع صحّة ولايتهما، والحكم بأن من خالفهما لم يثبت استحقاقه، إلا بعد تسليم الحسن وبعد قتل ابن الزبير، والله أعلم.

وكانت الأمور في غالب أزمنة هؤلاء الاثني عشر منتظمة، وإن وجد في بعض مدّتهم خلاف ذلك فهو بالنسبة إلى الاستقامة نادر، والله أعلم^(١).

على هذا: فالخلفاء الاثني عشر في رأي ابن حجر العسقلاني هم:

- ١- أبو بكر.
- ٢- عمر بن الخطّاب.
- ٣- عثمان بن عفّان.
- ٤- عليّ بن أبي طالب.
- ٥- الحسن بن عليّ.

(١) فتح الباري: ج ١٣ ص ٢٦٥.

- ٦- معاوية بن أبي سفيان.
- ٧- يزيد بن معاوية.
- ٨- عبد الله بن الزبير.
- ٩- عبد الملك بن مروان.
- ١٠- الوليد بن عبد الملك.
- ١١- سليمان بن عبد الملك.
- ١٢- عمر بن عبد العزيز.

٢. الحافظ جلال الدين السيوطي

قال في (تاريخ الخلفاء): «قلت: وعلى هذا فقد وُجد من الاثني عشر خليفة الخلفاء الأربعة، والحسن، ومعاوية، وابن الزبير، وعمر بن عبد العزيز، هؤلاء ثمانية، ويحتمل أن يضم إليهم المهدي من العباسيين؛ لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية، وكذلك الظاهر لما أوتيه من العدل، وبقي الاثنان المنتظران أحدهما المهدي لأنه من آل بيت محمد ﷺ»^(١).

فالخلفاء الاثنا عشر في رأي السيوطي هم:

- ١- أبو بكر.
- ٢- عمر بن الخطاب.
- ٣- عثمان بن عفان.
- ٤- علي بن أبي طالب.
- ٥- الحسن بن علي.
- ٦- معاوية بن أبي سفيان.
- ٧- عبد الله بن الزبير.
- ٨- عمر بن عبد العزيز.

(١) تاريخ الخلفاء: ص ٢٧، فصل في مدّة الخلافة في الإسلام.

- ٩- المهدي بالله محمد بن الواثق بن المعتصم.
- ١٠- الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله.
- ١١- المهدي المنتظر.
- ١٢- منتظر آخر مجهول.

٣. الحافظ ابن كثير الدمشقي

قال في (النهاية في الفتن والملاحم): «وليس المراد من هؤلاء الاثني عشر الذين تابعت ولايتهم سرداً إلى أثناء دولة بني أمية؛ لأنّ حديث سفينة: (الخليفة بعدي ثلاثون سنة) يمنع من هذا الملك، وإن كان البيهقي قد رجّحه، وقد بحثنا معه في كتاب (دلائل النبوة) في كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته والله الحمد، ولكن هؤلاء الأئمة الاثني عشر وجد منهم الأئمة الأربعة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ وابنه الحسن بن عليّ أيضاً، ومنهم عمر بن عبد العزيز كما هو عند كثير من الأئمة وجمهور الأئمة والله الحمد، وكذلك وجد منهم طائفة من بني العباس، وسيوجد بقيّتهم فيما يستقبل من الزمان حتى يكون منهم المهديّ المبشّر به في الأحاديث الواردة، كما سيأتي بيانها، وبالله المستعان وعليه التكلان، وقد نصّ على هذا الذي بيّناه غير واحد كما قرّرنا ذلك»^(١).

لقد صرّح ابن كثير في هذا النصّ بأسماء بعض الخلفاء الذين يعتقد أنّهم من مصاديق حديث الاثني عشر، وعدّ منهم: أبو بكر، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، عليّ بن أبي طالب، الحسن بن عليّ، عمر بن عبد العزيز، المهديّ الذي يخرج في آخر الزمان (وهو آخرهم)، فهؤلاء سبعة، ولم يحدّد ابن كثير من هم الخمسة الباقون، بل اكتفى بقوله أنّه وجد منهم طائفة من بني العباس، وإنّه سيكون بعضهم فيما يستقبل من الزمان.

(١) النهاية في الفتن والملاحم: ص ١١-١٢.

٤. ابن الجوزي

ذكر في كتابه (كشف المشكل من حديث الصحيحين) ثلاثة أوجه لحديث الاثني عشر خليفة، وصرّح قبل ذكر الأوجه الثلاثة بأنهم لم يجدوا أحداً وقع على المقصود به، حيث قال: «هذا الحديث قد أطلت البحث عنه، وطلبت من مظانّه، وسألت عنه، فما رأيت أحداً وقع على المقصود به، وألفاظه مختلفة لا أشكُّ أنّ التخليط فيها من الرواة، وبقيتُ مدّة لا يقع لي فيه شيء، ثمّ وقع لي فيه شيء فسطّرتّه، ثمّ رأيت أبا سليمان الخطّابي قد أشار إلى ما وقع لي، ثمّ وقع إليّ كلامُ لأبي الحسين بن المنادي على هذا الحديث على وجه آخر، ثمّ وقع لي حديث يدلّ على وجه ثالث، وها هنا أذكر الوجوه الثلاثة...»^(١).

إذن هناك ثلاثة وجوه مختلفة لهذا الحديث ذكرها ابن الجوزي في كتابه، الوجه الأوّل قاله الخطّابي، والوجه الثاني لأبي الحسين بن المنادي، والوجه الثالث لم ينسبه ابن الجوزي إلى أحد العلماء، وقال أنّه وجد حديثاً يدلّ عليه، ولم نجد في كلامه ما يدلّ على ترجيحه لأحد الوجوه الثلاثة، وسنذكر هذه الوجوه مع التعليق على كل وجه بعد ذكره مباشرة:

٥. الخطّابي

قال ابن الجوزي في بيان الوجه الأوّل: «أمّا الوجه الأوّل الذي وقع لي ثمّ رأيت من كلام الخطّابي ما يوافقّه: فهو أنّ رسول الله ﷺ أشار به إلى ما يكون بعده وبعد أصحابه، لأنّ حكم أصحابه مرتبط بحكمه، فأخبر عن الولايات الواقعة بعد ذلك، وأنها تتمُّ لأربابها في هذه المدّة، ثمّ تنتقل الإمارة، وكأنّه أشار بذلك إلى مدّة ولاية بني أميّة، فيكون مراده بقوله: (لا يزال الدين) يعني الولاية والملك، إلى أن يذهب اثنا عشر خليفة، ثمّ تنتقل الإمارة، وهذا

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي: ج ١ ص ٤٢.

٣٦٦..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

على شرح الحال في استقامة السلطنة لا على طريق المدح لولاية بني أمية.
فأول القوم يزيد بن معاوية، ثم ابنه معاوية بن يزيد - ولا يذكر ابن الزبير
لكونه معدوداً في الصحابة، ولا مروان بن الحكم لكونه بويح له بعد بيعه ابن
الزبير، وكان ابن الزبير أولى منه، فكان هو في مكان غاصب - ثم عبد الملك،
ثم الوليد، ثم سليمان، ثم عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم
هشام بن عبد الملك، ثم الوليد بن يزيد، ثم يزيد بن الوليد بن عبد الملك، ثم
إبراهيم بن الوليد، ثم مروان بن محمد، فهؤلاء اثنا عشر، ثم خرجت الخلافة
منهم وانتقلت إلى بني العباس^(١).

وبناء على هذا القول الذي وقع لابن الجوزي وقال به الخطابي، فالخلفاء

الاثنا عشر هم:

- ١- يزيد بن معاوية.
- ٢- معاوية بن يزيد.
- ٣- عبد الملك بن مروان.
- ٤- الوليد بن عبد الملك.
- ٥- سليمان بن عبد الملك.
- ٦- عمر بن عبد العزيز.
- ٧- يزيد بن عبد الملك.
- ٨- هشام بن عبد الملك.
- ٩- الوليد بن يزيد بن عبد الملك.
- ١٠- يزيد بن الوليد بن عبد الملك.
- ١١- إبراهيم بن الوليد.
- ١٢- مروان بن محمد.

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين: ج ١ ص ٤٥٠.

٦. أبو الحسين بن المنادي^(١)

أمّا الوجه الثاني من الوجوه التي ذكرها ابن الجوزي، وهو قول أبي الحسين بن المنادي، فقد قال فيه: «وأمّا الوجه الثاني الذي ذكره أبو الحسين بن المنادي في هذا الحديث فإنّه قال في قوله (يكون بعدي اثنا عشر خليفة): هذا إنّما يكون بعد موت المهديّ الذي يخرج في أواخر الزمان. قال: وقد وجدنا في كتاب (دانيال): إذا مات المهدي ملك خمسة رجال وهم من ولد السبّط الأكبر يعني ابن الحسن بن عليّ، ثم يملك بعدهم خمسة رجال من ولد السبّط الأصغر، ثم يوصي آخرهم بالخلافة لرجل من ولد السبّط الأكبر فيملك، ثم يملك بعده ولده، فيتمّ بذلك اثنا عشر ملكاً كل واحد منهم إمامٌ مهديّ.

قال ابن المنادي: ووجدنا في رواية أبي صالح عن ابن عباس أنّه ذكر المهديّ فقال: اسمه محمّد بن عبد الله، وهو رجل ربعةٌ مُشربٌ حمرة، يفرّج الله به عن هذه الأمة كلّ كرب، ويصرف بعدله كلّ جور، ثم يلي الأمر بعده اثنا عشر رجلاً، خمسين ومائة، فسنة من ولد الحسن، وواحد من ولد عقيل بن أبي طالب، وخمسة من ولد الحسين، ثم يموت فيفسد الزمان ويعود المنكر.

قال: وقال كعب الأخبار: يكون اثنا عشر مهديّاً، ثم ينزل روح الله فيقتل الدجال. قال: وكأنّه أشار بقوله لا مهديّ إلا عيسى، يعني: لا نبيّ يظهر سواه^(٢).

(١) الإمام المقرئ الحافظ أبو الحسين، أحمد بن جعفر بن المحدث، أبي جعفر محمد بن عبيد الله بن أبي داود بن المنادي البغدادي صاحب التوالمف. ولد سنة ٢٥٧ هـ تقريباً، وتوفي سنة ٣٣٦ هـ. قال الداني: مقرئ جليل غاية في الإتقان، فصيح اللسان عالم بالآثار، نهاية في علم العربية، صاحب سنّة، ثقة مأمون. كان صلب الدين، شرس الأخلاق، فلذلك لم تنتشر عنه الرواية، وقد صنّف أشياء وجمع. (ينظر سير أعلام النبلاء: ج ١٥ ص ٣٦١؛ تاريخ بغداد: ج ٤ ص ٦٩).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين: ج ١ ص ٤٥٣-٤٥٤.

٣٦٨..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

وهذا الرأي لأبي الحسين بن المنادي مخالف لجميع الأقوال، فهو يرى أنّ الخلفاء الاثني عشر كلّهم سيكونون بعد موت المهدي، ممّا يعني خروج الخلفاء الأربعة وخلفاء بني أمية من الحديث، وخروج المهدي المنتظر الذي عدّه بعض علماء أهل السنة كابن كثير والسيوطي.

٧. أبو الجلد

أمّا الوجه الثالث الذي ذكره ابن الجوزي فقال فيه: «والوجه الثالث: أنّه أراد وجود اثني عشر خليفة في جميع مدّة الخلافة إلى يوم القيامة، يعملون بالصواب وإن لم تتوال أيامهم، فقد يكون الرجل عادلاً، ويأتي بعده من يجور، ثمّ يأتي بعد مدّة من يعدل، فيتّم عدل الاثني عشر إلى يوم القيامة. ويدلّ على هذا الوجه ما أخبرنا به أبو منصور عبد الرحمن بن محمّد القرّاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت قال: أخبرنا عليّ بن أحمد بن عمر المقرئ قال: حدّثنا محمّد بن عبد الله الشافعي قال: حدّثنا معاذ بن المثنيّ قال: حدّثنا مسدّد قال: حدّثنا يحيى بن أبي يونس قال: حدّثنا أبو بحر أن أبا المجلّد حدّثه وحلف عليه: أنّه لا تهلك هذه الأمة حتّى يكون فيها اثنا عشر خليفة كلّهم يعمل بالهدى ودين الحقّ، منهم رجلان من أهل بيت النبي ﷺ، يعيش أحدهما أربعين سنة والآخر ثلاثين سنة»^(١).

وقال ابن كثير في (البداية والنهاية): «وقد روى البيهقي من حديث حاتم بن أبي صغيرة عن أبي بحر قال: كان أبو الجلد جاراً لي، فسمعتة يقول يحلف عليه: أنّ هذه الأمة لن تهلك حتّى يكون فيها اثنا عشر خليفة كلّهم يعمل بالهدى ودين الحقّ، منهم رجلان من أهل البيت، أحدهما يعيش أربعين سنة، والآخر ثلاثين سنة. ثمّ شرع البيهقي في ردّ ما قاله أبو الجلد بما لا يحصل به

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين: ج ١ ص ٤٥٤-٤٥٥.

شبهات حول حديث الثقلين ٣٦٩

الردّ، وهذا عجيب منه، وقد وافق أبا الجلد طائفة من العلماء، ولعلّ قوله أرجح لما ذكرنا، وقد كان ينظر في شيء من الكتب المتقدمة.

وفي التوراة التي بأيدي أهل الكتاب ما معناه: أنّ الله تعالى بشر إبراهيم بإسمايل، وأنّه ينميه ويكثره ويجعل من ذريته اثني عشر عظيماً. قال شيخنا أبو العباس بن تيمية: وهؤلاء المبشر بهم في حديث جابر بن سمرة، وقرّر أنّهم يكونون مفرّقين في الأمة، لا تقوم الساعة حتّى يوجدوا، وغلط كثير ممّن تشرف بالإسلام من اليهود فظنّوا أنّهم الذين تدعو إليهم فرقة الرفضة فاتبعوهم^(١).

وهذا معناه: أنّ أبا الجلد لم يحدّد الخلفاء الاثني عشر بأسمائهم، بل لم يحدّد أيّ فردٍ منهم، وقوله أنّ من الاثني عشر رجلاً من أهل بيت النبي ﷺ، وأنّ أحدهما يعيش أربعين سنة، والآخر ثلاثين سنة، فهو بهذا القول قد أخرج عليّ بن أبي طالب وولده الحسن من جملة الخلفاء الاثني عشر، لأنّهم من أهل بيت النبي ﷺ، إلا أنّ المدة المذكورة في الخبر لا تنطبق عليهما، فإنّ كان يقصد بها مدّة حياتهما، فكانت حياة كلّ منهما تفوق الأربعين عاماً فضلاً عن الثلاثين، وإن كان يقصد بها مدّة خلافتها حسب تعريف أهل السنة للخلافة فمدّة خلافة عليّ بن أبي طالب عليه السلام خمس سنين إلا بضعة أشهر، ومدّة خلافة الحسن عليه السلام كانت حوالي ستّة أشهر فقط، وهذا يعني أنّ المقصودين في الخبر غير عليّ وابنه الحسن عليه السلام.

والعجيب من الحافظ ابن كثير أنّه قال: «وقد وافق أبا الجلد طائفة من العلماء، ولعلّ قوله أرجح لما ذكرنا وقد كان ينظر في شيء من الكتب المتقدمة،

(١) البداية والنهاية: ج ٩ ص ٢٨٨-٢٨٩ كتاب دلائل النبوة: ذكر الإخبار عن الأئمة الاثني عشر الذين كلّهم من قريش.

٣٧٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

وفي التوراة التي بأيدي أهل الكتاب ما معناه: أن الله تعالى بشر إبراهيم بإسماعيل، وأنه ينميه ويكثره ويجعل من ذريته اثني عشر عظيماً.

فأقول: هل عجز ابن كثير وأعيته الحيلة عن معرفة الخلفاء الاثني عشر من القرآن الكريم والسنة النبوية، فطفق يستنجد بالكتب المتقدمة وبالتوراة لمعرفة الخلفاء الاثني عشر الذين عناهم النبي الأكرم ﷺ؟ وهل سكت النبي ﷺ عن بيان هؤلاء الخلفاء وأوكل معرفتهم إلى توراة اليهود؟

فهذه هي نتيجة ابتعاد ابن كثير وغيره عن أهل البيت عليه السلام، فلم يرض بخلافتهم الإلهية، وأخذ يستهزئ ويسخر من أتباعهم، بينما صار هو يلتمس معنى حديث الخلفاء الاثني عشر من كتب اليهود، ثم إذا رأى أن اليهود الذين يدخلون إلى الإسلام يطبقون ما جاء في توراتهم على الأئمة الاثني عشر من أهل بيت النبي ﷺ فإنه يقول بغلطهم!

٨. ابن حبان

أخرج في صحيحه عن سفينة، عن النبي ﷺ قال: «الخلافة ثلاثون سنة، وسائرهم ملوك، والخلفاء والملوك اثنا عشر».

ثم شرع ابن حبان في شرح الحديث إلى أن قال: «ولكن معنى الخبر عندنا: أن من بعد الثلاثين سنة يجوز أن يقال لهم: خلفاء أيضاً على سبيل الاضطرار، وإن كانوا ملوكاً على الحقيقة، وآخر الاثني عشر من الخلفاء كان عمر بن عبد العزيز».

فلما ذكر المصطفى ﷺ الخلافة ثلاثين سنة، وكان آخر الاثني عشر عمر بن عبد العزيز، وكان من الخلفاء الراشدين المهديين، أطلق على من بينه وبين الأربعة الأول اسم الخلفاء.

وذاك أن المصطفى ﷺ قبضه الله إلى جنته يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة عشر من الهجرة.

شبهات حول حديث الثقلين ٣٧١

واستُخلف أبو بكر يومَ الثلاثاءِ ثاني وفاته ﷺ، وتُوفي أبو بكر ليلة الاثنين لسبع عشرة ليلة مَضِين من جُمادى الآخرة، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوماً.

ثم استُخلف عمر بن الخطّاب يومَ الثاني من موت أبي بكر، ثم قتل عمر، وكانت خلافته عشرَ سنين وستة أشهر وأربع ليالٍ.

ثم استُخلف عثمانُ بن عفان. ثم قتل عثمان، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنةً إلا اثني عشرَ يوماً.

ثم استُخلف عليُّ بنُ أبي طالب، وقتل، وكانت خلافته خمس سنين وثلاثة أشهر إلا أربعة عشر يوماً.

فلما قتل عليُّ بن أبي طالب، وذلك يومَ السابعِ عشرَ من رمضان سنة أربعين، بايع أهل الكوفة الحسنَ بنَ عليٍّ بالكوفة، وبايع أهل الشام معاويةَ بنَ أبي سفيان بإيلياء، ثم سارَ معاوية يريد الكوفة، وسار إليه الحسنُ بن عليٍّ، فالتقوا بناحية الأنبار، فاصطلحوا على كتابٍ بينهم بشروط فيه، وسلم الحسنُ الأمرَ إلى معاوية، وذلك يوم الاثنين لخمس ليالٍ بقيت من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، وتُسمى هذه السنة سنة الجماعة.

ثم توفي معاوية بدمشق يومَ الخميس لثمان بقين من رَجَب سنة ستين، وكانت ولايته تسعَ عشرة سنة وأربعة أشهر إلا ليالٍ، وكانت له يوم مات ثمان وسبعون سنةً.

ثم ولي يزيدُ بنُ معاوية ابنه يومَ الخميس في اليوم الذي مات فيه أبوه، وتوفي بحوارين - قرية من قرى دمشق - لأربع عشرة ليلة خَلَّت من ربيع الأول سنة أربع وستين وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، وكانت ولايته ثلاث سنين وثمانية أشهر إلا أياماً.

ثم بُويحَ ابنه معاوية بنُ يزيد يومَ النِّصف من شهر ربيع الأول سنة أربع

٣٧٢..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

وستين، ومات يوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين، وكانت إمارته أربعين ليلة، ومات وهو ابن إحدى وعشرين سنة.

ثم بايع أهل الشام مروان بن الحكم، وبايع أهل الحجاز عبد الله بن الزبير، فاستوى الأمر لمروان يوم الأربعاء لثلاث ليال خلوً من ذي القعدة سنة أربع وستين، ومات مروان بن الحكم في شهر رمضان بدمشق سنة خمس وستين، وله ثلاث وستون سنة، وكانت إمارته عشرة أشهر إلا ليالٍ.

ثم بايع أهل الشام عبد الملك بن مروان في اليوم الذي مات فيه أبوه، ومات عبد الملك بدمشق في شوال سنة ست وثمانين وله اثنان وستون سنة.

ثم بايع أهل الشام الوليد ابنه يوم توفي عبد الملك، ثم توفي الوليد بدمشق في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، وكان له يوم مات ثمان وأربعون سنة، وكانت إمارته تسع سنين وثمانية أشهر.

ثم بويع سليمان بن عبد الملك أخوه لأمه وأبيه، وتوفي سليمان يوم الجمعة لعشر ليالٍ بقين من صفر بدابق سنة تسع وتسعين وله خمس وأربعون سنة، وكانت إمارته سنتين وثمانية أشهر وخمس ليالٍ.

ثم بايع الناس عمر بن عبد العزيز في اليوم الذي مات فيه سليمان، وتوفي بدير سمعان من أرض حمص يوم الجمعة لخمس ليالٍ بقين من رجب سنة إحدى ومئة، وله يوم مات إحدى وأربعون سنة، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمس ليالٍ، وهو آخر الخلفاء الاثني عشر الذين خاطب النبي ﷺ أمته بهم^(١).

إذن: فالخلفاء الاثنا عشر في رأي ابن حبان هم:

١- أبو بكر.

(١) صحيح ابن حبان: ج ١٥ ص ٣٦-٤١.

- ٢- عمر بن الخطاب.
- ٣- عثمان بن عفان.
- ٤- عليّ بن أبي طالب.
- ٥- معاوية بن أبي سفيان.
- ٦- يزيد بن معاوية.
- ٧- معاوية بن يزيد.
- ٨- مروان بن الحكم.
- ٩- عبد الملك بن مروان.
- ١٠- الوليد بن عبد الملك.
- ١١- سليمان بن عبد الملك.
- ١٢- عمر بن عبد العزيز.

٩. العلامة محمد أشرف الصديقي العظيم آبادي

قال في (عون المعبود) بعد ردّه على اعتقاد الشيعة الاثني عشرية في الأئمة الاثني عشر: «فالتحقيق أن يعتبروا بمعاوية وعبد الملك وبنه الأربع وعمر بن عبد العزيز ووليد بن يزيد بن عبد الملك بعد الخلفاء الأربعة الراشدين. وقد نقل عن الإمام مالك أن عبد الله بن الزبير أحق بالخلافة من مخالفه. ولنا فيه نظر، فإن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان قد ذكرا عن النبي ﷺ ما يدلّ على أن تسلط ابن الزبير واستحلال الحرم به مصيبة من مصائب الأمة... وإلى هذا المعنى قد أشار عليّ ؑ في قصة جواب الحسن عنه ولم ينتظم أمر الخلافة عليه، ويزيد بن معاوية ساقط من هذا البين لعدم استقراره مدّة يعتدّ بها، وسوء سيرته، والله أعلم»^(١).

إذن: فالخلفاء الاثني عشر في رأي شمس الحق العظيم آبادي هم:

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود: مجلد ٦ ج ١١ ص ٢٩٧، كتاب المهدي.

- ١ - أبو بكر.
- ٢ - عمر بن الخطاب.
- ٣ - عثمان بن عفان.
- ٤ - عليّ بن أبي طالب.
- ٥ - معاوية بن أبي سفيان.
- ٦ - عبد الملك بن مروان.
- ٧ - الوليد بن عبد الملك.
- ٨ - سليمان بن عبد الملك.
- ٩ - عمر بن عبد العزيز.
- ١٠ - يزيد بن عبد الملك.
- ١١ - هشام بن عبد الملك.
- ١٢ - الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

١٠. القاضي عيّاض والحافظ البيهقي^(١)

ذكر رأيه ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري) بعد إيراده للأوجه التي ذكرها ابن الجوزي، فقال: «انتهى كلام ابن الجوزي ملخصاً بزيادات يسيرة. والوجهان الأوّل والآخر قد اشتمل عليهما كلام القاضي عيّاض، فكأنّه ما وقف عليه بدليل أنّ في كلامه زيادة لم يشتمل عليها كلامه، وينتظم من مجموع

(١) هو أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي، ولد في بيهق (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ). الإمام المحدث المتقن الحافظ العلامة، الثبت، الفقيه، شيخ الإسلام صاحب التصانيف الجليلة والآثار المنيرة، تتلمذ على جهاذة عصره وعلماء وقته، وشهد له العلماء بالتقدم هو، كان واحد زمانه، وفرد أقرانه، وحافظ أوانه، ومن كبار أصحاب أبي عبد الله الحاكم. أخذ مذهب الشافعي عن أبي الفتح ناصر بن محمد العمري المروزي، وغيره. وبرع في المذهب. (ينظر سير أعلام النبلاء: ج ١٨ ص ١٦٠-١٧٠؛ طبقات الشافعية: ج ٤ ص ٨-١٦؛ تذكرة الحفاظ: ج ٣ ص ١١٣٢-١١٣٤).

ما ذكره أوجه، أرجحها الثالث من أوجه القاضي لتأييده بقوله في بعض الطرق الصحيحة: (كلهم يجتمع عليه الناس) وإيضاح ذلك أن المراد بالاجتماع انقيادهم لبيعتة، والذي وقع أن الناس اجتمعوا على أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين، فسُمي معاوية يومئذ بالخلافة، ثم اجتمع الناس على معاوية عند صلح الحسن، ثم اجتمعوا على ولده يزيد ولم ينتظم للحسين أمر، بل قُتل قبل ذلك، ثم لما مات يزيد وقع الاختلاف إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير، ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة: الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام، وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز؛ فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين، والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك اجتمع الناس عليه لما مات عمّه هشام، فولي نحو أربع سنين ثم قاموا عليه فقتلوه، وانتشرت الفتن وتغيّرت الأحوال من يومئذ، ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك...»^(١).

على هذا: فالخلفاء في رأي القاضي عيّاض حسب ما نقله ابن حجر:

- ١ - أبو بكر.
- ٢ - عمر بن الخطّاب.
- ٣ - عثمان بن عفّان.
- ٤ - عليّ بن أبي طالب.
- ٥ - معاوية بن أبي سفيان.
- ٦ - يزيد بن معاوية.
- ٧ - عبد الملك بن مروان.
- ٨ - الوليد بن عبد الملك.
- ٩ - سليمان بن عبد الملك.

(١) فتح الباري: ج ١٣ ص ٢٦٣-٢٦٤.

١٠ - عمر بن عبد العزيز.

١١ - يزيد بن عبد الملك.

١٢ - هشام بن عبد الملك.

١٣ - الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

وهذا الرأي تبناه أيضاً الحافظ البيهقي في كتابه (دلائل النبوة) حيث قال بعد ذكر بعض الأحاديث التي تفيد بأن عدد الخلفاء اثنا عشر وأن الأمة تجتمع عليهم كلهم، وأنه يكون بعدهم المهرج: «ففي الرواية الأولى بيان العدد، وفي الرواية الثانية، بيان المراد بالعدد، وفي الرواية الثالثة بيان وقوع المهرج وهو القتل بعدهم. وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ثم وقع المهرج والفتنة العظيمة كما أخبر في هذه الرواية، ثم ظهر ملك العباسية، كما أشار إليه في الباب قبله، وإنما يزيدون على العدد المذكور في الخبر، إذا تركت الصفة المذكورة أو عدّ معهم من كان بعد المهرج المذكور فيه»^(١).

ومما يرد على هذا الرأي: أنه زاد في عدد الخلفاء فجعلهم ١٣، وهذا مخالفٌ لنص الحديث الذي يحصرهم في ١٢، ولا أدري كيف لم ينتبه ابن حجر لهذا الخطأ، فقال أن الثاني عشر حسب هذا الرأي هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك، مع أن الذين ذكرهم قبله عدّتهم ١٢ خليفة، فيكون هو الثالث عشر.

١١. أبو بكر بن العربي المالكي^(٢)

(١) دلائل النبوة: ج ٦ ص ٤٥٥.

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، المشهور بالقاضي أبو بكر ابن العربي الإشبيلي المالكي الحافظ، عالم أهل الأندلس ومسندهم، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية سنة ٤٦٨ هـ، له شهرة في علمه فقد أخذ جملة من الفنون حتى أتقن الفقه والأصول وقيد

شبهات حول حديث الثقلين ٣٧٧

قال في (عارضه الأحوذى): «روى أبو عيسى عن جابر بن سمرة قال: (قال رسول الله ﷺ: يكون بعدي اثنا عشر أميراً أبداً كلهم من قريش) صحيح. فعدّنا بعد رسول الله ﷺ اثني عشر أميراً، فوجدنا: أبا بكر، عمر، عثمان، عليّ، الحسن، معاوية، يزيد، معاوية بن يزيد، مروان، عبد الملك بن مروان، الوليد، سليمان، عمر بن عبد العزيز، يزيد بن عبد الملك، مروان بن محمد بن مروان، السفّاح المنصور، المهدي، الهادي، الرشيد، الأمين، المأمون، المعتصم، الواثق، المتوكل، المنتصر، المستعين، المعتز، المهدي، المعتضد، المكتفي، المقتدر، القاهر، الراضي، المتقي، المستكفي، المطيع، الطائع، القادر، القائم، المقتدي، أدركته سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وعهد إلى المستظهر أحمد ابنه، وتوفي في المحرم سنة ست وثمانين، ثم بايع المستظهر لابنه أبي منصور الفضل، وخرجت عنهم سنة خمس وتسعين. وإذا عدنا منهم اثني عشر انتهى العدد بالصورة إلى سليمان بن عبد الملك، وإذا عدناهم بالمعنى كان معنا منهم خمسة: الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز، ولم أعلم للحديث معنى، ولعله بعض حديث، وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: كلهم من قريش»^(١).

أقول: اعترف ابن العربي بعدم قدرته على توجيه الحديث، حيث صرح بأن الحديث إذا اعتبر فيه التسلسل الزمني منذ وفاة النبي الأكرم ﷺ مباشرة، فإن العدد سينتهي إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان، وسيكون

الحديث واتسع في الرواية وأتقن مسائل الخلاف والكلام وتبحر في التفسير وبرع في الأدب والشعر. صنّف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. وولي قضاء إشبيلية، ومات في فاس في ربيع الآخر سنة ٥٤٣ هـ، ودفن بها. قال عنه ابن بشكوال: هو الإمام الحافظ، ختام علماء الأندلس. (ينظر شذرات الذهب: ج ٤ ص ١٤١).

(١) عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي: مجلد ٥ ج ٩ ص ٤٩-٥٠.

٣٧٨..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

الخلفاء الاثنا عشر هم كالتالي: أبو بكر، عمر، عثمان، عليّ، الحسن بن عليّ، معاوية بن أبي سفيان، يزيد بن معاوية، معاوية بن يزيد، مروان بن الحكم، عبد الملك بن مروان، الوليد بن عبد الملك، سليمان بن عبد الملك.

وستكون هناك مشكلة من هذه الناحية، وهي أنّ عمر بن عبد العزيز سيكون خارجاً من عدّة الخلفاء الاثني عشر، ثمّ صرّح بأنّ الحديث إذا اعتبر من حيث المعنى فإنّه يشمل خمسة أشخاص فقط، وهم: أبو بكر، عمر، عثمان، عليّ، عمر بن عبد العزيز.

إذاً فحاصل الكلام أنّ الذين يشملهم الحديث من حيث التسلسل الزمني والمعنى هم أربعة أشخاص: أبو بكر، عمر بن الخطّاب، عثمان بن عفّان، عليّ بن أبي طالب. ثمّ صرّح ابن العربي بأنّه لا يعلم للحديث معنى، واحتمل أن يكون جزءاً من حديث وليس حديثاً تامّاً.

١٢. محمّد بن عبد الوهاب

ذهب محمّد بن عبد الوهاب إمام السلفيّين ومجدّد القرن الثاني عشر عندهم إلى أنّ آخر الخلفاء الاثني عشر هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك، فخالف جميع الأقوال السابقة التي نقلناها، ولم يعيّن أسماء جميع الخلفاء على الترتيب، وسنذكر كلامه كاملاً، حيث قال في كتابه (مختصر سيرة الرسول): «ثمّ دخلت سنة ستّين: فمات فيها معاوية بن أبي سفيان. وصحّ أنّ أبا هريرة مات قبلها بسنة، وأنّه كان يقول: اللهمّ إني أعوذ بك من رأس الستّين، وإمارة الصبيان. واستخلف معاوية ابنه يزيد، فجرت الفتنة الثانية. ولم تزل الفتنة قائمة سنين، حتّى اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان.

فأول ما جرى في أيام يزيد: مقتل الحسين بن عليّ وأهل بيته في يوم عاشوراء سنة إحدى وستّين. ثمّ بعدها: جرت وقعة الحرّة العظيمة بالمدينة، قتلوا أهلها، وأباحوها ثلاثة أيّام. ثمّ بعد ذلك: توجهوا إلى مكّة لقتال عبد الله

شبهات حول حديث الثقلين ٣٧٩

بن الزبير. فحاصروها. فلم يزالوا محاصريها حتى بلغهم موت يزيد. فلما مات
يزيد افترق الناس افتراقاً كثيراً كما قيل:

وتشعبوا شعباً بكل جزيرة
فيها أمير المؤمنين ومنبر

وثبت مروان بالشام، وخرج المختار بن أبي عبيد الثقفي المبيد المفسد
بالعراق، ونجدة بن عويمر باليامة. والمشهور بأمر المؤمنين في هذه السنين:
عبد الله بن الزبير بمكة. وبايع له أكثر الناس.

فلما مات مروان تولى بعده ابنه عبد الملك سنة خمس وستين. ولما تولى
تصدى لحرب عبد الله بن الزبير. فجرى بينهما ما يطول ذكره، وآخره: أنه
وجه لقتال ابن الزبير جيشاً عليهم الحجاج بن يوسف الثقفي، فحصره بمكة،
ثم قتله رضي الله عنه، سنة ثلاث وسبعين.

فاجتمع الناس بعده على عبد الملك بن مروان. فلم يزل والياً كذلك إلى
سنة ست وثمانين. فمات واستخلف ولده الوليد. فبقي في الخلافة سبعين سنة
وأشهرًا. وفي أيامه مات أنس بن مالك رضي الله عنه، والحجاج بن يوسف.
ثم ولي بعده أخوه سليمان بن عبد الملك. فبقي سنتين وأشهرًا. واستخلف
عمر بن عبد العزيز. فبايعه الناس سنة تسع وتسعين في صفر. فسار سيرة
الخلفاء الراشدين. وأحى السنن وأمات البدع. وبقي في الخلافة رشيداً مهدياً
سنتين وأشهرًا، ومات في رجب سنة إحدى ومائة. ومات في أيامه ابنه عبد
الملك. وكان يشبه أباه رحمهما الله.

ثم تولى بعده: يزيد بن عبد الملك. فبقي أربع سنين وشهرًا واحدًا، وتوفي
سنة خمس ومائة.

ثم تولى بعده: أخوه هشام بن عبد الملك. فبقي تسع عشرة سنة وأشهرًا
... وتوفي هشام بن عبد الملك سنة خمس وعشرين ومائة.

ثم تولى بعده: ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك. فبقي سنة أو أقل أو

٣٨٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

أكثر. ثم قتل سنة ست وعشرين ومائة.

ثم تولى بعده: ابن عمّه يزيد بن الوليد بن عبد الملك. فبقي خمسة أشهر وتوفي في ذي القعدة - أو في أول ذي الحجة - من سنة ست وعشرين ومائة.

وبعده انقضت الخلافة التامة. ولم تجتمع الأمة بعده على إمام واحد إلى اليوم. وهو آخر الخلفاء الاثني عشر، الذين ذكرهم النبي ﷺ في الحديث الصحيح «لا يزال أمر هذه الأمة عزيزاً ينصرون على من ناوأهم إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش». وفي لفظٍ لمسلم: (إن هذا الأمر لا ينقص، حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة). وعند البزار (لا يزال أمر أمّتي قائماً، حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة). وفي لفظ: (لا يزال الإسلام عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة). وعند أبي داود: (قالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون الهرج).

فلما مات يزيد: طلب الأمر أخوه إبراهيم. فبايعه أخوه. ولم ينتظم له أمر. فطلب الأمر مروان بن محمد بن مروان - الذي يقال له مروان الحمار - فبايعه بعض الناس في صفر سنة سبع وعشرين ومائة.

ولم يزل في حروب وتخبيط إلى آخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة - يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة - فقتل في كنيسة أبي صير^(١).

ومن هنا يتّضح: أنّ محمد بن عبد الوهاب لم يعطنا رأياً واضحاً في تعيين الخلفاء الاثني عشر، ولم يذكر مبناه في ذلك، وهل هو على أساس الترتيب، أو على أساس اجتماع الأمة كلّها على خليفة معين، أو على أساس آخر، ففي جميع الحالات لا يمكن حصر العدد في اثني عشر دون زيادة أو نقصان، فلو افترضنا أنّه يعتبر الترتيب في تعيين الخلفاء، وأنّه يبدأ بالخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فإنّنا إذا ضممناهم إلى عبد الله بن الزبير وخلفاء بني الذين

(١) مختصر سيرة الرسول ﷺ: ص ٢٣٤-٢٣٦، حوادث سنة ستين.

شبهات حول حديث الثقلين ٣٨١

ذكرهم فسيزيد العدد على ١٢، وسيكون عددهم ١٥ بهذا الترتيب:

- ١ - أبو بكر.
- ٢ - عمر بن الخطّاب.
- ٣ - عثمان بن عفّان.
- ٤ - عليّ بن أبي طالب.
- ٥ - معاوية بن أبي سفيان.
- ٦ - يزيد بن معاوية.
- ٧ - عبد الله بن الزبير.
- ٨ - عبد الملك بن مروان.
- ٩ - الوليد بن عبد الملك.
- ١٠ - سليمان بن عبد الملك.
- ١١ - عمر بن عبد العزيز.
- ١٢ - يزيد بن عبد الملك.
- ١٣ - هشام بن عبد الملك.
- ١٤ - الوليد بن يزيد بن عبد الملك.
- ١٥ - يزيد بن الوليد بن عبد الملك.

وهذا مخالفٌ للحديث الذي يحصر الخلفاء في اثني عشر فقط.
وإن كان يعتبر الترتيب دون عدِّ الخلفاء الأربعة، فسيكونون ١١ بالترتيب التالي:

- ١ - معاوية بن أبي سفيان.
- ٢ - يزيد بن معاوية.
- ٣ - عبد الله بن الزبير.
- ٤ - عبد الملك بن مروان.
- ٥ - الوليد بن عبد الملك.
- ٦ - سليمان بن عبد الملك.

٧- عمر بن عبد العزيز.

٨- يزيد بن عبد الملك.

٩- هشام بن عبد الملك.

١٠- الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

١١- يزيد بن الوليد بن عبد الملك.

وهو أيضاً مخالفٌ للحديث. وإن كان يعتبر الترتيب على أساس إجماع الأمة على خلفاء بني أمية الذين ذكرهم، مع إضافة الخلفاء الأربعة، وأن من لم تجمع الأمة عليه فهو خارج من الترتيب كيزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم، وعبد الله بن الزبير، فسيكونون ١٣ بالترتيب التالي:

١- أبو بكر.

٢- عمر بن الخطاب.

٣- عثمان بن عفان.

٤- عليّ بن أبي طالب.

٥- معاوية بن أبي سفيان.

٦- عبد الملك بن مروان.

٧- الوليد بن عبد الملك.

٨- سليمان بن عبد الملك.

٩- عمر بن عبد العزيز.

١٠- يزيد بن عبد الملك.

١١- هشام بن عبد الملك.

١٢- الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

١٣- يزيد بن الوليد بن عبد الملك.

وهذا أيضاً مخالفٌ لحديث النبي ﷺ حيث حصرهم في ١٢، وإن كان مقصوده من أجمعت عليه الأمة دون أن نضم إليهم الخلفاء الأربعة فسيكون

شبهات حول حديث الثقلين ٣٨٣

عدددهم ٩ كما هو واضح، وبالتالي فإن ما ذكره محمد بن عبد الوهاب من أن يزيد بن الوليد بن عبد الملك هو آخر الخلفاء الاثني عشر لا يمكن أن ينسجم مع حديث النبي ﷺ، فعلى كل الأحوال لا يكون عدددهم ١٢.

وكل الذي نستطيع الجزم به من سياق كلام محمد بن عبد الوهاب أنه يعتبر معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان وأولاده الأربعة الوليد وسليمان ويزيد وهشام، وعمر بن عبد العزيز والوليد بن يزيد بن عبد الملك، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك من الخلفاء الاثني عشر، وهؤلاء تسعة، ولا أدري من هم الثلاثة الآخرون.

ونضيف إلى ما تقدم: أن ما صرح به محمد بن عبد الوهاب من كون يزيد بن الوليد بن عبد الملك المتوفى في أواخر سنة ١٢٦هـ آخر الخلفاء الاثني عشر مخالفٌ لآراء جميع العلماء الذين نقلنا أقوالهم في شرح الحديث.

١٣. المهلب^(١)

ذكر رأيه ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري) حيث قال: «قال ابن بطال عن المهلب: لم ألق أحداً يقطع في هذا الحديث - يعني بشيء معين - فقوم قالوا: يكونون بتوالي إمارتهم، وقوم قالوا: يكونون في زمن واحد، كلهم يدعي الإمارة. قال: والذي يغلب على الظن أنه ﷺ أخبر بأعاجيب تكون بعده من الفتن، حتى يفترق الناس في وقت واحد على اثني عشر أميراً، قال: ولو أراد غير هذا لقال: يكون اثنا عشر أميراً يفعلون كذا، فلما أعراهم من الخبر عرفنا أنه أراد أنهم يكونون في زمن واحد»^(٢).

(١) هو أبو القاسم المهلب بن أحمد بن أبي صفرة أسيد بن عبد الله الأسدي الأندلسي، مصنف شرح صحيح البخاري، كان أحد الأئمة الفصحاء الموصوفين بالذكاء... ولي

قضاء المرية، وتوفي سنة ٤٣٥ هـ (ينظر سير أعلام النبلاء: ج ١٧ ص ٥٧٩).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج ١٣ ص ٢٦١.

٣٨٤..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

أقول: هذا ما قاله المهلب حسب ما نقله ابن حجر العسقلاني، وهو أن هؤلاء الاثني عشر يكونون في زمن واحد، وكلُّ منهم يدعو إلى إمارته، ولا يخفى أن رأيه من أضعف الآراء في شرح الحديث، وقد ردَّ عليه ابن حجر بعد نقل كلامه مباشرة فقال: «وهو كلام من لم يقف على شيء من طرق الحديث غير الرواية التي وقعت في البخاري هكذا مختصرة، وقد عرفت من الروايات التي ذكرتها من عند مسلم وغيره، أنه ذكر الصفة التي تختص بولايتهم وهو كون الإسلام عزيزاً منيعاً، وفي الرواية الأخرى صفة أخرى وهو أن كلهم يجتمع عليه الناس...».

١٤. ابن تيمية

من المحاولات الأساسية التي حاولت أن تجعل من هذه الأحاديث منطلقاً لإضفاء الشرعية على خلافة الخلفاء الذين جاءوا بعد رسول الله ﷺ وحكام بني أمية، المحاولة التي قام بها ابن تيمية في منهاجه حيث قال: «وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة: أن النبي ﷺ قال: لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش، ولفظ البخاري: اثني عشر أميراً. وفي لفظ: لا يزال أمر الناس ماضياً ولهم اثنا عشر رجلاً. وفي لفظ: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش».

ثم قال: «وهكذا كان، فكان الخلفاء: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عزٌّ ومنعة، معاوية وابنه يزيد، ثم عبد الملك وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبد العزيز، وبعد ذلك حصل في دولة الإسلام من النقص ما هو باقٍ إلى الآن. فإن بني أمية تولوا على جميع أرض الإسلام، وكانت الدولة في زمنهم عزيزة...».

ثم قال: «وأعظم ما نقمه الناس على بني أمية شيئان: أحدهما: تكلمهم في

شبهات حول حديث الثقلين ٣٨٥

عليّ. والثاني: تأخير الصلاة عن وقتها»^(١).

«وهؤلاء الاثنا عشر خليفة هم المذكورون في التوراة، حيث قال في بشارته بإسماعيل: وسيلد اثني عشر عظيماً»^(٢).

وليس البحث بصدد مناقشة هذا الكلام، وإنما الهدف من نقل هذه الكلمات هو بيان رأي ابن تيمية في يزيد وأولاد عبد الملك بن مروان، حيث يعتقد أن أمثال هؤلاء هم الذين بشر الله إسماعيل عليه السلام في التوراة، بأنهم العظماء الذين سيولدون له!!!

أما أمثال الحسن والحسين عليهما السلام اللذين هما سيّد شباب أهل الجنة، وريحاننا رسول الله صلى الله عليه وآله بنصّ الفريقين من علماء المسلمين، فليسوا من أولئك العظماء الذين بشر بهم إسماعيل عليه السلام.

بل حتى أن الإمام عليّاً عليه السلام ليس من المقطوع به أنه من الخلفاء الاثني عشر، كما يعتقد ابن تيمية؛ قال: «وأما مروان وابن الزبير فلم يكن لأحد منهما ولاية عامّة، بل كان زمنه زمن فتنة لم يحصل فيها من عزّ الإسلام وجهاد أعدائه ما يتناوله الحديث، ولهذا جعل طائفة من الناس خلافة عليّ من هذا الباب، وقالوا لم تثبت بنصّ ولا إجماع»^(٣).

وقال في موضع آخر: «ومن ظنّ أنّ هؤلاء الاثني عشر هم الذين تعتقد الرافضة إمامتهم فهو في غاية الجهل، فإنّ هؤلاء ليس فيهم من كان له سيف إلاّ عليّ بن أبي طالب، ومع هذا فلم يتمكّن في خلافته من غزو الكفار، ولا فتح مدينة، ولا قتل كافراً، بل كان المسلمون قد اشتغل بعضهم بقتال بعض،

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية: ٨ ص ٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه: ج ٨ ص ٢٤١.

(٣) المصدر نفسه: ج ٧ ص ٢٤١.

٣٨٦..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

حتى طمع فيهم الكفار بالشرق، والتتار من المشركين وأهل الكتاب... فأبي عز للإسلام في هذا، والسيف يعمل في المسلمين، وعدوهم قد طمع فيهم ونال منهم. وأما سائر الأئمة غير علي، فلم يكن لأحد منهم سيف لاسيما المنتظر^(١).

«والحاصل أن ابن تيمية يعتقد أن أئمة أهل البيت عليهم السلام ليسوا مصداقاً للعظاء الذين بُشّر بهم إسماعيل عليه السلام.

نعم في رأيه أن معاوية الذي سنّ سب الإمام علي عليه السلام على منابر المسلمين لعشرات السنين، هو المستحق لأن يكون أحد مصاديق خلفاء النبي صلى الله عليه وآله الذين وصفهم بقوله: كلهم يعمل بالهدى ودين الحق^(٢).

يحدثنا المدائني في كتاب (الأحداث): أن معاوية كتب إلى عماله نسخة واحدة، أن برئت الذمة ممن روى في فضل أبي تراب وأهل بيته^(٣)، وقام الخطباء بعد ذلك بالنيل من علي وأهل بيته، حتى أدت هذه الحالة في الشام - كما يقول ابن عساكر - : «أن تختم مجالس الوعظ بشتيم علي».

وقال ابن أبي الحديد في ذيل قول علي عليه السلام (أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجلٌ رحب البلعوم، مندحق البطن، يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد... ألا وأنه سيأمركم بسبي والبراءة مني...): «إن معاوية أمر الناس بالعراق والشام بسب علي عليه السلام والبراءة منه. وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ: أن معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة: (اللهم إن أبا تراب ألدّ في دينك، وصدّ عن سبيلك، فالعنه لعناً وبيلاً، وعذبه عذاباً أليماً). وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يُشار بها على المنابر إلى خلافة عمر بن عبد العزيز.

(١) المصدر نفسه.

(٢) علم الإمام، للسيد الحيدري: ص ٥٦.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج ١١ ص ٤٤.

شبهات حول حديث الثقلين ٣٨٧

وروى أبو عثمان أيضاً: أن قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين! إنك قد بلغت ما أمّلت، لو كففت عن لعن هذا الرجل! فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكراً فضلاً^(١). وكيفما كان فإنه يرى أيضاً أن يزيد الذي قتل الحسين عليه السلام وأباح المدينة وهدم الكعبة، هو الذي يليق به أن يكون من العظماء الذين ذكروا في التوراة. ثم بعد هذا وذاك يرى ابن تيمية أن أولاد عبد الملك بن مروان هم الذين كان الإسلام عزيزاً في زمنهم.

ثم يشكر الله أن الخلافة وقعت بيد بني العباس ولم تقع بيد رافضيي، يقول: «ثم كان من نعم الله سبحانه ورحمته بالإسلام: أن الدولة لما انتقلت إلى بني هاشم صارت في بني العباس... وإلا فلو تولى - والعياذ بالله - رافضيي يسب الخلفاء والسابقين الأولين لقلب الإسلام»^(٢).

يقول السيد الحيدري^(٣): والواقع أن الإنسان لتصبيه الحيرة وهو يقف على مثل هذه الأقوال! أمن الإنصاف والعدل أن يكون أمثال معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان وأولاده من الخلفاء الاثني عشر الذين بُشّر بهم إسماعيل عليه السلام، وأتهم من العظماء الذين ذكروا في التوراة، وأن صلاح الأمة لا يكون إلا بهم كما قال صلى الله عليه وآله: «لا يزال أمر أمّتي صالحاً حتى يمضي اثنا عشر خليفة»، وأن الإسلام عزيز بهم، ولا يكون علي عليه السلام منهم؟!.

قد يقال: إن ابن تيمية لم يصرح بأن علياً ليس من هؤلاء الخلفاء الاثني عشر.

والجواب: إنه وإن لم يصرح بذلك، إلا أنه نصّ على أن هؤلاء الخلفاء لابد

(١) شرح ابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٥٧.

(٢) منهاج السنة: ج ٨ ص ٢٣٩.

(٣) علم الإمام: ص ٥٧.

٣٨٨..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

أن يكونوا «قد استولوا على جميع المملكة الإسلامية، وقهروا جميع أعداء الدين... وكان الإسلام في زيادة وقوة، عزيزاً في جميع الأرض»؛ لذا قال: «وهذا تصديق ما أخبر به النبي ﷺ حيث قال: لا يزال هذا الدين عزيزاً ما تولى اثنا عشر خليفة»^(١).

وبعد ذلك بين «أن علياً لم يتمكن في خلافته من غزو الكفار، ولا فتح مدينة، ولا قتل كافراً، بل كان المسلمون قد اشتغل بعضهم بقتال بعض حتى طمع فيهم الكفار... فأبي عز للإسلام هذا»^(٢).

لذا نجد أنه يتردد في آخر كلامه في هذا الفصل بكون عليّ ؑ من الخلفاء الاثني عشر، فيقول: «والمقصود هنا: أن الحديث الذي فيه ذكر الاثني عشر خليفة، سواء قدر أن علياً دخل فيه، أو قدر أنه لم يدخل فيه...»^(٣).

هذا مضافاً «لو سلّمنا بما ذكره ابن تيمية في تعيين الاثني عشر، فإن الذين ذكرهم قد انتهى أمرهم في القرن الثاني، والأحاديث دلّت على بقاء خلافة هؤلاء الاثني عشر وإمارتهم حتى قيام الساعة».

ولقد أجاد القندوزي الحنفي في معرض رده على أمثال هذه التفسيرات بقوله: «إن الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده ﷺ اثني عشر، قد اشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان... علم أنه لا يمكن أن تحمل على الخلفاء بعده من أصحابه، لقلّتهم عن اثني عشر، ولا يمكن أن تحمل على الملوك الأموية لزيادتهم على اثني عشر، ولظلمهم الفاحش إلا عمر بن عبد العزيز»^(٤).

(١) منهاج السنة: ج ٨ ص ٢٤١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه: ج ٨ ص ٢٤٤.

(٤) ينابيع المودة: ج ٣ ص ٢٩٢.

شبهات حول حديث الثقلين ٣٨٩

بخلاف تفسير القوم فقد كان من الأحاديث التي تاهوا فيها وضيعوا عقولهم ولبابهم وأذهانهم وما أنعم الله عليهم بها، من تعقل مفروض، وتدبر مطلوب، إلا أنهم أبوا إلا الدفاع عن مبانيهم، والانجرار وراء تاريخهم.

خلاصة أقوالهم في الخلفاء

أبو بكر وعمر وعثمان والإمام عليّ

عَدَّهم ابن حجر العسقلاني وابن كثير والسيوطي وابن أبي العزّ الحنفي وابن حبان ومحمد أشرف العظيم آبادي والقاضي عياض والحافظ البيهقي وأبو بكر بن العربي من الخلفاء الاثني عشر، وأخرجهم الخطّابي وأبو الحسين بن المنادي والمهلب.

الحسن بن عليّ

عَدَّه ابن حجر العسقلاني وابن كثير والسيوطي من الخلفاء الاثني عشر، وأخرجه ابن أبي العزّ الحنفي والخطّابي وأبو الحسين بن المنادي وابن حبان وشمس الحق العظيم آبادي والقاضي عياض والحافظ البيهقي وأبو بكر بن العربي ومحمد بن عبد الوهاب.

معاوية بن أبي سفيان

عَدَّه ابن حجر العسقلاني والسيوطي وابن أبي عزّ الحنفي وابن تيمية وابن حبان ومحمد أشرف العظيم آبادي والقاضي عياض والبيهقي وأبو بكر بن العربي ومحمد بن عبد الوهاب من الخلفاء الاثني عشر، وأخرجه ابن كثير والخطّابي وأبو الحسين بن المنادي والمهلب.

يزيد بن معاوية

عَدَّه ابن حجر العسقلاني وابن أبي العزّ الحنفي وابن تيمية والخطّابي وابن

٣٩٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

حبّان والقاضي عيّاض والبيهقي، وأخرجه ابن كثير والسيوطي وأبو الحسين بن المنادي وأبو الجلد ومحمّد أشرف العظيم آبادي وأبو بكر بن العربي ومحمّد بن عبد الوهاب والمهلبّ.

عبد الله بن الزبير

عَدّه ابن حجر العسقلاني والسيوطي من الخلفاء الاثني عشر، وأخرجه ابن كثير وابن أبي العزّ الحنفي وابن تيميّة والخطّابي وأبو الحسين بن المنادي وأبو الجلد وابن حبّان ومحمّد أشرف العظيم آبادي والقاضي عيّاض والبيهقي وأبو بكر بن العربي ومحمّد بن عبد الوهاب والمهلبّ.

مروان بن الحكم

عَدّه ابن حبّان وحده من الخلفاء الاثني عشر، وأخرجه الباقر.

عبد الملك بن مروان

عَدّه ابن حجر العسقلاني وابن أبي العزّ الحنفي وابن تيميّة والخطّابي وابن حبّان ومحمّد أشرف العظيم آبادي والقاضي عيّاض والحافظ البيهقي ومحمّد بن عبد الوهاب، وأخرجه ابن كثير والسيوطي وأبو الحسين بن المنادي وأبو الجلد وأبو بكر بن العربي والمهلبّ.

الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك

عَدّه ابن حجر العسقلاني وابن أبي العزّ الحنفي وابن تيميّة والخطّابي وابن حبّان ومحمّد أشرف العظيم آبادي والقاضي عيّاض والحافظ البيهقي ومحمّد بن عبد الوهاب من الخلفاء الاثني عشر، وأخرجهما ابن كثير والسيوطي وأبو الحسين بن المنادي وأبو الجلد وأبو بكر بن العربي والمهلبّ.

عمر بن عبد العزيز

عَدّه ابن حجر العسقلاني وابن كثير والسيوطي وابن أبي العزّ الحنفي

شبهات حول حديث الثقلين ٣٩١

وابن تيمية والخطابي وابن حبان ومحمد أشرف العظيم آبادي والقاضي عياض والحافظ البيهقي ومحمد بن عبد الوهاب والخلفاء الاثني عشر، وأخرجه أبو الحسين بن المنادي والمهلب.

يزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك

عدهما ابن أبي العز الحنفي وابن تيمية والخطابي ومحمد أشرف العظيم آبادي والقاضي عياض والحافظ البيهقي ومحمد بن عبد الوهاب من الخلفاء الاثني عشر، وأخرجهما ابن حجر العسقلاني وابن كثير والسيوطي وأبو الحسين بن المنادي وأبو الجلد وابن حبان والمهلب.

الوليد بن يزيد بن عبد الملك

عده الخطابي ومحمد أشرف العظيم آبادي والقاضي عياض والحافظ البيهقي ومحمد بن عبد الوهاب من الخلفاء الاثني عشر، وأخرجه ابن حجر العسقلاني وابن كثير والسيوطي وابن أبي العز الحنفي وأبو الحسين بن المنادي وأبو الجلد وابن حبان والمهلب.

يزيد بن الوليد بن عبد الملك

عده الخطابي ومحمد بن عبد الوهاب من الخلفاء الاثني عشر، وأخرجه الباقر.

النتيجة المستخلصة من أقوال علماء أهل السنة في شرح حديث الاثني عشر النتيجة التي نستخلصها من أقوال علماء أهل السنة التي عرضناها أن أقوالهم متضاربة بعضها مع بعض، فكلُّ يوجِّهُ الحديث بتوجيهٍ يختلف عن توجيهه غيره، فابن كثير يقول بأنَّ خلافة الأئمة الاثني عشر ليست متوالية بل هم في أزمنة متفرقة، وابن حجر يُخالفه ويقول: إنَّ الحديث يُحمل على حقيقة البعدية وأنَّ خلافتهم متوالية، والقاضي عياض والحافظ البيهقي يذهبان إلى

٣٩٢..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

أنّ حديث الاثني عشر يشمل يزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد بن عبد الملك الذين استلموا الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز، ويرد على قولهما ابن كثير بأنّ عدد الخلفاء اثنا عشر قبل عمر بن عبد العزيز، وابن حبان يذهب إلى أنّ مروان بن الحكم من الخلفاء الاثني عشر، ويذهب غيره كابن حجر وابن كثير والسيوطي وابن أبي العزّ إلى أنّ الحديث لا يشملهم، بل صرّح الخطّابي حسب ما نقله ابن الجوزي بأنّ مروان بن الحكم كان في مقام غاصب للخلافة، ويرى ابن كثير والسيوطي أنّ الاثني عشر لا بدّ أن يكونوا عدولاً، بينما يذهب ابن حجر والخطّابي والقاضي عيّاض والحافظ البيهقي إلى أنّ الحديث لا يُراد منه عدالة الخلفاء بل استقامة سلطنتهم واجتماع الناس عليهم، وابن كثير يردّ على هذا الأمر ويقول بأنّ القول باجتماع الناس عليهم يلزم منه إخراج عليّ بن أبي طالب وابنه الحسن من الخلفاء لأنّ الناس لم يجتمعوا عليهما، وأبو بكر بن العربي يقول: بأن لا يعلم للحديث معنى، و... إلى آخر هذه الاختلافات والأقوال المتضاربة في كلمات علماء أهل السنّة.

الألباني يزيد الطين بلة

لقد عوّّل الحافظ ابن حجر العسقلاني والقاضي عيّاض والحافظ البيهقي في شرحهم للحديث على عبارة (كلّهم تجتمع عليه الأمة) الواردة في بعض طرق أبي داود، وقد صرّح الشيخ محمّد ناصر الدين الألباني بأنّها زيادة منكّرة، حيث قال في (سلسلة الأحاديث الصحيحة): «وأخرجه أبو داود (ج ٢ ص ٢٠٧) من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبيه عن جابر بلفظ: (لا يزال هذا الدين قائماً حتّى يكون عليكم اثنا عشر خليفة؛ كلّهم تجتمع عليه الأمة، كلّهم من قريش). وأخرجه البزار (١٥٨٤ - كشف) عن أبي جحيفة نحوه.

شبهات حول حديث الثقلين ٣٩٣

وهذا سند ضعيف، رجاله كلهم ثقات، غير أبي خالد هذا، وهو الأحمسي.

قال الذهبي: (ما روى عنه سوى ولده، وقد صحح له الترمذي).

وفي (التقريب): أنه مقبول؛ يعني: لئن الحديث.

قلت: وقد تفرّد بهذه الجملة: «كلهم تجتمع عليه الأمة؛ فهي منكورة، وإن

سكت عليها الحافظ في (الفتح)!

ومثلها زيادة أبي داود وابن حبان (٦٦٢٦) من طريق الأسود بن سعيد

الهمداني عن جابر: (ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون الهرج!) والأسود فيه جهالة^(١).

أقول: هذا التصريح من الألباني يزيد في اضطراب كلمات علماء أهل

السنة، حيث ضعّف هذه العبارة التي عوّل عليها بعض العلماء في شروحيهم

كابن حجر العسقلاني والقاضي عياض والحافظ البيهقي، وصرّح بأنها منكورة.

وسياتي لاحقاً: أنّ أكثر من ذكروا في الوجوه التي أشار إليها علماء أهل

السنة، لا يمكن أن تنطبق عليهم الخصوصيات والصفات التي أخذت في

هؤلاء الخلفاء الاثني عشر، خصوصاً إذا علمنا أنّ بعض من تقدّمت

أسماءهم، إمّا هم بمنّ بدل سنة رسول الله ﷺ أو لعنهم رسول الله ﷺ، أو

كانوا من المنافقين، ونحو ذلك.

حديث الاثني عشر بلفظ آخر

لابدّ من الإشارة - ولو باختصار - إلى حديث آخر رواه أحمد في مسنده،

وهو شاهدٌ لحديث الاثني عشر الذي روّته الصّحاح:

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج ١ قسم ٢ ص ٧٢٠.

٣٩٤..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

١. أخرج أحمد في مسنده: عن مسروق قال: كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يُقرئنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول الله ﷺ: كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثم قال: نعم، ولقد سألتنا رسول الله ﷺ، فقال: «اثنا عشر، كعدة نقيب بني إسرائيل».

قال العلامة أحمد محمد شاکر: إسناده صحيح^(١).

وأخرج في مسنده: عن الشعبي عن مسروق قال: كنا مع عبد الله جلوساً في المسجد يُقرئنا، فأتاه رجل فقال: يا ابن مسعود هل حدثكم نبيكم كم يكون من بعده خليفة، قال: نعم كعدة نقيب بني إسرائيل.

قال العلامة أحمد محمد شاکر: إسناده صحيح^(٢).

٢- قال ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري): «ويؤيد ما وقع عند أبي داود ما أخرجه أحمد والبزار من حديث ابن مسعود بسند حسن أنه سئل: كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال: سألتنا عنها رسول الله ﷺ فقال: «اثنا عشر كعدة نقيب بني إسرائيل»^(٣).

٣- نقله البوصيري في (إتحاف الخيرة المهرة) وقال: هذا إسناده حسن^(٤).

٤- قال السيوطي في (تاريخ الخلفاء): «وعند أحمد والبزار بسند حسن عن ابن مسعود «أنه سئل: كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال: سألتنا عنها رسول الله ﷺ؟ فقال: اثنا عشر كعدة نقيب بني إسرائيل»^(٥).

(١) مسند أحمد: ج ٤ ص ٢٨-٢٩ ح ٣٧٨١.

(٢) مسند أحمد: ج ٤ ص ٦٢ ح ٣٨٥٩.

(٣) فتح الباري: ج ١٣ ص ٢٦٢.

(٤) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: ج ٦ ص ١٦٥-١٦٦.

(٥) تاريخ الخلفاء: ص ٢٤، فصل في مدة الخلافة في الإسلام.

شبهات حول حديث الثقلين ٣٩٥

٥- قال ابن حجر الهيتمي في (الصواعق): «وعن ابن مسعود بسند حسن أنه سئل: كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال: سألتنا عنها رسول الله ﷺ فقال: اثنا عشر كعدّة نقيب بني إسرائيل»^(١).

٦- قال عبد الملك العاصمي في (سمط النجوم العوالي): «وعن ابن مسعود بسند حسن: أنه سئل: كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال: سألتنا عنها رسول الله ﷺ فقال: اثنا عشر كعدّة نقيب بني إسرائيل»^(٢).

٧- قال أبو العلاء محمد بن عبد الرحمن المباركفوري في (تحفة الأحوذى): «أمّا حديث ابن مسعود فأخرجه أحمد، والبزار بسند حسن: أنه سئل: كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال: سألتنا عنها رسول الله ﷺ فقال: اثنا عشر كعدّة نقيب بني إسرائيل»^(٣).

٨ - صحّح الشيخ محمد ناصر الدين الألباني هذا الحديث في (سلسلة الأحاديث الصحيحة)، حيث وضع في نهاية القسم الثاني من المجلد الأوّل فهرس للأحاديث الصحيحة والضعيفة، فذكر هذا الحديث في فهرس (الأحاديث الصحيحة مرتبةً على الكتب والأبواب الفقهية) تحت عنوان (السفر والجهاد والغزو والرفق بالحيوان، ص ١٠٢٥) مما يدلّ على أنه يرى صحّة الحديث.

(١) الصواعق المحرقة: ج ١ ص ٥٤.

(٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: ج ٢ ص ٤١٩.

(٣) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي: ج ٦ ص ٤٧٤-٤٧٥.

(٤) تفسير مدرسة أهل البيت لأحاديث الخلفاء اثنا عشر

يقول السيّد كمال الحيدري: «أمّا التفسير الذي قدّمته مدرسة أهل البيت عليه السلام في هذا المجال، فنجد أنّها لم تحتج إلى مزيد بحث وعناء في تفسير هذه النصوص النبويّة، وأنّ المراد بهم هم أئمة أهل البيت عليهم السلام. ولكي يتّضح ذلك لا بدّ من بيان جملة من الدلائل والخصوصيات التي أشار إليها الرسول صلى الله عليه وآله في حديث الاثني عشر، ومن هذه الخصوصيات:

١. أنهم موجودون إلى قيام الساعة

افتترضت هذه النصوص الروائيّة أنّ للخلفاء بقاءً ما بقي الدّين الإسلامي، أو حتّى تقوم الساعة، كما هو مقتضى قوله صلى الله عليه وآله: «لا يزال الدّين قائماً حتّى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة». وأصرح من ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان»^(١).

فإذا ضمنا إلى ذلك ما ورد متواتراً عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنّ الأرض لا تخلو من قائم لله بحجّة»^(٢) يتّضح أنّ هذه الأحاديث تسجّل بمجموعها معنّى مشتركاً فيما بينها:

أولاً: لا بدّ من دوام وجود هؤلاء الخلفاء إلى قيام الساعة.
ثانياً: إنّ ذلك لا يتحقّق إلّا إذا كان أولئك الخلفاء الاثنا عشر بشكل

(١) صحيح مسلم: ج ٦ ص ٣.

(٢) ينابيع المودّة: ج ١ ص ٨٩؛ تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٠ ص ٢٥٥؛ المناقب للخوارزمي: ص ٣٦٦؛ تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ٢٠٦.

شبهات حول حديث الثقلين ٣٩٧

متسلسل إلى قيام الساعة.

وهذه الحقيقة لم تتجسد إلا في أئمة أهل البيت الاثني عشر عليهم السلام، ومن أوضح ما يثبت ذلك: حديث الثقلين؛ حيث أتضح منه أن القرآن والعترة «لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض». والنفي التأييدي للافتراق بين الكتاب والعترة لا يتحقق إلا بديمومة أهل البيت عليهم السلام وبقائهم إلى قيام الساعة، وإلا لو فرض انقطاع أهل البيت عليهم السلام وعدم وجودهم في زمان معين، للزم منه افتراق القرآن عن العترة، وهو ينافي نص هذا الحديث المتواتر.

يقول ابن حجر في الصواعق: «وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك. ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض...»^(١).

٢. أن هؤلاء الخلفاء معينون بالنص

مقتضى تشبيه الرسول صلى الله عليه وآله الخلفاء بنقباء بني إسرائيل، يدل على كون هؤلاء الخلفاء معينين بالنص؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ (المائدة: ١٢)، وهذا التنصيب تكشف عنه مسؤولية النقيب في الآية المباركة وهو كونه أميناً ومديراً لقومه.

قال الرازي في ذيل هذه الآية: «يقال نقيب القوم، لأنه ينقب عن أحوالهم، كما ينقب الأسرار، ومنه المناقب وهي الفضائل، لأنها لا تظهر إلا بالتنقيب عنها».

ثم قال: «إذا عرفت هذا فنقول: النقيب: فعيل، والفعيل يمتل الفاعل والمفعول... وقال أبو مسلم: النقيب هاهنا فعيل بمعنى مفعول، يعني

(١) الصواعق المحرقة: ص ١٥١.

اختارهم على علم بهم».

ثم بين في المسألة الثالثة: «أن بني إسرائيل كانوا اثني عشر سبطاً، فاختار الله تعالى من كل سبط رجلاً يكون نقيباً لهم وحاكماً فيهم»^(١).

وهذا ما ورد صريحاً عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ في حديث قال: «معاشر الناس، من أحب أن يلقي الله وهو عنه راض، فليوال عدّة الأئمة». فقام جابر بن عبد الله، فقال: وما عدّة الأئمة؟ فقال: «يا جابر سألتني - يرحمك الله - عن الإسلام بأجمعه، عدّتهم عدّة الشهور، وهي عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض، وعدّتهم عدّة العيون التي انفجرت لموسى بن عمران حين ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشر عيناً، وعدّتهم عدّة نقباء بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ والأئمة - يا جابر - اثنا عشر...»^(٢).

٢. عملهم بالهدى والحق

بينت هذه الأحاديث أنّ هؤلاء الخلفاء الاثني عشر «كلّهم يعمل بالهدى ودين الحق». وقد أشار إلى هذا المعنى ابن كثير في تفسيره عندما قال: «ومعنى هذا الحديث: البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحاً يقيم الحق، ويعدل فيهم»^(٣).

ومن هنا نجد الرسول ﷺ قد أمر بالتمسك بهما معاً، لا بواحد منهما، لكي ينجو الإنسان من الضلالة، كما تقدّم: «ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً»، وأوضح من ذلك دلالة ما ورد في رواية الطبراني في تنمّة حديث

(١) ينظر تفسير الرازي: ج ١١ ص ١٨٣.

(٢) الاختصاص، للشيخ المفيد: ص ٣٢٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ج ٢ ص ٣٤.

شبهات حول حديث الثقلين ٣٩٩

الثقلين: «فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم»^(١).

ومن هذا الحديث يتّضح: أنّ التمسك بأحدهما لا يُغني عن الآخر، والسّرّ في ذلك أنّهما معاً يشكّلان حقيقة واحدة يتمثّل بها الإسلام على واقعه وبكامل أحكامه ووظائفه. وهذا ما روي عن عمر أنّ النبي ﷺ قال: «في كلّ خلوف من أمّتي، عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدّين تحريف الضالّين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ألا وإنّ أئمتكم وفدكم إلى الله عزّ وجلّ، فانظروا من توفدون»^(٢).

من هنا نعتقد: أنّ صلاح الأُمَّة لا يكون إلّا بهم، كما قال ﷺ: «لا يزال أمر أمّتي صالحاً حتّى يمضي اثنا عشر خليفة»^(٣).

٤. الثبات على الحقّ

وهذه الحقيقة تكشف عنها سيرتهم ﷺ، حيث نجد أنّ حياتهم مليئة بالمعاناة والظلمات والمصائب التي حلّت بهم ﷺ ابتداءً من الإمام أمير المؤمنين إلى أولاده المعصومين ﷺ الذين لا قوا ما لا قوا من ظلمات من قبل السلطات الحاكمة، ومن الذين تعلّقوا وانشدوا بأهداب الحياة، فغدوا ﷺ مشرّدين ما بين من قُتل مظلوماً وبين من قُتل مسموماً، فعلى الرغم من شدّة هذه المصائب والقمع التاريخي وخذلان الأُمَّة لهم، إلّا أنّ ذلك لم يؤثّر في سعيهم ﷺ لهداية الأُمَّة والوصول بها إلى الكمال الذي خُلِق الإنسان لأجله.

(١) المعجم الكبير: ج ٣ ص ٦٦ ح ٢٦٨١ و ج ٥ ص ١٦٧ ح ٤٩٧٠؛ مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٦٤؛ كنز العمال: ج ١ ص ١٨٦ ح ٩٤٦ و ٩٥٧.

(٢) الصواعق المحرقة: ص ٢٣١؛ ذخائر العقبى: ص ١٧؛ ينابيع المودة: ج ٢ ص ١١٤.

(٣) أمالي الصدوق: ص ٣٨٨؛ المستدرک، للحاكم: ج ٣ ص ٦١٨.

٥. أنهم اثنا عشر خليفة

مما تقدّم تبين: أنّ كلّ المحاولات التي بُذلت لتوجيه حصر عدد الخلفاء في اثني عشر لم تفلح، إلاّ التفسير الذي قدّمته مدرسة أهل البيت عليهم السلام، حيث نجد بوضوح أنّ الروايات - التي ستقف عليها لاحقاً - تثبت بما لا لبس فيه ولا غموض أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام هم مصداق هذه الأحاديث المتواترة بين الفريقين.

وبذلك تسقط تلك الدعوى التي يردّها البعض، بأنّ متكلّمي الشيعة هم الذين وضعوا هذه الأحاديث واختلقوها لتثبيت مذهبهم؛ لورود هذه النصوص في أهمّ الصحاح والمسانيد السنّية قبل ذكرها في المصادر الشيعيّة. يضيف السيّد الحيدري^(١): وقد أشار إلى هذه الحقيقة جملة من المحقّقين، منهم أستاذنا الشهيد محمّد باقر الصدر حيث قال: «قد أحصى بعض المؤلّفين روايات هذا الحديث النبوي الشريف عن الأئمة أو الخلفاء أو الأمراء بعده، أتهم اثنا عشر، فبلغت الروايات أكثر من (٢٧٠) رواية^(٢) مأخوذة من أشهر كتب الحديث عند الشيعة والسنّة.

وليست الكثرة العدديّة لهذه الروايات هي الأساس الوحيد لقبولها، بل هناك علاوة على ذلك مزايا وقرائن تبرهن على صحّتها، فالبخاري الذي نقل هذا الحديث كان معاصراً للإمام الجواد عليه السلام والإمامين الهادي والعسكري عليهم السلام، وفي ذلك مغزى كبير، لأنّه يبرهن على أنّ هذا الحديث قد سُجّل عن النبي صلى الله عليه وآله قبل أن يتحقّق مضمونه، وتكتمل فكرة الأئمة الاثني عشر فعلاً، وهذا يعني أنّه لا يوجد أيّ مجال للشكّ في أن يكون نقل الحديث متأثراً

(١) علم الإمام: ص ٦٣.

(٢) منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، للصافي الكلبايكاني: ص ١٠.

شبهات حول حديث الثقلين ٤٠١

بالواقع الإمامي الاثني عشري وانعكاساً له، لأنّ الأحاديث المزيّفة التي تُنسب إلى النبي ﷺ هي انعكاسات أو تبريرات لواقع متأخر زمنياً، لا تستبق في ظهورها وتسجيلها في كتب الحديث ذلك الواقع الذي يشكّل انعكاساً له.

فما دمنّا قد ملكنّا الدليل المادّي على أنّ الحديث المذكور سبق التسلسل التاريخي للأئمّة الاثني عشر، وضبط في كتب الحديث قبل تكامل الواقع الإمامي الاثني عشري، أمكننا أن نتأكّد من أنّ هذا الحديث ليس انعكاساً لواقع، وإنّما هو تعبير عن حقيقة ربّانيّة نطق بها من لا ينطق عن الهوى، فقال: إنّ الخلفاء بعدي اثنا عشر، وجاء الواقع الإمامي الاثنا عشري ابتداءً من الإمام عليّ عليه السلام وانتهاءً بالمهدي - عجل الله فرجه الشريف - ليكون التطبيق الوحيد المعقول لذلك الحديث النبوي الشريف»^(١).

أسماء خلفاء النبي ﷺ في النصوص الروائيّة

قبل استعراض الروايات التي بيّنت أسماء خلفاء النبي ﷺ، هناك تساؤل ملفت للنظر، هو أنّه بحسب الروايات التي وردت في الصحاح والمسانيد، أنّ الأئمّة سكتت ولم تستوضح من النبي ﷺ من هم هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر؟ سيّما وأنّ النبيّ الأعظم ﷺ كان في مواضع متفرّقة وأماكن مختلفة يؤكّد هذه الحقيقة، بالنحو الذي لم يدع مجالاً للمحقّق المنصف أن يشكّك في مضمون هذه الروايات.

وفي مقام الجواب يجيب السيّد الحيدري^(٢) بمجموعة احتمالات:
الأول: أنّ الأئمّة لم تهتمّ بذلك رغم الاهتمام الخاصّ الذي أولاه الرسول

(١) تاريخ الغيبة الصغرى، للسيّد محمّد الصدر: ص ١٨ من المقدّمة.

(٢) علم الإمام: ص ٦٥.

٤٠٢ حديث الثقلين سنداً ودلالة

الكريم ﷺ لبيان هذه الحقيقة، من خلال العشرات بل المئات من الروايات التي بينت أنّ الخلفاء من بعده اثنا عشر. وهذا الاحتمال لا يمكن قبوله لأنه طعن واضح في سيرة أصحاب النبي ﷺ حيث تؤكد لنا الوقائع التاريخية أنّهم كانوا يهتمون بكل صغيرة وكبيرة من أمر هذا الدين، بل كانوا يسألون عن أمور لا تهمهم، لذا نزل قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ (المائدة: ١٠١).

الثاني: أنّهم سألوا رسول الله ﷺ، لكن الرسول لم يهتم ببيان ذلك لهم. وهذا أيضاً لا يمكن قبوله لأنه خلاف ما صرح به القرآن بالنسبة إلى رسوله الأمين، حيث قال: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْعَيْبِ بِضَينٍ﴾ (التكوير: ٢٤)، بل هو مأمور ببيان ما نزل إليه من الأمر الإلهي: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: ٤٤)، لاسيّما أنّ ذلك الأمر يرتبط بكمال الدين، بل أساسه؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (المائدة: ٦٧).

الثالث: أنّ الأصحاب سألوا رسول الله ﷺ وبينه لهم، من خلال بيانات متعدّدة وفي مواقع مختلفة وبأساليب متنوّعة، لكن الأجهزة الحاكمة حالت دون ذلك ومنعت من تدوين حديث رسول الله ﷺ، بل أمرت بإحراق كلّ ما كتب في هذا المجال، ونهت عن تدوين ما هو في صدور الأصحاب.^(١)

(١) ورد عن عائشة أنّها قالت: جمع أبي الحديث عن رسول الله ﷺ، وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلّب كثيراً. قالت: فغمّني، فقلت: أتقلّب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلمّا أصبح قال: أي بنية، هلمّي الأحاديث التي عندك، فجئت بها، فدعا بنار فحرقها. (تذكرة الحفاظ للذهبي: ج ١ ص ٥).

وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر: إنّ عمر بن الخطّاب بلغه أنّه قد ظهرت في أيدي الناس كتب، فاستنكرها وكرهها، وقال: أيها الناس إنّّه قد بلغني أنّه قد ظهرت في أيديكم

شبهات حول حديث الثقلين ٤٠٣

من هنا نستطيع الوقوف على جواب تساؤل طالما أشار إليه جملة من أعلام السنّة المتقدّمين، وردّدته بعض الأعلام المعاصرة، وهو أنّه لو كانت الخلافة والإمامة لعلّي وأولاده من الأمور التي أكّدها وركّز عليها النبيّ الأكرم ﷺ، فلماذا أصيبت بمثل هذه الضباية والإبهام، وصارت منشأً للنقض والإبرام؟

الجواب: إنّ السلطات الحاكمة وأجهزتها الإعلامية كانت تعمل بكلّ ما وسعها من أجل طمس الحقائق التي لا ترتضيها ولا تصبّ في مصالحها، كما نجد ذلك واضحاً بالنسبة إلى الإمام عليّ ؑ وهو أقرب الصحابة إلى رسول الله ﷺ علماً وعملاً، حيث سنّ لعنه وشتمه على منابر المسلمين ولعشرات السنين، ولم يمض على رحلة الرسول الأعظم ﷺ إلا ثلاثون عاماً. قال ابن أبي الحديد في مقدّمة شرحه: «فقد علمت أنّه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكلّ حيلة في إطفاء نوره والتحريض عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعّدوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمّن له فضيلة أو يرفع له ذكراً، حتّى حظروا أن يسمّى أحد باسمه»^(١).

يقول السيّد الحيدري^(٢): فإذا كان بمقدور هذه الأجهزة كتمان الحقيقة وتشويهها، وإيصال الأمّة إلى هذا المستوى من الجهل بأقرب الصحابة إلى رسول الله ﷺ، فإنّ بإمكانها أيضاً أن تخفي الحقيقة المتعلقة بالأمّة الأحد

كتب، فأحبّها إلى الله أعدلها وأقومها، فلا يتبيّن أحدٌ عنده كتاب إلا أتاني به، فأرى فيه رأبي. قال: فظنّوا أنّه يريد أن ينظر فيها ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف، فأتوه بكتبهم، فأحرقها بالنار!! (حجّية السنّة، للشيخ عبد الغني عبد الخالق: ص ٣٩٥).

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ج ١ ص ١٧.

(٢) علم الإمام: ص ٦٧.

٤٠٤ حديث الثقلين سنداً ودلالة

عشر بطريق أولى، بحيث تصبح تلك الحقائق غير واضحة في أذهان المسلمين بصورة عامّة، فيقع الاختلاف بينهم لا محالة ؛ وهذا ما ألح إليه الشهيد الصدر بقوله: «ولو سلّم بلوغ إمامة أهل البيت عليهم السلام حدوثاً تلك الدرجة من الوضوح - بشكل تجعلها من الضروريات - فلا شك في عدم استمرار وضوحها بهذه المثابة، لما اكتنفها من عوامل الغموض»^(١).

والذي يثبت هذه الحقيقة أننا نجد بوضوح أن ذكر أسماء الخلفاء والأئمة من أهل البيت عليهم السلام إنما جاء بعد ذكر النبي صلى الله عليه وآله لخلفائه الاثني عشر وأنهم كعدّة نقباء بني إسرائيل. وإليك نموذجاً لبعض هذه الروايات:

١- عن عبد الله بن العباس قال: «دخلت على النبي صلى الله عليه وآله، والحسن على عاتقه والحسين على فخذه يلثمهما ويقبلهما ويقول: اللهم وال من والاهما وعاد من عاداهما.

قال ابن عباس: قلت: يا رسول الله فكم الأئمة بعدك؟

قال: بعدد حوارتي عيسى وأسباط موسى ونقباء بني إسرائيل.

قلت: يا رسول الله فكم كانوا؟

قال: كانوا اثني عشر، والأئمة بعدي اثنا عشر، أولهم علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، فإذا انقضى الحسين فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه محمد، فإذا انقضى محمد فابنه جعفر، فإذا انقضى جعفر فابنه موسى، فإذا انقضى موسى فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه محمد، فإذا انقضى محمد فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه الحسن، فإذا انقضى الحسن فابنه الحجة»^(٢).

٢- عن سلمان الفارسي قال: «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: معاشر الناس

(١) بحوث في شرح العروة الوثقى، للشهيد السيّد محمد باقر الصدر: ج ٣ ص ٣٩٦.

(٢) كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر، للرازي: ص ١٨.

شبهات حول حديث الثقلين ٤٠٥

إني راحلٌ عن قريب ومنطلق إلى المغيب، أوصيكم في عترتي خيراً، وإياكم والبدع، فإنّ كلّ بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار. معاشر الناس من افتقد الشمس فليتمسك بالشمس، ومن افتقد القمر فليتمسك بالفرقدين، فإذا فقدتم الفرقدين فتمسكوا بالنجوم الزاهرة بعدي، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

قال: فلما نزل عن المنبر تبعته حتى دخل بيت عائشة، فدخلت إليه وقلت: بأبي أنت وأُمِّي يا رسول الله فما الشمس والقمر؟ وما الفرقدان؟ وما النجوم الزاهرة؟ فقال ﷺ: أنا الشمس، وعليّ القمر، والحسن والحسين الفرقدان، فإذا افتقدتموني فتمسكوا بعليّ بعدي، وإذا افتقدتموه فتمسكوا بالحسن والحسين، وأمّا النجوم الزاهرة فهم الأئمة التسعة من صلب الحسين، تاسعهم مهديهم.

ثمّ قال عليه الصلاة والسلام: إنّهم هم الأوصياء والخلفاء بعدي، أئمة أبرار، عدد أسباط يعقوب وحواريّ عيسى. قلت: فسّمهم لي يا رسول الله؟

قال: أولهم عليّ بن أبي طالب، وبعده سبطاي، وبعدهما عليّ زين العابدين، وبعده محمد بن عليّ الباقر، والصادق جعفر بن محمد، وابنه الكاظم سمّي موسى بن عمران، والذي يُقتل بأرض الغربية ابنه عليّ، ثمّ ابنه محمد، والصادقان عليّ والحسن، والحجة القائم المنتظر في غيبته، فإنّهم عترتي من دمي ولحمي، علمهم علمي، وحكمهم حكمي، من أذاني فيهم فلا أناله الله شفاعتي^(١).

٣- عن أبي ذر قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَنْ أَحَبَّنِي وَأَهْلَ بَيْتِي كُنَّا نَحْنُ وَهُوَ كَهَاتَيْنِ - وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى - ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَخِي خَيْرُ الْأَوْصِيَاءِ، وَسِبْطِي خَيْرُ الْأَسْبَاطِ، وَسَوْفَ يُخْرِجُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ صَلْبِ الْحُسَيْنِ أُمَّةً أَبْرَاراً، وَمِنَّا مَهْدِيّ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

قلت: يا رسول الله وكم الأئمة بعدك؟ قال: عدد نقباء بني إسرائيل^(٢).

(١) كفاية الأثر، للخزّار القميّ: ص ٤٢.

(٢) المصدر نفسه: ص ٣٦.

٤٠٦ حديث الثقلين سنداً ودلالة

٤- عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الخلفاء بعدي اثنا عشر، تسعة من صلب الحسين، والتاسع مهديهم، فطوبى لمحبيهم، والويل لمبغضهم»^(١).

٥- عن أبي سعيد الخدري أيضاً، قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الأولى، ثم أقبل بوجهه الكريم علينا فقال: معاشر أصحابي إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح وباب حطة في بني إسرائيل، فتمسكوا بأهل بيتي بعدي والأئمة الراشدين من ذريتي، فإنكم لن تضلوا بعدي أبداً. فقيل: يا رسول الله كم الأئمة بعدك؟ فقال: اثنا عشر من أهل بيتي، أو قال: من عترتي»^(٢).

٦- عن سلمان الفارسي قال: «قال رسول الله ﷺ: الأئمة من بعدي بعدد نقباء بني إسرائيل، وكانوا اثني عشر. ثم وضع يده على صلب الحسين عليه السلام وقال: تسعة من صلبه، والتاسع مهديهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فالويل لمبغضهم»^(٣).

٧- عن محمد بن أبي عمير، عن غياث بن إبراهيم، عن أبي عبد الله الصادق، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين عليه السلام قال: «سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله ﷺ: (إني مخلّف فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي) من العترة؟ قال عليه السلام: أنا والحسن والحسين، والأئمة التسعة من ولد الحسين، تاسعهم مهديهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم، حتى يردوا على رسول الله ﷺ الحوض»^(٤).

٨ - عن أنس بن مالك، قال: «سمعت رسول الله ﷺ قال: أوصياء

(١) المصدر نفسه: ص ٣٣.

(٢) المصدر نفسه: ص ٣٤.

(٣) المصدر نفسه: ص ٤٧.

(٤) معاني الأخبار، للشيخ الصدوق: ص ٩١.

شبهات حول حديث الثقلين ٤٠٧

الأنبياء الذين بعدهم، بقضاء ديونهم وإنجاز عدااتهم، ويقاتلون على سنتهم. ثم التفت إلى عليّ عليه السلام فقال: أنت وصيّي وأخي في الدنيا والآخرة، تقضي ديني وتنجز عداقي وتقاتل على سنتي، تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل، فأنا خير الأنبياء وأنت خير الأوصياء، وسبطاي خير الأسباط، ومن صلبهما يخرج الأئمة التسعة، مطهرون معصومون قوامون بالقسط، والأئمة بعدي على عدد نقباء بني إسرائيل وحواريّ عيسى، هم عترتي من لحمي ودمي»^(١).

٩- ما جاء في فرائد السمطين للحمويّين المصري^(٢): «عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قدم يهوديّ على رسول الله صلى الله عليه وآله يُقال له: نعثل، فقال له: يا محمد إنني أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإن أجبت عنها أسلمت على يدك. قال: سل يا أبا عمارة. إلى أن قال: فأخبرني عن وصيِّك من هو؟ فما من نبيّ إلا وله وصيّ، وإن نبينا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون. فقال: نعم، إن وصيّي والخليفة من بعدي عليّ بن أبي طالب، وبعده سبطاي: الحسن والحسين، يتلوه تسعة من صلب الحسين أئمة أبرار، قال: يا محمد فسمّهم لي، قال: نعم، إذا مضى الحسين فابنه عليّ، فإذا مضى عليّ فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه عليّ، فإذا مضى عليّ فابنه محمد، ثم ابنه عليّ، ثم ابنه الحسن، ثم الحجّة بن الحسن، فهذه اثنا عشر أئمة عدد نقباء بني إسرائيل.

(١) كفاية الأثر، للقمي: ص ٧٦.

(٢) قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: الإمام المحدث الأوحّد الأكمل فخر الإسلام صدر الدّين، إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن حمويه الخراساني الجويني، شيخ الصوفيّة، كان شديد الاعتناء بالرواية، حسن القراءة، مليح الشكل، مهيباً ديناً صالحاً (تذكرة الحفاظ: ج ٤ ص ١٥٠٦).

قال: فأين مكانهم في الجنة؟ قال: معي في درجتي.

قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، وأشهد أنهم الأوصياء من بعدك، ولقد وجدت هذا في الكتب المتقدمة، وفيما عهد إلينا موسى بن عمران أنه إذا كان آخر الزمان، يخرج نبي يُقال له: (أحمد)، خاتم الأنبياء لا نبي بعده، فيخرج من صلبه أئمة أبرار عدد الأسباط»^(١).

هذه نماذج من الروايات التي صرّحت بأسماء خلفاء النبي ﷺ من بعده، وهناك العشرات بل المئات من النصوص الواردة عن طرق الفريقين، تشير إلى بعض أسماء هؤلاء الخلفاء الاثني عشر، ثم تصرّح أن باقي الخلفاء هم من صلب الإمام الحسين عليه السلام، سيّما ما ورد في ذيل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ (الزخرف: ٢٨).

هذا مضافاً إلى دليل آخر يمكن اعتماده في هذا المجال لتعيين مصاديق هؤلاء الخلفاء والأئمة، وذلك من خلال المقياس الذي نصّ عليه حديث الثقلين، ألا وهو عدم الافتراق بين القرآن والعترة، فلنمسك بأيدينا هذا المقياس، ونسبر به الواقع السلوكي لجميع من تسموا بالخلفاء والأئمة والأمراء لدى جميع الاتجاهات والمدارس، ونختار أجدرهم بالانطباق عليه لنتمسك بإمامته وخلافته للنبي ﷺ.

وهنا عندما نستعرض تاريخ وتراجم أئمة أهل البيت عليهم السلام، نجد أن «هؤلاء الأئمة الاثني عشر قد ادّعوا لأنفسهم الإمامة في عرض السلطة الزمنية، واتّخذوا من أنفسهم كما اتّخذهم الملايين من أتباعهم قادة للمعارضة السلمية للحكم القائم في زمنهم، وكانوا عرضة للسجون والمراقبة، وكثير منهم قُتل بالسم، وفيهم من استشهد في ميدان الجهاد على يد القائمين

(١) فرائد السمطين، للجبيني الخراساني: ج ٢ ص ١٣٣.

شبهات حول حديث الثقلين ٤٠٩

بالحكم، وفي هؤلاء الأئمة من تولى الإمامة وهو ابن عشرين سنة كالإمام الحسن العسكري، بل فيهم من تولّاها وهو ابن ثمان كالإمامين الجواد والهادي، ومن المعروف عند الشيعة ادّعاؤهم العصمة لأئمّتهم، الملازمة لدعوى الإحاطة في شؤون الشريعة جميعها، بل ادّعوا الأعلمية لهم في جميع الشؤون، وهم أنفسهم صرّحوا بذلك»^(١).

ومن كلماتهم في ذلك: ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة:

• «نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وبنابيع الحكم»^(٢).

• «هم موضع سرّه، ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائضه»^(٣).

• «ألا إنّ مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثّل نجوم السماء، إذا خوى نجمٌ طلع نجم، فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع، وأراكم ما كنتم تأملون»^(٤).

• «فأين تذهبون؟ وأنى تؤفكون! والأعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم! وكيف تمهون وبينكم عترة نبيكم، وهم أزمّة الحقّ، وأعلام التّين، والسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردّوهم ورود الهيم العطاش»^(٥).

• «لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد، ولا يستوي بهم من جرّت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس التّين وعماد اليقين، إليهم يفىء الغالي، وبهم يلحق

(١) الأصول العامّة للفقّه المقارن: ص ١٨١.

(٢) نهج البلاغة: ج ١ ص ٢١٥.

(٣) المصدر نفسه: ج ١ ص ٣٠.

(٤) المصدر نفسه: ج ١ ص ١٩٤.

(٥) المصدر نفسه: ج ١ ص ١٥٤.

٤١٠ حديث الثقلين سنداً ودلالة

التالي، ولهم خصائص حقّ الولاية، وفيهم الوصيّة والوراثة»^(١).

• «هم عيش العلم، وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقتهم، لا يخالفون الحقّ ولا يختلفون فيه، وهم دعائم الإسلام، وولائج الاعتصام، بهم عاد الحقّ إلى نصابه وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته»^(٢).

• «أين الذين زعموا أنّهم الراسخون في العلم دوننا، كذباً وبغياً علينا، أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرّمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستعطي الهدى، ويُسْتَجْلَى العمى. إنّ الأئمّة من قريش^(٣) غُرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاية من غيرهم»^(٤).

• «انظروا أهل بيت نبيّكم فالزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى. فإن لبّدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا»^(٥).

وقال الإمام الرضا عليه السلام:

• «إنّ الإمامة خلافة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء، إنّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول صلّى الله عليه وآله ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام. إنّ الإمامة زمام الدّين، ونظام المسلمين، وصلاح الدّنيا، وعزّ المؤمنين، إنّ الإمامة أسّ الإسلام النامي، وفرعه السامي... الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كلّ من غير طلب منه له

(١) المصدر نفسه: ج ١ ص ٣٠.

(٢) المصدر نفسه: ج ١ ص ٣٢.

(٣) تأكيداً للمتفق عليه، اثنا عشر إماماً كلّهم من قريش.

(٤) المصدر نفسه: ج ٢ ص ٢٧.

(٥) المصدر نفسه: ج ١ ص ١٨٩.

ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب».

• «وإنَّ العبد إذ اختاره الله عزَّ وجلَّ لأُمور عبادته، وشرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعي بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيّد موقّق مسدّد، قد أمن الخطايا والزلل والعتار، يخصّه الله بذلك ليكون حجّته على عبادته، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»^(١).

ونظير هذه الأقوال كثير في كلمات أئمة أهل البيت عليهم السلام.

يقول السيّد الحيدري: «مما تقدّم يتّضح أنّ هذه الأحاديث التي رُويت في مصادر الفريقين بشكل مكثّف، لا يمكن أن نجد لها تطبيقاً واقعياً منسجماً مع الخصائص والميزات التي ذكرت فيها، إلّا على ما تذهب إليه مدرسة أهل البيت عليهم السلام من القول بالأئمة الاثني عشر، أو لهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم المهديّ المنتظر عليه السلام، وهو حيٌّ يُرزق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لذا أورد أبو داود هذا الحديث في كتاب المهديّ من سننه^(٢)، جاعلاً إياه أوّل حديث من أحاديثه»^(٣).

وقد أجمعت الأمة على أعلمتهم وأهليّتهم للخلافة، وأنّ لهم من الخصائص والمميّزات ما لم تكن لغيرهم، على الرغم ممّا عانوه من ظلم واضطهاد، فهم الذين تنطبق عليهم - وحدهم - خصوصيات الاثني عشر التي بيّنها النبي صلى الله عليه وآله في الأحاديث المتقدّمة.

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٠٣.

(٢) سنن أبي داود: ج ٢ ص ٢٠٩ ح ٤٢٧٩.

(٣) علم الإمام: ص ٨٣.

الخاتمة

- توصّل الباحث في نهاية هذا البحث والتقصي الذي توخى فيه العلميّة والموضوعيّة والأكاديميّة إلى:
- أن حديث الثقلين ثابتٌ وصحيحٌ سنداً، بل هو متواتر؛ لأنه قد رواه أكثر من عشرين من الصحابة.
 - أن رسول الله ﷺ قد أوصى بعد وفاته ولم يترك الأمة هملاً. ووصيته هما القرآن والعترة الذين هم خصوص الخمسة أصحاب الكساء، وأتّهما لن يفترقا حتّى يردا الحوض على رسول الله ﷺ وأتّهم معصومون؛ للتطابق بينهم وبين القرآن وإلا لزم الافتراق وكذب النبي ﷺ حاشاه!
 - أن هذا الحديث ذكره النبي ﷺ في حجة الوداع مقرون مع حديث (من كنت مولاه فعليّ مولاه) وعليه فهو مقدّمة؛ من حيث إنّ كلّ ما ثبت من صفات أعلميّة وأفضليّة وعصمة هي مؤهّلات حقيقيّة لخلافة النبي ﷺ في الأمة. وإلا فيلزم العبث.
 - وجود لفظ الخليفة صراحة يصلح أن يفسّر الحديث المتفق عليه (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين من بعدي) ومنه نعرف أنّ الخلفاء الراشدين هم المعنيون بالحديث الآخر (الخلفاء من بعدي اثنا عشر).
 - أمر صريح واضح جليّ أنّ أتباع غير أهل البيت ﷺ ضلال، وأنّ

اتباعهم هدىً ما بعده ضلال؛ بدليل قوله ﷺ: لن تضلّوا بعدي.
وتوجيه صريح واضح جليّ: أتمهم هم الحبل الممدود الذي أمرنا
بالاعتصام به للنجاة، كما في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾.

• بعد الاتفاق على مسيس الحاجة للسنة النبوية في تكوين الفكر
الإسلامي، وأن مهمة هذه السنة هو التبيان والشرح، أجاب الباحث عن
السؤال المهم والجوهري، وهو: كيف يمكننا تحصيل تلك السنة النبوية؟ وما
الطرق والوسائل التي يمكننا عن طريقها الظفر بتلك السنة دون دمجها بما
ليس منها؟

• توصل الباحث أن جانب المشكلة الأبرز يتعلّق بالمصدر الثاني من
مصدري فهم الإسلام، وليس المصدر الأول، أي في السنة النبوية وليس في
القرآن الكريم، أي: إن طريق تلقي هذه السنة والمرجعية المعتمدة في تحصيلها
هو الجانب الأهم في خلق مشكلة انقسام المسلمين وتخذلهم في مذاهب
وفرق متعدّدة، وهو أيضاً العنصر الذي يفترض أن يناقش ويحقّق قبل البدء
بأي حوار نقديّ مذهبيّ.

فمن المعروف أن العالم الإسلامي منقسم في معالجة هذه المشكلة إلى
قسمين: «قسم يذهب إلى مرجعية العترة وأولويّتهم في نقل السنة النبوية
وشرحها وتفسير النصّ القرآني، وإيضاح ما يحتويه من معارف ورؤى
ومفاهيم، وقسم آخر يذهب إلى إيكال هذه المهام إلى الصحابة وإعطائهم
الأولوية في ممارسة هذا الدور»^(١).

• توصل الباحث أن الإشكالية على مدرسة الصحابة في عدهم للعترة
ضمن تبعية مدرسة الصحابة! وهذا في حقيقة الأمر مصادرة على المطلوب،

(١) معالم الإسلام الأموي: ص ٣٩.

وقفز على الحقائق، بل إننا لاحظنا أنّ مدرسة الصحابة، ليس فقط لا تعتمد رأي مدرسة العترة في فهمها للإسلام، بل ولا تتعامل معهم على مسافة واحدة كما تتعامل مع الصحابة وغيرهم، ولا حظنا أنّ دور الإمام عليّ عليه السلام في فهم مدرسة الصحابة لا يشغل إلّا حيزاً هامشياً بالمقارنة مع غيره من الصحابة، سواء في نقل السنّة النبويّة أو في شرح تعاليم الإسلام أو في غير ذلك ممّا يتعلّق بالإسلام، ونجد أنّها لا تهتمّ بمخالفته وانفراده عن الآخرين من الصحابة وكذا باقي أهل البيت عليهم السلام.^(١)

• إيجاد ما يصلح أن يكون ردّاً حضارياً علمياً على بعض النماذج المسيئة للإسلام، التي أفرزتها الحالة المعلوماتية التي تلبّس بها العالم اليوم، «في تناوّلها للخلافات المذهبية كما هو الحال مع الوهابية»^(٢) المتطرّفة، واعتمادهم لاستراتيجية هجومية إعلامية (تلفاز وإنترنت) وتصعيدها في الآونة الأخيرة لخطابها الاحترابي التشهيري بمذهب أهل البيت عليهم السلام ونبذها لرموز هذا المذهب وعلمائه، وتكفيرها لأتباعه ومعتنقي أفكاره ومتبنياته العقديّة والتشريعيّة، وهي تقوم بهذه الوظيفة من خلال استقدامها لمجموعة من المتظاهرين بالعلم ممّن يتمتّعون بمزاجٍ انفعاليٍّ مفرطٍ في انفلاته وبدائيّته،

(١) روى البخاري للإمام علي عليه السلام ٣٤ حديثاً وصحيح مسلم ٣٨ حديثاً فقط، ولم يُرجحاً حتى حديثاً واحداً عن أحد من أهل البيت عليهم السلام، وخاصّة الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي كان معاصراً للبخاري.

(٢) «س: يسمّي بعض الناس عندنا العلماء في المملكة العربية السعودية بالوهابية فهل ترضون بهذه التسمية؟ ج: هو لقب شريف عظيم يدلّ على أنّ من لُقّب به فهو من أهل التوحيد، ومن أهل الإخلاص لله، وممن ينهى عن الشرك بالله، وعن عبادة القبور والأشجار والأحجار والأصنام والأوثان». (ينظر نور على الدرب، لابن باز: ج ١ ص ٢٠).

- ويكثرون من الصراخ والشتائم والسباب والتشهير^(١).
- بيان أنّ لمذهب أهل البيت عليهم السلام حقانية واضحة أصولاً وفروعاً، ومن خلال أهمّ مراجع المدارس الأخرى في أصولها الحديثية، وكتبها العقديّة.
 - ضرورة إيضاح الشروط المنهجية التي ينبغي أن يقوم عليها مثل هذه البحوث من دون أن يفضي إلى التباسات فكرية من شأنها أن تضيّع الجهود وتستنزف الزمن بلا ثمرة أو فائدة علمية أو عملية في واقع المسلمين، أو أن تسهم في أن تنضج رؤاهم بشأن عقيدتهم وتاريخهم القديم.
 - ضرورة تقريب الآراء وبيان العناصر المشتركة التي يُجمع عليها المسلمون بالرغم من اختلافاتهم الكثيرة. إنّ العالم المعاصر يتّجه يوماً بعد يوم نحو التقارب الفكري وازدياد الاندماج والتواصل، هذا إذا أردنا أن نكون مؤثرين على الصعيد الفكري العالمي، أمّا إذا تمادينا في الخلافات وزيادة الهوة؛ فأكيداً سنضّر أنفسنا كمسلمين ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ (الأنعام: ٤٦).
 - توصل الباحث إلى أنّ مشكلة المسلمين ليست في تعدّد فرقهم وتنوع مذاهبهم، بقدر ما هي مشكلة (التعايش السلمي) ضمن هذا التعدّد، واستيعاب كلّ طرفٍ للطرف الآخر، والتواصل معه على ما هو عليه.
 - إنّ ما عنى الباحث بالدرجة الأساس ليس هو الردّ على من لم يعتقد أفكار وعقائد وتشريعات مدرسة أهل البيت عليهم السلام والباحث ليس حريصاً على زيادة عدد المنتسبين لهذه المدرسة، بقدر ما هو حريص على بيان حقيقة هذه المدرسة، وما تقوله وتبناه، وقطع الطريق أمام من يقول هذه المدرسة ما لم تقل، أو ينسب لها من المعتقدات ما لا تلتزم به.
 - الفصل بين المنظر الرئيس للاتّجاه الذي يشهّر ويعادي مدرسة أهل

(١) معالم الإسلام الأموي: ص ١٣.

الخاتمة ٤١٧

البيت عليه السلام، بل ويقتل أتباعها، وهو الشيخ ابن تيمية وأتباعه من الوهابية، وبين مجمل الاتجاهات التي تمثلها مدرسة أهل السنة والجماعة، وإثبات أن الاتجاه الأول لا يمتّ بصلة للاتجاه الثاني، فضلاً عن أن يحتكر تمثيله ويعدّ نفسه الناطق باسمه.

والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة على سيد الخلق محمد وآله الطاهرين، وأصحابه المنتجبين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الأبواب (رجال الطوسي): الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، ط ١، ١٤١٥ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٢. الأحاد والمثاني: ابن أبي عاصم (ت: ٢٨٧)، تحقيق الدكتور باسم فيصل أحمد الجوابرة، أستاذ الحديث المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دار الدراية للطباعة والنشر والتوزيع السعودية الرياض ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
٣. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، تحقيق: عادل بن سعد والسيد بن محمود بن إسماعيل، مكتبة الرشد ١٩٩٨.
٤. الاحتجاج: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت: ٥٤٨) تحقيق: تعليق وملاحظات السيد محمد باقر الخراسان ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف.
٥. إحقاق الحق وإزهاق الباطل: القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري، مع تعليقات نفيسة وهامة للعلامة الحجة آية الله العظمى السيد شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم - إيران.
٦. أحكام القرآن: محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله (ت: ٢٠٤ هـ)، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية بلد الناشر: بيروت.

- ٤٢٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة
٧. الإحكام في أصول الأحكام: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ)، مطبعة العاصمة - القاهرة.
٨. أحوال الرجال: إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني، أبو إسحاق (ت: ٢٥٩هـ)، المحقق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، دار النشر: حديث أكاديمي، فيصل آباد - باكستان.
٩. الاختصاص: الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي، ط ٢، ١٤١٤ - ١٩٩٣م، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
١٠. أدب الاختلاف في الإسلام: طه جابر العلواني المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٣م - ١٩٩٢م.
١١. الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين: عبد الرحمن محمد الحسن هبة الله، ابن عساكر الشافعي، المحقق: محمد مطيع حافظ، غزوة بدير، دار الفكر - ١٩٨٦م.
١٢. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ)، وبهامشه: شرح الشيخ أحمد بن قاسم العبادي الشافعي على: شرح جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي، على: «الورقات في الأصول» لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي المتوفى سنة ٤٧٨هـ، ط ١، طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م.
١٣. الإرشاد في معرفة علماء الحديث: الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي القزويني أبو يعلى (ت: ٤٤٦هـ)، تحقيق ومراجعة: د. محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد الرياض ط ٩، ١١٤٠هـ.
١٤. إرواء الغليل: محمد ناصر الألباني، تحقيق وإشراف: زهير الشاويش

المصادر والمراجع ٤٢١

- ط ٢، ١٩٨٥ م، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.
١٥. الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي، مطبعة دار التأليف.
١٦. استجلاء ارتقاء الغرف بحبّ أقرباء الرسول وذوي الشرف: الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، دار البشائر الإسلامية.
١٧. اصطلاحات الأصول: الشيخ علي المشكيني (معاصر)، ط ٥، ١٤١٣هـ، مطبعة الهادي، قم.
١٨. الأصول العامّة للفقّه المقارن، مدخل إلى دراسة الفقّه المقارن: العلامة محمد تقى الحكيم، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٧٩ م.
١٩. الأصول من الكافي: ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت: ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ)، مع تعليقات نافعة مأخوذة من مجموعة شروح، صحّحه وعلّق عليه علي أكبر الغفاري، ط ٣، ١٣٨٨، دار الكتب الإسلامية، طهران.
٢٠. أضواء البيان: الشنقيطي (ت: ١٣٩٣)، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، ١٩٩٥ م، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر.
٢١. أضواء على السنّة المحمّديّة: محمود أبو رية (ت: ١٣٨٥)، ط ٥، نشر البطحاء.
٢٢. الأعلام: خير الدين الزركلي (ت: ١٩٧٦)، دار العلم للملايين، بيروت ط ٥.
٢٣. ألقية السيوطي في علم الحديث: تصحيح: أحمد محمد شاكر، دار المعرفة، بيروت.
٢٤. الأمّ: الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤)، ط ٢، ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، دار الفكر للطباعة والنشر.

- ٤٢٢..... حديث الثقلين سنداً ودلالة
٢٥. الأماكن الماثورة والمتواترة في مكة: عبد الوهاب إبراهيم، عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٤٣١هـ.
٢٦. أمالي الأذكار: العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: كيلاني محمد خليف، ط ١، مؤسسة قرطبة، بيروت.
٢٧. الأمالي الخميسية: يحيى بن الحسين الشجري الجرجاني (ت: ٤٩٩)، تحقيق محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ط ١.
٢٨. الأمالي: الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ط ١، ١٤١٧هـ.
٢٩. الأمالي: الشيخ المفيد (ت: ٤١٣)، تحقيق: حسين الأستاذ ولي، علي أكبر الغفاري، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
٣٠. الإمام الألباني دروس وعبر: عبد العزيز السرحان، قدّم له: عبد الله بن عقيل، دار التوحيد للنشر.
٣١. الإمام الذهبي، عبد الستار الشيخ، دار القلم، دمشق.
٣٢. الإمام الصادق عليه السلام: محمد أبو زهرة، الجامعة العربية، دار أيام زمان، ١٩٥٩م.
٣٣. أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: الدكتور محمد حميد الله، يخرجه: معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر، ١٩٥٩م.
٣٤. أهل البيت عليهم السلام: السيد محمد تقي الحكيم، ط ١، ١٤٢٦ المطبعة: نكارش.

المصادر والمراجع ٤٢٣

٣٥. الأوائل: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن

مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥ هـ) ط ١، ١٤٠٨ هـ، دار البشير، طنطا.

٣٦. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلم العلامة الحجّة

فخر الأمة المولى الشيخ محمّد باقر المجلسي، مؤسّسة الوفاء، بيروت -

لبنان .

٣٧. البحر الزخار المعروف بمسند البزار: للإمام الحافظ عبد الخالق البزار

(ت: ٢٩٢ هـ)، تحقيق: عادل بن سعد، دار الكتب العلميّة المدينة المنورة

ط ١، ١٤٣٠ هـ.

٣٨. بحوث في الفقه المعاصر: الشيخ حسن الجواهري، مجمع الذخائر

الإسلاميّة، مطبعة: ستاره، صبا، قم، ١٤٢٩ هـ، ط ١.

٣٩. بحوث في شرح العروة الوثقى: سماحة آية الله العظمى الإمام الشهيد

السيد محمّد باقر الصدر رحمته، المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، الطبعة

المحقّقة الأولى، ١٤٢١ هـ، مركز الأبحاث والدراسات التخصّصيّة

للسهيد الصدر .

٤٠. بحوث في علم الأصول: بحث السيد محمّد باقر الصدر، تقرير السيد

محمود الشاهرودي ط ٣، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، المطبعة: محمّد، مؤسّسة

دائرة المعارف الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام .

٤١. البداية والنهاية: ابن كثير (ت: ٧٧٤)، تحقيق وتدقيق وتعليق: علي

شيري، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت -

لبنان .

٤٢. البلدانيات: الحافظ السخاوي (ت: ٩٠٢ هـ) تحقيق: حسام بن محمّد

القطان، ط ١، ١٤٢٢ هـ، دار العطاء، السعودية.

٤٣. البيان في تفسير القرآن: الإمام السيد أبو القاسم الخوئي، دار الزهراء.

٤٢٤..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

٤٤. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: ١٢٠٥) تحقيق: علي شيري، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٤٥. تاريخ ابن أبي خيثمة أو التاريخ الكبير: أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة (ت: ٢٧٩هـ) المحقق: صلاح بن فتحي هلال، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٤٦. تاريخ ابن خلدون: (ت: ٨٠٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ٤.

٤٧. تاريخ ابن معين - رواية الدوري، ليحيى بن معين أبو زكريا، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف.

٤٨. تاريخ ابن معين، الدارمي: يحيى بن معين (ت: ٢٣٣)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد نور سيف، دار المأمون للتراث، دمشق.

٤٩. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية، عضو الهيئة الاستشارية للمنشورات التاريخية في اتحاد المؤرخين العرب، دار الكتاب العربي بيروت، ط ٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٩٨م.

٥٠. تاريخ الملوك والأمم (المنتظم): أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ابن الجوزي (ت: ٥٧٩هـ)، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصحّحه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

المصادر والمراجع ٤٢٥

٥١. تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١)، تحقيق: لجنة من الأدباء، مطابع معتوق إخوان، بيروت.
٥٢. التاريخ الصغير، الإمام الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، فهرس أحاديثه: يوسف المرعشي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٥٣. تاريخ الطبري: الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (قوبلت هذه الطبعة على النسخة المطبوعة بمطبعة بريل في لندن ١٨٧٩ م)، راجعه وصحّحه وضبطه: نخبة من العلماء الاجلاء، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٥٤. تاريخ الغيبة الصغرى: السيّد محمد الصدر، تقديم: السيّد محمد باقر الصدر، مؤسّسة إحياء التراث، ط ١، ١٤٢٧ هـ.
٥٥. تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، ابن واضح، الكاتب العبّاسي المعروف باليعقوبي (ت: ٢٨٤ هـ) مؤسّسة ونشر فرهنك أهل البيت عليه السلام، قم؛ دار صادر، بيروت.
٥٦. تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ)، المحقق: الدكتور بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
٥٧. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها: الإمام العالم الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١ هـ)، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر، ١٩٩٥ م، بيروت - لبنان.
٥٨. تاريخ يحيى بن معين، للإمام يحيى بن معين بن عون المري الغطفاني البغدادي (ت: ٢٣٣ هـ)، برواية أبي الفضل العبّاس بن محمد بن حاتم

٤٢٦..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

الدوري البغدادي (ت: ٢٧١هـ)، ومعه: ملحق بكلام يحيى بن معين، برواية أبي خالد يزيد بن الهيثم بن طهمان، حقه وعلق عليه وقدم له ووضع فهارسه: عبد الله أحمد حسن، بإشراف: مكتب الدراسات الإسلامية لتحقيق التراث.

٥٩. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير): محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، ١٩٨٤ هـ، الدار التونسية للنشر، تونس .

٦٠. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، الإمام الحافظ أبو العلاء محمد عبد الرحمن، ابن عبد الرحيم المباركفوري - ١٣٥٣هـ، طبعة جديدة مقارنة مع الطبعين الهندية والمصرية، مع ملحق خاص بالأحاديث المستدركة من جامع الترمذي .

٦١. تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف: جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (ت: ٧٤٢هـ)، المحقق: عبد الصمد شرف الدين، طبعة: المكتب الإسلامي، والدار القيمة، ط ٢، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م .

٦٢. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، حقه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة.

٦٣. تقييد العلم: الحافظ المؤرخ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ)، صدره وحقه وعلق عليه: يوسف العشي، ط ٢، ١٩٧٤ م، دار إحياء السنة النبوية.

٦٤. تذكرة الحفاظ: الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٦٥. ترتيب الأمالي: محمد جواد المحمدي، مؤسسه المعارف الإسلامية.

المصادر والمراجع ٤٢٧

٦٦. تفسير ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ): تحقيق: محمد الطيب، دار الفكر للطباعة والنشر.

٦٧. تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، لبنان، بيروت، دار الكتب العلميّة.

٦٨. تفسير الجلالين: العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مذيلاً بكتاب: لباب النقول في أسباب النزول، قدّم له وراجعته: الأستاذ مروان سوار، مدقق المصاحف لدى وزارة الأوقاف السوريّة، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٦٩. تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل): علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٧٠. التفسير الصافي: الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١)، صحّحه وقدّم له وعلّق عليه: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، ط ٢، مكتبة الصدر، طهران.

٧١. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، قدّم له: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخرّيج: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٧٢. تفسير القرآن العظيم: عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) قدّم له: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، أستاذ التفسير بالمعهد العالي للدراسات الإسلاميّة، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٧٣. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، أعاد طبعه: دار إحياء التراث العربي،

٤٢٨..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

بيروت - لبنان، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٧٤. تفسير شبر: تفسير القرآن الكريم للعلامة المحقق الجليل السيّد عبد الله

شبر (ت: ١٢٤٢ هـ)، راجعه: الدكتور حامد حفني داود، أستاذ كرسيّ

الأدب في كليّة الألسن العليا بالقاهرة، ط ٣، وتمتاز على الطبعة الأولى

بزيادات وإصلاحات هامة، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م، قام بطبعها ونشرها:

السيّد مرتضى الرضوي، صاحب مطبوعات بالقاهرة.

٧٥. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمّد بن

حسين القميّ النيسابوري (ت: ٧٢٨ هـ)، تحقيق ومراجعة: الشيخ زكريا

عميران، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ١٩٩٦ م، ط ١.

٧٦. تقريب التهذيب: خاتمة الحفاظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:

٨٥٢ هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، طبعة مقابلة على

نسخة بخطّ المؤلّف، وعلى تهذيب التهذيب، وتهذيب الكمال، دار المكتبة

العلميّة، بيروت - لبنان.

٧٧. التلخيص الحبير في تخريج الرافعي الكبير: الإمام أبو الفضل أحمد بن

علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، دار الفكر.

٧٨. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن

عبد البرّ النمري، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمّد عبد الكبير

البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، المغرب، ١٣٨٧ هـ.

٧٩. تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢)، ط ١، ١٤٠٤ هـ -

١٩٨٤ م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

٨٠. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الحافظ المتقن جمال الدين أبو الحجاج

يوسف المزيّ (ت: ٧٤٢ هـ)، تحقيق وضبط وتعليق: الدكتور بشّار عوّاد

معروف، مؤسّسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط ٤، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٥ م.

المصادر والمراجع ٤٢٩

٨١. توضيح المقال في علم الرجال: المولى علي الكني، طبع طهران، ١٣٠٢ هـ.
٨٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحيق، ط ١٤٢٠ هـ، مؤسّسة الرسالة.
٨٣. الثقات: لابن حبان (ت: ٣٥٤)، ط ١، ١٣٩٣ هـ، المطبعة: مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن، الهند، مؤسّسة الكتب الثقافية.
٨٤. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت: ٣٨١ هـ)، قدّم له: العلامة الجليل السيّد محمد مهدي السيّد حسن الخراسان، منشورات الرضى، قم ط ٢، المطبعة: أمير، قم، ١٣٦٨ هـ ش.
٨٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠)، تقديم: الشيخ خليل المس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٨٦. الجامع الصحيح: الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ)، دار الفكر، بيروت.
٨٧. الجامع الصحيح: البخاري، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، دار الرسالة العالمية.
٨٨. الجامع الصحيح: الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت: ٢٧٩)، حقّقه وصحّحه: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ٢، ١٩٨٣ م، دار الفكر للطباعة والنشر.
٨٩. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ) تحقيق: حمدي الدمرداش محمد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

- ٤٣٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة
٩٠. الجامع الكبير: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طبع الرسالة العالمية.
٩١. جامع المقال فيما يتعلّق بأحوال الحديث والرجال، الشيخ فخر الدين الطريحي، تحقيق: كاظم الطريحي، مكتبة الجعفرية، طهران.
٩٢. جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي المعروف بابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ، بيروت - لبنان.
٩٣. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢.
٩٤. الجرح والتعديل: ابن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧)، ط ١، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي.
٩٥. جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف العلم الجليل والنسب النبوي: الإمام نور الدين علي بن عبد الله السمهودي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون لشركت السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٢٤هـ.
٩٦. السراج المنير على الجامع الصغير: السيوطي، مع حاشية شيخ الإسلام علي بن محمد العزيزي، وعليها حاشية محمد بن سالم الحفني، دار الفكر، سوريا.
٩٧. حجّة السنة، الشيخ عبد الغني عبد الخالق، رئيس قسم أصول الدين بجامعة الأزهر، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، ودار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ.

المصادر والمراجع ٤٣١

٩٨. حديث الثقلين وفقهه: د. علي السالوس، أستاذ الفقه والأصول بكلية الشريعة بجامعة قطر، نشر: مكتبة ابن تيمية، البحرين.

٩٩. الخراج: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت: ١٨٢هـ)، ط ١، دار المعرفة بيروت - لبنان.

١٠٠. الخصال: الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ)، صححه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة.

١٠١. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: الحافظ أبو عبدالرحمان أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، طبع بمطبعة التقدم بجوار القطب الدردير بمصر، ١٣١٩هـ، منشورات مكتبة الصدر، طهران.

١٠٢. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

١٠٣. دراسات في منهاج السنة، مدخل لشرح منهاج الكرامة: السيد علي الحسيني الميلاني، ط ١.

١٠٤. الدرر الكامنة: ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، ط دار الجليل، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٠٥. دلائل الصدق لنهج الحق: الشيخ محمد حسن المظفر (ت: ١٣٧٥)، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط ١، قم.

١٠٦. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨)، وثق أصوله وخرّج حديثه وعلّق عليه: د. عبد المعطي قلعجي، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٠٧. الذبُّ الأحمَد عن مسند الإمام أحمد: محمد ناصر الدين الألباني، نشر دار الصديق، توزيع مؤسسة الريان.

٤٣٢..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

- ١٠٨ . ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى: العلامة الحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ت: ٦٩٤هـ)، عن نسخة دار الكتب المصريّة، ونسخة الخزانة التيموريّة، عنيت بنشره: مكتبة القدسيّ، لصاحبها: حسام الدين القدسي، باب الخلق، بحارة الجداوي، بدمر سعادة بالقاهرة ١٣٥٦ هـ.
- ١٠٩ . الرسالة: الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤)، تحقيق وشرح: أحمد محمّد شاكر، المكتبة العلميّة، بيروت - لبنان.
- ١١٠ . رشفه الصادي من بحر فضائل بني النبيّ الهادي: أبو بكر شهاب الدين العلوي، تحقيق: السيّد علي عاشور، دار الكتب العلميّة، بيروت ط١، ١٩٩٨ م.
- ١١١ . الرعاية في علم الدراية: الشهيد الثاني زين الدين بن علي بن أحمد العاملي (ت: ٩٦٥)، قم، مكتبة آية الله المرعشي (١٤٠٨هـ).
- ١١٢ . رفع المنارة: محمود سعيد ممدوح (معاصر)، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م، دار الإمام النووي، عمّان - الأردن.
- ١١٣ . الرواشح السماويّة في شرح الأحاديث الإماميّة: المير السيّد محمّد باقر الداماد، طهران، ١٣١١ هـ.
- ١١٤ . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود الألوسي أبو الفضل (ت: ١٢٧٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١١٥ . رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين: السيّد علي خان المدني الشيرازي (ت: ١١٢٠)، تحقيق: السيّد محسن الحسيني الأميني، ط٤، ١٤١٥هـ: مؤسّسة النشر الإسلامي .
- ١١٦ . زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي (ت: ٥٩٧)، تحقيق: محمّد بن عبد الرحمن عبدالله، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، تخريج الأحاديث: أبو هاجر السعيد بن بسيوني زغلول.

المصادر والمراجع ٤٣٣

١١٧. سبل السلام: محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني (الأمير) (ت: ١١٨٢)، تحقيق ومراجعة وتعليق: الشيخ محمد عبد العزيز الخولي، ط ٤، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

١١٨. السراج المنير شرح الجامع الصغير: علي بن أحمد بن نور الدين العزيزي (ت: ١٠٧٠ هـ)، المطبعة الخيرية، ١٣٠٤ هـ.

١١٩. سعد السعود: السيد ابن طاووس، ١٣٦٣ هـ، قم، منشورات الرضى.

١٢٠. السقيفة وفدك: أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري البصري البغدادي (ت: ٣٢٣ هـ)، رواية: عز الدين بن عبد الحميد المعتزلي (ت: ٦٥٦ هـ)، تقديم وجمع وتحقيق: الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني، شركة الكتبي للطباعة والنشر، لبنان، ط ٢، ١٩٩٣ م.

١٢١. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين ابن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠ هـ)، ط ١، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

١٢٢. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، دار المعارف، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ط ١، الرياض - المملكة العربية السعودية.

١٢٣. سلطان العارفين محي الدين بن عربي: عبد الحفيظ فرغلي علي القرني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦ م، ط ٢.

١٢٤. السنة: الإمام أبو بكر أحمد بن عمر بن أبي عاصم (ت: ٢٨٧ هـ)، حققه وخرّج أحاديثه: الأستاذ الدكتور باسم بن فيصل الجوابرة، أستاذ الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، دار الصميعة، ط ٣.

- ٤٣٤..... حديث الثقلين سنداً ودلالة
١٢٥. سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فواد عبد الباقي، دار الفكر.
١٢٦. سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني، بشرح الإمام السندي، المتوفى ١١٣٨هـ، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيخا، دار المعرفة، بيروت.
١٢٧. سنن أبي داود (ت: ٢٧٥هـ): تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، سوريا، ط ١.
١٢٨. سنن الترمذي (ت: ٢٧٩هـ): تحقيق عبد الرحمن محمد علي، ط ٢، ١٩٨٣م، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
١٢٩. سنن الدارقطني: الإمام الحافظ علي بن عمر الدارقطني (ت: ٣٨٥هـ)، علّق عليه وخرّج أحاديثه: مجدي بن منصور بن سيّد الشورى، ألحقنا الفهارس العلميّة العامّة في آخر المجلد الثاني، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان.
١٣٠. السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، وسيّد كسروي حسن، ط ١، دار الكتب العلميّة، بيروت.
١٣١. السنن الكبرى: البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط ١، مكتبة دار الباز، مكّة المكرّمة.
١٣٢. سوّالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، تحقيق: محمد علي قاسم العمري، الجامعة الإسلاميّة، المدينة المنورة، ط ١.
١٣٣. سوّالات السلمى للدارقطني: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمى (ت: ٤١٢هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د. سعد بن عبد الله الحميد، و

- د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي، ط ١.
١٣٤. سؤالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة لعلي بن المديني: علي بن عبد الله بن جعفر السعدي بالولاء المديني، البصري، أبو الحسن (ت: ٢٣٤هـ)، المحقق: موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١.
١٣٥. سير أعلام النبلاء: الذهبي (ت: ٧٤٨)، إشراف وتخرّيج: شعيب الأرنؤوط، تحقيق: إبراهيم الزبيق، ط ٩، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، مؤسّسة الرسالة، بيروت - لبنان.
١٣٦. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: المؤرّخ أبو الفلاح عبد الحيّ، ابن العماد الحنبلي (ت: ١٠٨٩)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٣٧. شرح السنّة: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، وشعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي.
١٣٨. شرح صحيح مسلم: الإمام النووي (ت: ٦٧٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٩٨٧.
١٣٩. شرح العقيدة التدمريّة: فضيلة الشيخ عبد الرحمن ناصر البراك، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمريّة.
١٤٠. شرح المقاصد في علم الكلام: التفتازاني (ت: ٧٩٢)، ط ١، ١٩٨١م، باكستان - دار المعارف النعمانيّة.
١٤١. شرح المواهب اللدنيّة: محمد الزرقاني بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان المصري، المحقق: محمد عبد العزيز الخالد، دار الكتب العلميّة، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١٤٢. شرح مشكل الآثار: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسّسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٤٩٤م.

- ٤٣٦..... حديث الثقلين سنداً ودلالة
١٤٣. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد (ت: ٦٥٦)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٩٦١م، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
١٤٤. الشريعة: الآجري (ت: ٣٦٠)، تحقيق: محمد حامد حفني، دار السنّة المحمّديّة، مؤسسة قرطبة، مصر، ط ١.
١٤٥. شفاء السقام: تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، (ت: ٧٥٦)، ط ٤، ١٤١٩هـ.
١٤٦. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: الحافظ الكبير عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، الخذاء الحنفي النيسابوري، تحقيق وتعليق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسّسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.
١٤٧. الصحاح: إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت: ٣٩٣)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.
١٤٨. صحيح الأحاديث القدسيّة ما حكاها النبي ﷺ عن ربّ البريّة: محمد ناصر الدين الألباني، مركز تحقيق النصوص، القاهرة، ط ١.
١٤٩. صحيح البخاري: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي، طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٥٠. صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير): محمد ناصر الدين الألباني الطبعة المجددة والمزيدة والمنقحة، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ.

المصادر والمراجع ٤٣٧

١٥١. الصحيح المسند من فضائل الصحابة: أبو عبد الله مصطفى بن العدوي (معاصر)، دار ابن عفاًن، المملكة العربية السعودية، الخبر، ط ٢، ١٤١٩هـ.

١٥٢. صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ت ٣٥٤هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، مؤسّسة الرسالة، بيروت.

١٥٣. صحيح سنن ابن ماجة (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت: ٢٧٥هـ): الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٩٩٧م.

١٥٤. صحيح سنن الترمذي: العلامة الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ.

١٥٥. صحيح مسلم: شرح محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي (ت: ٦٧٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، الرملة البيضاء، بيروت - لبنان.

١٥٦. الصحيفة السجادية: الإمام زين العابدين (ت: ٩٤)، تحقيق: السيّد محمد باقر الموحّد الأبطحي الإصفهاني، ط ١، ٢٥ محرم الحرام ١٤١١هـ، المطبعة: نمونه، قم.

١٥٧. الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة: أحمد بن حجر الهيتمي المكّي (ت: ٩٧٤)، خرّج أحاديثه وعلّق حواشيه وقدم له: عبد الوهّاب عبد اللطيف، ط ٢، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، المطبعة: شركة الطباعة الفنيّة المتّحدة، الناشر: مكتبة القاهرة لصاحبها: علي يوسف سليمان، شارع الصناديق، بميدان الأزهر، بمصر.

١٥٨. الصواعق المرسلّة على الجهميّة والمعطلّة: ابن القيم الجوزيّة (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق ومراجعة: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة،

٤٣٨..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

الرياض، ١٩٩٨م، ط ٢.

١٥٩. الضعفاء: أبو زرعة الرازي، الدار السلفية - الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م. الرسالة العلمية (أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية): لسعدي بن مهدي الهاشمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

١٦٠. الضعفاء الكبير: الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي، حققه ووثقه: الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٦١. الضعفاء: أبو نعيم الإصبهاني (ت: ٤٣٥هـ)، حققه وقدم له: الدكتور فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب.

١٦٢. الضعفاء والمتروكون: عليّ الدارقطني (ت: ٣٨٥هـ) المحقق: د. عبد الرحيم محمد القشقري، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تسلسل: ٤٤٦، العدد ٦٣ - ٦٤، رجب - ذو الحجة، ١٤٠٤ هـ.

١٦٣. الضعفاء والمتروكون: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الله القاضي، ط ١، ١٤٠٦ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦٤. الضعفاء والمتروكين: الإمام أحمد بن علي بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣ هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت - لبنان، طبعة جديدة ومنقحة، ط ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

١٦٥. طبقات الحفاظ: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـ، ط ١.

١٦٦. طبقات الشافعية الكبرى: عبد الوهاب بن علي السبكي (ت:

المصادر والمراجع ٤٣٩

- ١٧٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي - عبد الفتاح محمد الحلوي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
١٦٧. الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١ ١٩٦٨م.
١٦٨. عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، أبو بكر ابن العربي (ت: ٤٣٥هـ)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
١٦٩. العرف الطيب شرح ديوان أبي الطيب: شرح ناصيف اليازجي، دار صادر - لبنان.
١٧٠. العصمة: السيد كمال الحيدري، بقلم: محمد القاضي ط ٩، مطبعة ستارة قم.
١٧١. العقد الفريد: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب بن حدير بن سالم، المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت: ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.
١٧٢. عقيدة السلف وأصحاب الحديث أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة: الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (ت: ٤٤٩)، دراسة وتحقيق: ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع (رسالة دكتوراه) دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩هـ.
١٧٣. علل الشرائع: الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١)، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، ١٩٦٦م.
١٧٤. العلل المتناهية: ابن الجوزي، أبو الفرج الطبعة الهندية.
١٧٥. العلل: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي،

٤٤٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د. سعد بن عبد الله الحميد، و د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي، مطابع الحميضي، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

١٧٦. العلل: الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١)، تحقيق: الدكتور وصي الله بن محمود عباس، ط ١: ١٤٠٨ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، دار الخاني، الرياض.

١٧٧. علم الإمام: المرجع الديني السيد كمال الحيدري، بقلم: الشيخ علي حمود العبادي، دار فراق، ط ١، ٢٠٠٨ هـ، قم - إيران.

١٧٨. علم الحديث: ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٥ م.

١٧٩. العين: الخليل الفراهيدي (ت: ١٧٥)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، ط ٢، ١٤١٠ هـ، مؤسسة دار الهجرة.

١٨٠. غاية المرام وحبّة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاصّ والعامّ: السيد هاشم البحراني الموسوي، تحقيق: السيد علي عاشور.

١٨١. الفتاوى الحديثية: نور الدين علي بن أبي بكر، ابن حجر الهيتمي (ت: ٩٧٤ هـ)، مطبعة مصطفى الحلبي، ط ٣، مصر.

١٨٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري: للإمام الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط ٢.

١٨٣. فرائد الأصول (أو ما يعرف الرسائل): الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري (ت: ١٢٨١ هـ)، إعداد: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم.

١٨٤. فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من

المصادر والمراجع ٤٤١

- ذريتهم: شيخ الإسلام المحدث الكبير إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن عبد الله بن علي بن محمد الجويني الخراساني، من أعلام القرن السابع والثامن، حققه وعلّق عليه وتصدّى لنشره: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
١٨٥. فضائل الصحابة: الإمام أحمد بن حنبل، حققه وخرّج أحاديثه: وصي الله بن محمد عباس، دار ابن الجوزي.
١٨٦. الفقيه والمتفقه: الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣)، ط ١، تحقيق: إسماعيل الأنصاري، دار ابن الجوزي، دار إحياء السنّة، الرياض.
١٨٧. فهرست أسماء مصنّفي الشيعة (رجال النجاشي): النجاشي، (ت: ٤٥)، ط ٥، ١٤١٦ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفّة.
١٨٨. الفوائد الشهير بالغيلانيّات، أبو بكر الشافعي (ت: ٣٥٤)، تحقيق: فاروق عبد العليم مرسي، دار أضواء السلف، دار ابن الجوزي، الرياض، ط ١.
١٨٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير: العلامة محمد عبد الرؤوف المناوي (ت: ١٠٣١)، تحقيق: تصحيح أحمد عبد السلام، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، دار الكتب العلميّة، بيروت.
١٩٠. القاموس الفقهي: سعدي أبو حبيب، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، دار الفكر، دمشق - سوريا.
١٩١. القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧ هـ)، طبعت على نسخة الشنقيطي.
١٩٢. القرآن في الإسلام: محمد حسين الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ)، تعريب السيّد أحمد الحسيني.

٤٤٢..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

١٩٣. قوانين الأصول: الميرزا القمّي (ت: ١٢٣١هـ)، طبعة حجرية .

١٩٤. الكاشف عن حقائق السنن: لشرف الدين الحسيني الطيبي (ت:

٧٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هندراوي، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة،

١٩٩٧م.

١٩٥. الكافي في فقه الإمام أحمد: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن

محمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، ط١، دار الكتب العلمية.

١٩٦. الكامل في ضعفاء الرجال: الإمام الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عديّ

الجرجاني (ت: ٣٦٥هـ)، ط١، تحقيق: الدكتور سهيل زكار دار الفكر

والطباعة والنشر، بيروت.

١٩٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن

أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، ط٣، ١٤٠٧ هـ، دار الكتاب

العربي، بيروت.

١٩٨. كشف المشكل من حديث الصحيحين: ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)،

تحقيق: الدكتور علي حسين البوّاب، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار

الوطن للنشر، الرياض .

١٩٩. كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر: أبو القاسم علي بن محمد

بن علي الخزاز القمّي الرازي (ت: ٤٠٠هـ)، حققه: العَلَم الحجة السيّد

عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، انتشارات بيدار، ١٤٠١ هـ،

الخيّام، قم.

٢٠٠. كمال الحيدري قراءة في السيرة والمنهج: د حميد مجيد هدو، دار القارئ،

ط٣ .

٢٠١. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: العلامة علاء الدين علي المتقي

بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت: ٩٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ

المصادر والمراجع ٤٤٣

- بكري حياني والشيخ صفوة السفا، مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
٢٠٢. الكنى والألقاب: الشيخ عبّاس القمي (ت: ١٣٥٩ هـ)، تقديم: محمّد هادي الأميني، مكتبة الصدر، طهران.
٢٠٣. اللآلئ البهيّة في شرح العقيدة الواسطيّة: الشرح لمعالي الشيخ صالح عبد العزيز آل الشيخ، دار العاصمة.
٢٠٤. اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية: الشّيوطي جلال الدين، دار الكتب العلمية.
٢٠٥. لسان العرب: الإمام العلامة أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصريّ (ت: ٧١١ هـ)، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥ هـ.
٢٠٦. لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، ط ٢، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
٢٠٧. لمحات من تاريخ السنّة وعلوم الحديث: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلاميّة، بيروت.
٢٠٨. المجروحين: أبو حاتم محمّد بن حبان البستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب.
٢٠٩. مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحقّقين، قدّم له: الإمام الأكبر السيّد محسن الأمين العاملي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٢١٠. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الهيتمي المصري، منشورات محمّد علي بيضون.
٢١١. المجموع شرح المهذب: الإمام أبو زكريّا محيي الدين بن شرف النووي

٤٤٤..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

(ت: ٦٧٦ هـ) دار الفكر .

٢١٢ . مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز ابن باز (ت: ١٤٢٠ هـ): أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

٢١٣ . مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

٢١٤ . محاضرات السيد الخوئي في الموايظ: السيد محمد علي الخرسان، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ١٣٨٢ ش، مطبعة محمد، مؤسسة السبطين عليه السلام العالمية، قم - إيران .

٢١٥ . محاضرات في العقيدة والدعوة: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله صالح الفوزان.

٢١٦ . المحلّي: ابن حزم (ت: ٤٥٦ هـ)، قوبلت على نسخة الأستاذ أحمد محمد شاكر، دار الفكر .

٢١٧ . مختصر التحفة الاثني عشرية: ألف أصله باللغة الفارسية: علامة الهند شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، نقله إلى العربية: الشيخ الحافظ غلام محمد بن محيي الدين بن عمر الأسلمي، اختصره وهذبته: علامة العراق محمود شكري الألوسي، حققه وعلّق حواشيه: محبّ الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٣ هـ .

٢١٨ . المخصّص: ابن سيّده (ت: ٤٥٨)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٢١٩ . مدخل إلى الإمامة: السيد كمال الحيدري، دار فراق، ط ٦.

٢٢٠ . مذكرة أصول الفقه: مجموعة أساتذة الجامعة الإسلامية، الجامعة

الإسلامية بالمدينة النبوية.

٢٢١. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ﷺ: العلامة المجلسي، (ت:

١١١١هـ)، إخراج ومقابلة وتصحيح: السيد محسن الحسيني الأميني،
ط١، ١٤٠٥هـ، مطبعة خورشيد، دار الكتب الإسلامية.

٢٢٢. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن سلطان محمد القاري،

(ت: ١٠١٤هـ)، تحقيق ومراجعة: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية لبنان
- بيروت: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ط١.

٢٢٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر: تصنيف الرحالة الكبير والمؤرخ

الجليل أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت: ٣٤٦هـ)، دققها
ووضعها وضبطها: الأستاذ يوسف أسعد داغر أمين، دار الكتب اللبنانية
سابقاً، والاختصاص بفنّ المكتبات والبيولوجرافيا، من منشورات دار
الهجرة إيران - قم، ط١، بيروت، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

٢٢٤. مستخرج أبي عوانة: أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

النيسابوري الإسفراييني (ت: ٣١٦هـ)، تحقيق: أيمن بن عارف
الدمشقي، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار المعرفة، بيروت.

٢٢٥. المستدرك على الصحيحين: الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم

النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، وبذيله: التلخيص للحافظ الذهبي، طبعة
مزيدة بفهرس الأحاديث الشريفة، بإشراف: د. يوسف عبد الرحمن
المرعشلي، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٢٢٦. المستصفي من علم الأصول: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي

(ت: ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية
ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢٢٧. مسند ابن أبي شيبة: الإمام الحافظ أبو بكر عبد الله بن أبي شيبة (ت:

٤٤٦..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

٢٣٥هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، أحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٢٨. مسند أبو يعلى (ت: ٣٠٧هـ): تحقيق حسين سليم أسد، ط١، دار المأمون، ١٩٨٨م.

٢٢٩. مسند الإمام ابن حنبل (ت: ٢٤١هـ): تحقيق شعيب الانؤوط، مكتبة الرسالة.

٢٣٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ): دار صادر بيروت، لبنان.

٢٣١. المسند الجامع: حققه ورتبه وضبط نصه: محمود محمد خليل، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، الكويت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢٣٢. مسند الشاميين: الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، حققه وخرّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسّسة الرسالة.

٢٣٣. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني (ت: ٨٤٠هـ)، تحقيق ومراجعة: محمد المتقي الكشناوي، دار العربيّة، بيروت، ١٤٠٣هـ، ط٢.

٢٣٤. مصطلح الحديث: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، (ت: ١٤٢١هـ)، ط١، ١٩٩٤م، مكتبة العلم، القاهرة.

٢٣٥. مصنّف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار: الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ابراهيم بن عثمان بن أبي بسكر بن أبي شيبة الكوفي العسبي، (ت: ٢٣٥هـ) طبعة مستكملة النصّ ومنقّحة ومشكولة ومرقّمة الأحاديث ومفهرسة، ضبطه وعلّق عليه: الأستاذ سعيد اللحام، الإشراف الفني والمراجعة والتصحيح: مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر.

المصادر والمراجع ٤٤٧

٢٣٦. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: الحافظ بن حجر أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق: الأستاذ المحدث الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤١٤ هـ.

٢٣٧. مع الاثني عشرية في الأصول والفروع: علي بن أحمد السالوس، ط ٧، دار الفضيلة بالرياض.

٢٣٨. معالم الإسلام الأموي: لسماحة آية الله العلامة السيد كمال الحيدري، بقلم: علي المدن، دار المرتضى.

٢٣٩. معالم التنزيل: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، (ت: ٥١٦ هـ)، حققه وخرّج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٤٠. معاني الأخبار: الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ١٣٧٩ هـ - ١٣٣٨ ش، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٢٤١. معاني النحو: دكتور فاضل السامرائي، مؤسسة التاريخ العربي.

٢٤٢. معجم الشيوخ: أبو سعيد بن الأعرابي أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي (ت: ٣٤٠ هـ)، تحقيق وتخريج: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٤٣. المعجم الكبير: الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (ت: ٣٦٠ هـ)، حققه وخرّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، ط ٢.

٢٤٤. المعجم الكبير: الطبراني (ت: ٣٦٠ هـ)، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي، ط ٢، ١٤٠٥ - ١٩٨٤ م، دار إحياء التراث العربي.

- ٤٤٨..... حديث الثقلين سنداً ودلالة
٢٤٥. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث، بيروت.
٢٤٦. معجم رجال الحديث: أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت: ١٩٩١م)، ط ٢، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧٨م.
٢٤٧. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة: الإمام الأكبر زعيم الحوزات العلميّة، السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت: ١٩٩٢م)، ط ٥، منقّحة ومزيدة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.
٢٤٨. معرفة التذكرة: ابن طاهر المقدسي الأثري الصوفي (ت: ٥٠٧هـ)، طبعة مؤسّسة الكتب الثقافية.
٢٤٩. معرفة علوم الحديث: الإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري، اعتنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه مع ترجمة المصنّف: الأستاذ الدكتور السيّد معظم حسين، أم - أي، دي فل (أكسن) رئيس الشعبة العربيّة والإسلاميّة بجامعة دكة ينغاله، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الحديث، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.
٢٥٠. المعرفة والتاريخ: يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف (ت: ٢٧٧هـ)، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.
٢٥١. مغنى اللبيب: ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق وفصل وضبط: محمّد محيي الدين عبد الحميد، ١٤٠٤ هـ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم - إيران.
٢٥٢. المغني: عبد الله بن قدامة (ت: ٦٢٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

المصادر والمراجع ٤٤٩

٢٥٣. المغني في الضعفاء: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: أبي الزهراء حازم القاضي، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان.

٢٥٤. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت: ٦٠٦هـ)، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٥٥. المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني (ت: ٤٢٥هـ)، ط ٢، ١٤٠٤هـ، دفتر نشر الكتاب.

٢٥٦. المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة: الحافظ السخاوي (ت: ٩٠٤هـ)، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٥٧. مقدّمة ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق وتعليق وشرح وتخرّيج: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان.

٢٥٨. معاني القرآن: أبو جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط ١، ١٤٠٩هـ.

٢٥٩. من حديث أبي العباس البصري: محمد بن يونس الكديمي (ت: ٢٨٦هـ)، مخطوطة (الجامعة الإسلاميّة، المدينة المنورة ٩٦٦هـ)، ناسخها: يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي.

٢٦٠. من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفّة.

٢٦١. المناقب: الموقّق بن أحمد البكري المكيّ الحنفيّ الخوارزمي (ت:

٤٥٠..... حديث الثقلين سنداً ودلالة

٥٦٨هـ)، تحقيق: فضيلة الشيخ مالك المحمودي، مؤسسة سيّد الشهداء
عليه السلام ط ٢، ١٤١١ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين
بقم المشرفة.

٢٦٢. المنتخب من مسند عبد حميد: تحقيق وتعليق أبي عبد الله مصطفى بن
العدوي، دار بلنسية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض،
الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

٢٦٣. المنطق: لمحمد رضا المظفر (ت: ١٣٨٣هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، ٢٣٤هـ.

٢٦٤. منزلة السنّة في الإسلام: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين ابن الحاج
نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ).

٢٦٥. منهاج السنّة النبويّة: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرّاني (ت:
٧٢٨هـ)، دراسة وتحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن
سعود، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٦هـ.

٢٦٦. منهاج الكرامة: العلامة أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر
الأسدي (ت: ٧٢٦هـ)، تحقيق: عبد الرحيم مبارك، ط ١، ١٣٧٩ ش،
مطبعة الهادي، قم، انتشارات تاسوعاء، مشهد.

٢٦٧. الموافقات: الإمام الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تقديم: فضيلة الشيخ
العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد، وضبط وتحقيق: أبو عبيدة مشهور بن
حسن آل سلمان، دار ابن القيم، ودار ابن عفان، ط ٣، ١٤٣٠ هـ، المملكة
العربية السعودية.

٢٦٨. الموسوعة الرجالية الميسرة: علي أكبر الترابي، إشراف: آية الله الشيخ
جعفر السبحاني، ط ٢، ١٤٢٤هـ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.

٢٦٩. موسوعة الفرق الإسلامية: د محمد جواد مشكور، مجمع البحوث

- الإسلامية، ١٩٩٥م، بيروت - لبنان.
٢٧٠. الموطأ: الإمام مالك (ت: ١٧٩هـ)، رواية يحيى الليثي، صححه ورقمه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: محمّد فؤاد عبد الباقي، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
٢٧١. الموقظة في علم مصطلح الحديث: شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٦٧٣-٧٤٨هـ) اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة (١٣٢٦-١٤١٧هـ) ط ٢، ١٤١٢هـ، مكتبة المطبوعات الإسلامية.
٢٧٢. ميزان الاعتدال: الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمّد البجاوي، ط ١، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
٢٧٣. الميزان في تفسير القرآن: العلامة محمّد حسين الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ)، مؤسّسة النشر التابعة لجماعة المدرّسين، قم.
٢٧٤. نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار: ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، المحقّق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار ابن كثير ط ٢، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٢٧٥. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، المحقّق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، ط ١، مطبعة سفير بالرياض، (١٤٢٢هـ).
٢٧٦. نظم المتناثر من الحديث المتواتر: محمّد جعفر الكتاني (ت: ١٣٤٥هـ)، ط ٢، دار الكتب السلفية للطباعة والنشر، مصر.
٢٧٧. نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار: للعالم الحجّة آية الله السيّد حامد حسين اللكهنوي، في الردّ على التحفة الاثني عشرية، تأليف: السيّد علي الحسيني الميلاني، حديث الثقلين، ط ١، ١٤١٤هـ.

- ٤٥٢..... حديث الثقلين سنداً ودلالة
٢٧٨. النكت على كتاب ابن الصلاح: الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، حَقَّقَه وَعَلَّقَ عَلَيْهِ: مسعود عبد الحميد السعدني، ومحمد فارس، دار الكتاب العلميَّة، ط ١، ١٩٤٩م، بيروت - لبنان.
٢٧٩. نور على الدرب: لعبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت: ١٤٢٠هـ)، نشر: الرئاسة العامَّة للبحوث العلميَّة والإفتاء، المملكة العربيَّة السعوديَّة.
٢٨٠. النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط ٤، مؤسَّسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم - إيران.
٢٨١. نهج البلاغة؛ خطب الإمام علي عليه السلام، شرح: الشيخ محمد عبده، ط ١، ١٤١٢هـ، دار الذخائر، قم - إيران.
٢٨٢. نوادر الأخبار فيما يتعلَّق بأصول الدين: تأليف المحدث الكبير المولى محسن بن مرتضى الفيض الكاشاني، تحقيق: مهدي الأنصاري، مؤسَّسة مطالعات وتحقيقات فرهنگي، إيران.
٢٨٣. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الحرَّ العاملي (ت: ١١٠٤)، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط ٢، ١٤١٤هـ، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرفَّة.
٢٨٤. وصول الأخيار إلى أصول الاخبار: الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي (ت: ٩٨٤هـ)، تحقيق: السيِّد عبد اللطيف الكوهكمري، مجمع الذخائر الإسلاميَّة، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠١هـ.
٢٨٥. ويكيبيديا، الموسوعة الحرَّة (الإنترنت).
٢٨٦. ينباع المودَّة لذوي القربى: سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، تحقيق: سيِّد علي جمال أشرف الحسيني، دار الاسوة للطباعة والنشر، ط ١، ١٤١٦هـ.

فهرس الكتاب

١٣	مقدمة
٢١	تمهيد
٢٣	ترجمة المرجع الديني السيد كمال الحيدري
٣٧	منهجية المرجع الديني السيد كمال الحيدري
٣٨	تأسيسات السيد الحيدري لمنهجيته
٣٨	أولاً: أن تكون الرواية صحيحة سنداً
٣٨	تعريف الرواية الصحيحة
٣٩	حجية الخبر الصحيح لذاته والحسن لذاته
٣٩	ثانياً: أن يكون صريحاً من حيث المتن والدلالة
٤٠	ثالثاً: أن يكون مجمعاً عليه، أي ثابتاً صدوره عند الفريقين
٤٠	روايات الإجماع في مدرسة الصحابة
٤١	النصوص الواردة في مدرسة أهل البيت حول عصمة الأمة
٤٢	العرض عند مدرسة الصحابة
٤٥	ورده في مجموعة نقاط
٥٠	الصحابة يعرضون الحديث على القرآن
٥٢	الفقهاء يعرضون الحديث على القرآن
٥٢	نصوص أئمة أهل العلم المثبتة لهذه القاعدة
٥٣	العرض في مدرسة أهل البيت <small>عليه السلام</small>
٥٤	المعطيات التي تترتب على قبول روايات العرض
٥٥	منهجية جمع القرائن (الاستقراء)

٤٥٤ حديث الثقلين سنداً ودلالة

٥٦ منهج سماحة السيّد الحيدري الرجالي

٥٧ منهج سماحة السيّد الحيدري الكلامي

٥٨ منهجيّته التربويّة في الطرح العقدي والحوار مع المخالف

الفصل الأوّل

سند الحديث

٦٧ المبحث الأوّل: صيغ حديث الثقلين

٦٩ توطئة

٧٢ (١) البحث في سند صيغة (الثقلين)

٧٢ ١. الإمام النسائي

٧٢ المورد الأوّل: روايته في السنن الكبرى:

٧٣ المورد الثاني: روايته في كتابه خصائص أمير المؤمنين عليه السلام

٧٤ ٢. الإمام الطحاوي

٧٤ روايته في كتاب مشكل الآثار

٧٥ ٣. الحاكم النيسابوري

٧٥ روايته في كتابه المستدرک على الصحيحين:

٧٧ ٤. الإمام ابن كثير الدمشقي

٧٧ المورد الأوّل: روايته في كتاب البداية والنهاية وتصحيح الذهبي

٧٨ المورد الثاني: في كتاب تفسير القرآن العظيم

٧٨ خصائص هذه الصيغة

٧٩ (٢) البحث في سند صيغة (الخليفتين)

٧٩ ١. ابن أبي شيبة

٧٩ المورد الأوّل: روايته في كتاب المسند

٨٠ المورد الثاني: روايته في كتاب المصنّف

فهرس الكتاب	٤٥٥
٢. الإمام أحمد بن حنبل	٨٠
المورد الأوّل: روايته في كتاب المسند	٨٠
المورد الثاني: روايته في كتاب فضائل الصحابة	٨١
٣. ابن أبي عاصم	٨١
روايته في كتاب السنّة	٨١
٤. الإمام الطبراني	٨٢
روايته في كتابه المعجم الكبير	٨٢
٥. الإمام الهيثمي	٨٣
روايته في كتابه مجمع الزوائد ومنبع الفوائد	٨٣
٦. الحافظ السخاوي	٨٣
روايته في كتاب استجلاء ارتقاء الغرف	٨٣
٧. الإمام السيوطي	٨٤
روايته في كتاب الجامع الصغير	٨٤
٨. الإمام السهودي	٨٥
روايته في كتاب جواهر العقدين	٨٥
٩. العلامة الألوسي	٨٥
روايته في كتاب روح المعاني	٨٥
١٠. المحقق الألباني	٨٦
روايته في كتاب صحيح الجامع الصغير	٨٦
١١. مصطفى بن العدوي	٨٦
روايته في كتاب الصحيح المسند من فضائل الصحابة	٨٦
خصائص صيغة (خليفتين)	٨٧
(٣) البحث في سند صيغتي (لن تضلّوا. وحبّل ممدود)	٨٨

٤٥٦ حديث الثقلين سنداً ودلالة

١. الإمام الطحاوي؛ روايته في كتاب مشكل الآثار ٨٨
٢. الإمام أحمد بن حنبل؛ روايته في كتاب المسند ٨٨
٣. عبد بن حميد؛ روايته في كتاب المنتخب من مسند عبد بن حميد ٨٩
٤. الإمام الترمذي ٨٩
- روايته في كتاب الجامع الكبير ٩٠
٥. ابن أبي عاصم ٩٠
- روايته في كتاب السنّة ٩٠
٦. الإمام البغوي ٩١
- روايته في كتاب شرح السنّة ٩١
٧. أحمد البوصيري ٩٢
- روايته في كتاب إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ٩٢
٨. الحافظ السخاوي؛ روايته في كتاب استجلاء ارتقاء الغرف ٩٣
٩. ابن حجر العسقلاني؛ روايته في كتاب المطالب العالية ٩٤
١٠. المحقق الألباني ٩٤
- المورد الأوّل: روايته في كتاب سلسلة الأحاديث الصحيحة ٩٤
- المورد الثاني: روايته في كتاب صحيح سنن الترمذي ٩٥
- المورد الثالث: روايته في كتاب صحيح الجامع الصغير ٩٥
- خصائص هذه الصيغة ٩٦
- (٤) رواية الثقلين في تراث أهل البيت عليهم السلام ٩٧
- الرواية الأولى: في كتاب الكافي للكليني ٩٧
- الرواية الثانية: أيضاً في الكافي ٩٨
- الرواية الثالثة: في كتاب الخصال للشيخ الصدوق ٩٩

فهرس الكتاب	٤٥٧
(٥) تعدّد مناسبات ذكر الحديث وتواتره	١٠٢
توطئة	١٠٢
أولاً: المناسبات التي ذكر فيها حديث الثقلين	١٠٣
١. في عرفات (حجّة الوداع)	١٠٣
٢. مسجد الخيف	١٠٤
٣. غدير خمّ	١٠٤
٤. المسجد النبوي	١٠٥
٥. حجرة بيته	١٠٥
ثانياً: تواتر حديث الثقلين	١٠٦
الحديث المتواتر وحكمه والعدد الذي به يتحقّق التواتر	١١٠
عدد الصحابة أو الصحابيّات الذين رواوا حديث الثقلين	١١٢
رواة حديث الثقلين من الصحابة	١١٢
المبحث الثاني: صيغة وستّي	١١٥
توطئة	١١٧
نصّ الرواية في موطأ مالك بلاغاً وأسنادها من ابن عبد البرّ	١١٨
(١) طريق صالح بن موسى الطلحي	١١٩
إجمال أقوال علماء الجرح والتعديل فيه:	١٢٠
(٢) طريق إسماعيل بن أبي أويس	١٢٢
مجمّل الأقوال فيه	١٢٣
(٣) طريق سيف بن عمر وصباح بن محمد	١٢٤
الأول: سيف بن عمر؛ مجمّل الأقوال فيه	١٢٤
الثاني: صباح بن محمّد؛ مجمّل الأقوال فيه	١٢٦
(٤) طريق كثير بن عبد الله؛ مجمّل الأقوال فيه	١٢٧

٤٥٨ حديث الثقلين سنداً ودلالة
١٢٩ النتيجة في لفظ: «وسنتي»
١٣١ المبحث الثالث: مناقشة المضعفين لصيغة (وعترقي)
١٣٣ (١) من المضعفين ابن تيمية
١٣٥ الجواب على ابن تيمية
١٤٥ (٢) من المضعفين ابن الجوزي
١٤٥ أقوال العلماء في تصنيفات ابن الجوزي
١٤٧ الجواب على تضعيف ابن الجوزي للحديث
١٤٨ تضعيفه السند بعطية العوفي
١٤٩ السبب الأول: تدليسه
١٥١ السبب الثاني تشييعه
١٥٢ السبب الثالث: روايته المناكير
١٥٤ التوثيق لعطية العوفي
١٥٥ الخلاصة في عطية العوفي
١٥٦ (٣) من المضعفين البخاري
١٥٨ ميزات مسند أحمد
١٦٣ المبحث الرابع: سند حديثي الكساء والوقوف على بيت فاطمة <small>عليها السلام</small>
١٧٧ المصححون من العلماء لحديث الكساء

الفصل الثاني

دلالات الحديث والآيات المقترنة به

١٨١ المبحث الأول: أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
١٨٣ توطئة
١٨٦ (١) معاني أهل البيت لغةً وعرفاً وشرعاً

٤٥٩	فهرس الكتاب
١٩١	(٢) أهل البيت في آيات التطهير والمودة والمباهلة
١٩١	أهل البيت في آية التطهير
١٩٢	الرازي فخر الدين
١٩٣	الحافظ ابن حجر العسقلاني
١٩٣	ابن حجر الهيتمي المكي
١٩٤	ابن تيمية
١٩٥	الآلوسي أبو الثناء البغدادي
١٩٦	العلامة العزيزي
١٩٧	العلامة الحفني
١٩٨	النيسابوري
٢٠٠	أهل البيت في آية المباهلة
٢٠١	أهل البيت في آية المودة
٢٠٣	النتيجة
٢٠٦	(٣) دلالات آية التطهير
٢٠٦	الطهارة في المدلول القرآني
٢١١	القلب السليم
٢١٤	الإرادة
٢١٨	الشمولية في إذهاب الرجس
٢١٩	تطبيق معنى العصمة
٢٢٣	المبحث الثاني: دلالات حديث الثقلين
٢٢٥	توطئة
٢٢٧	(١) يُوشكُ، أن يأتي رَسولُ رَبِّي، فأجيبَ، أو كَأني قَدْ دُعيتُ فأجبتُ

٤٦٠ حديث الثقلين سنداً ودلالة
٢٢٧ الألفاظ؛ المعاني لغة
٢٢٨ الشرح
٢٢٩ دلالات المقطع
٢٣٠ (٢) (وَإِنِّي، تَارِكٌ فِيكُمْ، الثَّقَلَيْنِ، الْخَلِيفَتَيْنِ)
٢٣٠ الألفاظ
٢٣٠ المعاني لغة
٢٣٢ دلالات المقطع
٢٣٦ (٣) (مَا إِن تَمَسَّكْتُمْ بِهِ، أَوْ: مَا إِن أَخَذْتُمْ بِهِ، لَنْ تَضِلُّوا)
٢٣٦ الألفاظ
٢٣٦ المعاني لغة
٢٣٨ دلالات المقطع
٢٤٣ (٤) (أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخِرِ: كِتَابُ اللَّهِ، حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَعِشْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي)
٢٤٣ الألفاظ
٢٤٣ المعاني لغة
٢٤٤ توطئة
٢٤٩ أهم الأوصاف التي وصف القرآن بها نفسه
٢٤٩ أولاً: الفرقان
٢٥٠ آراء المفسرين في معنى الفرقان
٢٥٢ تطبيق صفة الفرقان على العترة
٢٥٣ عليّ أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>
٢٥٤ فاطمة الزهراء <small>عليها السلام</small>
٢٥٤ الحسن والحسين <small>عليهما السلام</small>

٤٦١	فهرس الكتاب
٢٥٥	ثانياً: (تبيانا لكل شي).....
٢٦١	دلالات المقطع.....
٢٦٦	(٥) (وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْخَوْضَ).....
٢٦٦	أولاً: (وَإِنَّهُمَا) أو (فَاتَّهَمَا).....
٢٦٦	ثانياً: قوله (لن).....
٢٦٧	ثالثاً: ما المراد من الافتراق؟.....
٢٦٨	رابعاً: كلمة (حتى).....
٢٦٩	خامساً: الخوض.....
٢٧٣	حوض الكوثر.....
٢٧٥	خصائص حوض الكوثر.....
٢٧٦	فائدة الشرب من الخوض.....
٢٧٦	دلالات المقطع.....
٢٧٦	الأولى: عدم افتراق القرآن والعترة دليل على وجوب الاتباع.....
٢٧٧	الثانية: عصمة العترة النبوية من المعاصي والأخطاء والاشتباه.....
٢٨٦	الثالثة: أعلميتهم.....
٢٨٧	الرابعة: بقاء العترة إلى جانب الكتاب إلى يوم القيامة.....
	(٦) دلالة ذكر «حديث الثقلين» مع حديث «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه»
٢٩١	يوم الغدير.....
٢٩١	توطئة.....
٢٩٢	دلالة اقتران حديث الثقلين مع حديث الولاية.....
٢٩٧	سبب تقطيع النصوص وبتراها.....
٣٠٠	دلالات المقطع.....

الفصل الثالث

شبهات حول دلالات الحديث والآيات المقترنة به

- المبحث الأول: شبهات حول آية التطهير ٣٠٣
- الشبهة الأولى: في المراد من أهل البيت عليهم السلام ٣٠٥
- الوجه الأول ٣٠٥
- الملاحظة الأولى ٣٠٦
- ترجمة عكرمة - بتصرف - عند المزي ٣٠٧
- ترجمة مقاتل بن سليمان ٣١١
- الملاحظة الثانية ٣١٢
- الوجه الثاني ٣١٣
- الوجه الثالث ٣١٥
- الشبهة الثانية: عدم إفادة معنى العصمة ٣٢٦
- الشبهة الثالثة: كون الإرادة في الآية تشريعية لا تكوينية ٣٣٠
- المبحث الثاني: شبهات حول حديث الثقلين ٣٣٥
- (١) معارضة حديث الثقلين بحديث «الخلفاء الراشدين» ٣٣٧
- (٢) من هم الخلفاء الراشدون ٣٤٨
- (٣) حديث «الاثني عشر» وتفسيرات علماء المسلمين له ٣٥٦
١. صحيح البخاري ٣٥٦
٢. صحيح مسلم ٣٥٦
٣. سنن أبي داود ٣٥٧
٤. سنن الترمذي ٣٥٨
٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٥٨
٦. صحيح ابن حبان ٣٦٠

فهرس الكتاب	٤٦٣
آراء علماء أهل السنة في تحديد الخلفاء الاثني عشر	٣٦١
١. الحافظ ابن حجر العسقلاني	٣٦٢
٢. الحافظ جلال الدين السيوطي	٣٦٣
٣. الحافظ ابن كثير الدمشقي	٣٦٤
٤. ابن الجوزي	٣٦٥
٥. الخطابي	٣٦٥
٦. أبو الحسين بن المنادي	٣٦٧
٧. أبو الجلد	٣٦٨
٨. ابن حبان	٣٧٠
٩. العلامة محمد أشرف الصديقي العظيم آبادي	٣٧٣
١٠. القاضي عياض والحافظ البيهقي	٣٧٤
١١. أبو بكر بن العربي المالكي	٣٧٦
١٢. محمد بن عبد الوهاب	٣٧٨
١٣. المهلب	٣٨٣
١٤. ابن تيمية	٣٨٤
خلاصة أقوالهم في الخلفاء	٣٨٩
أبو بكر وعمر وعثمان والإمام عليّ	٣٨٩
الحسن بن عليّ	٣٨٩
معاوية بن أبي سفيان	٣٨٩
يزيد بن معاوية	٣٨٩
عبد الله بن الزبير	٣٩٠
مروان بن الحكم	٣٩٠
عبد الملك بن مروان	٣٩٠

٤٦٤ حديث الثقلين سنداً ودلالة
٣٩٠ الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك
٣٩٠ عمر بن عبد العزيز
٣٩١ يزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك
٣٩١ الوليد بن يزيد بن عبد الملك
٣٩١ يزيد بن الوليد بن عبد الملك
٣٩١ النتيجة المستخلصة من أقوالهم في شرح حديث الاثني عشر
٣٩٢ الألباني يزيد الطين بلة
٣٩٣ حديث الاثني عشر بلفظ آخر
٣٩٦ (٤) تفسير مدرسة أهل البيت لأحاديث الخلفاء اثنا عشر
٣٩٦ ١. أتهم موجودون إلى قيام الساعة
٣٩٧ ٢. أن هؤلاء الخلفاء معيّنون بالنص
٣٩٨ ٣. عملهم بالهدى والحق
٣٩٩ ٤. الثبات على الحق
٤٠٠ ٥. أتهم اثنا عشر خليفة
٤٠١ أسماء خلفاء النبي ﷺ في النصوص الروائية
٤١٣ الخاتمة
٤١٩ المصادر والمراجع
٤٥٣ فهرس الكتاب